808
K231i2A
V.1-2
c.1

تهذيب الإيضاح

شرح حديث لكتاب الايضاح الذي ألفه إمام البلغاء
قاضي دمشق وخطيب جامعها الشيخ جلال الدين
محمد بن عبد الرحمن القزويني ثم الدمشقي
المتوفى سنة ٧٢٦ من الهجرة

هذبه ورتبه وشرحه بتعليقات تبين مقاصده ، وأكمله بنصوص مختارة تمثل شواهده

عز الدين التنوخي
عضو المجمع العلمي العربي
واستاذ العلوم العربية بكلية الآداب السورية

الجزء الأول

فن البديع

71020

١٣٦٧هـ
مطبعة الجامعة السورية — ١٩٤٨ م

WESTERN UNIVERSITY
LIBRARY
OF DETROIT

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشارح

إن كلية الآداب العربية بدمشق، وهي حديثة النشأة، ترمي الى تمكين طلابها من مطالعة كتب السلف، وفهم عباراتها التي تختلف بلغتها وبأساليب بيانها عن لغة التأليف في عصرنا هذا، وذلك ليستطيعوا بعد تخرّجهم من الكلية مراجعة مصادر أبحاثهم، والانتفاع بها في التأليف والتدريس، فهم اليوم لا يجدون في الكتب العصرية أو المدرسية ما يسدّ ون بمادتها الخالية، أو يكشفون بصحتها العلة، وما يقفون به على أسرار العربية والعلم الذي يطلبونه، أو يؤيدون بأدلتها البحث الذي يحاولون تحقيقه وتحريره.

ولقد كانت محاضرات التدريس في سنة التأسيس الأولى تحاول أن يلمّ طلابها بأصول البلاغة بصورة عامة، وأن يتمرّسوا بتداريبها واساليبها، ثم أردنا في هذه السنة المباركة الثانية أن نضع بين أيديهم كتاباً يحرّر مسائل البلاغة، ويلخص لهم قواعدها أحسن تلخيص، ولم نختر لهم «الدلائل أو الاسرار» لواضع علوم البلاغة لصعوبتها على من لم يلمّ باصول

هذا العلم ، ولا « تلخيص المفتاح » مع استيعابه لاطراف هذا الفن ، وجمعه لشتيت فوائده ، لأن تعبيره مضغوط موجز ولكثرة اصطلاحاته المنطقية والجدلية التي تخفي مقاصدها بغير توضيح على شداة الطلبة ، ولقلة نصوصه وشواهده .

وقد شعر الجلال القزويني نفسه بما في تلخيصه هذا من فرط الاختصار الذي يؤدّي الى تعقيد يكدّ الذهن ، ويرهق الرويّة ، فعمل على توضيح مشكله ، وتفصيل مجمله ، بتأليف (الايضاح) الذي جعله كالشرح للتلخيص ، وجمع فيه خلاصة دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة والمثل السائر والمفتاح وغيره ، وان لم ينزّه مع ذلك شرحه هذا مما يجانف عن مذاهب السلاسة ووضوح الدلالة ، ولا جرّده من الاسلوب الفلسفيّ الذي لا يأتلف مع البيان العربي ، وهو ماحداني الى توضيح هذا (الايضاح) ببسط مافيه من العبارات الباعثة على تعقيده وتبعيده ، وبتيسير فهمه بتعليقات واضحة وأقوال شارحة ، وباتمام مباحثه بتحقيقات مستقاة من الصناعتين و « الطراز »(١) العلوي وغيرهما من كتب أئمة البلاغة ، ثم اكملت ذلك ، لتقوية ملكة البيان من الطالب ، بتدريبات كثيرة النصوص والشواهد ، وآثرت في ترتيب فنونه الابتداء بفن البديع فالبيان فالمعاني ، مجاراةً لكلية اللغة العربية من الجامعة الازهرية ولأن فيه انتقالاً بالطالب من اليسير الى العسير .

---

(١) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز للامام يحي بن حمزة العلوي .

ان البلاغه العربية التي تشتمل على هذه الفنون الثلاثة إنما تبحث عن الجملة والصورة ، وهما شطر من الاسلوب الذي أغفلته بلاغتنا. والأسلوب لاتخلد الكتابة ولغة الامة إلا به ، ولم تبحث معه عن الفكرة والعاطفة والخيال وعن قواها وانواعها ، ولئن كانت الجملة والصورة قوام جسم البلاغة ، فالفكرة والعاطفة والخيال روح ذلك الجسم السويّ الجميل ، والتعبير المستوفي لشرائط الحسن اذا ماخلا من روحه اشبه التمثال الذي استوفى نحته شرائط الاتقان ، ولكنه يظل معها جامداً بارداً لفقده الروح والحياة.

ثم ان لهذه الفنون او الفصول الثلاثة من البلاغة «انواعاً أدبية» (١) اخرى لها بها اتصال وثيق ، وبجملتها يتم بيان الانسان كالوصف والخطابة والقصة والرسالة والبحث والمناظرة ، فلها بلاغات فنية خاصة. وعسى أن نوفق يوماً لاتمام البحث عنها في رسائل او كتب مستقلة تدل طالب البلاغة الانسانية على اصولها واساليبها وشرائط الاتقان والاحسان فيها .

ولقائل من أهل التجدّد ان يقول : وما الفائدة من علوم البلاغة لمن رُزق صحة الطبع والذوق المصفّى الموهوب ، فقد رأينا من أصحاب الجرائد من أطاعه عصيّ الكلام فهو يملأ صحيفته كل يوم ، ونحن لاننكر أن الموهوب ، وهو لا يعان بعلم مكسوب ، افضل من ذي العلم المكسوب إن لم يكن موهوباً . ونحن نعتقد أنهما إن اجتمعا في المتأدب بلغا به من المكانة

---

(١) Les genres littéraires وقد جعل صاحب الصناعتين الخطب والرسائل من اجناس الكلام ، فلنا ان نسميها (الأجناس الادبية) .

في البلاغة موقعاً عظيماً، يؤيد ذلك ان النبوغ في الكتابة او الصحافة لم يكتب في عصرنا هذا لمن لم يدرس علم البيان، ولم يتدرّب على فن الاقناع والامتاع.

ولخيرٌ لي ان استشهد بمن يدافع عن علوم البلاغة غيري، ولا اجد دفاعاً اقوى إحكاماً وإلحاماً من كتاب «دفاع عن البلاغة» (١) حيث يقول:

ان الطبع والقريحة لا يغنيان في البلاغة عن الفن، وربما كان فيهما ذلك الغَناء في العصر الجاهلي وصدر الاسلام، حين كانت الاهواء صادقة والاخلاق صريحة والحياة بسيطة، أما وقد زُيّف الصادق وشيب الصريح وركّب البسيط، فلا بدّ من حذق الصناعة وهدي القواعد لمعالجة ذلك، كالمسايفة كانت في اول امرها سهلة يستعمل فيها السائف سيفه كما يستعمل الواكز يده، فلما كثرت فيها الحيل وتعدّدت الوجوه أصبحت فناً له قواعد واصول لابدّ ان يراعيها المسايف وإلاّ هلك.

واذا كانت القواعد هي النتائج التي استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها على طول القرون، فان الشأن في البلاغة يجب ان يكون هو الشأن في سائر الفنون التي اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورقّاها المران.

إن دمشق العربية، بل قلب العروبة الخفّاق، لأحقُّ البلاد في نهضتها باحياء آثار من ضمّتهم تربتها الزكيّة من علماء العرب وأدبائهم، والجلال

(١) للاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة

القزويني الدمشقي مؤلف الايضاح قد خدم دمشق بالقضاء والتعليم دهراً طويلاً ، فهو — لعمري — أحق الناس بأن يفيد ابناء الشام بل ابناء الجامعة العربية بعلمه وادبه ، كما افاد منه في القرن الثامن آباؤهم الذين كانوا هم الأحياء والبلغاء .

هذا ، واعتقد اني بتهذيبي للايضاح ، وبشرحه وتوضيحه بهذا الاسلوب قد زدت في إشراق دلالته ، وإدناء افنان بيانه ، واني قمت ببعض الواجب عليّ لكلية الآداب ، واطلاّبي بل احبابي الاذكياء الاوفياء .

كتبه بدمشق في ١٨ محرم ١٣٦٧

النووي

ترجمة مؤلف الايضاح

٦٦٦—٧٣٩هـ

نسبه : القزويني صاحب التلخيص والايضاح : يخاله من لا يعرف نسبه اعجمياً وهو عربي صميم ، والنسبة ما كانت لتدل على النسب : ذلك أن العرب فتحوا فارس والاندلس وغيرهما من الاقاليم، ثم توطنوها لتوطيد دينهم ونشر حضارتهم فنسب الى بلدانها اولادهم واحفادهم ، فممن نسب الى فارس من صرحاء العرب :

الاصبهاني صاحب الاغاني . ولا يشك في أمويته أحد ، والهمذاني صاحب المقامات . والابيوردي الشاعر الاموي المشهور ، والمروزي المؤرخ كمال الدين عبدالرزاق من أحفاد معن بن زائدة الشيباني. والقزويني الجلال ابو المعالي محمد بن عبدالرحمن بن عمر ، جده الاعلى حاتم العرب في عصره أبو دلف العجلي الذي « ولت الدنيا على أثره » وعجل من ربيعة ، وهو ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

مولده ونشأته : قال ابن قاضي شهبة . « مولده بالموصل سنة ست وستين وستمائة » . واخذ الاصلين عن الايكي وغيره .

اوصافه وسجاياه : كان الجلال القزويني مليح الصورة كبير الذقن كثير التجمل وموطأ الاكتاف جم الفضيلة كريم اليد والنفس مقداماً ذكياً ، وكان يحب الادب ويستحضر نكته ، ويعطف على ألباء طلابه وينشطهم وينوه بذكرهم ، وممن انتفع بعلومه من مشاهير العلم والأدب الامام بن عقيل شارح الالفية ، فقد أملى شرحه على اولاده تنشيطاً له وتقديراً ، وكان يعظم الارجاني واختصر ديوانه وا كثر الاستشهاد بشعره.

مبانه وبعد ان اكمل تحصيله «الثانوي» انتقل الجلال مع أبيه الفاضل واخيه الى الروم ، واشتغل بها ، وتوسع في الفقه والاصول والنحو والبلاغة ، وفي بعض بلاد الروم ولي القضاء وتدرب على عمله ، وهو دون العشرين ، ثم قدم الى دمشق وسمع من جماعة من علمائها واشتغل عليهم في العربية والبلاغة والاصول حتى اتقنها درساً وتدريساً .

وممن اخذ بدمشق عنهم الامام عز الدين ابو العباس احمد بن ابرهيم الواسطي الفاروثي (— ٦٩٤ هـ) المقرىء الصوفي شيخ العراق كان متفنناً منضلعاً من العلوم والآداب حريصاً على العلم ونشره وحسن التربية للمريدين فانتفع الجلال القزويني به ، وذكرنا أنه أخذ الاصلين اي التفسير والحديث عن الأيكي وهو الشمس ابو عبد الله محمد الايكي الشافعي ، كان فقيهاً صوفياً واماماً في الاصلين وشرح مختصر ابن الحاجب (— ٦٩٧ هـ) ،

واخذ عنه بدمشق الحافظان بن رافع والبرزالي الذي خرّج له جزءاً من حديثه عن جماعة من شيوخه ، وحدث به ، والمسند الدمشقي احمد

ابن هبة الله بن عساكر (— ٦٩٩هـ) وسراج الدين عمر الدمنهوري الذي برع في النحو والقراآت والحديث والفقه أخذ البلاغة عن الجلال (— ٧٥٢هـ) وجمال الدين محمد بن عبد الرحيم القرشي الاسنوى شيخ الشافعية في عصره ذو الفنون والفقه والعربية (٧٧٢ هـ ، والبهاء محمد بن عبدالله السبكي (— ٧٧٧ هـ) لازم الجلال وابا حيان والتقي السبكي وهو الذي كان يقول: أقرأت الكشاف بعدد شعر رأسي ! وامثال هؤلآء الفضلاء كثير .

ولما ولي اخوه القضاء بدمشق ناب عنه ثم عن محمد بن عبد الرحيم ابن صصري ، ثم مات خطيب جامع دمشق فولي الجلال خطابته مع مباشرته القضاء والتربية والتعليم ، وذلك بامر محب العلم والعلماء الملك محمد الناصر ابن قلاوون الذي عدّ المؤرخون عصره أزهى عصور الفن في دولة المماليك خاصة وتاريخ مصر الاسلامية عامة ، ولم يزل هذا عمله الى ان استدعاه الناصر سنة ٧٢٧ الى مصر وولاه قضاء الديار المصرية بعد صرف ابن جماعة، قال ابن حجر : وكان جواداً صرف مال الاوقاف على الفقراء والمحتاجين ، واستناب بدمشق ابن جملة والفخر المصري ، ثم لما ولي القضاء بالقاهرة عظم امره جداً حتى كان يقدم القصص للسلطان في دار العدل ، فلا تردّ له شفاعة ، وربما رمّل على يد السلطان بنفسه ،

وحج الجلال مع السلطان فاعانه بالمال، واحسن الى المصريين والشاميين وكان لهم ذخراً ، ولم يزل على حاله الى أن اعيد الى قضاء الشام نقلاً من القاهرة ، وفرح به اهل الشام ، وكانت عدة المحامل التي حمل فيها عياله وعيال

اولاده ستين محارة . وكانت منزلته لدى الملوك عظيمة فقد قال ابن حجر : إنه لم يوجد لاحد من القضاة منزلة عند سلطان تركي نظير منزلته ، يدل على ذلك ان السلطان الناصر سأله مرة عن حاله ، وكم عليه من الدين فذكر ان عليه ثلاثين الفاً فأمر بوفائها عنه ، وكان كثير المكارم والتصدق لارباب البيوت وطلاب العلم المجدين .

آثاره : وبعد ان نقل الى قضاء دمشق الف فيها تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي في المعاني والبيان ، ثم وضع عليه شرحاً سماه الايضاح أو ايضاح التلخيص ، قال عنه السيوطي في بغيته : وهو من اجل المختصرات ، وقد ملكته بخطه الحسن المليح ونظمته في ارجوزة ، وكان له نفاذ في علم الاصول فوضع فيه كتاباً نفيساً كثر الانتفاع به .

وفاته : وبعد ان اعيد من القاهرة الى قضاء الشام ، اقام بها قليلاً وتعلل ، واصابه فالج فمات منه في منتصف جمادى الأولى سنة ٧٣٩ للهجرة ، وشيعه عالم عظيم ، وكثر التأسف عليه ، قال الذهبي : توفي بدمشق ودفن بمقابر الصوفية الواقعة امام الجامعة السورية رحمه الله واكرم مثواه .

تاريخ البديع

البديع احد فنون البلاغة الثلاثة ، وهي فن المعاني الذي يبحث عن احوال الكلام العربي التي يطابق بمراعاتها مقتضي الحال، وفن البيان الذي يبحث عن تأدية المعنى الواحد بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة ، وفن البديع الذي يعرّف بوجوه تحسين الكلام البليغ بمحاسن لفظية ومعنوية.

والبديع مشتق من بدع الشيء يبدعه بدعاً كبدأه يبدؤه بدءاً ، وهما بمعنى واحد ، فالبديع على ذلك كالبديء، وهو الشيء الذي يكون اولاً ، ويقول صاحب العمدة (١/٢٣٥) : واما البديع فهو الجديد ، واصله في الحبال ، وذلك أن يفتل الحبل جديداً ليس من قوى حبل نقضت ثم فتلت فتلاً آخر ، وانشدوا للشماخ بن ضرار :

اطار عقيقه عنه نسالا وأدمج دمج ذي شطن بديعِ (١)

والبديع جديد لان الخليفة الشاعر عبدالله بن المعتز (— ٢٧٤ هـ) هو اول من ابتدعه والف فيه كتاباً لم يعده الاخمسة ابواب : الاستعارة أولها، ثم التجنيس ثم المطابقة ثم ردّ الاعجاز على الصدور، ثم المذهب الكلامي ، وعد ماسوى هذه الخمسة الانواع محاسن ، وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً(٢)

---

(١) اي فرس ذي شطن وهو الحبل الطويل

(٢) وكتاب البديع لابن المعتز نشره المستشرق الروسي كرتشقوفسكي سنة ١٩٠٠

وعاصر ابن المعتز قدامة بن جعفر الذي جمع في كتابه (نقد قدامة) عشرين نوعاً ، وافقه في سبعة انواع ، وزاد عليه ١٣ نوعاً ، فكان المجموع ٣٠ نوعاً ، ثم اقتفى أثرهما صاحب الصناعتين ابو هلال العسكري (— ٣٩٥ هـ) وجمع ٣٥ نوعاً ، وأتى بعده الحسن بن رشيق القيرواني (٣٨٥ — ٤٥٦ هـ) وهو صاحب العمدة فجمع مثلها في كتابه ، وتلاه شرف الدين التيفاشي فبلغ فيها السبعين ، ثم بدأ عهد البديعيات فتصدى لها الزكي بن أبي الاصبع فأوصلها الى التسعين ، واضاف اليها من مستخرجاته ثلاثين نوعاً سلم له منها عشرون وباقيها مسبوق اليه .

وما زالت الزيادة تتوالى حتى زمن الصفيّ الحليّ (— ٧٥٠ هـ) فقد نظم في البديع قصيدة نبوية ميمية على بحر البسيط جعل فيها البيت شاهداً للنوع ، وكان ماجمعه فيها من هذه الانواع ١٤٠ نوعاً ، ثم قام من بعده الشيخ عز الدين الموصلي فعارضه بقصيدة زاد فيها بعض الانواع ، وهي تبلغ ١٥١ نوعاً اذا لم نجعل التجنيس نوعاً واحداً ، وسار على منوالها صاحب خزانة الادب الشيخ تقي الدين بن حجة ، فقد ألف الخزانة شرحاً لبديعيته التي التزم فيها تسمية النوع ، ثم جاءت مفخرة دمشق السيدة عائشة الباعونية ببديعيتها (— ٩٢٢ هـ) ، ولم تلتزم تسمية النوع تمسكاً بالسلاسة والانسجام وشرحتها شرحاً مختصراً ، وتلاها صوفيّ دمشق الشيخ عبد الغني النابلسي ببديعيته فتجاوزت فيها انواع البديع ١٦٠ نوعاً ، وجميع هذه البديعيات من البسيط وعلى رويّ الميم المكسورة :

أما بديعية الصفي الحلي وهو عبد العزيز الطائي فمطلعها :

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم واقرا السلام على عرب بذي سلمِ

ومطلع بديعية الشيخ عز الدين الموصلي الدمشقي :

براعة تستهل الدمع في العلم عبارة عن نداء المفرد العلمِ

وبديعية ابن حجة مطلعها :

لي في ابتدا مدحكم ياعرب ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلمِ

وللامام السيوطي بديعية مطلعها :

من العقيق ومن تذكار ذي سلم براعة العين في استهلالها بدمي

ومطلع بديعية الباعونية :

في حسن مطلع اقمار بذي سلم اصبحت في زمرة العشاق كالعلمِ

أما مطلع الشيخ عبد الغني النابلسي فهو :

يامنزل الركب بين البان والعلم من سفح كاظمة حيت بالديمِ

ومما يبعث الملل ذكر سائر المطالع ، ومن الصعب حصر جميع البديعيات فنكتفي ببعض اصحابها كمحمد بن احمد الاندلسي الاعمى صاحب (بديعية العميان) ، وعبدالرحمن الزبيدي العلوي الذي سمى بديعيته (الجوهر الرفيع في معرفة انواع البديع) ، ومحمد بن مصطفى البكري والشيخ احمد البربير وغيرهم كثير ، وآخر من عرفنا منهم شيخنا الطاهر الجزائري ومطلع بديعيته التي نشرت بدمشق ١٢٩٦ هـ :

بديع حسن بدورٍ نحو ذي سلم قد راقني ذكره في مطلع الكلم

ورأيت بلبنان بديعية للخوري نقولا ، وهو الاب العام للرهبان الملكية الشويريين نظمها في فضائل السيد المسيح مطلعها :

بديع حسن امتداحي رسل ربهم براعة في افتتاحي حمد برّهم

هذا وقد نظم عبد البر الفيومي بديعية من البسيط وان لم تكن على رويّ الميم مطلعها :

لما تذكرت سفح الخيف والبان أهلّ دمعي وروّى روضة البانِ

وقد اقتصر الجلال القزويني في (ايضاحه) على سبعة واربعين نوعاً من البديع لجمالها وكثرة استعمالها ، ولا ريب ان الافراط في تنويع البديع مما يدعو الى فرط التكلف والاكثار من الزخرف ، وهما مما يثقل على الطبع ، ويدل على ان المولع بالبديع يرى ان غاية الادب ومسمى الاديب لا يجاوزان الالفاظ والتراكيب ، والصور البيانية والمحسنات البديعية والنكت النحوية ، وهو الضلال المبين .

خطبة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد وعلى آل محمد اجمعين .

(أما بعد) فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بـ الايضاح وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته : (تلخيص المفتاح) ، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له ، فاوضحت مواضعه المشكلة وفصّلت معانيه المجملة ، وعمدت الى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم) ، والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه : (دلائل الاعجاز واسرار البلاغة) ، والى ماتيسر النظر فيه من كلام غيرهما ، فاستخرجت زبدة ذلك كله ، وهذبتها ورتبتها حتى استقر كل شيء منها في محله ، واضفت الى ذلك ماادى اليه فكري ، ولم اجده لغيري ، فجاء بحمد الله جامعاً لاشتات هذا العلم ، واليه أرغب أن يجعله نافعاً لمن نظر فيه من أولي الفهم وهو حسبي ونعم الوكيل .

علم البديع

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام(١) بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة . وهذه الوجوه ضربان : ضرب يرجع الى المعنى ، وضرب يرجع الى اللفظ ،

---

(١) يقول صاحب الصناعتين أبو هلال العسكري (— ٣٩٥) في الباب التاسع ص ٢٥٦ ، حين يتكلم عن البديع ما نصه : « ... لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف ، وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة .. » ؛ وقال واضع علم البلاغة الامام الجرجاني (— ٤٧١) في (أسرار البلاغة ص ٦) مانصه : « وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم في (البديع) إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين ، ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت ، فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده كمن ثقل العروس بأصناف الحلي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها ... » ، ثم قال يحض على ترك التكلف في صناعة البديع ، والتعسف الدال على مرض الطبع وفساد الذوق الادبي : « ولن تجد أيمن طائراً ، وأحسن اولاً وآخراً ، وأهدى الى الاحسان وأجلب للاستحسان من أن ترسل المعاني على سجيتها ، وتدعها تطلب لأنفسها الالفاظ ، فانها إذا تركت وما تريد ، لم تكتس الا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض الا ما يزينها ؛ فأما أن تضع في نفسك أنه لابد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي انت منه بعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم ... »

المحسن المعنوي

أما (المعنويّ) فمنه المطابقة ، وتسمى الطباق(١) والتضاد أيضاً، وهي الجمع بين المتضادّين : أي معنيين متقابلين في الجملة(٢)، ويكون ذلك :

---

(١) المطابقة والطباق من قولهم : طابق الفرس مطابقة وطباقا: اذا وضع رجله مكان يده ، ويسمى (التكافؤ) أيضاً ، وقد فرق بعض علماء البلاغة بينها ، قال الزكي ابن أبي الأصبع البصري : الطباق على ضربين ، ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة وضرب يأتي بألفاظ المجاز ، فما كان بلفظ الحقيقة سمي (طباقاً) ، وما كان منه بلفظ المجاز سمي : (تكافؤاً) مثاله قول أبي الشمث العبسي :

حلو الشمائل وهو مر باسل يحمى الذمار صبيحة الارهاق

لانه قول حلو ومر خارج مخرج الاستعارة إذ ليس الانسان ولا شمائله مما يذاق بحاسة الذوق ؛

حسن الطباق ـ والطباق كسائر انواع البديع يستملحه الذوق اذا جاء طبيعياً: ولم يكثر فيمل ويمجه الطبع الصحيح، قال التنوخي من بلغاء السلف: «وهو تحسين ما لم يكثر فيسمج».

(٢) المعنيان المتقابلان في هذه الآية هما : (أيقاظا) و (رقود) ، وهما اسمان ؛ وأما قوله : (وهي الجمع بين المتضادين ...) فالمراد من (التضاد) هنا مطلق التقابل والتنافي ، ولذلك فسر المتضادين بقوله : (أي معنيين متقابلين في الجملة) اي بدون تفصيل في ذلك التقابل كالنقيضين أو الضدين او غيرهما ، وسواء أكان ذلك التقابل (حقيقياً) كالقدم والحدوث ، أو (اعتبارياً) كالاحياء والاماتة باعتبار بعض الصور ، وهو ان يتعلق «الاحياء» بحياة أحد الاحياء في وقت ، و «الاماتة» بموته في نفس الوقت والا فلا تقابل بينها ، أو « تقابل الايجاب والسلب » كتقابل مطلق الوجود وسلبه؛ أو « تقابل العدم والملكة » كتقابل العمى والبصر، والعجز=

إمّا بلفظين من نوع واحدٍ (إسمين) كقوله تعالى : «وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود» ، أو (فعلين) كقوله تعالى : « تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء». وقول النبيّ عليه السلام « إنكم لتكثرون عند الفزع(١) وتقلون عند الطمع » ، وقول ابي صخر الهذلي :(٢)

اما والذي أبكى واضحك والذي أمات وأحيا والذي أمرُهُ الأمرُ

وقول بشّار :(٣)

اذا ايقظتك حروب العدى فنبه لها عُمراً ثم نَمْ

والقدرة ، أو « تقابل التضايف » كتقابل الأبوة والبنوة . أو « شبه التقابل » اي تقابل ما يشعر بالتنافي كما في :«هاتا وتلك » وهو الطباق الخفي ،فكل أولئك مراد من التضاد .

(١) قال المبرد في كامله ١/٣:«ان الفزع في كلام العرب على وجهين: أحدهما ماتستعمله العامة تريد به الذعر والآخر: الاستنجاد والاستصراخ من ذلك قول سلامة بن جندل :

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

يقول : اذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجد في نصرته ، يقال : قرع لذلك الأمر ظنبوبه: إذا جد فيه ولم يفتر ويشتق من هذا المعنى أن يقع «فزع» في معنى «أغاث»...»

(٢) اسمه عبد الله بن سلم السهمي أحد بني هذيل بن مدركة : شاعر اسلامي أموي ، له في عبد الملك بن مروان مدائح مشهورة، والبيت من مقطوعة له في الحماسة ٢/٦١ ؛ وتكرار القسم للتفخيم ، ولذا كان الجواب واحداً في البيت التالي وهو:

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعها الذعر

(٣) بشار بن برد أبو معاذ ، اخذ العربية عن اعراب البصرة ، وتعلم الشعر ونبغ فيه ، يعد في مقدمة المحدثين واهل الافتنان من شعراء عصره ، مات مقتولا

أو (حرفين) كقوله تعالى (١) « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، وقول الشاعر : (٢)

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لاعليَّ ولا ليا

سنة ١٦٧ هـ . وهذا البيت من قصيدة يمدح بها عمر بن العلاء من قواد المهدي ، لا « عمراً » بفتح العين كما في شرح التخليص للبرقوقي ، ومع هذا البيت خمسة في العمدة ٢/١٧٥ ، غير أن صدره في الاغاني ٣/١٩٣ : « اذا دهمتك عظام الامور » ، وهو في السمط ص ٥٥١ : « إذا ارقتك جسام الامور » ، وبعده :

فتى لا ينام على دمنة ولا يشرب الماء الا بدم
اذا قال تم على قوله ومات العناء بلا او نعم

وبلغت قصيدة هذا البيت ١٣ في مختار بشار ص ٧٧ .

(١) ان في اللام من « لها » في الآية معنى الانتفاع لانها تشعر بالملكية النافعة ، وفي حرف الجر على من « عليها » معنى التضرر : لانها تشعر بالعلو الدال على التحمل والثقل ، وكثيراً ما يحدث الضرر بها ، والتقابل بين هذين الحرفين (اللام وعلى) كتقابل النفع والضرر ، وهما ضدان ، وبهما تم الطباق في الآية والبيت التالي ، ولبعض الخفاء الذي يصاحبها نبهنا الى ذلك .

هذا ، وفي التعبير بالاكتساب الواقع الى جانب الشر معنى بلاغي : لأن الافتعال يؤذن بالتعمل والتطلب ، وللنفس في طلب المعصية تعمل وتطلب ؛ والمعنى : ان النفس لا ينتفع بطاعتها غيرها ، ولا يتضرر بمعصيتها غيرها ، فلها نفع ما كسبت من طاعة ، وعليها ضرر ما اكتسبت من معصية فتدبر .

(٢) لم نعثر على صاحب هذا البيت مع فرط البحث عنه ، وقد أخذه قائله من الاحنف بن قيس :

فدعيني فلا علي ولا لي أنا راضٍ من الهوى بالكفاف

وإما (بلفظين من نوعين) كقوله تعالى(١) :«أوَ من كان ميتاً فاحييناه»: أي ضالاً فهديناه ، وقول طُفيل(٢) (يصف فرساً) :

بساهم الوجه لم تقطع أباجله ... يُصانُ ، وهو ليوم الروّع مبذولُ

ومن لطيف الطباق قول ابن رشيق : (٣)

وقد اطفأوا شمسَ النهار وأوقدوا ... نجومَ العوالي في سماء عجاجِ

وكذا قول الارّجاني :(٤)

---

(١) من الآية ١٢٢ من سورة الانعام، وتمامها : « وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون». والطباق قد تم فيها بين الكلمتين : « ميتا » و « احييناه »،وفي بقية الآية بين «النور» و « الظلمات » ، وهو من طباق الايجاب : لان الضدين فيه لم يختلفا ايجابا وسلبا .

(٢) طفيل بن عوف الغنوي : شاعر جاهلي من الفحول ، أقدم شعراء قيس، وهو مع النابغة الجعدي وأبو دواد الأيادي أوصف العرب للخيل ، وقوله: «بساهم» اي بفرس متغير الوجه من كثرة الجري،والأباجل ج ابجل وهو عرق من الفرس والبعير بمنزلة الاكحل من الانسان ، والمطابقة بين « يصان ومبذول » وهما نوعان مختلفان : مضارع واسم مفعول .

(٣) القيرواني « ٣٩٠ — ٤٦٣ هـ » احد بلغاء الشعراء ، كان بينه وبين ابن شرف القيرواني مناقضات شعرية، وكان نقادة،يدل على ذلك كتاباه العمدة وقراضة الذهب ؛ والعوالي ج عالية وهي اعلى الرمح ويريد بنجومها اسنتها المتلألئة ، والعجاج الغبار ، والمطابقة قد تمت بين فعلين : « اطفئوا واوقدوا » .

(٤) ذكرنا في ترجمة المصنف:أنه كان يعظم الأرجاني ويراه من اكبر شعراء العجم ، فهو القائل : =

ولقد نزلتُ من الملوك بماجدٍ ... فقرُ الرجال إليه مفتاح الغنى

وكذا قول الفرزدق : (١)

لعن الالهُ بني كليبٍ إنهم ... لا يَغدرونَ ولا يَفونَ لجارِ

يستيقظون الى نهيق حمارهم ... وتنام أعينهم عن الأوتارِ

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع ... بالعصر أو أنا افقه الشعراء

وانه اختصر ديوانه الذي سماه : « الشذر المرجاني من شعر الارجاني » ، ولذلك يستشهد بشعره كثيراً ، وهذا الشاهد من قصيدة يمدح بها علي بن جهير وزير المستظهر بالله مطلعها :

قف ياخيال وان تساوينا ضنى ... أنا منك أولى بالزيارة موهنا

وبعده :

أعلي يابن محمد بن محمد ... نسباً من الشمس المنيرة أبينا

لك من أوائل وائل جرثومة ... من فرعها ثمر المكارم يجتنى

والمطابقة في بيته بين « فقر » و « الغنى » ، والمراد : فقر الرجال الى الوزير ابن جهير هو مفتاح غناهم .

(٢) الفرزدق : ابو فراس همام بن غالب التميمي من فحول الشعراء الأمويين ، ونقائضه مع جرير من وثائق التاريخ ، ويمتاز شعره بجزالته وكثرة فنونه والفخار في هجوه والفحش في غزله « — ١١٤ هـ » ، والبيت الأول من قصيدة يهجو بها جريراً ، ومعناه : ان قوم جرير لا يضرون ولا ينفعون وهو ذم كقول النجاشي :

قبيلته لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردلِ

وانهم يوقظهم أنكر الاصوات ، وينامون عن الثارات ، والطباق في البيت الأول بين « لا يغدرون » و « لا يفون » ، وبين « يستيقظون » و « تنام اعينهم » في البيت الثاني .

وفي البيت الاول تكميل حسن ، إذ لو اقتصر على قوله:(لا يغدرون)، لاحتمل الكلام ضرباً من المدح ، إذ تجنّب الغدر قد يكون عن عفةٍ فقال : (لا يفون) ليفيد أنه للعجز ، كما أن ترك الوفاء للؤم ، وحصل مع ذلك (إيغال)(١) حسن ، لأنه لو اقتصر على قوله : (لا يغدرون ولا يفون) ، تمّ المعنى الذي قصده ، ولكنه لما احتاج الى القافية أفاد بها معنىً زائداً ، حيث قال : (لجارِ) ، لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحاً من ترك الوفاء لغيره .

والطباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا ، وقد يكون خفياً نوع خفاء كقوله تعالى : « مما خطاياهم أغرقوا فادخلوا ناراً » ، طابق بين(أغرقوا) و (أدخلوا ناراً) (٢)

وقول أبي تمام :(٣)

---

(١)الأيغال : من قولهم : أوغل في الأمر إذا أبعد فيه ، وقد سئل الاصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من ينقضي كلامه قبل انقضاء القافية ، فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى جديداً ، وشرح القزويني يشبه جواب الاصمعي .

(٢) كذا جاءت الآية في الايضاح ، وهي كما في سورة نوح « الآية ٢٥ » : « مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا ناراً ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا . » ، والطباق الخفي في هذه الآية بين «اغرقوا» و«فادخلوا ناراً»: لما يشعر به «الاغراق» من برد الماء و«ادخال النار» من حرارة النار ، فظهور التنافي يحتاج الى شيء من اعمال الفكر .

(٣) أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي الحوراني « ١٩٠ — ٢٣٢ هـ » ، ومعنى بيته : أنه يشبه الغيد بالمها في حسن العيون ، ثم يستثني مستدركاً بأن المها وحش ومن يهوى انس ، وانهن يشبهن قنا الخط بهيف قدودهن إلا ان القنا ذوابل وهن=

مهما الوحش إلاّ أنّ هاتا أوانسٌ قنا الخطّ إلا أنّ تلكَ ذوابلُ

والطباق ينقسم الى (طباق الايجاب) كما تقدم، والى (طباق السلب)، وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد، مثبت ومنفي(١)، أو أمر ونهي كقوله تعالى : « ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا»(٢) وقوله : « ولا تخشوا الناس وأخشون(٣) ».

ابدأ نواضر : وشاهد الطباق في « هاتا » و « تلك » ، فان هاتا اسم اشارة للقريب، وتلك اسم اشارة للبعيد فبينها تقابل وطباق .

(١) جاء في الاطول : ان تعريف « طباق السلب » هذا غير جامع: لانه يخرج منه مثل « لست بعالم وانا عالم»، ونحو (احسبك انسانا أولست بانسان» ونحو «اضرب زيداً وما ضرب عمرو » لان مصدر الفعلين مختلف فلا تنافي لعدم اجتماعهما معا ،فالاولى ان يقول : « وهو الجمع بين الثبوت والانتفاء » .

(٢) كذلك يجب اعتبار التقابل بين مطلق الايجاب والسلب لا بين مدلولي الفعلين نحو قوله تعالى : « ... لا يعلمون، يعلمون...» فان العلم الأول منفي والثاني مثبت ، وبين النفي والاثبات فيها تقابل بالجملة اي باعتبار اصلها لا باعتبار الحالة الراهنة والأمر الواقع: لان المنفي هو العلم الذي ينفع في الآخرة، والمثبت « يعلمون ظاهراً ...» لا ينفع فيها ، ولكنه قد ينفع في الدنيا ، فلا تنافي بين الاثبات والنفي فيهما بعد التأمل

(٣) وهذه الآية مثال للنوع الثاني من طباق السلب وهو الجمع بين أمر ونهي، لان الخشية لا يؤمر بها وينهى عنها من جهة واحدة بل من جهتين ، فقد امر الله بالخشية باعتبار كونها له تعالى ، ونهى عنها باعتبار كونها للناس ، فالتنافي بين الامر والنهي ايضاً باعتبار اصلها لا مادة استعمالهما : فان بين عدم خشية الناس وخشية الله تلازماً من الطرفين، لان الذي يخشى الله حق خشيته لا يخشى الناس، والعكس صحيح، فلا تقابل الا بين مطلق خشية الناس وخشية الله فتأمل !

وقول الشاعر (١)

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القولَ حين نقولُ

وقول البحتري :

يُقَيِّضُ لي من حيث لا أعلمُ النوى ويسري إليّ الشوقُ من حيث أعلمُ

وقول أبي الطيّب :(٢)

ولقد عُرفتَ وما عُرِفتَ حقيقةً ولقد جُهلتَ وما جُهِلتَ خمولا

---

(١) هذا البيت من قصيدة فخرية للسموأل بن عاديا «— ٥٦٠م» وهي التي مطلعها:

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

واشتهرت هذه القصيدة حتى خمسها غير واحد منهم الصفي الحلي ، وللسموأل ديوان مطبوع ببيروت ١٩٠٩ ، واخباره في الاغاني، والشعر والشعراء والمستطرف والمشرق ٩ ، ١٠ ، ١٢ . ويقال في هذا البيت ما قلناه في آيتي العلم والخشية ، فان التقابل في البيت بين الايجاب والسلب باعتبار الاصل لا الأمر الواقع، وبيت البحتري بعده يقال فيه مثل ذلك .

(٢) اما بيت المتنبي فهو من أسديته المشهورة التي مدح بها ابن عمار، والتي منها:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

ومعنى الشاهد: ان الناس عرفوك بما ظهر من سخائك، ولم يعرفوك حق معرفتك لانهم لا يبلغون كنه قدرك ، فهم قد جهلوك لعلو قدرك لا لانك خامل الذكر ؛ والتقابل هنا ايضاً بين النفي والاثبات لا باعتبار الأمر الواقع : لان المثبت معرفة ظاهرية ، والمنفي معرفة حقيقية فلا تنافي بينها ، ويقال مثل هذا في بيتي « خلقوا وما خلقوا . . . » .

وقول الآخر :

خُلِقوا وما خُلِقوا لمكرُمةٍ فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رُزِقوا وما رُزِقوا سماحَ يدٍ فكأنهم رُزقوا وما رزقوا

قيل : ومنه قوله تعالى : «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»: اي لا يعصون الله في الحال ، ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل، وفيه نظر؟ لان العصيان يضادّ فعل المامور به ، فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به : (تضاداً)(١) ؟

ومن الطباق(٢) قول أبي تمام :

---

(١) يريد المصنف أن يقول : العصيان يضاد الطاعة « فعل المأمور به » ، فمعنى الآية : يطيعون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وفي ذلك توافق لا تضاد؛ولكن يقال للجلال : انهم لا يعنون ان يكون مضمون الكلامين متضاداً ، بل يعنون ان العصيان والطاعة لو جردا من النفي والاثبات لكانا في انفسها متضادين ، فالتضاد هنا لفظي بين العصيان والطاعة فتأمل !

(٢) قوله :«ومن الطباق ...» ثم قوله :«ومن الناس من يسمي نحو ماذكرناه «تدبيجاً» يدل على ان هذا « التدبيج » داخل في الطباق:لان الالوان أمور متقابلة فهي جزئية من جزئيات الطباق ، وقد خصت باسم « التدبيج » لتخيل وجود الوان فيها كوجود الوان الزهر بالمطر ، فقد اشتق التدبيج من قولهم :دبج المطر الارض يدبجها بالضم دبجاً ، ودبجها : زينها بالرياض،واصبحت الارض مدبجة وأصله«الديباج» وهو فارسي معرب ، يطلق على الثياب المتخذة من الابريسم الملون ، ومنه قيل : قصيدة مدبجة ، وما احسن ديباجات البحتري ! =

تردّى ثياب الموت حُمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضرُ

وقول ابن حيّوس(١):

طالما قلت للمسائل عنكم واعتمادي هدايةُ الضلّال

اما الشاهد فهو من قصيدة لابي تمام يرثي بها محمد بن حميد حين استشهد واولها: « كذا فليجل الخطب . . . » وقبل الشاهد :

غدا غدوةً والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

ومعنى الشاهد : انه ارتدى الثياب الملطخة بالدم ، فلم ينقض يوم قتله ، ولم يدخل في ليلته إلا وقد صارت ثيابه خضراً من سندس الجنة ، قال صاحب معاهد التنصيص ١٩٧/٢ ما نصه : ولو قال ابو تمام :

تردى ثياب الموت حمراً فما اختفى عن العين إلا وهي من سندس خضر

لكان ابلغ في القصد وابدع . فان الميت اذا غيب بالدفن عن الاعين تبدلت احواله الى خير أو شر ؛ وفي معنى بيت ابى تمام يقول القاضي الفاضل :

لهفي لمقتول تلا حظه عيون البيض ثـزرا

متضرج بدم رأته الحـور في الجنـــات عطرا

متكفن بملابس حمراء وهي تعود خضرا

(١) ابن حيوس : ابو الفتيان محمد بن سلطان الغنوي « — ٤٧٣ هـ » ، احد الشعراء الشاميين المحسنين ، كان منقطعاً الى بني مرداس اصحاب حلب ، وله ديوان في ٣٥٠ صفحة بدار الكتب المصرية؛ والطباق في البيت الاخير تحقق بمجرد التقابل بين البيض والسود والخضر والحمر ، لا بين مدلولات ما وصفت به : إذ اي تناف بين الوجوه البيض الكريمة ، وبين الغبار الأسود المثار ، والاكناف المخضرة باكرام الضيفان ، والسيوف المحمرة بقتل الاعداء ؟ والتدبيج في هذا البيت وفي بيت ابي تمام السابق من قبيل « تدبيج الكناية » كما اشار الشارح اليه .

إن تردعلم حالهم عن يقين فالقهم يوم نائل او نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وقول الحريري(١) : فمذ أزورّ المحبوب الأصفر ، واغبرّ العيشُ الأخضر ، اسودّ يومي الأبيض ، وابيضّ فودي الأسود حتى رثى لي العدو الازرق ، فياحبذا الموت الأحمر !

ومن الناس من يسمى نحو ماذكرناه : (تدبيجاً)(٢) ، وفسّره بان

---

(١) : والذي في المقامة البغدادية : « فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر . . . » وخضرة العيش كناية عن طيبه وكماله ونعمته ، والاغبرار كناية عن ضيق العيش ونقصانه : لان اغبرار النبات والبقاع دليل على الذبول والتلف ، و « ازور المحبوب الاصفر » اي انقبض عنى المحبوب الموصوف بالصفرة المحبوبة ، هذا هو المعنى القريب ، و [المعنى البعيد] هو الذهب الاصفر لانه محبوب وهو المراد .

(٢) وهذا هو « التورية » ففي هذه الجملة « تدبيج التورية » ؛ وفي قوله : « اسود يومي الابيض » يتعلق ب « اسود » مجرور مذ. واسوداد العيش « كناية » عن ضيق الحال وكثرة الهموم ، ووصفه بالبياض « كناية » عن سعة الحال والفرج.

« وابيض فودي الاسود » : في بياضه « كناية » عن كثرة الهم والحزن ؛ « حتى رثى لي العدو الازرق » : في وصف العدو بالزرقة « كناية » عن شدة عداوته لان اشهر اعداء العرب هم الروم واكثرهم زرق العيون ؛ « فياحبذا الموت الاحمر » والحمرة « كناية » عن الشدة ، يقال : احمر البأس اذا اشتد .

ويظهر من شاهد الحريري ان في تدبيج التورية يجوز ان يكون في بعض الوانه « كناية » ، وفي بعضها « تورية » وانه لا يجب ان تكون الوان التدبيج كلها من نوع =

يُذكر في معنى من المدح أو غيره ألوانٌ بقصد الكناية أو التورية ، أما (تدبيج الكناية) فكبيتي أبي تمام وبيتي ابن حيّوس ، وأمّا (تدبيج التورية) فكلفظ (الأصفر) في قول الحريري .

ويلحق بالطباق شيئان :

أحدهما(١) : نحو قوله تعالى : « أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم » ،فان الرحمة مسبّبة عن اللين الذي هو ضد الشدّة ، وعليه قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون ، والعدول عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل ، لان الحركة ضربان: حركة لمصلحة وحركة لمفسدة،

واحد ، كما توهمه بعضهم ، ومنهم من يذهب الى ان « الالوان » باقيةٌ على حقيقتها لا يمنع من التدبيج كقوله :

ومنثور دمعي غدا احمراً على آس عارضك الاحمر

(١) احدهما : أي الشيئين اللاحقين بالطباق: هو الجمع بين معنيين يتعلق احدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق كالسببية واللزوم ؛ وهذا الشاهد القرآني من آية تصف النبي العربي واصحابه، والمعنيان اللذان قد جمع بينهما هما : « الشدة والرحمة »، والرحمة لا تقابل الشدة على اطلاقها ؛ وانما تقابل « الشدة » سبب الرحمة ، وهو « اللين » ، فاطلاق الرحمة على اللين مجاز علاقته السببية ، هذا ماعناه المصنف ، قال السبكي في عروسه ما معناه : وفيه نظر ، لأن الرحمة القلبية غير مسببة عن اللين، لان اللين رقة القلب ورحمته وانعطافه .

والمراد الاولى لا الثانية ، ومن فاسد هذا الضرب قول أبي الطيب :(١)

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مُجرمِ

فان ضد المحب هو المبغض ، والمجرم قد لا يكون مبغضاً(٢) ، وله وجه بعيد(٣) .

والثاني : ما يُسمى (ايهام التضاد) كقول دعبل(٤) :

لا تعجبي ياسلمَ من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى

---

(١) بيت المتنبي من قصيدة في كافور مطلعها (فراق ومن فارقت غير مذمم) وقبله

فأحسن وجة في الورى وجه محسن وايمن كف فيهم كف منعم
واشرفهم من كان اشرف همة واكبر اقداما على كل معظم

(٢) ولهذا جعله من فاسد هذا الضرب الملحق بالطباق

(٣) يريد بالوجه البعيد : ان بين الاجرام والابغاض تلازماً بحسب الادعاء ، كانه يشير الى ان المجرم من الاشرار ولا يكون ، هذا بحسب ادعائه ، إلا مبغضاً الأخيار ، ولذلك اطلق الاجرام وأراد الأبغاض الذي هو سببه ، فالمجاز مرسل علاقته السببية كما مر في (رحماء بينهم) ، فكأنه قال : (سرور محب او إساءة مبغض) فبين المحب والمجرم الذي هو بمعنى المبغض تقابل لما بينها من تعلق السببية .

(٤) دعبل الخزاعي « — ٢٤٦ » : نشأ في الكوفة متعصباً لليمنية والطالبيين ، وعاش مرهوباً لهجائه المقذع للملوك والسوقة ، وكان مطبوعاً على الشعر ، ومطلع مقطوعته :

اين الشبـــاب وايةً سلكا لا ، اين يطلب؟ ضل ، بل هلكا

وبعد الشاهد :

ياليت شعري كيف يومكما ياصاحبي إذا دمي سفـــكا =

وقول أبي تمام : (١)

ما إن ترى الأحساب بيضاً وضّحاً إلا بحيثُ ترى المنايا سُودا

وقوله أيضاً في الشيب (٢) :

له منظرٌ في العين أبيضُ ناصعٌ ولكنّه في القلبِ أسودُ أسفَعُ

لا تأخذا بظلامتي أحـــداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

و « سلم » في الشاهد مرخم سلمى عروس شعره ؛ و « الطباق » فيه غير واقع بين ظهور الشيب والبكاء ، إذ لا تنافي بينها ، فقد عبر عن ظهور الشيب بالضحك الذي تظهر به الاسنان على سبيل الاستعارة التبعية ؛ ولكنه واقع بين فعلي « ضحك وبكى » اللذين يوهمان التضاد ، وهو السبب الذي من اجله قيل لهذا النوع الثاني : « إيهام التضاد » ، فهو محسن معنوي باعتبار ايهام الجمع بين الضدين .

(١) من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني مطلعها: «طلل الجميع لقد عفوت حميدا ... » ومنها قوله في آبائه :

سلفوا يرون الذكر عقبا صالحا ومضوا يعدون الثناء خلودا !

والاحساب « البيض » الكريمة ، والمنايا « السود » بالغموم والمصائب، ولا تنافي بين « بيض » الاحساب الكريمة و« سود » المنايا المصحوبة بالمصائب ، بل بين مطلق بياض وسواد ، فهذان اللفظان « بيض وسود » يوهمان التضاد .

(٢) وبيت حبيب هذا من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري مطلعها :

أما إنه لولا الخليط المودع وربع خلا منه مصيف ومربع

وفي هذا البيت أيضاً « ايهام التضاد » اذ لا تقابل بين الابيض الحقيقي في العين، والاسود المجازي في القلب ، فان هذا السواد كناية عما يحدثه فيه منظره من الهم والحزن ؛ ولكن ذكر اللونين يوهم التضاد .

وقوله(١)

وتنظُرِي خَببَ الركابِ نَصُّها مُحيي القَريضِ إلى مُميتِ المالِ

ودخل(٢) في المطابقة مايخص باسم (المقابلة) :وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو معانٍ متوافقة ، ثم بما يقابلهما ، أو يقابلها على الترتيب(٣) ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل(٤). وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به :

---

(١) والضمير ايضاً في « قوله » راجع لأبي تمام حبيب وهذا البيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء ، ولا تنافي بين محيي القريض أي ناشره وباعث نهضته يعني نفسه ، و « مميت المال » بمعنى بادله ومضيعه يعني ممدوحه ، وانما التنافي بين مطلق «إحياء وإماتة » ، وهما بحسب الظاهر يوهمان التضاد فاعرفه !

(٢) انما أخر « المقابلة » عن الطباق: لأن بعض العلماء جعلوها قسماً مستقلا؛ وانما نبه على دخول المقابلة في المطابقة بقوله : « ودخل في المطابقة ... » ليشير الى غفلة من جعله قسماً مستقلا من البديعيات المعنوية كالسكاكي وغيره .

(٣) بحيث يجيء الطرف الثاني من الجملة مؤلفاً من كلمات تقابل بترتيبها اجزاء الطرف الأول كما في آية : « فليضحكوا ...» فان كلة البكاء تقابل كلة الضحك. والكثرة تقابل القلة ؛ ويلاحظ انه اتى بالضحك والقلة ، وهما متوافقان ايضا؛ويقال مثل ذلك في الحديث التالي .

(٤) اي المراد به عدم التقابل والتنافي ، فيشمل « توافق المتناسبين»اي المعينين بينها مناسبة ، وان اختلف مفهومها كالشمس والقمر ، والعلم والحلم والعبدوالفقير مما يأتي في « مراعاة النظير » ؛ ولا شك ان « الطباق » كله تقابل كما سبق ، فاسم المقابلة صادق على جميع انواعه التي عرفناها في الطباق، إلا انهم اصطلحوا على تسمية هذا النوع فقط مقابلة،وهو ما كان الطباق فيه مكررا .

مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى : « فليضحكوا قليلا ، وليبكوا كثيراً » وقول النبيّ : «إن الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا يُنزع من شيء إلاّ شانه (١) ». وقول الذبياني (٢)

فتى تَمّ فيه ما يَسُرّ صديقَه على أنّ فيه ما يَسوءُ الأعاديا

وقول الآخر (٣)

فواعجبا كيف اتفقنا فناصح وفيٌّ ومطويٌّ على الغلّ غادرُ

فان الغلّ ضدّ النصح ، والغدر ضد الوفاء .

ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دُلامة (٤) :

---

(١) ورواية عبد بن حميد : « ما كان الرفق ... ولا نزع ... » وعن الخدري باسناد صحيح : « ما كان الفحش ... ولا كان الحياء ... » .

(٢) النابغة الذبياني « — ٦٠٤ م » من شعراء الطبقة الاولى الجاهلية وبعده

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقي من المال باقيا

وفيه شاهد بديعي سيأتي عنه الكلام في موضعه ، والمقابلة في شاهدنا بين « يسر ويسوء وبين صديقه والاعاديا » .

(٣) لم نعثر على القائل : والفاء من « فناصح » لتعليل التعجب من اتفاق الشاعر ومحبوبه ، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره فانا ناصح ، كما ان مبتدأ «مطوي» محذوف تقديره : هو مطوي ، والمقابلة بينة بين « ناصح ومطوي على الغل ، وبين وفي وغادر ».

(٤) : « — ١٦١ » اسمه زند بن الجون ، شاعر كوفي من مخضرمي الدولتين ، أدرك آخر عهد بني امية ، ونبغ أيام بني العباس فانقطع الى السفاح والمنصور والمهدي=

ما أحسن الدينَ والدنيا إذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجلِ

وقول أبي الطيّب(١) :

فلا الجود يفني المال والجَدُّ مقبلٌ ولا البخل يبقي المال والجدُ مدبرُ

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى : (فأمّا من اعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وامّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ، فان المراد باستغنى انه زهد فيما عند الله كانه مستغنٍ عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتقِ (٢).

وكانوا يقدمونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ، ولم يصل لشاعر ماوصل اليه من المنصور خاصة ، ومن بليغ شعره :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقيل : اقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم الى السماء ، فأنتم أكرم الناس

أما الشاهد المعزو اليه ، فيحكى أن المنصور سأله عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة ، فقال : بيت يلعب به الصبيان، قال : وما هو على ذاك ؟ ، فأنشده البيت ؛ وقال ابن أبي الأصبع : لاخلاف في أنه لم يقل قبله مثله ، فانه قابل بين أحسن وأقبح ، والدين والكفر ، والدنيا والافلاس ؛ وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة ، وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ ، مالم يفسدها التكلف .

(١) ليس هذا البيت في ديوان ابي الطيب ، والمقابلة فيه على الترتيب بين « الجود ويفني ومقبل ، والبخل ويبقي ومدبر » .

(٢) التقابل بين الجميع ظاهر إلا بين « اتقى » و « استغنى » ، فبينه بقوله : « فان المراد باستغنى ... » أي ان الاستغناء ليس المراد به كثرة المال والغنى ، بل الاستغناء والزهد فيما عند الله وهو مقابل للتقوى ، فهو من قبيل « أشداء على الكفار رحماء =

قيل : وفي قول ابي الطيب(١) :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

مقابلة خمسة بخمسة ، على أن المقابلة الخامسة بين (لي و بي) فيها نظر ، لأن اللام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما ، وقد رجح بيت أبي الطيب على بيت ابي دلامة بكثرة المقابلة مع سهولة النظم ، وبأن قافية هذا ممكنة ، وقافية ذاك مستدعاة ، فان ما ذكره غير مختص بالرجال ، ورجح بيت أبي دلامة على بيت أبي الطيب بجودة المقابلة ، فان ضد الليل المحض

بينهم » : فان الزهد فيما عند الله يستلزم عدم التقوى ، فيكون عدم الاتقاء الذي تم به المقابلة باعتبار لازمه ، كما اعتبرنا الرحمة باعتبار لازمها وهو لين القلب فتمت المقابلة بين أشداء ورحماء .

(١) الشاهد من قصيدة للمتنبي قالها سنة ٣٤٦ يمدح كافوراً وهي من محاسن شعره مطلعها :

من الجآذر في زي الاعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وقبل هذا البيت :

كم زورة لك في الاعراب خافية أدهى ، وقد رقدوا ، من زورة الذيب

وقد ذكر الواحدي في شرح ديوان المتنبي ان من مقابلة الخمسة بالخمسة قوله : « ازورهم ... » وفيه نظر ، لأن « لي وبي » صلتان ليشفع ويغري ، فهما من تمامها بخلاف اللام وعلى في قوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، والمقابلة انما تكون بين المستقلين عن الصلة ؛ واما مقابلة الستة بالستة ، ولم يوجد في الشعر اكثر من هذا العدد ، فمنه الشاهد المعزو لعنترة :

على رأس عبد تاج حر يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه

هو النهار لا الصبح ، ومن لطيف المقابلة ماحكي عن محمد بن عمران الطلحي إذ قال له المنصور : بلغني أنك بخيلٌ ، فقال : « ما أجمدُ في حقٍّ ولا أذوبُ في باطل » .

وقال السكّاكي : المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ، ثم إذا شرطت هنا(١) شرطاً شرطت هناك ضدّه كقوله تعالى: « فأما من أعطى . . . » الآيتين ، فانه لمّا جعل التيسير مشتركاً بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير(٢) مشتركاً بين أضداد تلك وهي : المنع والاستغناء والتكذيب .

---

(١) يريد بقوله : « هنا » اي في المتوافقين أو المتوافقات المذكورات في الطرف الاول من المقابلة ، والمراد بالشرط هنا الاجتماع في امر لا الشرط المنطقي المعروف ، لان التيسير والتعسير الممثل بهما لذلك ليسا شرطين ، وانما هما أمران اشترك في كل منهما امور متوافقة .

(٤) التعسير مستفاد من قوله تعالى : « فسنيسره للعسرى » كما أن التيسير مستفاد من قوله : « فسنيسره لليسرى » ، وبملاحظة التيسير المقترن بمتوافقات الطرف الأول من هذه المقابلة ، والتعسير المقترن بمتوافقات طرفها الثاني قد تمت المقابلة ؛ وعلى ذلك لايكون قول أبي دلامة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والافلاس في الرجل

من المقابلة على رأي السكاكي : لانه اشترط في الدين والدنيا الاجتماع ، ولم يشترط في الكفر والافلاس ضده أي الافتراق ، فلو انه قال في العجز : « وأقبح الكفر والافلاس ما افترقا » لصحت المقابلة البديعية ، وان فسد المعنى : لان المقصود اذا اجتمعا في الانسان .

نصوص وشواهد

على الطباق المقابلة

بيّن في الأمثلة الآتية المواضع التي يقع الطباق او المقابلة فيها ، واوضح نوعهما .

جاء في الكتاب المبين :

« ولله مافي السموات والأرض ليجزيَ الذين أساؤا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ❀ ... وأن ليس للانسان إلا ما سعى ❀ وان سعيه سوف يُرى ❀ ثم يُجزاه الجزاء الأوفى ❀ وأن الى ربك المنتهى ❀ وأنه هو أضحك وأبكى ❀ وأنه هو أمات وأحيا ❀ وانه خلقَ الزوجين الذكرَ والأنثى » : سورة النجم (بين الآية ٣١ و ٤٦) .

وللحصين بن الحمام المريّ : (الحماسة : القطعة ٤٣) .

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما

نفلّق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ ... علينا وهم كانوا أعقّ واظلما

وللسموأل بن عاديا (الحماسة : ١٧) .

تعيّرنا إنا قليـل عِدادُنا ... فقلت لها إن الكرام قليلُ
وما ضرّنا انا قليل وجارنا ... عزيز وجار الاكثرين ذليل
يقرّب حُب الموت آجالنا لنا ... وتكرهـه آجالهم فتطول
صَفونا فلم نكدَر وأخلص سرّنا ... إناث اطابت حملَنـا وفحول
علونا الى خير الظهور وحطّنا ... لوقت الى خير البطون نزول
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد ... قؤول لما قال الكرام فعول
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم ... فليس سواء عالم وجهولُ

ومن مقابلة أربعة باربعة قول النابغة يصف حماراً واتانا وحشيين :

كأني شددت الرحل يوم تشذرت(١) ... على قارح(٢) مما تضمّن عاقلُ
اضر بجرداء النسـالة(٣) سمحج ... يقلبهـا اذا أعوزته الحلائل
اذا جاهدته الشدّ جدّ وإن ونت ... تساقط لاوان ولا متخاذل
وإن هبطـا سهلًا اثارا عجاجةً ... وان علوا حزناً تشظت جنادلُ

---

(١) : اي يوم نشطت ناقتي .
(٢) اي حمار تام السن قوي ، و « عاقل » جبل تكثر فيه الحمر الوحشية
(٣) النسالة هنا الشعر وتطلق على الريش والوبر ، يريد الأتان الجرداء .
و « السمحج » الحمار الطويل الظهر ، ومعنى « يقلبها » يصرفها .

ومن مقابلة أربعة باربعة قول النابغة (انظر ص ١٢) :

ولابي تمام يرثي محمد بن حميد الطائي : (ديوان ١٧٤)

أصمّ بك الداعي وان كان اسمعا ... وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا
للحد أبي نصر تحيةُ مزنة ... اذا هي حيت ممرِعاً عاد ممرعا
اذا ساء يوم في الكريهة منظراً ... تصلاه ، علماً أن سيحسن مسمعا
فما كنت الا السيف لاقى ضريبة ... فقطعها ، ثم انثنى فتقطعا

وله يرثي أدريس بن بدر السامي (ديوان ٣٧٢) :

دموع اجابت داعي الحزن همع ... توصل منا عن قلوب تقطعُ
عفاء على الدنيا طويل فانها ... تفرق من حيث ابتدت تجمع
تبدلت الاشياء حتى لخلتها ... ستثني غروب الشمس من حيث تطلع
وضل بك المرتاد من حيث يهتدي ... وضرت بك الايام من حيث تنفع
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً ... فأصبح يدعى حازماً حين يجزع

وللسري الرفاء وقد شرب ليلةً في زورق (الديوان ٢٠٤) :

ومنتبهٍ يسعى الي بكاسه ... وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتكُ
وقد حجب الغيم السماء كأنما ... يزر عليه منه ثوب ممسّك
ظللنا نبث الوجد والكاس دائر ... ونهتك استار الهوى فتهتك
ومجلسنا في الماء يهوي ويرتقي ... وابريقنا في الكاس يبكي ويضحك

وللبحتري يمدح الهيثم الغنوي (ديوان ١/٨٠) :

أكان الصبا إلا خيالاً مسلما ... أقام كرجع الطرف ثم تصرما
أرى أقصر الايام أحمد في الصبا ... واطولها ما كان فيه مذمما
ويوم تلاقٍ في فراق شهدته ... بعين إذا نهنهتها قطرت دما
وقدماً عصيت العاذلات ولم اطع ... طوالع هذا الشيب اذ جئن لُوما
أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز في غلس الدجى ... اوائل ورد كن بالامس نُوما
يفتقها برد الندى فكأنه ... ينث حديثاً كان قبل مكتما
ومن شجر ردّ الربيع لباسه ... عليه كما نشرت وشياً منمنما
أحلّ فأبدى للعيون بشاشة ... وكان قذى للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته ... يجيء بانفاس الاحبة نعما
فما يحبس الراح التي انت خلها ... وما يمنع الاوتار ان تترنما

ويقول كثير بن هراسة لابنه :

« يابني ، إن من الناس ناساً ينقصونك اذا زدتهم ، وتهون عليهم اذا اكرمتهم ، ليس لرضاهم موضع فتقصده ، ولا لسخطهم موقع فتحذره ، فاذا عرفت أولئك بأعيانهم ، فأبد لهم وجه المودة ، وامنعهم موضع الخاصة ، ليكون ما أبديت لهم من وجه المودة حاجزاً دون شرهم ، وما منعتهم من موضع الخاصة قاطعاً بحرمتهم » .

ومن مقامة للسيوطي :

وأقمنا ذلك اليوم الابيض ❀ نمرح في الروض الاخضر ❀ ونسبح في الماء الاسمر ❀ على رغم العدو الازرق ❀ الى أن غرب الكوكب الاصفر ، وأقبل الشفق الأحمر ❀ فاخضر الاسودان ❀ وافترقنا واجتمع الفرقدان) .

ويقول ابن المعتز :

أنظر الى اليوم ما أحلى شمائله صحوٌ ، وغيمٌ ، وابراقٌ ، وإرعادُ
كأنه أنت يامن لا شبيه له وصلٌ ، وهجرٌ ، وتقريبٌ ، وإبعاد

والبيتان التاليان من الاخذ المليح ، فهل تدري ممن أخذهما الشاعر؟

أقلي النهار اذا اضاء صباحه وأظلُّ أنتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكاً والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وأنشد الصاحب شرف الدين مستوفي إربل لغيره البيت التالي المشهور بمقابلاته الست :

على رأس عبدٍ تاج عزٍ يزينه وفي رجل حر قيد ذلٍ يشينه

فلما سمع غرس الدين الاربلي منه هذا البيت ، وهو لغيره ، قال على البداهة :

تسر لئيما مكرمات تزينه وتبكي كريماً حادثات تهينه

وللنميري الغرناطي :

هن البدور تغيرت لما رأت شعرات رأسي آذنت بتغيُّر

راحت تحب دجى شباب مظلم وغدت تعاف ضحى مشيب نير

وللشريف الموسوي يذكر يوم الدار وقد قبض على الطائع لله سنة ٣٨١ :

لواعج الشوق تخطيهم وتعميني واللوم في الحب ينهاهم ويغريني
من لي ببلغة عيش غير فاضلة تكفني عن قذى الدنيا وتكفيني
اخي ان باع دنياه وزخرفها بصونة كان عندي غير مغبون
اعجب لمسكة نفسي بعد ما رميت من النوائب بالا بكار والعون
ومن نجائي يوم الدار حين هوى غيري ، ولم أخل من حزم ينجيني
مرقت منها مروق السهم منكدراً وقد تلاقت مصاريع الردى دوني
من بعد ما كان رب الملك مبتسماً الي أدنوه في النجوى ويدنوني
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني ياقرب ما عاد بالضراء يبكيني

وللسري الرفاء :

وصاحب يقدح لي نار السرور بالقدح
في روضة قد لبست من لؤلؤ الطل سُبح
والجو في ممسك طرازه قوس قزح
يبكي بلا حزن كما يضحك من غير فرح

وللرصافي في وصف مغنية (الديوان ٢١٣) :

فهي إن اقبلت رأيت ابتساماً وهي إن ادبرت رأيت قطوبا
تضحك الجو في الصباح طلوعاً ثم تبكيه في المساء غروبا

ومنه **مراعاة النظير** : وتسمى : التناسب ، والائتلاف ، والتوفيق أيضاً(١) وهي أن يجمع في الكلام بين أمرٍ ، وما يناسبه ، لا بالتضاد(٢) كقوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان »(٣) ،وقول بعضهم للمهلبي الوزير: « أنت ايها الوزير إسماعيليٌّ الوعد ، شعيبي التوفيق ، يوسفي العفو ، محمدى الخلق» (٤)

وقول أسيد بن عنقاء الفزاري(٥) :

---

(١) والمؤاخاة في بعض الكتب والتلفيق

(٢) بل بالتوافق في كون ما جمع من واد واحد ، وبهذا القيد يخرج «الطباق»: لأنه جمع بالتضاد بين أمرين فاكثر ؛ وقد تقدم ان المراد بالتضاد مطلق التنافي ؛ ولما كان في مثل هذا الجمع رعاية للشيء مع نظيره سمي : « مراعاة النظير » .

(٣) اي بحساب مقدر ، فالشمس تقطع الارض فلكها في سنة ، والقمر يقطعه في شهر ، وقد جمع في الآية بين أمرين وهما الشمس والقمر ولا يخفى تناسبها لاقترانها أبداً في الخيال لان كلاً منها جسم نوراني سماوي .

(٤) في هذا القول جمع بين امور أربعة وما يناسبها ، والمناسبة جلية بين الانبياء الاربعة المرسلين . وبين الوعد والتوفيق والعفو والخلق لتوافقها في أنها امور معنوية .

(٥)وقال السكري اسمه قيس بن بجرة يعرف بأمه عنقاء،وأحمد بن عبيد بن ناصح يروي عن الواقدي « أمالي ١/٢٣٧ » أنه كان من أشد اهل زمانه عارضة ولسانا ، فطال عمره ونكبه دهره فمر به عميلة الفزاري وقال : ياعم ، ما أصارك الى ما أرى من حالك ؟ فقال : بخل مثلك بماله وصوني وجهي عن مسألة الناس! وفي سحر=

كأن الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعرى وفي وجهه القمر

وقول الآخر في فرس(٢) :

من جلنار ناضر خده وأذنه من ورق الآس

وقول البحتري في صفة الابل الانضاء (٣)

كالقسيّ المعطفات بل الاسـ ـهم مبريةً بل الاوتار

غد سمع اسيد رغاء الابل وصهيل الخيل فقال ماهذا ؟ فقالوا : هذا عميلة ساق اليك ماله ، وقد شاطره المال فقال ابن عنقاء :

رآني على مابي عميلة فاشتكى الى ماله حالي ، أسر كما جهر
دعاني فآساني ولو ضن لم ألم على حين لا يدو يرجى ولا حضر
فقلت له خيراً وأثبت فعله وأوفاك ماأبليت من ذم أو شكر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداءً سابغ الذيل وأتزر
غلام رماه الله بالخير مقبلا له سيمياء لاتشق على البصر
كأن الثريا علقت فوق نحره وفي أنفه الشعرى، وفي خده القمر
اذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا ذل ،ولو شاء لانتصر!

وقد جمع الفزاري في بيته بين امور ثلاثة وهي الثريا والشعرى والقمر ، وهي متناسبة في أنها كواكب سماوية ، وبين الجبين والخد والوجه ، وتناسبها في أنها مجموعة في الوجه كلها .

(٢) الشاهد لابن خفاجة الاندلسي يصف فرساً أشقر ، والمراد تشبيه خده بالجلنار الأحمر ، واذنه المنتصبة بورق الآس السهمي الشكل ، والشاهد في تناسب الجلنار مع الآس ، والخد مع الاذن .

(٣) الأنضاء جمع نضو بكسر النون وهو المهزول ، والبحتري قد جمع في بيته بين ثلاثة امور متناسبة وهي القوس والسهم والوتر ؛ وانما اختار تشبيهها بالقسي دون=

وقول ابن رشيق(١)

اصح واقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الامير تميم

فانه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والاحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم ، مع مافي البيت الثاني من صحة الترتيب في العنعنة ، اذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الاحاديث ، فان السيول أصلها المطر ، والمطر أصله البحر على مايقال ! ، ولهذا جعل كف الممدوح أصلًا للبحر مبالغةً .

ومن مراعاة النظير مايسميه بعضهم تشابه الاطراف(٢) وهو ان يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى كقوله تعالى: « لاتدركه الابصار وهو يدرك

العراجين لارادته مراعاة النظر بتشبيهها أيضاً بالسهام والاوتار ، ولهذه الملائمة حلاوة يفقدها الشعر بدونها فيما لو قال مثلا :

كالعراجين في التعطف والاقلام مبرية بل الاطناب !

(١) وفي بيت القيرواني قد تم الجمع بين أكثر من أربعة ، فانه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والاحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا والبحر وكف الأمير تميم ؛ وكل ذلك مع مافي البيت الثاني من صحة الترتيب في العنعنة بجعله الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في الاسانيد « فان السيل أصله المطر ، والمطر من البحر » وبجعله كف تميم أصلا للبحر يكون قد جمع فيها كل الخيرات ، وفي المطر والبحر يقول الشاعر :

كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه

(٢) وانما كان تشابه الاطراف نوعاً خاصا من مراعاة النظير لان الجمع في المراعاة =

الابصار، وهو اللطيف الخبير». فان اللطف يناسب مالا يدرك بالبصر (١)، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً، فان من يدرك شيئاً يكون خبيراً به، وقوله تعالى: «له ما في السموات وما في الارض، وان الله لهو الغني الحميد». قال: الغني الحميد لينبه على أن ماله ليس لحاجة، بل هو غني عنه جواد به، فاذا جاد به حمده المنعم عليه.

ومن خفي هذا الضرب قوله تعالى: «إن تعذبهم فانهم عبادك، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم». فان قوله: (وان تغفر لهم) يوهم أن الفاصلة (الغفور الرحيم)، ولكن اذا انعم النظر علم أنه يجب ان تكون (٢) ماعليه التلاوة، لانه لا يغفر لمن يستحق العذاب الا من ليس

يتم بين متناسبين مطلقاً، سواء أكان أحدهما في الانتهاء والآخر في الابتداء، أو كانا معاً في الابتداء كما تقدم في المثال، أو في الاختتام او في التوسط بخلاف «تشابه الاطراف» فانه قاصر على الجمع بين متناسبين أحدهما في الابتداء والآخر في الانتهاء؛

(١) يقال لطف الشيء ككرم لطفاً ولطافة صغر ودق فهو لطيف، واللطيف من الكلام ما خفي معناه، وقد اريد منه في الآية مالا تدركه الابصار مطلقاً؛ وإن اريد باللطف الرأفة والرحمة فيكون من «ايهام التناسب» الذي سنبينه لامن التناسب.

واما مناسبة الخبير لادراكه الأبصار فظاهرة لان الخبير من له علم بالخفيات والجليات ومنها الابصار فيدركها لذلك.

(٢) أي الفاصلة، «ماعليه التلاوة» أي كما جاء في ختام الآية، لأن المحدث عنهم عصاة يستحقون العقوبة، والغفران لمن يستحقها انما يكون من «العزيز» أي القاهر الغالب الذي لا يعترض على أمره؛ وقد تكون هذه المغفرة لحكمة فناسب زيادة «الحكيم».

فوقه أحد يردّ عليه حكمه ، فهو العزيز ، لان العزيز في صفات الله هو الغالب من قولهم : عزّه يعزّه عزاً إذا غلبه ، ومنه المثل : (من عزّ بزّ) : أي من غلب سلب ، ووجب ان يوصف بالحكيم أيضاً ، لان الحكيم من يضع الشيء في محله ، والله تعالى كذلك ، إلا أنه قد يخفي وجه الحكمة في بعض أفعاله ، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن ، أي : وان تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب ، فلا معترض عليك لاحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته .

ومما يلحق بالتناسب نحو قوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان » ويسمى (ايهام التناسب)(١) ، واما ما يسميه بعض الناس : (التفويف)(٢) ، وهو أن يؤتي في الكلام بمعان متلائمة في

---

(١) أي مراعاة النظير ، فنسبة هذا الامر الى التناسب لانه يوهمه كنسبة « ايهام التضاد » الى الطباق ؛ وسمي « ايهام التناسب » لانه لما ذكر لفظ الشمس والقمر ذكر النجم وهو هنا بمعنى النبات ، فذكره بعد الشمس والقمر يوهم التناسب ، لان النجم اكثر ما يطلق على نجم السماء المناسب للشمس والقمر .

(٢) مشتق من الفوف : وهو الثوب اليمني الرقيق الموشى ، ومنه قيل : برد مفوف ، وهو الذي يكون على لون ثم يخالطه لون أبيض ، وقد جعله المصنف من الطباق ومراعاة النظير ، وعده الصفي الحلي وأتباعه والطيبي في التبيان نوعاً مستقلاً من البديع ، ومثل له البهاء السبكي بقوله تعالى : [الشعراء ٧٨ — ٨٢] « الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » .

جمل مستوية المقادير او متقاربتها كقول من يصف سحاباً(١) :

تسربل وشياً من خزوزٍ تطرزت ... مطارفها طرزاً من البرق كالتبرِ

فوشيٌ بلا رقم ، ونقشٌ بلا يدٍ ... ودمعٌ بلا عينٍ ، وضحكٌ بلا ثغرِ

وكقول عنترة(٢) :

إن يلحقوا أكرُر ، وان يستلحقوا ... أشدد ، وإن نزلوا بضنك أنزلِ

وكقول ابن زيدون(٣) :

تهاحتملْ ، واحتكم اصبر ، وعز أهن ... ودلَّ اخضع ، وقل اسمع ، ومر أطعِ

---

(١) ورواية البيت الأول في الطراز ٣/٨٦ :

تسربل وشياً من حرير تطرزت ... مطارفها لمعاً من البرق كالتبر

أي لبس السحاب ثوباً منقوشاً ، والخزوز جمع خز ، والمطارف لا المطاريف جمع مطرف بكسر الميم ، كما في رواية الطراز فان المطاريف من أوصاف الابل التي تستطرف النبات ، ويستقيم الوزن بدون اشباع كسرة الراء .

قال الفراء : المطرف من الثياب ماجعل في طرفيه علمان ، والاصل مطرف بالضم فكسروا الميم ليكون أخف كما قالوا مغزل وأصله بالضم من أغزل أي أدير . وكذلك المصحف والمجسد ، و « الطرز » جمع طراز وهو علم الثوب ؛ والاصل : تطرزت مطارفها بطرز فهو من باب الحذف والايصال ؛ والشاهد في البيت الثاني لانه اربع جمل متساوية ومتلائمة بمعانيها .

(٢) الاستلحاق طلب الاقران اللحاق ، وترى في الشاهد ان الجملتين الأولى والثانية متساويتان والثالثة متقاربة ، والمعاني متلائمة في الجمل الثلاث .

(٣) معاني الافعال واضحة ، « ودل » بكسر الدال أو فتحها امر من الدلال ، وهو اظهار الخلاف في تلطف ، والجمل في هذا الشاهد متساوية المقدار ، وفيه امر واحد من الطباق وهو « وعز أهن » والبقية قد تعتبر بتناسبها من مراعاة النظير .

وكقول ديك الجن[1]:

أحلُ وامرُ، وضرّ وانفع، ولن واخشن، ورش وابر، وانتدب للمعالي

فبعضه من مراعاة النظير، وبعضه من المطابقة[2]

---

(١) شاعر المياس عبد السلام بن رغبان الحمصي من شعراء العصر العباسي (١٦١ – ٢٣٥) ونرى بين افعال الامر هذه مطابقة واضحة، واما بين (رش وابر) ففيها بعض الخفاء لان « رش » أمر من راش السهم يريشه ألزق عليه الريش ، وهو بمعنى أصلح ؛ « وابر » أصله من برى السهم والقلم نحتها، وهو هنا بمعنى أفسد، « وانتدب » امر من انتدب ، يقال انتدبه لأمر : دعاه فانتدب اي أجاب ؛ ومن علماء البلاغة من جعل « التفويف » ثلاثة أقسام : ماتكون جمله قصاراً : كتوالي الافعال في البيت، ومتوسطة : كبيت ابن زيدون وبيت عنترة ، وطوالا كبيتي السحاب .

(٢) ان ما ذكره المصنف راجع الى اللفظ ؛ ومنه مايرجع الى المعنى ، كما في الطراز « ٣/٨٥ » لاحمد بن حمزة العلوي امام اليمن ، وهو مافسره به أيضاً ابن خطيب زملكا ، وضابطه أن تصف الممدوح بما يدل على مدحه من صفات المكارم ثم تورد صفات دالة على ذمه ، لكن اقترن بها ما يرشد الى كونها مدحا ، وهو بذلك يشبه البرد المفوف الذي يكون على لون ثم يخالطه لون أبيض ، فالتفويف داخل في هذه الجهة . واستشهد صاحب الطراز لهذا التفويف المعنوي الذي عده في الذروة العليا من علم البديع بقول جرير (الديوان ٢٣٤) :

هم الأخيار منسكةً وهدياً وفي الهيجا كأنهم صقور

بهم حدب الكرام على المعالي وفيهم عن مساويهم فتور

فقوله : (كأنهم صقور) صفة ذم لان من شأن الصقور الخطف والبغي ، لكنه لما اقترن بقوله (الهيجا) كان مدحاً ، لان الانسان اذا كان في الحرب كالصقر ويغلب غيره ويسلبه فهو مدح لامحالة ، وكذلك سائر الابيات فتأمل .

نصوص وشواهد

على مراعاة النظير

جاء في الكتاب المبين : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

ويقول الشاعر :

والطلُّ في سلك الغصون كلؤلؤٍ رطب يصافحه النسيم فيسقطُ
والطير يقرأ ، والغدير صحيفةٌ والريح تكتب ، والغمام ينقّط

وعجيب قول السلامي :

والنقعُ ثوبٌ بالسيوف مطرز والارض فرش بالجياد محملُ
وسطور خيلك انما الفاتها سمر تنقط بالدما وتشكل

ولابي العلاء المعري :

دع اليراع لقوم يفخرون بها وبالطوال الردينيات فافتخرِ
فهن اقلامك اللاتي اذا كتبت مجداً أتت بمداد من دم هدر

ولبديع الزمان الهمذاني من قصيدة يصف فيها طول السرى :

لك الله من ليل أجوب جيوبه كأني في عين الردى ابداً كحلُ
كأن السرى ساقٍ ، كأن الكرى طلا كأنا له شَرب كأن المنى نقل

كانا جياعٌ ، والمطي لنا فمُ كأن الفلازادٌ كأن السرى اكل
كأن ينابيع الثرى ثدي مرضع وفي حجرها منيّ ومن ناقتي طفل
كأنا على أرجوحة في مسيرنا لغورٍ بنا تهوي ، ونجدٍ بنا يعلو
كأني في قوس لساني له يدُ مديحي له فرعٌ ، به املي نبل
كأن دواتي مُطفل حبشية بناني لها بعل ونقشي لها نسل
كأن يدى في الطرس غواص لجةٍ له كلمي درٌ به قيمتي تغلو

ويقول التقي الحموى في خزانته (١٦٥) بعد هذه الابيات : (انظر ايها المتأمل الى ملكة هذا الشاعر المفلق الذى مادخل الى بيت الا واسكن فيه مايلائمه من المناسبات البديعية ، نعم هذه غاية الغايات التي تقف عندها فحول الشعراء) هذا رأى المتقدمين ، ونحن في هذا العصر نعد مثل هذا التكلف الذى يفسد البلاغة ، وخير الشعر ماهز الشعورا !

وكان الشاعر الدمشقي المعروف بابن الساعاتي (٥٣٥ — ٦٠٤ هـ) يتنزه في نيرب دمشق مع اصحابه ، فجاءهم مطر كثير ورعد وبرق فقال (الديوان ٢/١٦٨) :

لله يوم النيربين ووجهه طلق ، وثغر اللهو ثغر أشنبُ
وكأنما فنن الأراكة منبر وهزارها فوق الذؤابة يخطب
والرعد يشدو ، والحيا يسقى ، وغصن البان يرقص ، والخمائل تشرب
وكأنما الساقي يطوف بكأسه بدر الدجى في الكف منه كوكب

حمراء حاربنا الصروف بصرفها فزجاجها بدم الهموم مخضّب
والقطر نبل ، والغدير سوابغ موضونة: والبرق سيف مذهب
« والسحب رايات ولمع بروقها بيض الظبا والارض طرف اشهب »

ولابن زيلاق في غلام يخدمه حارس :

ومن عجب ان يحرسوك بخادم وخدام هذا الحسن من ذاك اكثرُ
عذارك ريحان ، وثغرك جوهر وخدك ياقوت ، وخالك عنبر

ولابن شرف القيرواني يتهكم بمجلس صاحبه :

لك مجلس كملت ستارتنا به للهو لكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب وظل يزمر حوله فيه البعوض ويرقص البرغوث

ويستعذب البديعيون البيتين التاليين (خزانة الحموي ١٦٦) :

ولما خلعنا العذار فككنا طويق الحجلْ
لبسنا ثياب العناق مزرّرة بالقبـــل

تنبيه : وقد عابوا على ابي نواس ذكر الحوض الذي لا يلائم المحصب والصفا وزمزم في قوله :

وقد حلفت يميناً مبرورة ليس تكذب
برب زمزم والحو ض والصفا والمحصب

كما عابوا الكميت لانه جمع بين الدلال والشنب الذي هو من لوازم الثغر بقوله:

وقد رأينا به حوراً منعمةً بيضاً تكامل فيها الدل والشنب

***

ومنه : (**الارصاد**) ، ويسمى : التسهيم(١) أيضاً، وهو: ان يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت مايدل على العجز اذا عرف الروي(٢) كقوله تعالى : « وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون » ، وقوله : « وما كان الناس الا أمةً واحدةً فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك

---

(١) الارصاد : نصب الرقيب في الطريق ليراقب من يأتي منها ، يقال : رصدت أي راقبت وأرصدته « إرصاداً » جعلته يرصد الشيء ويراقبه؛ وأما «التسهيم» فمشتق من السهم ، ويفسره بعضهم بتصويب السهم الى الغرض : لان المتكلم يصوب سهم نظره الى عجز الكلام ؛ أو من السهم بمعنى الحجر يجعل على باب البيت الذي يبنى للاسد ليصاد فيه ، فاذا دخله وقع الحجر على الباب فسده ، فالشاعر يجعل قبل العجز مايصيد به العجز ، ولعل هذا التخريج أصوب وأنسب .

(٢) ولو قال المصنف : « اذا عرف الروي مع معرفة صيغة القافية » لكان التعبير أدق وأوضح ، لان معرفة الروي وهو « النون » في الآية لاتدل وحدها على ان العجز في الآية الثانية : « وما كان الناس ... » هو « يختلفون » لجواز ان يكون « مختلفون » .

ان « الارصاد » في الآية الأولى « وما كان الله ليظلمهم . . . » هو قوله « ليظلمهم » : لانها تدل على ان مادة العجز من مادة الظلم ، إذ لا معنى لقولنا مثلا : وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم ينفعون أو يمنعون من الهلاك او نحو ذلك، ويعين كون المادة من الظلم مختومة بنون بعد واو معرفة الروي مع صيغة القافية أو الفاصلة من الآية السابقة وهي : « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » ، وعلى هذا النحو يكون « الارصاد » في الآية الثانية « يختلفون » .

لقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون» . وقول زهير(١) :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

وقول الآخر(٢) :

إذا لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوزه الى ما تستطيعُ

وقول البحتري : (٣)

أبكيكما دمعاً ولو أني على قدر الجوى أبكي بكيتكما دما

وقوله :(٤)

أحلّت دمي من غير جرمٍ وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي

---

(١) والارصاد في بيت زهير « سئمت » لان هذا الفعل يرصد « يسأم » ، أو يصيده اصطياد السهم للأسد .

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب ، والارصاد فيه قوله : « اذا لم تستطع » لانه يدل على أن مادة العجز من مادة « الاستطاعة » المثبتة ، إذ لا يصح المعنى بقولك : « وجاوزه الى مالا تستطيع » أو الى كل ماتشتهي ، ومعرفة الروي والقافية تدل على ان الاستطاعة المستنتجة من « اذا لم تستطع » ينبغي أن تختم بعين قبلها ياء : « تستطيع » .

(٣) والارصاد في بيت البحتري قوله : « أبكيكما دمعاً » ، وهل يبقى بعد البكاء بالدموع عندهم الا البكاء بالدماء ، وهو اقوى من جعل الارصاد في قوله : « ولو اني على قدر الجوى أبكي » لان المقابلة بين البكاء بالدمع والدم أبين وأحسن .

(٤) وهذان البيتان للبحتري أيضاً ، و « كلامي » في آخر البيت الأول بمعنى تكليمي فهو من اضافة المصدر لمفعوله ؛ و « الارصاد » في قوله « حرمته » ، ولو لم يعرف ان القافية مثل سلام وكلام لجاز أن يتوهم أن العجز « بمحرم » ، ولا سيما بعد قوله : « بمحلل » ، فمعرفة القافية والروي لابد منها .

فليس الذي حللتِه بمحلل ولیس الذي حرمته بحرام

الارصاد المعنوي : ان الدلالة فيما ذكرناه من الشواهد « لفظية » ، وقد تكون « معنوية » كقوله تعالى : « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » ، فان « اصطفى » يدل على أن الفاصلة « العالمين » ، لا باللفظ لان لفظ اصطفى غير لفظ العالمين ؛ ولكن بالمعنى ، لانه يعلم من جهته أن من لوازم اصطفاء الشيء أن يكون مختاراً على جنسه ، وجنس هؤلاء المصطفين « العالمون » .

ومن الدلالة المعنوية ماجاء في آية « يكاد البرق يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، ان الله على كل شيء قدير » : فالدلالة هنا منطقية لأنه يقال : ان أضاء البرق لهم مشوا فيه ؛ وان لم يضيء « أي أظلم عليهم » لم يمشوا فيه « أي قاموا » ، والمطبوع على اللغة المبينة اذا سمع أول هذه العبارة عرف بسليقته آخرها ، ولو كانت بيتاً من الشعر لكانت « قاموا » القافية ؛ وفي الحديث انه لما نزل : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » وبعدها الآيات الدالة على عجيب الخلقة المتطورة قال بعض الصحابة : (تبارك الله أحسن الخالقين) قبل ان يسمع هذه الخاتمة البليغة الرائعة ، فقال له النبي العربي : بها ختمت ؛ وقد روي ان قائل ذلك عمر بن الخطاب وهي معدودة من موافقاته .

طلاوة الارصاد . — ان لهذا النوع من البديع حلاوة في الشعر وطلاوة في النثر اذا وافق القول الذي يشتمل عليه شرائط البلاغة ، وفي المثل السائر : وذلك من محمود الصنعة ، فان خير الكلام مادل بعضه على بعض ، وفي الافتخار به يقول ابن نباتة السعدي :

خذها اذا انشدت في القوم من طرب صدورها عرفت منها قوافيها

ينسى لها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطويها

نصوص وشواهد

على الارصاد

تقول جَنوب اخت عمرو ذي الكلب :

فأقسمت ياعمرو لو نبهاك ... إذاً نبها منك داء عضالا
إذا نبها ليث عرّيسة ... مقيتاً مفيداً نفوساً ومالاً
وخرقٍ تجاوزت مجهوله ... بوجناء لاتشكى الكلالا
فكنتَ النهارَ به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا

لقد اجتمع الضربان من الارصاد في هذا الشعر البليغ ، فقد جاء في حسن التوسل للشهاب الحلبي : ان الحذّاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها : (فاقسمت ياعمرو لو نبهاك) يقتضي ان يكون تمامه : (اذاً نبهامنك داء عضالا) ، دون غيره من القوافي ، كما لو قالت مكان (داء عضالا) : (ليثاً غضوبا) أو (أفعى غضوبا) او (سمّاً وحيّا) ، أو ما ناسب ذلك : لان الداء العضال أبلغ من هذه الاشياء جميعها وأشد ، إذ كل منها يمكن مغالبته أو التوقي منه ، والداء العضال لادواء له ، فهذا مما يعرف بالمعنى ، و(الدلالة اللفظية) في قولها بعده :

إذاً نبها ليث عريسةٍ مقيتاً مفيداً نفوساً ومالاً

فان الحاذق بصناعة الكلام إذا سمع قولها: (مقيتا مفيداً) تحقق أن هذا اللفظ يقتضي أن يكون تمامه : نفوساً ومالاً ، وكذلك قولها :

فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا

لان قولها :(فكنت النهار به شمسه) يقتضي أن يتلوه:(وكنت دجى الليل فيه الهلالا) .

وما أعذب قول الشاعر :

وفي أربع مني حلت منك أربعٌ فلم أتيقن أيها هاجَ لي كربي
أوجهك في عيني ، أم الذكر في فمي أم النطق في سمعي ،أم الحب في قلبي؟

ومما دلالته معنوية قول أبي نواس :

تمشي الهوينا اذا مشت فُضلا مشيَ النزيف المخمور في الصعدِ
تظلّ من زور بيت جارتها واضعةً كفها على الكبد

ولابن الدمينة :

وكوني على الواشين لدّاء شَغبةً كما أنا للواشي ألدُّ شَغوبُ
وكوني ، إذا مالوا عليك صليبة كما أنا ،ان مالوا عليّ ، صليب

ويقول الشاعر :

ولو أني أعطيت مُن دهرى َالمني وما كلُّ من اعطي المنى بمسدد
لقلت لايام مضين : ألا ارجعي، وقلت لايامٍ أتينَ : ألا ابعدى !

ويقول آخر :

وان كنتُ محتاجاً الى الحلم إنني ... الى الجهل في بعض الاحايين أحوج
فلي فرس للخير بالخير ملجمٌ ... ولي فرس للشر بالشر مُسرجُ
فمن رام تقويمي فاني مقوّم ... ومن رام تعويجي فاني معوجُ

ولأبي فراس في ابن عمه السيف الحمداني :

فلما ثار سيف الدين ثُرنا ... كما هيجتَ آساداً غضابا
أسنتهُ اذا لاقى طعاناً ... صوارمُه إذا لاقى ضرابا
دعانا، والأسنة مشرعاتٌ ... فكنا عند دعوته الجوابا

ومن بدائع الارصاد أبيات البحترى التالية (الديوان: الجوائب ٢/١٩٠):

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلًا ... مقصراً من صبابة أو مطيلا
وخلاف الجميل قولك للذا ... كر عهد الاحباب صبراً جميلا
لاتلمه على مواصلة الدمع ولؤمٌ لوم الخليل الخليلا
علّ ماء الدموع يخمد ناراً ... من جوى الحب أو يبل غليلا
لم يكن يومنا طويلًا بنعما ... ن ولكن كان البكاء طويلا
قد وجدنا محمد بن عليّ ... غاية المجد قائلًا وفعولا
خلّف البُهر للجياد وألقى ... في مدى المجد غرّةً وحجولا
بلغ المكرمات طولاً وعرضاً ... وتناهت اليه عرضاً وطولا
وكأن الاصول كانت فروعاً ... وكأن الفروع كانت أصولا

سلبوا البيض بزهـا وأقاموا بظباهـا التأويل والتنزيلا
واذا حـاربوا أذلوا عزيزا واذا سالموا اعزوا ذليلا

ومنه (المشاكلة) وهي : ذكر الشيء(١) بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً ، اما الاول(٢) فكقوله(٣) :

---

(١) أي المعنى كالخياطة بلفظ الطبخ « اطبخوا لي » لوقوعها في صحبته ، كما لو قيل لك : أتسقيك ماءً ؟ فأجبت وأنت جائع : بل اسقني خبزاً ولحماً ، فذكرت الاطعام بلفظ السقي لوقوعه في صحبته .

ملاحظة : ان عبارة المصنف « ذكر الشيء بلفظ غيره » قد تدل على ان المشاكلة ليست من الحقيقة ، وانها « مجاز لغوي » : لانه كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة ، وهي هنا « المجاورة » التي أشار اليها المصنف بقوله : « لوقوعه في صحبته » ، ورد ذلك بان الوقوع في الصحبة غير المجاورة المعتبرة من العلاقات المجازية ، لأن هذه « المجاورة » خيالية : واقعة بين مدلولي اللفظين الحقيقي والمجازي ، والمشاكلة ليست كذلك لانها عدول عن لفظ الى آخر بدون تقارن في الخيال .

والسر في اعتبار « المشاكلة » من البديع المعنوي ان فيها نقلاً للمعنى من لباسه المعروف الى لباس غير مألوف ، فيحدث عجباً أو طرباً ، ولذا جعلوه « محسناً بديعياً » !

(٢) أي القسم الأول من المشاكلة ، وهو ما كانت الصحبة فيه « حقيقية » .

(٣) قول أبي الرقعمق أحمد بن محمد الانطاكي « — ٣٦٩ هـ » وهو شاعر فكه أجاد الشعر بالشام جداً وهزلا ، اصله من انطاكية وأقام بمصر وتوفي بها ؛ ويروى انه قال : كان لي اخوان أربعة وكنت انادمهم أيام كافور الانشيد ، فجاءني رسولهم في يوم بارد ، وليست لي كسوة ، فقال : اخوانك يقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة ، فما تريد أن نطبخ لك منها ؟ فكتب اليهم : =

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخة قلت اطبخوا لي جبةً وقميصا

كأنه قال : خيطوا لي ، وعليه قوله تعالى : « تعلم مافي نفسي ولا اعلم مافي نفسك »(١) ، وقوله : جزاء سيئة سيئة مثلها »(٢) ومنه قول أبي تمام (٣):

من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزلِ

اخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فأتى رسولهم الي خصوصاً

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً

قال فذهب الرسول بالرقعة ، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير ، فلبست احدى الخلع وسرت اليهم .

(٤) تطلق النفس على الروح والقلب ، فلا يجوز اطلاقها على الله الا على سبيل المشاكلة ، قال الزمخشري في كشافه : والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه ، فقيل : في « نفسك » لقوله في « نفسي » .

(٥) لابد في المجاز من اللزوم بين المعنيين ، والمعنيان في المشاكلة تارةً يكون بينها علاقة كما في هذه الآية ، فان السيئة الأولى بمعنى المعصية والثانية بمعنى جزاء المعصية وعقابها ، فقد اطلق السبب الذي هو السيئة وأراد المسبب الذي هو العقاب فالعلاقة بينها « السببية » ؛ وتارةً لايكون بين المعنيين علاقة كاطلاق الطبخ على خياطة الجبة والقميص .

فائدة : ورد في الكتاب المبين كثير من آيات المشاكلة كما في الآيتين اللتين استشهد المصنف بها ، وبمعرفة المشاكلة يزول الاشكال في تفسيرها ، ومن التفسير ما يوجب التكفير .

(٦) أفناء جمع فِنء بكسر الفاء وسكون النون بمعنى الجماعة ، والشاهد في قوله=

وشهد رجل عند شُريح فقال: انك لسبط الشهادة(١)، فقال الرجل: انها لم تجعد عني! فالذي سوغ (بناء الجار) و (تجعيد الشهادة) هو مراعاة المشاكلة، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار، ولولا سبوط الشهادة لامتنع تجعيدها.

ومنه قول بعض العراقيين(٢) في قاض شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته:

أترى القاضي أعمى ... أم تُراه يتعامى
سرق العيد كان الـ ... ـعيد أموال اليتامى!

«بنيت الجار قبل المنزل» لان التقدير قبل بناء المنزل، فالتقدير هنا لفظي، والمصنف يريد به المعنوي، فلا يكون من القسم الثاني الذي تكون الصحبة فيه تقديرية معنوية.

(١) الشعر السبط المسترسل، والجعد عكسه، فقول الشاهد لشريح: «انها لم تجعد عني»، يريد أنها لم تمنع مني لجواز الشهادة، ذلك ان تجعيد الشعر تقبضه وتعقده؛ وقول المصنف: «ولولا سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها»: أي لولا أنه ذكر السبوطة أولاً، لما ذكر الشاهد التجعيد للمشاكلة.

(٢) هما كما في اليتيمة للصاحب بن عباد، والشاهد في قوله «سرق العيد» وهو لايسرق. ولكن وقوعه صحبة «اموال» اليتامى التي يسرقها القاضي قد أساغ ذلك للمشاكلة.

وأما الثاني فكقوله تعالى : « صِبغةَ الله »(١) وهو(٢) مصدر مؤكد منتصب عن قوله : « آمنا بالله » ، والمعنى تطهير الله ، لان الايمان يطهر النفوس ، والاصل فيه(٣) : أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر(٤) يسمونه العمودية ، ويقولون : هو تطهير لهم ، فأمر المسلمون

---

(١) من الآية ١٣٨ من سورة البقرة وهي مع آيتين قبلها : « قولوا آمنا بالله وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم * « صبغة الله » ومن احسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون .

(٢) أي « صبغة » مصدر مؤكد أي مفعول مطلق منتصب بعامل محذوف وجوباً دل عليه قوله « آمنا بالله » وتقديره : صبغنا الله بالايمان صبغة ، و « صبغة » بكسر الصاد للهيئة اي الحالة التي يقع عليها الصبغ ، وصيغة الهيئة « فعلة » « مصدر » لأنها لخصوص من مطلق المصدر ، وهذا المصدر « مؤكد » لمعنى « آمنا بالله » لدلالة الصبغ على التطهير الذي هو لازم الايمان ، فكأنه قال : صبغنا الله بالايمان صبغة ، وهو معنى « آمنا بالله » وتوكيد له . وقيل ان « صبغة » منصوبة على الاغراء أي الزموا صبغة الله وعليكم بها .

(٣) أي والاصل في التعبير عن التطهير بلفظ الصبغ ، قال الدسوقي شارح السعد : ولو قال المصنف بدل « والاصل فيه » : « وبيان ذلك » اي وبيان المشاكلة في هذه الآية ، كان أظهر ، « والمعمودية » طقس ديني كان معروفاً قبل المسيح ، وهو في العهد الجديد كالختان في العهد القديم علامة على التطهير من الخطيئة ، ولم يعمد المسيح أحداً .

(٤) يرى بعضهم ان صفرة الماء من شيء يجعل فيه كالزعفران ، وسألت بعض =

بأن يقولوا لهم : قولوا آمنا بالله ، وصبغنا الله بالايمان صبغة لامثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيراً لامثل تطهيرنا ، أو يقول المسلمون : صبغنا الله بالايمان صبغته ، ولم يصبغ صبغتكم ، وجيء بلفظ (الصبغة) للمشاكلة، وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ : لان قرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الاصفر ، دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الاشجار : إغرس كما يغرس فلان(١) ، تريد رجلاً يصطنع الكرام .

* * *

المسيحيين عن سبب هذه الصفرة ، فقال لمزج ماء المعمودية بالزيت المبارك الذي على الماء فيخال لصفرته انه أصفر .

(١) كما لو قلت : « هـذا يغرس الاشجار فاغرس انت الاحسان مثله » على المشاكلة ؛

تنبيه : ولو انك بنيت قوله « اغرس الاحسان » على التشبيه لكان استعارة مكنية ، قرينتها « اغرس » ، مع وجود المشاكلة ايضاً ، وان لم تقدر المجاز كان مشاكلة محضة ، وكذلك يقال في كل مشاكلة ، كما في بيت ابي الرقعمق ، فان لك ان تقدر التشبيه في « اطبخوا » بمعنى انسجوا فيكون استعارة تبعية ومشاكلة ايضاً باعتبار المصاحبة فتأمل !

نصوص وشواهد

على المشاكلة

جاء في الكتاب المبين : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين » .

وفي الحديث: خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يملّ حتى تملوا .

ولعمرو بن كلثوم من معلقته :

الا لا يحسب الاقوام أنا تضعضعنا ، وأنا قد ونينا

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجل فوق جهل الجاهلينا

ولابي تمام ، ولم يستحسن بعضهم مشاكلته :

لا تسقني ماء الملام فانني صبٌ قد استعذبت ماء بكائي

قلت ومما أرويه من المشاكلة :

يظل أخي في الزرع والغرس جاهداً ويذهل عن زرع الندى والمراحم

إذا لم أكن في غرسي الكرم حاذقاً فقد عشتُ ذا علمٍ بغرس المكارم

ومن رواياتي أنه دخل دمشق أعرابيٌ جائعاً فرأى حانوتاً فيه حلوى وجفنة رز متوج باللحم والشحم ، فدخل الحانوت وظنه دار الضيافة شارعة . فعرف

الطباخ قصده فداعبه بقوله : ألا أسقيك ماء مثلجاً ؟ فاجابه : بل اسقني رزاً متوجاً ، وكنافةً وكربجا ! ثم قال بعد أن رجع الى أهله في ذلك :

مررت بطباخ بجلق عارفٍ ... بأسرار طهي الرز واللحم والشحمِ
فساءلته : هل منك ما يمسك الحشا ... وقد كاد مني الجوع يفتك بالجسم
فقال : ألا اسقيك ماء مثلجا ... فقلت : اسقني الرز المتوّج باللحم
وإلا اسقنيه كربجاً وكنافةً ... ولا تسقني ماليس يُبنى به عظمي !

ومثل بيت أبي الرقعمق قول ابن جابر الاندلسي :

قالوا : اتخذ دهنا لقلبك يشفهِ ... قلت ادهنوه بخده المتوردِ

وروايتي التالية من (صدفات الغواص) تنظر الى أبي الرقعمق أيضاً :

قال لي الصحب ، والذبيحة تشوى ... في مكان من الرقيب نزيهِ
دونك القلبَ واللسان وكبدا ... ودماغاً — اكرم به — تشتهيه
ان ما أشتهيه أذكى طعاماً ... ليس ما تشتوون ارغب فيه
اشتهي اشتوي قلوب عداتي ... ولسان الواشي السفيل السفيه
وكبوداً كادت تميز غيظاً ... ودماغ البليد غير النبيه !

ويحكى ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان يشرب في متنزه ، وعنده ماني الموسوس فقال عبيد الله :

أرى غيماً تؤلفه جنوبُ ... وأحسب أن ستأتينا بهطلِ
فحزم الرأي أن تأتي برطل ... فتشربه وتأتيني ببطلِ

فقال ماني ماهكذا قال الشاعر ، وإنما هو :

أرى غيماً تؤلفه جنوب أراه على مساءتنا حريصا

فخزم الرأي ان تأتي برطل فتشربه وتكسوني قميصا

ولو انه قال :

فخزم الرأي لو اسقيك رطلا معتقةً وتسقيني قميصا

لكان من المشاكلة الممتعة الظريفة .

* * *

ومنه الاستطراد «١» وهو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ، لم يقصد بذكر الاول التوصل الى ذكر الثاني «٢» كقول الحماسي :

وانا لقوم مانرى القتل سُبة إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

وقول الآخر :

اذا ما اتقى الله الفتى واطاعه فليس به باسٌ وان كان من جرم «٣»

وعليه قوله تعالى : « يابني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم

---

(١) قال ابن جني في الخصائص : اصل مواضع « ط ر د » في كلامهم التتابع والاستمرار ، من ذلك « طردت الطريدة » اذا اتبعتها واستمرت بين يديك ، ومنه مطاردة الفرسان بعضهم بعضاً ، الا ترى أن هناك كراً وفراً فكل يطرد صاحبه ، واطرد الجدول اذا تتابع ماؤه بالريح ، اقول ومنه اطرد الكلام ؛ وكأن المتكلم بالاستطراد ينتقل من طريدة الى اخرى .

وذكر الحاتمي في « حلية المحاضرة » انه نقل هذه التسمية عن البحتري ، وذكر غيره ان البحتري نقلها عن ابي تمام ، وسماه ابن المعتز « الخروج من معنى الى معنى » ، وقال البدر بن مالك في مصباحه : ان الاستطراد قليل في القرآن الكريم واكثر ما يكون في الشعر ، واكثره في الهجاء ولم أظفر به الا في قوله تعالى : « الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » .

(٢) وبهذا القيد يخرج عن التخلص ، إذ في الاستطراد ينتقل المتكلم من غرض جوهري الى عرضي يسنح له ، ثم يرجع الى الجوهري الاول الذي هو في صدد الكلام عنه ، وما كذلك التخلص .

(٣) البيت لزياد الأعجم ، وقد استطرد بقوله « وان كان من جرم » الى ذم قبيلة جرم ، وهي بفتح الجيم قبيله من اليمن والآية التالية في (الاعراف /٢٦) .

وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير. ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون »

قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوآت ، وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، واشعاراً بأن التستر باب عظيم من ابواب التقوى .

هذا أصله«١» ، وقد يكون الثاني هو المقصود ، فيذكر الأول قبله ليتوصل اليه كقول أبي اسحق الصابي :

إن كنتُ خنتُك في المودة ساعةً ... فذممتُ سيفَ الدولة المحمودا«٢»

وزعمتُ أن له شريكاً في العلى ... وجحدتُه في فضله التوحيدا

قسماً لو أني حالفٌ بغموسها ... لغريمِ دينٍ ما أراد مَزيدا

ولا بأس أن يسمى هذا«٣» ايهام الاستطراد .

---

(١) أي ان يكون المعنى الاول هو المقصود بالذات والثاني بالعرض ، وانما يخطر الثاني للمستطرد بعد ذكر الاول .

(٢) في عجز البيت الاول « ذممت » وهي جملة انشائية دعائية ، كذلك «زعمت» و « جحدت » في البيت الثاني فانها دعائيتان للممدوح ، و « التوحيد » مفعول جحدت، ويعني به توحيد الناس اياه في الفضائل ؛ والشاهد انه ذكر الخيانة في صدر البيت الاول ليتوصل بذلك الى ماذكره من مديح سيف الدولة .

(٣) اي هذا الانتقال من المعنى الاول توصلاً للثاني الذي يكون مقصوداً، وهو خلاف ماجعل له الاستطراد ، ولذا اقترح المصنف تسميته بايهام الاستطراد .

نصوص وشواهد

على الاستطراد

جاء في الكتاب المبين : واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يابنيّ لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ❀ ووصينا الانسان بوالديه، حملته أمه وهناً على وهنٍ وفصاله في عامين : أن اشكر لي ولوالديك ، إليّ المصير ❀

(لقمان : الآيتان ١٣ و ١٤)

ومن أول ماورد فيه من النظم قول السموأل بن عاديا :

تعيرنا أنا قليلٌ عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليلُ

وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الاكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل

وانا لقوم ما نرى القتل سبة ... اذا ما رأته عامر وسلول

يقرّب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

ويقول حسان بن ثابت (الديوان ٣٦٣) :

يامن لعاذلة تلوم سفاهةً ... ولقد عصيت الى الهوى لُوامي

زعمت بأن المرء يُكرب عمره ... عُدم لمعتكر من الأصرام

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدثتني فنجوتِ منجى الحارث بن هشام[1]
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ونجا برأس طِمرّة ولجام

ويقول ابن المعتز :

ولقد شربت مدامة كرخية مع ماجد طلق اليدين حميدِ
علت بماء بارد فكأنما علت ببرد قصيدة ابن سعيد

وأبو تمام يقول (الديوان ٣٩٣) :

وكيف أنكر من دهري تصرفه والدهر ذو أوجهٍ تأتي والوانِ
نوائب نصبتني للنوى غرضا يرميه بالمصمئلات الجديدان
فما أقمت بارض ليس تلفظني اكنافها لفظ عمران بن حطان

ثم يصف ابو تمام حافر فرسه فيقول :

أيقنتُ إذ لم يمزق أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان!

وهو كثير الاستطراد ، ويقتفي البحتري أثره ، فيصف أيضاً فرسه الأغر المحجّل بقوله (الديوان ٢/٢١٧) :

كالهيكل المبنيّ إلا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكلِ
هزج الصهيل كأن في نغماته نبرات معبد في الثقيل الأول
ملك العيون فان بدا أعطينه نظر المحب الى الحبيب الأول
ما إن يعاف قذىً ولو أوردته يوماً خلائق حمدويه الاحولِ

---

(١) الحارث أخو أبي جهل أسلم يوم الفتح ومات باليرموك

ومما جمع المدح والهجاء قول بكر بن النطاح [١] يمدح مالك بن علي الخزاعي :

عرضت عليها ما أرادت من المنى ... لترضى فقالت : قم فجئنا بكوكبِ !
فقلت لها : هذا التعنت كله ... كمن يتشهى لحم عنقاء مُغرب
سلي كل شيء يستقيم طلابه ... ولا تذهبي يابدرُ بي كل مذهب
فأقسم لو اصبحت في جود مالك ... وقدرته اعيا بما رمت مطلبي [٢]
فتى شقيت أمواله بنواله ... كما شقيت قيس بأرماح تغلب ! [٣]

ومن البلاغة الهاشمية قول عبد المطلب :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ... ولو تسلت أسلناها على الاسلِ
لاينزل المجد الا في منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

***

(١) الابيات ٥ في زهر الآداب ٤/١٥٢ ، / و ٤ في الكامل ٢/١٩ ورغبة الآمل ٦/١٠٧ . وبكر بن النطاح من بني حنيفة بن لجيم الى بكر بن وائل ، وهو شاعر فارس صعلوك ، كان مداحا لأبي دلف العجلي ، وبعد موته صار مداحا لمالك بن علي الخزاعي الذي كان يتولى طريق خراسان أيام الرشيد .

(٢) ويروي العجز : (وعزته ما نال ذلك مطلبي) .

(٣) (يروي بسماحه) بدل بنواله .

ومنه **المزاوجة** : وهي أن يُزاوَج بين معنيين[1] في الشرط والجزاء كقول البحتري :

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى أصاخت الى الواشي فلج بها الهجر[2]

---

(١) وهما معنى الشرط ومعنى الجزاء ، والمراد بالمزاوجة هنا الجمع بين هذين المعنين بمعنى ثالث يترتب على كل منهما ، فاللجاج في بيت البحتري الأول هو المعنى المرتب على كل من النهي والاصاخة في الشرط والجزاء ، والفيض في البيت الثاني مرتب على كل من الاحتراب والتذكر ، وتعريف المصنف للمزاوجة غير تام ، ولذلك لم يكن واضحاً ، ولعل الناسخ كان ماسخاً ، وقد نشأ عن ذلك توهمان :

١ً — ان المزاوجة أن يجمع بين معنين في الشرط والجزاء وهما لجاج الهوى ولجاج الهجر ،

٢ً — ان المزاوجة أن يجمع بين معنيين في الشرط ومعنيين في الجزاء ، كما فعل البحتري الذي جمع في الشرط بين نهي الناهي ولجاج الهوى ، وجمع في الجزاء بين الاصاخة ولجاج الهجر ، ولو كان هذا التوهم صادقاً لكان قولنا : « اذا زارني نديم فاعتذر الي رضيت عنه فأحسنت اليه » من المزاوجة وليس منها ، ولذلك يجب حمل كلام المصنف على المعنى الاول اذ هو المقصود من كلام أئمة البيان .

تصويب . — جاء في مواهب الفتاح لابن يعقوب «شروح التلخيص ٣١٨/٤» في الكلام على بيت البحتري ما نصه : ثم ان الضمير في — اصاخت وفي لج بها — قيل ان الأولى تذكيره فيهما ليطابق البيت ما قبله وهو قوله :

كأن الثريا علقت بجبينه وفي نحره الشعرى وفي خده البدر

بتذكير الضمائر » ؛ وجاء في حاشية الدسوقي على المختصر (الشروح ٣١٧/٤) مانصه « قوله أصاخت الى الواشي » قيل الصواب رواية ودراية : « أصاخ الى الواشي فلج=

وقوله أيضاً(١) :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

***

به الهجر » بالتذكير لان قبله : « كان الثريا . . البدر » هذا ، وقد مر بنا في شواهد مراعاة النظير ص ٤٤ بيت (كان الثريا . . .) أنه لاسيد بن عنقاء الفزاري ، وصواب عجزه « وفي خده الشعرى وفي وجهه القمر » بسكون الراء ، واذا لم يكن هذا البيت من شعر البحتري ، وليس منه ولا هو في ديوانه ، فكيف يكون قبل بيته ، وكيف نقوله ما لم يقل ، ونزعم ان خطأنا هو الصواب رواية ودراية !

ولو ان صاحب المواهب والدسوقي راجعا ديوان البحتري لعلما ان الذي قبل الشاهد :

هل العيش إلا ان تساعفنا النوى بوصل سعادٍ او يساعدنا الدهر

على انهـــا ما عندهـــا لمواصل وصال ، ولا عنهـــا لمصطبر صبر

ولما كانا قد رجحا تذكير الضمير وتغيير التعبير ....!

(١) الديوان مطبعة الجوائب ١/٥٤ .

نصوص وشواهد

على المزاوجة

أنظر هل استوفت النصوص التالية شرائط المزاوجة[1] :

بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئة . فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (البقرة ٨١) .

وانظر كذلك في الحديث التالي : من أكل فشبع ، وشرب فروي ، فقال الحمد لله الذي اطعمني فأشبعني وسقاني فأرواني ، خرج من ذنوبه كيومَ ولدته أمه (رواه أبو يعلى عن أبي موسى) .

وللشاب الظريف[2] :

اذا أسفرن فانكسرت عيون ... لهن فتكن فانكسرت قلوبُ

---

(١) تنبيه : في صفحات التدريب من هذا الكتاب قد نأتي اختباراً لفهم الطالب بنصوص وشواهد لا تنطبق على تعريف المصنف للنوع البديعي وقد يعدها أو لا يعدها منه غيره.

(٢) محمد بن العفيف التلمساني « ٦٦١ — ٦٨٨ هـ » شاعر مجيد غزل ، كان كشعراء عصره مولعاً بالبديع ، ولكنه لم يفسد عليه شعره ، وافتتن به أهل دمشق الذين « بين غمائم حياضهم ربي ، وفي كمائم رياضهم خبي » « المفصل ٢ / ٢٣٦ » . والبيت في الديوان طبع الحجر (ص / ٧) .

ولآخر يصف الساقي :

رب ساق كأنه غصن بانٍ طاب في روضة الملاحة غرسا
واذا ما بدا فاخجل بدراً لمعت كأسه فأخجل شمسا

وللسري الرفاء يصف القصين اللذين يلعب في النرد بهما (الديوان ٢١٤) :

وحكمان على النفوس وربما لم يحكما فيهن حكماً عادلا
اخوان قد وسما على متنيهما سمة تحث على البليد غوائلا
يلقاهما المسعود سعداً طالعاً ويراهما المنحوس سعداً آفلا
فاذا هما اصطحبا على كف الفتى ضراه أو نفعاه نفعا عاجلا

ولآخر في تزايد الجمال :

إذا ما بدت فازداد منها جمالها نظرتُ لها فازداد مني غرامها

ومن صدفات الغوّاص :

الا إن سعدى جنة فنعيمها سعادةُ من ترضى عليه وطيبُها
إذا أحسنت شهراً فمُنْ حبيبها أساءت له دهراً فسُر رقيبها

وبيت الصفي الحلي في المزاوجة (الديوان ٥١٠) :

ومن اذا خفت في حشري فكان له مدحي نجوتُ وكان المدح معتصمي

وبيت شيخنا الطاهر (بديع التلخيص ٢٨) :

اذا سطا في أعاديه فقرّقهم عفا فقرّقَ فيهم اجزلَ النعم

***

ومنه[1] العكس والتبديل وهو : أن يقدّم في الكلام جزء ثم يؤخر[1] ، ويقع على وجوه : منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف اليه كقول بعضهم : عادات السادات سادات العادات ؛

ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين[2] في جملتين كقوله تعالى : « يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ » . وكقول الحماسي[3] :

فردّ شعورهن السود بيضاً وردّ وجوههن البيض سودا

---

(١) اي ومن البديع المعنوي النوع المسمي بالعكس والتبديل، ويسميه الطراز: القلب ٣/٩٤ .

(٢) هذا التعريف ينطبق على (رد العجز على الصدر) وعلى مثل قولنا: «عادات السادات أشرف العادات» ولا عكس فيه، فالعبارة الدقيقة أن يقال : « هو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكس ، فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت » ، ففي مثل قولنا : « عادات السادات سادات العادات » نرى الجزء المقدم من «عادات السادات» قد عكس فأصبح المؤخر مقدما والمقدم مؤخراً : « سادات العادات » .

(١) وأدق من هذا التعبير أن يقال: « بين متعلقي عاملين » ليدخل مثل آية الانعام (٩٥) «يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي» فان « مخرج » عامل لافعل ، والحي والميت هما « المتعلقان » يخرج في كل من الجملتين : وفي الأولى قدم الحي على الميت ، وفي الثانية الميت على الحي من الآية ٣١ من سورة يونس .

(٢) هو عبد الله بن الزبير « وزن أمير » الأسدي (الحماسة : المرزوقي ٦١) ، والضمير « هن » يعود الى نسوة آل حرب في البيت السابق :

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا

والسمود الذهول ، والشاهد في وقوع العكس بين متعلقي الفعلين وهما « رد » في الشطرين : أي بين السود والبيض .

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى : « هن لباس لكم ، وانتم لباس لهن » ، وقوله : « لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » ، وقوله : « ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء » ، وقول الحسن البصري : (إن من خوفك حتى تلقى الامن خير ممن أمنك حتى تلقى الخوف) ، وقول أبي الطيب :

فلا مجدَ في الدنيا لمن قلَّ ماله ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

وقول الآخر(١) :

إن الليالي للانام مناهلٌ تُطوى وتنشر دونها الأعمارُ
فقصارهنَّ مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصارُ

---

(١) هو المتنبي على رأي بعض العلماء بالشعر ، ولم أجد البيتين في الديوان ولا في زيادات الميمني صاحب سمط اللالي ، وقد أراد الشاعر بطي الاعمار قصرها وبنشرها طولها ، وبذلك يتضح العكس .

العكس البديع . — العكس من أساليب الكلام العربي ، وفيه ايجاز وجمال ، وأجمله ما كثر استعماله ، وحسن معرضه ، وظرف الاستشهاد به ثم اشتمل على نكتة بلاغية بها يحلى بشعار البديع ، ويرى الحموي في خزانته ان العكس نوع رخيص بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع الغالية . وان البليغ ان لم يصوب عكسه بنكتة بديعة لم ينتظم في سلك البديع كقول بعضهم :

زعموا أني خؤون في الهوى في الهوى اني خؤون زعموا

ولو أراد الشاعر ان يرتجل مثله ما شاء في مجلس واحد لكان ذلك قدراً يسيراً .

ثم انظر ما اظرف قول الشاب الظريف :

حبيب القلوب اذ بت العيون حبيب العيون اذ بت القلوبا

نصوص وشواهد

على العكس أو التبديل

جاء في الكتاب المبين : « مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم (فاطر — ٢ —)

وفي الحديث : محرّم الحلال كمحلل الحرام (الطبراني) وورد فيه أيضاً : جار الدار أحق بدار الجار ،

ويروى لهرون الرشيد ، وكلام ملوك ملوك الكلام :

لساني كتوم لاسرارهم ودمعي بسري نموم مذيع
فلولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم يكن لي دموع

وللأضبط بن قُريع السعدي[1] :

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

---

(١) من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، رهط الزبرقان بن بدر، وهو شاعر جاهلي قديم، وترى الابيات في البيان ٣/١٦٩ والأمالي ١/١٠٧ ،والسمط ١/٣٢٦ والشعراء ٢٢٦ ، والمعمرين ٨٠ والاغاني ١٦/١٥٤ ، وخزانة البغدادي ٤/٥٨٩ ، والحصري ٢/٢٠٤ وتاج العروس « خدع » ، وغيرها .

ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه
لكل همّ من الهموم سَعَهْ والمسيُ والصبح لافلاحَ معه
واقنع من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نقعه
وصل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعه
ولا تهين الفقير علك ان تركع يوماً والدهر قد رفعه

وقال عمر بن الخطاب : اذا أنا لم أعلم مالم أر ، فلا رأيتُ ما علمت ؛ وكان الحسن بن سهل يكثر العطاء فقيل له : ليس في السرف خير ، فقال: ليس فى الخير سرف ؛ ولبعض البلغاء العقلاء : اني اكره للرجل أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله ، كما اكره ان يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه ؛ وقالت عربية لولدها : رزقك الله حظاً يخدمك به ذوو العقول ، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوي الحظوظ؛ وقال بعضهم: كان الناس ورقاً لاشوك فيه ، فصاروا شوكاً لاورق فيه .

وللشيخ جمال الدين بن نباتة :

مسئلة الدور جرت بين وبين من أحبْ
لولا مشيبي ما جفا لولا جفاه لم أشبْ

وللصاحب بن عباد في الزجاج والشراب :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمرُ

ولمالك بن اسماء الفزاري[1]:

وحديثٍ ألذهُ هو مما تشتهيه النفوس يوزن وزنا
منطقٌ صائب وتلحن أحيا ناً، وخير الحديث ما كان لحنا
أمغطىً مني على بصري بالحبّ أم أنتِ أكمل حسناً
واذا الدر زان حسن وجوهٍ كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدين أطيب الطيب طيباً إن تمسيه، أين مثلك، أينا؟!

وقال لابي تمام بعض حساده: لم لا تقول مايفهم؟ فقال له على الفور: لم لا تفهم مايقال!، وفي الحديث: لست من دَدٍ ولادد مني (الطبراني)، وقيل لحكيم عربي: لم تمنع من يسألك؟ فقال لئلا اسأل من يمنعني، ومن بليغ الحكمة: إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون، ولبعض ادباء العصر يصف المقيم المقعد من اضطراب النفس بقوله: وليث فلان ينزل صاعداً ويصعد نازلاً.

وللسعد التفتازاني (المطول ٤٢٤):

طويت لاحراز العلوم ونيلها رداء شبابي والجنون فنونُ
فحين تعاطيت الفنون وخضتها تبيّن لي ان الفنون جنون

---

(١) من شعراء الدولة الأموية، وفي المصارع ٢٦٣ انها له في امرأته حبيبة الأنصارية، وبعض الابيات في البيان ١/١٣٥، وفي الأمالي ١/٥ وفي السمط ١/١٥، وعزا صاحب البلدان الأبيات الى مالك في «تل بونا»، والى الوليد بن يزيد في «دير بونا»، وهو من سرعة النقل الصارفة عن الانتباه والتمحيص.

وانظر أي الآيتين أحق بالعكس : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » (الاحزاب ٣٧) ، « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلٌ يجري الى أجل مسمى ، وأن الله بما تعملون خبير » . (لقمان ٢٩) .

وقالت أعرابية لولدها : رزقك الله حظاً يخدمك به ذوو العقول ، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوي الحظوط .

وخطب الحجاج يوماً فقال : أما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء ، وكتب للاخرة البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، ولا فناء لما كتب له البقاء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، وقصّروا طول الامل بقصر الاجل !

ويحكى أن رجلاً قام الى محمد بن عبدالملك الزيات فقال : اني مظلومك ! فقال : هذا كلام يحتاج الى شهود وبينة ، واشياء غير ذلك ، فقال الرجل : أصلحك الله ! الشهود هم البينة ، والبيّنة هم الشهود ، واشياء غير ذلك حصر وعيّ ، وزيادة هي نقص في القيام بحجتك ! فضحك منه وكشف ظلامته .

ومن سيفيات المتنبي (د ع ٣٦٦) (١) :

أرى كل ذي مُلك اليك مصيرهُ ... كأنك بحر والملوك جداولُ
اذا مُطرت منهم ومنك سحائب ... فوابلهم طلٌّ وطلّك وابلُ
كريم متى استوهبت ما انت راكب ... وقد لقحت حرب فانك نازلُ

(١) اي ديوان المتنبي الذي نشره العلامة عبدالوهاب عزام .

للغوّاص اللخميّ (١) :

اذا رحل الجميل وناب عنه ثقيلٌ لا يطيب به النزولُ

فقل : يا راحلين الا نزلتم ! وقل يا نازلين متى الرحيلُ ؟

ويخطب عبد العزيز البشري في نادي القلم فيقول مرةً (المختار/٢٨) : فنحن بهذا انما نروض الادب على حكم الطبع ، ولا نروض الطبع على حكم الآداب.

وسمعت بدمشق أديباً يتحدث الى صحبه ، ويقول ، وهو لا يشعر بما حديثه الممتع من بديع العكس وعكس البديع : « فوضى منظمة خير من نظام فوضوي » ، واجتمع الظريف الدمشقي سليم شاكر بغني جميل الشارة ولكنه قبيح العبارة فقال له ساخرا : « يا احكي متل لبسك ، يا البس متل حكيك ! » .

ان اسلوب العكس جميل واخاذ ، إن لم يكن متكلفا ، وهو لا يختص بالفصحى شعراً ونثراً ، فهو في الزجل والعتابا والدوبيت والمواليا وغيرها من فنون الشعر ، واستعمال الخاصة والعامة له في الحديث ، ومجيئه عفواً بلا طلب مما يدل على انه من اساليب الكلام الفطرية . فمما رويه لنا الغواص من المواليا :

صددت عني ، ومن يقوى على صدّك ما ترد روحي ، جاوبني ، الروح في ردك (٢)

يا ظالم الناس ما تخف يا حلو ربك خدك من الورد ، ولا الورد من خدّك

---

(١) هو صاحب صدفات الغواص في مجلة الرابطة الأدبية .

(٢) في لفظة (ردك) تورية ، وفي عجز البيت الثاني عكسان يقتضيهما المعنى .

ومنه **الرجوع**[1] وهو : العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة[2] كقول زهير :

قِفْ بالديار التي لم يعفها القدم بلى ، وغيّرها الأرواح والديمُ

قيل : لما وقف على الديار تسلّطت عليه كآبة أذهلته ، فاخبر بما لم يتحقّق فقال : (لم يعفها القدم) ، ثم ثاب اليه عقله فتدارك كلامه فقال:

---

(١) ذكره بهذا الاسم ابن المعتز وابو هلال ، وغيرهما الاستدراك او الفك .

(٢) متعلق بالعود : أي إن العود لنقض الكلام السابق إنما يكون من البديع إذا كان لنكتة يروعك بها المعنى كالذهول او التحير ، والتوله او التحسر ؛ وأما إذا نبه المتكلم الى غلطه ، فرجع لابطال كلامه المتقدم ، كما لو قال : (جاء بديع ، لا بل جاء مطيع) ، فاستدرك بذلك جملته الاولى بعد أن أخبر او انتبه لغلطه ، فلا يكون قوله هذا من « البديع » لخلوه من النكتة البارعة الرائعة .

والحموي في خزانته « ٤٤٩ » يقول ما تلخيصه : هـذا « الرجوع » لايختلف عن « السلب والايجاب » ، والذي نراه انهما يأتلفان معنىً ، ويختلفان مبنىً : ذلك أن السلب والايجاب يختصان بنفي فعل وإثباته كما في بيت السموأل : « وننكر إن شئنا ... ولا ينكرون ... » ،وفي الرجوع يتم نقض الكلام بمثل : بلي ولا وكلا... ولا بد فيه من نكتة بديعية يريدها الراجع البارع بحسب ما يقتضيه المقام والبيان ، وإلا كان من السماجة بمكان !

(بلى وغيرها الارواح والديم) ، وعلى هذا بيت الحماسة[٣] :

أليس قليلًا نظرةٌ إن نظرتها إليك ؟ وكلا ، ليس منكِ قليلُ !

ونحوه : فأف لهذا الدهر ، لا ، بل لأهله ❀

* * *

(٣) هو في الحماسة « ٢/١١٨ » لابن الطثرية يزيد بن الصمة : الشاعر الغزل الرقيق الذي كان يقول : من افحم عند النساء فلينشد من شعري ، ولأخته زينب رثاء جيد فيه ، والشاهد رجوعه بكلا التي نقض بها ما في صدر البيت ، والنكتة فيه : أنه غلب عليه وجده ، فلم يقدر النظرة حق قدرها ، ثم انتبه من ذهوله فتدارك كلامه قائلا : « وكلا ، ليس منك قليل » .

نصوص وشواهد

على الرجوع والاستدراك

قال دريد بن الصمة :

عُبر الفوارسِ «١» معروف بشكته ... كافٍ اذالم يكن في كربةٍ كافي

وقد قتلت بني عبس وأخوتها ... حتى شفيت ، وهل قلبي بهشافي؟!

ومثله لغيره :

(نبئت فاضح قومه يغتابني ... عندَ الامير ، وهل عليَّ أميرُ ؟

ولم يعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام (الديوان /١٩٠) :

غدا الشيب مختطاً بفودي خطةً ... سبيل الردى منها الى النفس مهيعُ

هو الزور يجفى ، والمعاشر يجتوى ... وذو الالف يقلى ، والجديد يرقّع

له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفع !

وحلّل قطعة البحتري في الشيب واذكر مافيها من بديع البيان (د/٢/١٨٢) :

---

(٤) العبر وزان قفل : سخنة العين ، وفي حديث ام زرع « وعبر جارتها » اي ان ضرتها ترى من جمالها ما يحزنها ويبكيها ، و « عبر الفوارس » : سخنة عيونهم والذي يبكيهم بفتكاته .

في الشيب زجرٌ له لو كان ينزجرُ وبالغٌ منه ، لولا أنه حجرُ !
أبيضّ ماسودّ من فوديه وارتجعت جلية الصبح ماقد أغفل السحر
وللفتى مهلة في الحب واسعة مالم يمت في نواحي رأسه الشعر

ومنها :

اذا محاسنيَ اللاتي ادلّ بها كانت ذنوبي فقل لي : كيف اعتذر؟
عليّ نحت القوافي من معادنها وما عليّ إذا لم تفهم البقر !

وكيف ترى مطلع أبي الطيب ، وما هي نكتة رجوعه ؟

لجنية أم غادةٍ رُفع السجفُ لوحشيةٍ ، لا ، مالوحشية شنفُ

ومنها :

تفكره علمٌ ، ومنطقه حكم وباطنه دين ، وظاهره ظرف
أمات رياح اللؤم ، وهي عواصف ومغنى العلى يودي ورسم الندى يعفو
فلم نر قبل ابن الحسين أصابعا اذا ماهطلن استحيت الديم الوطف

ولبعض الكتاب : ووالله ماحقدت عليه ، بل حقدت على نفسي كيف أوقعتني في صحبة مثله ولا مللته ، على أني لاأذم مع مثله الملالة .

ولكاتب عصري الى صديقه الذي ماسلم حتى ودع ، واسمه حبيب :

« فليت حظي من قربك كان ياحبيب كلحظة العين ، بعد ذلك البين ، بلى إن ذلك القليل منك المهنّا ، لكثير — عمرك الله — لدى من كان مثلي المتيم المعنّى . . . » وقال بليغ لمناظره : ليس معك من العقل شيء ، بلى

بمقدار مايوجب الحجة عليك ! وقال غيره : قليل العلم كثير ، بل ليس من العلم قليل .

وقال حكيم عربي : وإنكم يابنيّ لاحوج الى العلم منكم الى الخبز واللحم، استغفر الله ، بل انتم الى قليل من الادب، احوج منكم الى كثير من العلم.

ومثل هذا الرجوع قول الخوارزمي في شمس المعالي قابوس :

لم يبق في الارض من شيء أهاب له ... فلم اهاب انكسار الجفن ذي السقم

استغفر الله من قولي، غلطتُ، بلى ... أهاب شمس المعالي أمة الأمم

ثم ماهي نكتة الرجوع في قول الشاعر ، وايّ لون بديعيّ آخر فيه؟

ما اكثر الناس ! لا ، بل ماأقلهم ! والله يعلم أني لم أقل فندا

اني لاغمض عيني ثم افتحها ... على كثير ولكن لاأرى أحدا !

ولابن سناء الملك :

ومليّة بالحسن يسخر وجهها ... بالبدر ، يهزأ لفظها بالقرقف

لاأرتضي بالشمس تشبيهاً لها ... والبدر بل لا اكتفي بالمكتفي

ثم ارجع الطرف الى قول الخنساء ، هل ترى من رجوع ؟

وما بلغت كف امرىء متناولاً ... من المجد إلا والذي نلت أطولُ «١»

---

(٥) الحكم على النوع البديعي قد يختلف بحسب الاعتبار ، فهذان البيتان على رأي العسكري من « السلب والايجاب » الذي عرفناه لونا من الطباق « طباق السلب » ، وفسره ابن أبي الاصبع : بأن يقصد المادح إفراد ممدوحه بصفة لايشركه فيها غيره ، فينفيها في اول كلامه ويثبتها لممدوحه . وابن حجة يراها من الرجوع .

وما بلغ المهدون للناس مدحةً وإن اطنبوا إلا الذي فيك أفضل

وأبو هلال يرى في أبيات أبي تمام (د ٤٧٥) التالية بيتاً مذموماً، فماهو، ولم لم يستحسنه ؟

ومن قامر الأيام عن ثمراتها فأحج به أن تنجلي ، ولها القمر
رضيت وهل أرضى اذا كان مسخطي من الامر مافيه رضى من له الأمر
فأشجيت أيامي بصبر حلون لي عواقبه ، والصبر مثل اسمه صبرُ

وقال ابو الطيب (د . ع ١٧٤) :

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ وحيداً، وما قولي كذا ومعي الصبر (١)
وأشجعُ مني كلَّ يوم سلامتي وما ثبتت إلا وفي نفسها أمرُ
تمرست بالآفات حتى تركتها تقول: أمات الموت ام ذُعر الدعرُ

***

(١) قال العكبري (٢ / ١٤٨) يقول : انا اقاتل الدهر واحداته وحيداً لا ناصر لي ، ثم رجع عن ذلك ، وقال: لم أقل اني وحيد والصبر معي، من كان الصبر معه لا وحدة له .

ومنه[١] التورية، وتسمى (الايهام) ايضاً، وهي أن يطلق لفظ له معنيان[٢] قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما[٣]، وهي ضربان: مجردة ومرشحة:

أما (المجردة)[٤] فهي التي لا تجامع شيئاً مما يلائم المورّى به، أعني المعنى القريب كقوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»[٥].

---

(١) أي ومن البديع المعنوي «التورية» وتسمى التخييل والتوجيه والمغالطة والتورية مشتقة من «وري الخبر» بتشديد الراء اذا جعله وراء غيره فستره واظهر سواه، والموري يستر المعنى البعيد وراء القريب.

(٢) أو أكثر، ولا بد في التورية من قرينة «خفية» على المعنى البعيد المقصود بخلاف قرينة المجاز والكناية، وتمتاز قرينة التورية عن قرينتها ايضاً بأن ليس في لفظها انتقال من احد المعنيين الى الآخر، بل بينهم كل منها من لفظه بدون علاقة بينها، ولهذا لم تكن التورية من علم البيان.

(٣) بالاعتماد على القرينة الخفية، فلو كانت ظاهرة لصار المعنى البعيد بها قريباً فخرج اللفظ عن التورية؛ كذلك الأمر إن فقدت القرينة فلم يفهم الا المعنى القريب، وقرب المعنى لكثرة استعمال اللفظ فيه، وبعده لقلة استعماله فيه، وكأن المعنى القريب لسرعة ادراكه قبل البعيد، يظهر هذا البعيد اللطيف من وراء حجاب اللفظ المشترك الشفيف بصورة الوجه المبرقع الجميل. وبهذا وحده اعتبرت التورية من «التحسين المعنوي».

(٤) فقد سميت بذلك لتجردها مما يرشح خفاءها، وهو ذكر ما يلائم المعنى القريب المورى به.

(٥) الاستواء لفظ مشترك يدل على معنيين: قريب وهو الاستقرار الحسي وبعيد وهو الاستيلاء والاستعلاء بالقدرة والتصرف، ولم يقترن به شيء مما يلائم=

وأما (المرشحة) فهي التي قُرن بها مايلائم المورّى به[1] :
إمّا « قبلها » كقوله تعالى : والسماء بنيناها بأيدٍ (أي بقوة)[2] وانا

القريب المورى به عن البعيد ، وإن قيل : ان العرش وهو السرير يلائم القريب الذي هو الجلوس والاستقرار .

واستمع لما يقوله بليغ المفسرين في كشافه « سورة طه » : لما كان الاستواء على العرش ، وهو سرير الملك ، مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا : استوى فلان على العرش . يريدون : ملك ، وإن لم يقعد على السرير البتة ... ونحوه قولك : يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة ، بمعنى أنه جواد أو بخيل ، لافرق بين العبارتين إلا فيما قلت ، حتى إن من لم يبسط يده قط بالنوال ، أو لم تكن له يد رأساً قيل فيه : يده مبسوطة : لمساواته عندهم قولهم : هو جواد ؛ ومنه قول الله : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » : أي هو بخيل ، « بل يداه مبسوطتان » : أي هو جواد من غير تصور يدٍ ولا غل ولا بسط ، والتفسير بالنعمة والتمحل للتشبيه من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام .

(١) قال البهاء السبكي في عروس الافراح « الشروح ٤/٣٢٥ » : واعلم ان التورية المرشحة هي نوع من الاستعارة المرشحة في الاصل ... والفرق بين الاستعاره المرشحة والتورية المرشحة هو ان مع الاستعارة قرينة تصرف اللفظ لها ، وتجعل المعنى البعيد قريباً ، والتورية ليست كذلك ، والغالب عليها الترشيح ، بما يبعد ارادة المجاز ، ولذلك سميت : تورية وإيهاما .

(٢) وهو المعنى البعيد ، وقد قرن بها ما يلائم القريب الذي هو « الأيدي » المحسوسة وهو قوله : « بنيناها » ، والقرينة الخفية استحالة الجارحة على الله ، هذا إن اعتبرنا أنه يريد « بأيدٍ » الجمع ، وان اعتبرنا « الأيد » مفرداً فهو بمعنى القوة رأساً ، ولا تورية به فانتبه !

لموسعون ، قيل ومنه قول الحماسيّ «١» :

فلما نأت عنا العشيرة كلها أنخنا فخالفنا السيوف على الدّهرِ
فما أسلمتنا عند يوم كريهة ولا نحن أغضينا الجفونَ على وِترِ

فان (الاغضاء) مما يلائم جفن العين لا جفن السيف ، وان كان المراد به إغماد السيوف ، لأن السيف إذا أغمد انطبق الجفن عليه ، واذا جرد انفتح للخلاء الذي بين الدفتين .

وإمّا (بعدها) كلفظ الغزالة «٢» في قول القاضي الامام أبي الفضل عياض في صيفيّة باردة :

---

(١) البيتان في الحماسة « ١٢٦/١ » ليحيى بن منصور الحنفي ، وأبو رياش يقول: هذا غلط من أبي تمام : يحيى بن منصور ذهلي ، والبيتان لموسى بن جابر الحنفي ، وكلاهما شاعر اسلامي مجيد . ومعنى البيت الأول : لما خذلتنا عشيرتنا ربيعة اكتفينا بأنفسنا ، واتخذنا السيوف حلفاء على الدهر ؛ ومعنى الثاني : فما خذلتنا السيوف في كريهة ، ولا نحن أغمدنا جفونها على ثأرٍ وحقد ، يعني أنهم ادركوا كل ثأر ؛ والتورية في البيت الثاني من ألطف تورية وقعت عفواً لمتقدم ، وما جاء كذلك يكاد الهواء يسرقه لطفا ، والهوى ينشقه ظرفا !

(٩) تطلق الغزالة على معنيين بنت الظبية والشمس ، وقد اراد بها هنا الشمس وهي المعنى البعيد ، وقرن بها ما يلائم القريب ترشيحا وهو « خرفت » ، وقد وقع هذا الملائم بعد « الغزالة » التي هي التورية ؛ ثم ذكر « الجدي والحمل » واراد بها المعنى البعيد أي البرجين : لان « الجدي » برج البردو « الحمل » برج الحر والدفء ، فكأنه نظر الى لفظ الغزالة ، وجعل ترشيحه الجدي والحمل ، وهو واقع بعده .=

كأن كانون أهدى من ملابسه لشهر تموز أنواعاً من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرّق بين الجدي والحمل

واعلم : ان (التوهم) ضربان :

ضرب يستحكم حتى يصير اعتقاداً كما في قوله :

حملناهم طراً على الدُّهم بعد ما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا(١)

والبدر بن مالك قد نظر بمصباحه الى لفظ الجدي والحمل ، وجعله تورية مرشحة بما قبلها وهو الغزالة ، كما جعل الغزالة تورية مجردة : إذ ليس قبلها ولا بعدها شيء من لوازم المورى به وهو الشمس ، وكأنه لم يعتبر « خرفت » ترشيحاً لان الخرف لايلائم الغزلان !

(١) في هذا البيت لفظ مشترك وهو « الدهم » يطلق على السود من الخيل جمع أدهم ، وهو المعنى القريب غير المراد ، كما يطلق على القيود الدهم اي السود ، وهو المعنى البعيد المورى عنه ، لانه يريد بذلك أنهم أسروهم بعد ما خلعوا عليهم حمر الملابس المرتوية بالدماء . وانما استحكم التوهم في البيت حتى كاد يكون اعتقاداً ذكر « حملناهم » قبل التورية ، لانها تقوي التوهم بان المقصود من « الدهم » سود الخيل ، ولذلك لايدرك عدم ارادته الا بطول نظر وفرط تأمل بخلاف الضرب الثاني .

(التورية المهيأة) : ويقال لمثل هذه التورية التي لاتتهيأ الا بلفظ قبلها : «المهيأة» إذ لولا ذكر « حملناهم » قبل « الدهم » لما فهم المعنى القريب المورى به وهو سود الخيل ، ولما تهيأت التورية ، ومثل هذا البيت قول ابن سناء الملك :

وسيرك فينا سيرة عمرية فروحت عن قلبي وفرجت عن كربي
وأظهرت فينا من سماتك سنةً فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالفرض والندب معناهما القريب المورى به الحكمان الشرعيان ، والبعيد الفرض=

وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ، ولكنه شيء يجري في الخاطر ، وأنت تعرف حاله كما في قول ابن الربيع :

لولا التطيُّر بالخلاف وأنهم ... قالوا : مريضٌ لا يعود مريضا
لقضيتُ نحبي في فنائك خدمة ... لا كون مندوباً قضى مفروضا(١)

بمعنى العطاء ، والندب الرجل السريع في قضاء الحوائج ، ولولا ذكر السنة قبل التورية لما تهيأت ولا فهم الحكمان الشرعيان ، ولا يدرك عدم ارادتها الا بفرط التأمل وكد الروية .

(١) وقد تهيأ التورية بلفظ بعدها كما في قول ابن الربيع ، فان « المندوب » لفظ مشترك له معنيان : البعيد الموري عنه وهو الميت الذي يناح عليه ، والقريب الحكم الشرعي ، ولولا ذكر « المفروض » بعده لما تهيأت التورية .

فهذا الضرب من التوهم لم يبلغ مبلغ الاستحكام : لان اللفظ المذكور بعد التورية « المفروض » لايستحكم به التوهم كما استحكم بلفظ «حملناهم » في بيت «الدهم» او لفظ « السنة » في شعر ابن الربيع فانها تقوي توهم الحكمين الشرعيين ، وتكاد تنسيك المعنى البعيد المقصود .

وهنالك لون ثالث من التورية « المهيأة » وهو مالا يقع الا بلفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر كقول ابن ابي ربيعة المخزومي لما تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان وهو دميم الثريا بنت عبد الله بن الحارث وهي في غاية الجمال (الاغاني ١/٢٣٤):

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان ؟
هي شامية اذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يماني

فالمعنى القريب الموري به الكوكبان ، والبعيد الموري عنه الزوجان ، فكل من لفظ الثريا وسهيل هيأ صاحبه للتورية به ، فلولا ذكر الثريا الذي هو النجم لم ينتبه السامع لسهيل ، ولولا سهيل لم ينتبه للثريا ، وكل منها صالح للتورية . =

ولا بدَّ من اعتبار هذا الاصل في كل شيء بُني على (التوهم) ،فاعلم!، وقال السكاكي : أكثر متشابهات القرآن من التورية«١».

التورية المبينة . — وهي التي يذكر فيها لازم الموري عنه ، وقد يكون هذا اللازم قبل التورية أو بعده ، وسميت « مبينة » لانها تبين المعنى البعيد بذكر لازمه، فكأنه كان من قبل خفياً فتبين به ، ومثال « اللازم القبلي» الذي يذكر قبل التورية قول الجلال السيوطي يرثي « غصوناً » أم اولاده :

يامن رآني بالهموم مطوقا وظللت في فقدي غصونا ذا شجون
أتلومني في عظم نوحي والبكا شأن المطوق أن ينوح على غصون

فالحمام المطوق وغصون الشجر هما المعنى القريب ، والمطوق بالهموم وغصون ام اولاده المعنى المراد البعيد ، واللازم قبلي في البيت الاول .

ومثال « اللازم البعدي » قول ابن سناء الملك :

أما والله لولا خوف سخطك لهان علي ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجباً وليس هما سوى قلبي وقرطك

فلفظ « الخافقين » مشترك يحتمل القرط والقلب، وهو المعنى البعيد ، وقد بينه بعده في عجز البيت الثاني ، ويحتمل المشرق والمغرب وهو القريب الموري به .

(١) تلك هي اقسام التورية الاربعة التي ذكر الجلال منها المجردة والمرشحة ، واشار في كلامه على « التوهم » الى التورية « المهيأة » ولم يصرح بها ، ولا ذكر « المبينة » بالعبارة ولا بالاشارة ، ولذلك عده ابن حجة في خزانته « ٢٩٩ » من الذين ما قدروا التورية حق قدرها ، كالصفي الحلي الذي غض الطرف عنها في بديعيته ، والذكي ابن ابي الاصبع لم يذكر نوعاً منها في تحرير التحبير ، قال الحموي: مع ان كتابه ما وضع في هذا الفن له نظير .

عصر التورية وجمالها . — في القرن السابع للهجرة منيت الامة العربية ولغتها

....

من سلطان الاعاجم بنكبات لواطم ، اضاعت سلطانها ، واضعفت لسانها ، وافسدت بيانها ، فخرب التتر بغزواتهم الوحشية مدارس العلم ، وأحرقوا نفائس الكتب وقتلوا نوابغ العلماء والادباء ، ثم استولى المماليك على مصر والشام فاستعجمت العربية في عهدهم الاعجم عصر القلق والعدوان والاضطراب والمجاعات ، بل غربة العلم والادب ، وسخنة عينها بحكم العجم على العرب .

أجل في هذا القرن الاسود ضعفت ملكة البيان العربي « وما تفلح عرب ملوكها عجم » وكثر السجاعون من الكتاب ، والمصنعون من المتشاعرين ، واشتد بهم الافتتان بتكليف البديع ، والاكثار منه ، ولا سيما التورية التي اعتبروها محك الفطنة والذكاء ، فالبديع الذي كان يأتي عفواً جميلاً في شعر الفحول من المتقدمين ، أو تذيبه قوة الطبع وملكة البيان من أمثال بشار العقيلي وكلثوم العتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وابن هرمة وابي تمام والبحتري ، أمسى هذا البديع المقبول في هذا العصر متكلفاً تمجه الاذواق والطباع ، ولا ترتفع له حجب الاسماع .

ولعل من اسباب الولوع بزخرفة الالفاظ وصناعة النقش الشعري في هذا العصر ضعف الفلسفة والعلوم الطبيعية التي بها يطلع على محاسن الطبيعة واسرار الوجود ، ولذلك أمست قرائح الأدباء قريحة لا تقوى على التوليد والابتكار ؛ وضاقت سبل المعايش على من ادركتهم حرفة الادب ، فلجأوا الى التكسب لا التأدب ، وحال الجريض دون القريض ودون استكمال آلته بالتمكن من اللغة والوقوف على أسرار بلاغتها ، واستظهار شعر الفحول من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام ، فأخذوا بأيسر الاسباب لقول الشعر ، واستعصت عليهم المعاني فهاموا بالمباني وزخرفتها ونقشها وتحليتها ، يدلك على شيء مما قاته قول ابي الحسين الجزار (٦٠١ — ٦٧٢) وهو من عشاق التورية والتصنيع في البديع :

لا تعبني بصنعة القصاب فهي أذكى من عنبر الآداب
كان فضلي على الكلاب فمذ صر ت أديباً رجوت فضل (الكلاب) =

....

لقد استهوى البديع المتكلف في هذا العصر قلوب شعرائه ، وفتنتهم محاسن التورية والاستخدام خاصة ، فلنا أن ندعوه (عصر التورية) . لان ما نظموه في الاستخدام بالنسبة الى التورية غيض من فيض ، ويدلنا على فرط الاعجاب بالتورية في هذا العصر وما قبله ، وان لم يبلغ مبلغه ، قول الزمخشري (٤٧٦ — ٥٣٨) وهو بليغ العلماء :

ولا ترى باباً في البيان أدق ولا ألطف من التورية ، ولا انفع ولا أعون على تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته منها ! ويقول الامام العلوي في طرازه (٣/٦٢) : وهذه الامور (المغالطات) كلها ، وان كانت قريبة المأخذ سهلة المدرك ليس يتعلق بها كبير بلاغة ولا عظيم فصاحة ؛ ولكنها غير خالية عن تفنن في الكلام واتساع فيه ، وتدل على تصرف بالغ وقوة على تصريف الالفاظ ، واقتدار على المعاني ، فهي غير خالية عن فن من فنون البلاغة وعلم البديع .

والصلاح الصفدي يقول (الخزانة ٢٩٦) : ومن البديع ما هو نادر الوقوع ، وهو نوع التورية والاستخدام ، فانه نوع تقف الأفهام حسرى دون غايته :

نوع يشق على الغبي وجوده من أي باب جاء يغدو مقفلا

وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل ، وافكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل ، لكنها ربما وقعت عفواً من غير قصد ، لانهم على كل حال ولاة هذا الشأن وأدلة هذا الركب . وقيل : ان أول من كشف غطاءها ، وجلا ظلمة اشكالها ابو الطيب بقوله [1] (د.ع/٤٧٢) : =

---

(١) يذكر قيام شبيب العقيلي القيسي على كافور ، وكان مع سيف الدولة وقتل في حصار دمشق سنة ٣٤٨ وقيس من عدنان واليمن من قحطان وبينهما عداء قديم ، وفارق سيف شبيب كفه بعد مصرعه وكانا لا يفترقان .

....

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وانت يمـــاني

أقول : (ومن أدلة هذا الركب) الذين سبقوا أبا الطيب الى التورية عفواً عمرو بن كلثوم والنابغة الذبياني — انظر صفحة النصوص — وغيرهما من فحول الجاهلية ، وسبقه الحسن بن هانيء ايضاً ، ثم جارى المعري المتنبي في التورية ، وإن أتى بها على تكلف ، ولم ينقطع حبل التورية من عهد المعري(—٤٤٩) حتى القاضي الفاضل (٥٢٩ — ٥٩٦) غير أنها لم تكن هدف الشاعر والناثر في مصر والشام الا في القرن السابع ، فقد بنى القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني أصول طريقته الجديدة على قواعد (الطريقة العميدية) ، وخالف ابن العميد في التمسك باذيال التورية والجناس نثراً وشعراً ، وعلى طريقته الفاضلية جرى من بعده القاضي السعيد ابن سنا الملك ، والسراج الوراق ، وابو الحسين الجزار والنصير الحمامي ، والناصر ابن النقيب ، والشمس ابن دانيال ومحي الدين بن عبد الظاهر ، ثم لبث الأدباء يعانون التورية ويتألفون نافرها حتى قام الشيخ جمال الدين بن نباتة فأهل غربتها ونشر طريقتها ، وأصبح فارس (الحلبة الفاضلية) المصرية ، وحذا حذوه الصلاح الصفدي والزين ابن الوردي والبرهان القيراطي والعز الموصلي والجلال ابن خطيب داريا .

واما (الحلبة الانصارية) الشامية فقائدها الشرف الانصاري شيخ شيوخ حماة ، وقد اقتدى به السيف ابن المشد والبدر الذهبي والمجير بن تميم والشمس ابن العفيف ومحي الدين بن قرناص الحموي ، وفارس هذه الحلبة هو الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندي الوداعي ، قال ابن حجة (الخزانة ٣٣٨) : ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة تطفل على موائد نكت الوداعي ومعانيه ، وعلى الانواع الغريبة من تواريه ، =

. . . .

نصوص وشواهد

على التورية

جاء في الكتاب المبين «١» : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ❀ إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا : خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ، ولا تُشطط واهدنا الى سواء السراط ❀ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة ، فقال : أكفلنيها ، وعزّني في الخطاب ❀ » (سورة ص ٢١ — ٢٣) .

وفي الحديث البليغ : لا يزال المنام طائراً حتى يُقصّ ، فاذا قُصّ وقع «٢» .

---

(١) وجه التورية في الآية الثالثة أن النعجة لفظ مشترك بين الحيوان والانسان فان العرب تطلق الشاة على الظبية التي تشبه المرأة بها كثيراً ، وقد ورى بالنعجة عن المرأة مراعاة لأدب التعبير بترك المجاهرة ، وهذه التورية من القسم الثالث ، وتسمى (المبينة) لتبينها المورى عنه بذكر لازمه وهو (اكفلنيها) : أي اجعلني كافلالها وقيما عليها ؛ ومعني (وعزني في الخطاب) اي غلبني في خطبة الزواج او الجدل ، وعلى ذلك يكون ذنب داود أنه خطب على خطبة (أوريا) الضابط في جيشه لتصبح نعاجه مائة ، وعلى ما في التوراة (٢ صم ١١) يرسل داود أوريا الى الحرب فيقتل ويتزوج امرأته وهي ام سليمان .

(٢) حتى يقص : اي يحدث به ، ومن البديعيين من يجعل في هذا الحديث

ومن اخبار غزاة بدر : ان النبي العربيّ كان سائراً باصحابه يقصد بدراً فلقيهم اعرابيّ فقال : ممن القوم ؟ فقال له النبيّ : من ماء؛ فأخذ الاعرابي يفكر ويقول : من ماء ، من ماء ! لينظر أيّ بطون العرب يسمى : ماء ؟ وسار النبي لوجهته . وقصد أن يكتم أمره فورّى .

وسئل ابو بكر في طريق هجرته الى يثرب عن صاحبه النبيّ فقال : رجل يهديني السبيل !

ولعمرو بن كلثوم التغلبي :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

مشعشعةً كان الحُصّ فيها اذا ما الماء خالطها سخينا«١»

توريتين مرشحتين في (طائر) و (يقص) فان الطائر واحد الطير ، وبمعنى غير المتحقق الواقع ، و (القص) يطلق على القطع والتحديث ، وفي كل من التوريتين ترشيح للمعنى المورى به ، ومنهم من يجعل في (وقع) توريةً ثالثة .

وانما تحقق التورية من هذا الحديث بمتنه — على ما يرويه البديعيون — وعبارته في كتب الحديث لا تحقق التورية بها وهي: «رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة ، وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها ، فاذا تحدث بها سقطت ، ولا يحدث بها لابيباً أو حبيباً .»: وهو حديث حسن اخرجه أبو داود (٢/٣١٧)، والترمزي (٢/٤٥) وقال : حديث حسن صحيح ، والدارمي (٢/١٢٦) ، وابن ماجه (٢/٤٥١)، والحاكم (٤/٣٩٠) وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وأحمد (٤/١٠،١١،١٢) وكلهم من طريق يعلى بن عطاء .

(١) موضع الشاهد « سخينا » فقد يكون من السخونة منصوباً على الحال، وقد يكون من السخاء وهو ما يراه ابن حجة في خزانته « ٢٩٦» يقال : سخي يسخى=

تجور بذى اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينا

وللنابغة الذبياني (الديوان ص ١٢٥) :

خيل صيامٌ وخيل غير صائمةٍ تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما «١»

ويقول أبو نواس في جنان (الديوان ٣٦١) :

ما هوىً إلا له سببُ يبتدي منه وينشعبُ

فتنت قلبي محجبة وجهها بالحسن منتقبُ «٢»

خليت والحسن تأخذه تتقي منه وتنتخب

كرضي يرضى وقد أسند الفعل الى فاعله « نا » ، وهو المعنى البعيد المورى عنه : أي جدنا بأموالنا ، قال الجوهري : وقول من قال « سخينا » من السخونة نصب على الحال فليس بشيء ، وماذهب اليه الاصمعي يؤيد الجوهري ، وقول ابن كلثوم كقول عنترة:

واذا سكرت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

(١) الازهري: الصائن من الخيل القائم على طرف حافره من الحفاء ، والصائم القائم على قوائمه الأربع من غير حفاء ، أراد بالصيام القيام وورى عن الصيام بمعنى الأمساك عن الطعام بقوله : تعلك اللجما .

(٢) الشاهد في قوله (منتقب) المشتق من النقاب وهو الخمار وهو المعنى القريب المورى به ولازمه قبله « محجبة » تلائم المنتقب ، او مشتق من النقبة وزان نكتة وهي اللون والوجه ومنه سمي نقاب المرأة لانه يستر وجهها بلون النقاب ، ومعنى « وجهها بالحسن منتقب » اي ملون بالحسن من تحت النقاب ، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه.

قال الصلاح الصفدي في (فض الختام عن التورية والاستخدام) : امتحنت ببيت ابي نواس جماعة ممن عاطيتهم كؤوس الأدب فبعضهم استخرج منه النكتة ، وبعضهم لم أجد له اليها لفتة .

صار جداً ما مزحت به ... رب جد جره اللعبُ

ويقول أبو الطيب لما أوقع بالعشائر المتمردة(د . ع١/٣١٣):

فزّهم الطراد الى قتالٍ ... أحدُّ سلاحهم فيه الفرارُ

مضوا متسابقي الأعضاء فيه ... لأرؤسهم بأرجلهم عثار

يشلهمُ بكلِّ أقبَ نهد ... لفارسه على الخيل الخيار

وكل أصمَّ يعسل جانباه ... على الكعبين منه دمٌ مُمار

يغادر كلَّ ملتفٍ إليه ... ولَبتهُ لثعلبه وِجارُ«١»

ويقول المعرّي في وصف الابل :

صلب العصا بالضرب قد دماها ... تودّ ان الله قد أفناها«٢»

---

(١) الثعلب لفظ مشترك بين الحيوان وطرف السنان ، والوجار بيت الثعلب ، فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار في طرف السنان ، وهذا نقل المعنى من مثل الى مثله .

(٢) الضرب لفظ مشترك بين الضرب بالعصا والضرب في الأرض ، كذلك « دماها » لفظ مشترك بين دماه أسال دمه، او جعله كالدمية وهي الصورة، و« افناها » من الفناء بكسر الفاء الذي يطلق على عنب الثعلب وعلى ذهاب الشيء ، والرشد والغوي نبتان ، يقال : أغواه اذا اطعمه الغوي واذا أضله ، وطلب رشداً اي نبتاً او هداية .

قال صاحب المثل السائر «٢٥٩» بعد شرح هذه الأبيات: وبعض الناس يظنها من باب اللغز ، وليس كذلك لانها تشتمل على الفاظ مشتركة ، وذلك معنى ظاهر يستخرج من دلالة اللفظ عليه ، واللغز هو الذي يستخرج من طريق الحزر والحدس ، لا من دلالة اللفظ عليه .

إذا أرادت رشداً أغواها تخاله من رقةٍ أباها

وقال البحتري (الديوان ٢/١٨٧) :

عارضتنا أصلًا فقلنا الرَّبربُ حتى اضاء الأقحوان الأشنبُ
اومضن من خلل الستور فراعنا برقان : خالٌ ما ينال وخلّبُ
ولقد نهيت الدمع يوم سُويقةٍ فأبت غوالب عبرة ما تُغلب
ووراء تسدية الوشاة مليّةٌ بالحسن تملح في القلوب وتعذب «١»
كالبدر ، إلا انها لا تجتلى والشمس ، إلا انها لا تغرب

وللقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر الجذامي «٢» :

وبطحاء من وادٍ يروقك حسنه ولا سيما إن جاد غيثٌ مبكرُ
به الفضل يبدو والربيع، وكم غدا به العيش يحيى وهو لاشك جعفر

---

(١) تعارض اللازمان في «تملح» لاحتماله ان يكون من الملوحة ولازمه (تعذب) وهو المعنى القريب ،أوان يكون من الملاحة ، ولازمه « ملية بالحسن » وهو البعيد المورى عنه ؛ فالتورية هنا « مجردة » لان اللازمين كالبينتين تعارضتا فتساقطتا ، فتعود الى الاصل وهو تجريد التورية،والتسدية في البيت بمعنى الافتراء وفي الاساس وتسدى عليه الوشاة .

(٢) من رؤساء ديوان الانشاء في المماليك البحرية، كان متعصباً للقاضي الفاضل في فن البديع ولا سيما التورية في الشعر والنثر « ٦٢٠ — ٦٩٢ هـ » . وقد وقعت التورية في البيت الثاني في (الفضل والربيع ويحي وجعفر) ، والاشتراك في كل من الأربعة جلي ظاهر .

ويقول لسان الدين بن الخطيب :

قالَ لي ، والدموع تنهلُّ سحاً في عراص من الخدود مُحول

انا جفني القريح يروي عن الاعمش والجفن منكَ عن مكحول «١»

وفي حديث عليّ أنه قال للأشعث بن قيس : « إن أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين» «٢» .

وللضياء الموصليّ في مثله السائر (٢٩٥) من كتاب إخواني له نذكر منه على سبيل المثال : (وعهدي بقلمي ، وهو يتحلى من البيان باسمائه ، وتبرز أنوار المعاني من ظلمائه ، وقد أصبحت يدي منه وهي حمّالة الحطب ، واصبح

---

(١) الاشتراك واضح في « الاعمش ومكحول » فالاعمش لفظ مشترك بين ضعيف البصر من سيلان دموعه ، وبين سليمان الاعمش التابعي المشهور الذي كان يروي ١٣٠٠ حديث ؛ وكذلك « مكحول » اسم مفعول من كحل العين ، وهو اسم فقيه الشام من حفاظ الحديث . والتورية هنا « المبينة » لانه قد ذكر فيها لازم المورى عنه وهو « يروي » .

(٢) الشمال جمع شمله وهو لفظ مشترك بين مايشتمل به ، وهو المعنى البعيد المورى عنه ، وبين اليد ضد اليمين ، وهو معناها القريب المورى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما فهم السامع معنى اليد الذي به التورية ، وتسمى هذه التورية (المهيأة) لانها لا تتهيأ ولا تستقر فيها التورية الا بلفظ « قبلها » أو « بعدها » كما في هذا الحديث الذي رواه السيوطي في عقوده بلفظ « يحوك » بدل « ينسج » كما في اللسان « شمل » ، وقد عد ابن منظور هذا القول من أحسن الألفاظ والطفها بلاغة وفصاحة .

خاطري أبا جهل بعد ان كان أبا لهب . . .)»[١]

ومن كتاب له آخر الى بعض اخوانه : (وقد علمت أن ذلك الانس بقربه يعقب إيحاشاً ، وأن تلك النهلة من لقائه تجعل الاكباد عطاشا ، فان من شيمة الدهر أن يبدل الصفو كدرا ، ويوسع أيام عقوقه طولا وأيام بره قصرا ، وما أقول إلا انه شعر بتلك المسرة المسروقة فأقام عليها حدّ القطع ، ورأى العيش فيها خفضا فازاله بعامل الرفع . . .) .

وللقاضي الفاضل في يوم شديد المطر والبرد : (والخادم في رأس جبل يتلقى الرحمة غضة قبل أن يبتذلها الناس ، ويصافح الرياح عاصفة قبل ان تقتسمها الانفاس ، ويتلقى الرعد بالرعدة ، واذا السماء انشقت استصحاها المملوك بالسجدة . . .) .

والقاضي محي الدين بن عبدالظاهر من اتباع القاضي الفاضل يقول في

---

(١) ويعلق ابن الاثير على أسلوبه المتكلف هذا بعبارته ، وهو يتمايل عجبا على عادته : « فانظر ايها المتأمل الى مافيه من التورية اللطيفة ، الا ترى أن الخاطر يحمد فيوصف بأنه وقاد ملتهب ، ويذم فيوصف بأنه بليد وجاهل ، وابو لهب وابو جهل هما الرجلان المعروفان ، وكذلك حمالة الحطب ، هي المرأة المعروفة ؛ واذا ذم القلم قيل انه حطب ، وان صاحبه حاطب ، فلما نقلت أنا هذا المعنى جئت به على حكم المغالطة ووريت فيه تورية ، والمسلك الى مثل هذه المعاني عسر جداً ، ولاجرم ان الاجادة فيها قليلة .

وعلى الطالب أن يتأمل وحده مافي الرسائل التالية من تورية وغيرها من البديع .

رسالة له : (حرس الله نعمة مولاي ، ولا زالت كلم السعد من اسمه وفعله وحرف قلمه يأتلف ، ومنادى جوده لا يرخم ، واحمد عيشه لا ينصرف ، ولا عدم مستوصل الرزق من يراعته التي لا تقف الوصل . ولا عدمت سُخاة الجود من نواله كل موزون ومعدود، ومن فضله وظله كل مقصور وممدود . . .) .

وللصلاح الصفدى في الجامع الاموي بدمشق :

دمشق لها منظر رائق ... وكلٌّ الى وصلها تائقُ
وكيف تقاس بها بلدة ... أبى الله والجامع الفارق[١]

وللبدر الذهبي :

وروضة دولابها ... الى الغصون قد شكا
من حين ضاع زهرها ... دار عليه وبكى[٢]

ولابن نباتة المصريّ في السهم وسطرا من متنزهات دمشق :

قالوا : اما في جلق نزهةٌ ... تنسيك ما انت به مُغرى
ياعاذلي ، دونك من لحظه ... سهما ، ومن عارضه سطرا[٣]

---

(١) لفظ (الفارق) ترشيح للمعنى القريب . وهو الجامع بين الشيئين، والمعنى الموري عنه هو الجامع الاموي .

(٢) ولفظ « دار عليه » ترشيح للفظة « ضاع » الى المعنى الموري به بمعنى فاح

(٣) ولفظ « نزهة » في البيت الأول قبل « السهم وسطرا » مبين ان المراد بها المتنزهان المعروفان ، وهو المعنى الموري عنه، والقريب الموري به هو سهم اللحظ=

وللعلاء بن غانم في حماة :

حماة في بهجتها جنة وهي من الغم لنا جُنة «١» !
لاتيأسوا من رحمة الله قد ابصرتم العاصي في الجنة

ولابن خطيب داريا في حمص :

جزيرة حمص كعبة الحسن اصبحت يطوف بها دانٍ ويسعى لها قاصي
لها حلة من نبتها سندسية تعلق في اذيال استارها العاصي «٢»

ومن لطائف الجمال بن نباتة قوله :

تزوج الشيخ ابي شيخة ليس لها عقلٌ ولا ذهنُ
لو برزت صورتها في الدجى ما جسرت تبصرها الجن
كأنها في نومها رمة وشعرها من حولها قطن
وقائلٍ قد قال ماسنها ؟ فقلت : ما في فمها سن !

ومن (صدفات الغواص) في التورية :

بروحي مفنٍ يهز القلوب بألحان اصواته في الاغاني

وسطر العارض . وهذه التورية « المهيأة » ، ولا تزال العامة تقول « سطرا مقرا » لبعض متنزهات دمشق ، وهما كما في ياقوت من قرى دمشق ، وفيها يقول عرقلة :

سقى الله من سطرا ومقرا منازلاً بهـا للندامى نضرة وسرور

(١) ذكر الرحمة اولاً ترشيح لمعنى « العاصي » الموري به من العصيان ، والمعنى الآخر الموري عنه لم يرشح له وهو نهر « العاصي » ، فالتورية هنا « المرشحة » بما قبلها.

(٢) وذكر التعلق بأذيال الكعبة على سبيل الاستعارة ترشيح للعاصي من العصيان ؛ فالتورية هنا « مرشحة » باقترانها بما يلائم الموري به قبلها كما بيناه آنفاً .

خبيرٌ بمزج فنون الغناء وضرب المثالث تلو المثاني
بعشاقه إن شدا في الحجا ز يسري الهيام الى اصبهان
معاني البيان لألحانه والحانه لبيان المعاني

وسأل استاذ جماعة من الطلبة المشتغلين عليه عن قول الشاعر :

يا ايها الحبر الذي علم العروض به امتزج
ابن لنا دائرة فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة، ثم قال هذا في الدولاب (الناعورة) لانه اراد بالبسيط الماء وبالهزج صوته حال دورانه ، فقال له الاستاذ : صدقت الا انك درت في الدولاب زماناً حتى ظهرت لك التورية !

وللزين بن الوردى (الخزانة (٣٤٢) في ربوة دمشق :

دمشق قل ماشئت في وصفها واحكِ عن الربوة ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الدف والجنكِ !

ولله در الصفيّ الحلي ، وان لم يحلّ بديعيته بالتورية :

اقول وطرف النرجس الغض شاخص إليّ ، وللنمام حوليَ إلمامُ
ايا ربّ حتى في الحدائق أعينٌ عليّ ، وحتى في الرياحين نمام !

❀❀❀

ومنه الاستخدام «١»، وهو : أن يُراد بلفظٍ له معنيان «٢» أحدهما ، ثم بضميره معناه الآخر ،أو يراد بأحد ضميريه أحدُهما ، وبالآخر الآخرُ :

ف (الأول)«٣» كقوله :

إذا نزل السماء بأرضِ قومٍ رعيناهُ ، وإن كانوا غِضابا

أراد بالسماء الغيث ، وبضميرها النبت .

---

(١) سمي بذلك لان اللفظ فيه قد خدم لمعنيين، ويسمى «الاستخذام والاستحذام» والخذم والحذم بمعنى القطع ومنه سيف مخذم وحذم بمعنى قاطع: لان الضمير منقطع عما يستحق أن يعود له من المعنى وجعل لغيره .

(٢) حقيقيان أو مجازيان و أحدهما حقيقي والآخر مجازي ، وقد يكون الاستخدام بلفظ له عدة معان ، وتجد هذين اللونين من الاستخدام في شعر ابن الوردي المثبت في صفحة النصوص والشواهد .

(٣) وهو ان يراد باللفظ احد المعنيين ، وبضميره معناه الآخر . وهذا البيت نسبه الضبي في مفضلياته « التقدم / ٧٤ » لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء من قصيدة طويلة أولها :

أجد القلب من سلمى اجتنابا وأقصر بعد ما شابت وشابا

وغالب شراح التلخيص نسبوا هذا البيت لجرير ، على انه لم يوجد في قصيدة له على اختلاف رواة ديوانه ، وقد اراد بلفظ « السماء » الغيث وبضمير « رعيناه » النبت ، وكلا المعنيين مجازي .

و (الثاني) كقول البحتري :

فسقى الغضا والساكنيه وان هم ... شبّوه بين جوانح وضلوع «١»

---

(١) هكذا يروى البيت في جميع نسخ المصنف ومعظم الحواشي والرواية الصحيحة (. . . بين جوانح وقلوب) لأنه من قصيدة في ديوانه « الجوائب ١/١١٣ » تمدح ابن نيبخت مطلعها :

كم بالكثيب من اعتراض كثيب ... وقوام غصن في الثياب رطيب

والشاهد في ضمير « الساكنيه » المجرور الذي اراد به مكان الغضا، وفي ضمير (شبوه) المنصوب، وقد اراد به نار شجر الغضا، وهو من اشد نيران البادية احتداما ودواما، وكلا المعنيين مجازي أيضاً .

الاستخدام الاظهاري. — يمكننا ان نسمي هذا النوع من الاستخدام بالضمائر « الاستخدام الاضماري » وهو مذهب الخطيب في ايضاحه واصحاب البديعيات ، والاستخدام الاظهاري مذهب ابن مالك وهو : أن يأتي المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين «اشتراكا أصلياً» ويكون متوسطاً بين قرينتين، او متقدماً عليها، او متأخراً عنها ، وان يستخدم كل قرينة منها في معنى من معني ذلك للفظ المشترك كما جاء في سورة الرعد ٣٩ : (لكل أجل « كتاب » يمحو الله ما يشاء ويثبت) ، فان لفظة « كتاب » تحتمل الاجل المحتوم والكتاب المكتوب ، وقد توسطت بين لفظي أجل ويمحو ، فاستخدمت احد مفهوميها « الامد » بقرينة « الاجل »، واستخدمت المفهوم الآخر « الكتاب المكتوب » بقرينة يمحو .

واشتراط « الاشتراك اللفظي » في مذهب ابن مالك يخرج من الاستخدام بيت البحتري (فسقى الغضا . . .) فان الاشتراك في لفظ « الغضا » ليس بأصلي لان احد المعنيين منقول من الآخر ، والغضا في الحقيقة الشجر ، وسموا الوادي غضا=

أراد بضمير (الغضا) في قوله (والساكنيه) المكان ، وفي قوله : (شبوه) الشجر .

***

لكثرة نبته فيه ، وقالوا جمر الغضا لقوة ناره ، فكل منقول من اصل واحد .

والشهاب الخفاجي في طرازه « ٢٧٢ » يذكر ان للاستخدام أقساماً أخر لم ينبه البديعيون اليها ، منها ان يكون بالتمييز من غير ضمير كقوله: «اخت الغزالة إشراقا وملتفتاً» ، وهذا يعود الى الاستخدام الظاهري،ومنها ان يكون بالاستثناء كقوله:

أبداً حديثي ليس بالمنسوخ إلا بالدفاتر

ومنها ان يكون باسم الاشارة كقوله :

اخت الغزالة في جيد بغير حلى وتلك قد طلعت من نور طلعتها

ومنها ان يكون باسم ظاهر أقيم مقام الضمير كقول ابن صاعد وقدقطع عنه كسوة كانت له عليه :

وإذا شئت ان تصالح بشا ر بن برد فاطرح عليه اباه !

الفرق بين التورية والاستخدام. —أن التورية يراد بها احد المعنيين والاستخدام يراد به كلاهما .

نصوص وشواهد

على الاستخدام

جاء في الكتاب المبين : شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم (الشهرَ) فليصمهُ «١» ومن كان مريضاً ، او على سفر فعدةٌ من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسرَ ولا يريد بكم العسرَ ، ولتكملوا العدةَ ، ولتكبروا الله على ماهداكم ، ولعلكم تشكرون ❀ (البقرة/١٨٥) .

وللمعريّ يرثي فقيهاً حنفياً (التنوير١/٢١٢) :

قصد الدهر من أبي حمزة الأوّاب مولى حجىً وخدنَ اقتصادِ

---

(١) الشاهد فيه على تفسير علماء البلاغة وبعض المفسرين : أنه اريد اولاً ب « الشهر » الهلال ثم اعيد عليه الضمير اخيراً بمعنى رمضان ، وكانت العرب تعبر عن الهلال بالشهر ، ويرده انهم لايقولون : شهد الهلال بل رآه ، وفي اللسان : « معناه من شهد منكم المصر في الشهر » اي كان مقيماً غير مسافر ، وعلى هذا التفسير لاشاهد في الآية ، وهو ما نرجحه ونؤيده .

لطيفة . — ويقول السيوطي في شرح عقوده : قد تتبعت الأحاديث لأجد فيها مثالاً للاستخدام ، فلم أجد الا حديث « صلوا ركعتي الضحى بسورتيها الشمس و « ضحاها » والضحى . رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث عقبة ، فأعاد الضمير على الركعتين باعتبار الضحاءين .

وفقيهاً أفكاره شدن للنعمان مالم يشده شعر زياد«١»
وخطيباً لو قام بين وحوش علّم الضاريات برّ النِقاد
راوياً للحديث لم يُحوج المعروف من صدقه الى الاسناد
أنفق العمر ناسكا يطلب العلم بكشفٍ عن أصله وانتقاد

وللامير ابي الفتح الحصن بن أبي حصينة المعري مستخدماً لفظة الغضا:

أما والذي حجّ الملبون بيته فمن ساجد للّهِ فيه وراكعِ
لقد جرعتني كأس بين مريرةٍ من البعد سلمى بين تلك الاجارع
وحلت بأكناف الغضا فكأنما حشت ناره بين الحشا والاضالعِ

ومن الاستخدام«٢»:

دع الهوينا وانتصب واكتسب واكدح فنفس المرء كدّاحهْ
وكن عن الراحة في معزلٍ فالصفع موجود مع الراحهْ

وقد جمع ابن الوردي الاستخدامين في قوله:

---

(١) الشاهد في هذا البيت «النعمان» فانه يحتمل أبا حنيفة، وابن المنذر ملك الحيرة، وهو متوسط بين قرينتين وهما «فقيهاً» الذي يخدم الأول، و «شعر زياد» الذي يخدم الثاني، والمراد بزياد النابغة الذبياني.

(٢) الاستخدام هنا باعادة الظاهر مراداً به معنى غير ما اريد باطلاقه الأول، فقد ذكر «الراحة» اولاً مراداً بها الدعة، وثانياً مراداً بها بطن الكف.

ورب غزالة طلعت بقلبي وهو مرعاها
نصبت لها شبا كأمن نضار ثم صدناها «١»
وقالت لي وقد صرنا الى عين قصدناها
بذلت العين فاكحلها بطلعتها ومجراها

ولابن معتوق الشهاب الموسوي (الديوان ٢٦) :

تالله ما ذكر العقيق وأهله إلا واجراه الغرام بمحجري
لولاه ماذابت فرائد عبرتي بعد الجمود بحر نار تذكرى
كم قد صحبت به من ابناء الظبا سرباً ومن أسد الشرى من معشر

ومن شواهد الاستخدام الظاهري قوله «٢» :

وللغزالة شيء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسبُ

وقول الجمال بن نباتة «٣» :

حويت ريقاً (نباتياً) حلا فغدا ينظم الدر عقداً من ثناياكِ

---

(١) الغزالة تطلق في هذين البيتين على الظبية والشمس ورشحها بما يلائمها بالقرائن والضمائر ، والعين تطلق في البيتين بعدهما على الذهب والباصرة والجارية ، والمراد بضمير « اكحلها » الباصرة ، وبضمير « طلعتها » الشمس ، وبضمير « مجراها » الجارية .

(٢) ومنها قوله :

« طاوي الحشا تستحي لديه غزالة الارض والسماء »

(٣) لفظة « نباتي » يحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر ، وقد توسطت بين الريق وحلاوته ، وبين النظم والدر والعقد ، فاستخدمت احد=

وقد تقوم الاشارة مقام الضمير كما في قوله«١»:

أيا قمراً في شمس وجنته لنا ... وظل عذاريه الضحى والاصائل

تنقلت من (طرف لقلب) مع الهوى ... و (هاتيك) للبدر المنير منازلُ

وللشهاب المنصوري«٢»:

ما أحسن النجم على ❀ سمائه ونهره ! بنُوره وزُهره ❀ ونَوره وزَهره

ولابي الحسين الجزار يمدح موسى بن يغمور«٣»:

لما توالى حلمه قلنا له ... مما رأينا انت موسى الكاظمُ

مفهومي لفظة «نباتي»، وهو السكر النباتي بذكر الريق والحلاوة، واستخدمت المفهوم الآخر، وهو الشاعر النباتي بذكر النظم والدر والعقد، وليس في جانب المفهومين إشكال.

(١) فانه قد ذكر «الطرف والقلب» ولهما معنيان: الجارحتان المعلومتان ومنزلتا القمر، فذكر لفظها وأراد به الجارحتين، وأشار اليها بقوله: «وهاتيك» واراد بها منزلتي القمر.

(٢) النجم لفظ مشترك بين الكوكب والنبت، واعاد الضميرين من «بنوره وزهره» بضم النون والزاي الى الكوكب، فالزهر هنا جمع أزهر يوصف النجم به، واعاد الضميرين من «ونوره وزهره» وهما بفتح النون والزاي الى النبت، والمعنى ظاهر.

(٣) لان «قاسم» مشترك بين قاسم (العلم) وهو اسم أبي دلف، وبين قاسم (الصفة) اسم الفاعل من قسم، فخدم المعنى الاول بقوله (حبيب) لانه اسم أبي تمام شاعر ابي دلف، وخدم الثاني وهو اسم الفاعل بقوله (للرزق).

إني وإن كنت (حبيباً) عنده فانه (للرزق) عندي قاسم

ومن الصدفات :

على خده الورديّ خالٌ رجوته لإرواء قلبٍ لم يُجده حيا الخالِ

لبثت شجياً ، وهو خالٍ من الضنى وشتان ما المضنى أخو الشجو والخالي

ولامير الشعراء شوقي يخاطب ربه :

العقل أنت عقلته وسرحته وأحرت فيك دليله وأرحته

آتيته الحجر الاصم ونحته والنجم يعبد فوقه او تحته «١»

ومن الاستخدام المنثور في الدعاء :

أقرّ الله عين الامير ، وكفاه شرها وأجرى له عذبها ، واكثر لديه تبرها !

***

(١) كذلك « النجم » في عجز البيت الثاني مشترك بين الكوكب والنبات ، وقد اعاد اليه الضمير الأول من « فوقه » الى المعنى الاول اي الكوكب، واعاد الضمير الثاني من « تحته » الى المعنى الثاني وهو النبات .

ومنه«١» **اللف والنشر**، وهو: ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال، ثم مالكل واحد«٢» من غير تعيين، ثقة بان السامع يرده اليه:

فـ (الأول)«٣» ضربان: لأن (النشر) إما على ترتيب (اللف)«٤» كقوله تعالى: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا

---

(١) ومن المعنوي نوع اللف والنشر، وبعضهم يسميه الطي والنشر.

(٢) اي ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد، من غير ان يعين ماله على وجه التخصيص، وذلك للوثوق بفهم السامع الذي يرد ما لكل من آحاد هذا المتعدد الى ما هو له لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية نحوه «رايت الشخصين ضاحكاً وعابساً» أو المعنوية نحو: «لقيت الصاحب والعدو فاكرمت واهنت».

تنبيه. — ويفهم من ذلك ان «اللف» هو ان يذكر المتعدد اولاً على وجه التفصيل او الاجمال، وأن «النشر» هو ان يذكر ثانياً ما لكل واحد من آحاد ذلك المتعدد؛ ووجه تسمية الأول «لفاً» او طياً انه التف على حكمه وانطوى عليه من غير تصريح به، ثم لما صرح به في الثاني، فكأنه نشر ما كان ملتفاً ومطوياً، فلذا سمي «نشراً» كما في شاهد ابن الرومي الآتي.

(٣) وهو ما ذكر المتعدد فيه على وجه التفصيل.

(٤) بان يكون الأول من المتعدد في النشر، للاول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني وهلم جرا. والشاهد في الآية انه ذكر الليل والنهار ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه بانقطاع الحركات، ومناسبته لليل ظاهرة، وما للنهار وهو الابتغاء من فضل الله فيه أي طلب الرزق فيه، ومناسبته للنهار ظاهرة ايضاً.

حل اشكال. — فان قيل: لايصح التمثيل بالآية على اللف والنشر: لأنه يشترط فيه «عدم التعيين» والضمير المجرور من «لتسكنوا فيه» عائد الى الليل بالتعيين، ويجاب على ذلك بان هذا الضمير يحتمل ان يعود الى كل من الليل والنهار وبهذا الاعتبار يتحقق عدم التعيين.

فيه ولتبتغوا من فضله » ، وقول ابن حيوس«١» :

فعل المدامِ ولونها ومذاقها في مقلتيهِ ووجنتيهِ وريقهِ

وقول ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات ـ اذا دجونَ ـ نجومُ
فيها معالم للهدى ، ومصابحٌ تجلو الدّجى. والاخريات رجوم«٢»

وإما على غير ترتيب«٣» كقول ابن حيّوس :

كيف أسلو وأنت حقفٌ وغصن وغزالٌ لحظاً وقداً وردفا

وقول الفرزدق«٤» :

لقد خنتَ قوماً لو لجأتَ اليهم طريدَ دَمٍ ،أو حاملا ثقلَ مَغرم

---

(١) وقبله : ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كأسه الملأى وعن إبريقه .

(٢) ويقال ايضاً : ليس في قول ابن الرومي شاهد على اللف والنشر : لانه يشترط في النشر الا يكون فيه تعيين فرد لفرد من افراد اللف ، وهذا فيه تعيين الأخير للأخير بقوله : « والاخريات رجوم » فيكون من التقسيم الآتي لا من اللف والنشر .

(٣) وغير المرتب قسمان : إما « معكوس الترتيب » كما في بيت ابن حيوس : فان اللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف « بكسر الحاء» وهو النقا من الرمل المستدير ، يشبه الردف به لحسن استدارته ؛ واما « مختلط الترتيب » كما لو قلت لك : هو شمس وليث غاب وبحر من عرفنا بأساً وحسناً وجوداً

(٤) الديوان ٧٤٩ : والفرزدق يهجو هبيرة بن ضمضم الذي قتل القعقاع ابن عوف بن زرارة، والشاهد في قوله : « معطيا أو مطاعنا » فان الأول يرجع لقوله « حاملا » ، والثاني لقوله « طريد دم » .

لا ألفيتَ فيهم معطياً أومطاعناً وراءكَ شزراً بالوشيجِ المقوَّمِ

و (الثاني)«١» كقوله تعالى: «وقالوا لن يدخل الجنةَ إلا من كان هوداً أو نصارى» فان الضمير في (قالوا)«٢» لاهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً «٣» والنصارى: لن يدخل الجنة الا من كان نصارى. فلفّ بين القولين ثقةً بأن السامع يرد الى كل فريق قوله، وأمنا من الالتباس. لما علم من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه«٤».

***

---

(١) وهو ان يكون ذكر المتعدد على وجه الاجمال.

(٢) وهو الواو العائد إلى الفريقين، وبذلك يكون قد ذكرهما بالضمير العائد اليهما على وجه الاجمال ثم ذكر ما لكل منهما.

(٣) هود جمع هائد كعائذ وعوذ.

(٤) لاعتقاد كل فريق انه هو داخل الجنة لا الآخر، والمراد بالفريقين يهود المدينة ونصارى نجران، وقد وحد اسم كان، وهو الضمير المستتر فيها، وجمع خبرها مراعاةً للفظ «من» اسم الموصول ومعناه.

والبهاء السبكي لايرى هذه الآية من اللف والنشر في شيء، وإنما المراد نسبة هذا القول بجملته الى اليهود والنصارى، غير انه اجمال وتفصيل.

نصوص وشواهد

على اللف والنشر

جاء في الكتاب المبين : ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من من فضله ، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ❀ (الروم ٢٣) .

وجاء في الكتاب المبين أيضاً : يوم تبيضّ وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودّت وجوههم : أكفرتم بعد ايمانكم ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ❀ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم خالدون ❀ (آل عمران ١٠٦) .

وفي الحديث : « . . . فان المرء بين يومين : يوم مضى أحصي فيه عمله فختم عليه ، ويوم قد بقي لايدري لعله لايصل اليه » .

ولابي فراس الحمداني (ديوان الدهان ٣/٣٦٨) :

وشادنٍ قال لى لما رأى سقمي وضعف جسمي والدمع الذي انسجما
أخذتَ دمعك من خدي وجسمك من
خصري ، وسقمك من طرفي الذي سقما

ولحمدة بنت زياد الاندلسية (— نحو ٦٠٠هـ) :

ولما أبى الواشون الافراقَنا وما لهمُ عندي وعندك من ثأرِ

وشنوا على اسماعنا كل غارة وقلّ حماتي عند ذلك وانصاري
غزوناهم من ناظريك وادمعي وأنفاسنا: بالسيف والسيل والنار

ولابن شرف القيرواني:

جاور علياً ولا تحفل بحادثة اذا ادّرعت فلا تسأل عن الاسلِ
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل!

وللجمال بن نباتة:

لاتخف عيلة ولا تخش فقراً يا كثير المحاسن المختالهْ
لك عين وقامة في البرايا تلك غزّالة وذي عسّالة

وله: له قلب ولي دمع عليه فهذا قاسيون وذا يزيدُ

ولابن نباتة المصري:

سألته عن قومه فانثنى يعجب من إسراف دمعي السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى فقال: ذا خالي وهذا اخي!

ومن غراميات البهاء زهير:

ولي فيك قلب بالغرام مقيدٌ له خبر يرويه طرفي مطلقا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره أعلل قلبي بالعذيب وبالنقا

وللحسن بن علي البدري (- ١٢١٤هـ)

عيونٌ واصداغ وفرعٌ وقامة وخالٌ ووجنات وفَرق ومرشفُ
سيوف وريحان وليل وبانة ومسك وياقوت وصبح وقرقف

وتباروا في مثل هذا الشعر المصنوع فقال أبو جعفر الغرناطي:

ملك يجيء بخمسةٍ من خمسة لقي الحسود بها فمات لما به
من وجهه ووقاره وجواده وحسامه بيديه يوم ضرابه
قمر على رضوى تسيربه الصبا والبرق يلمع من خلال سحابه

وللنجم البارزيّ بين سبعة وسبعة :

يقطع بالسكين بطيخة ضحىً على طبق في مجلس لا صاحبهْ
كبدر ببرقٍ شق شمساً أهله لدى هالة في الافق بين كواكبه

ولابن جابر الاندلسي بين ١٢ و ١٢، وقد بلغ الغاية من تعسف التكلف «١»:

فروع سناً قدّ كلام فمٍ لمىً حلى عنق ثغر شذا مقلة خدُّ
دجي قمر غصن جنى حاتم طلى نجوم رشادرٌّ صبا نرجس وردُ

وأما اصحاب البديعيات فأجود ماقالوه للصفيّ الحليّ :

وجدي حنيني أنيني فكرتي ولهي منهم اليهم عليهم فيهم بهم

***

(١) قال ابن حجة في خزانته (٨٤) : وجل القصد ان يكون اللف والنشر في بيت واحد خالياً من الحشو وعقادة التركيب، جامعاً بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة.

ومنه الجمع ، وهو : أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد . كقوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، وقول الشاعر«١» :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

ومنه قول محمد بن وهيب«٢» :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر

ونحوه قوله«٣» :

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين

أنت ، إذا جدت ، ضاحك أبداً وهو ، اذا جاد ، دامع العين

---

(١) البيت لأبي العتاهية من ارجوزته المزدوجة التي سماها (ذات الأمثال)، يقال ان فيها ٤٠٠٠ مثل .

وقبله : من جعل النمام عينا هلكا مبلغك الشر كباغيه لكا ومنها :

ما انتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله

(٢) الحميري البغدادي، شاعر مطبوع يعد وسطا بين شعراء طبقته كدعبل وابي تمام.

بداعة الجمع : يرى البهاء السبكي في عروسه: أن بداعة هذا الجمع يشترط فيها الاخبار عن متعدد بمفرد يصدق على الجميع لكونه مصدراً او نحوه ، فان (زينه) و (مفسدة) كذلك ، وإلا فمجرد الجمع بين متعدد بعطف او تثنية او بجمع من غير ان يكونا من نوعين متباعدين غير متناسبين أي بديع فيه ؟

(١) هو الوأواء الدمشقي الشاعر المطبوع (— نحو ٣٨٥ هـ)

نصوص و شواهد

على الجمع

جاء في الكتاب المبين : واعلموا أنما اموالكم واولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم . (الانفال ٣٨) .

وجاء فيه : « ياايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . (المائدة ٩٠) .

وجاء في الحديث ؛ من أصبح آمنا في سربه معافىً في بدنه وعنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (البخاري والترمذي وابن ماجه).

وكان يقال : أطبع الناس بالشعر : بشار والسيد الحميريّ وابو العتاهية وما قدر أحد قطّ على جمع شعر هؤلآء الثلاثة بأسره لكثرته .

ويقول ذو الرمة ، وهل قوله هذا من الجمع ؟

وليل كجلباب العروس أدرعته بأربعة ، والشخص في العين واحدُ
أهمّ علافيٌّ وأبيض صارم وأعيس مهريّ واروعُ ماجد

ولابن الرومي ، واين مر الاستشهاد بقوله :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات ، إذا دجون ، نجومُ
فيها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوم

وللخفاجي الاندلسي (الديوان ٧٣) :

تعلقته ريان من خمر ريقه له رشفها دوني ، ولي دونه السكرُ
ترقرق ماء مقلتايَ ووجهه ويذكي على قلبي ووجنته الجمر
أرق نسيبي فيه رقة حسنه فلم ادر ايّ منهما قبلها السحر
وطبنا معاً ثغراً وشعراً كانما له منطقي ثغر ، ولي ثغره شعر

وقال النميري :

راحتي في مقالة العذّالِ وشفائي في قولهم : لاتغالي
لايطيب الهوى ولا يحسن الحب لشخصٍ إلا بخمس خصالِ
بسماع الاذى، وعذل نصوح وعتاب وكاشح وتقالي

ويقول آخر :

ثلاثة تنفي عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن

***

ومنه **التفريق**«١» ، وهو ايقاع تباين«٢» بين امرين من نوعٍ واحد في المدح«٣» أو غيره كقوله«٤» :

مانوال الغمام وقتَ ربيع كنوال الأمير يومَ سخاء
فنوال الأمير بدرةُ عين ونوال الغمامِ قطرةُ ماء«٥»

---

(١) أي ايجاد الفرق بين المتشابهين .

(٢) وليس المراد بالتباين المنطقي ، وهو اختلاف الماصدقات والمفهوم كتباين المثلث والدائرة مثلا ، وانما المراد الافتراق بين امرين مشتركين في نوع كنوال الغمام ونوال الأمير في الشاهد، فان النوع الجامع بينهما مطلق نوال،قال البهاء السبكي: وكان ينبغي أن يفسر هذا بايقاع عدم التشابه بين المتشابهين لا بايقاع التباين .

(٣) الظرف متعلق بالمصدر (ايقاع): اي ايقاع التباين في المدح وغيره كالغزل والهجاء والرثاء ، ومثال الغزل قول البدر ابن النحوية :

حسبت جماله بدراً منيراً وابن البدر من ذاك الجمال

اذ فرق بين جمال محبوبه وجمال البدر،مع كونهما من نوع واحد،وهو مطلق جمال.

(٤) البيتان لمحمد بن ابراهيم الانصاري الشهير بالوطواط،مؤلف«غرر الخصائص الواضحة» وغيره « — ٧١٨ هـ » .

(٥) البدرة بفتح الباء وتجمع على بدر بكسرها وفتح الدال ، ولا نظير لهذا الجمع في اللغة الا بضعة وبضع وهضبة وهضب ، تطلق على كيس دراهم ملء جلد السخلة اذا فطمت ، بقطع النظر عن تقديرها بعشرة آلاف او سبعة او خمسة .

نصوص وشواهد

على التفريق

جاء في الكتاب المبين : وما يستوي البحران : هذا عذبٌ فرات سائغٌ شرابهُ، وهذا ملح أجاجٌ، ومن كلٍ تأكلون لحماً طرياً، وتستخرجون حلية تلبسونها، وترى الفلكَ فيه مَواخرَ لتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون (فاطر ١٢).

ولمهيار الديلمي (الديوان ٣/١٦٦) :

لكن لمياء على ضنها ترخص في الاحلام لي كل غال
ترى فاما هي، أو راقني شبه لها، او سر عيني مثال
حتى اذا الليل قضى ماقضى خفت مع الفجر خطاها الثقال
أبكي وتبكي غير أن الأسى دموعه غير دموع الدلال
ظلٌ من العيش نعمنا به لكنه ظل مع الصبح زالْ !

ولبعضهم: من قاس جدواك يوماً بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطي وتبكي وانت تعطي وتضحك

وللبديع الهمذاني مع زيادة المعنى والمبالغة في الغلو :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن ، والشمس لو نطقت
والليث لو لم يصد ، والبحر لو عذبا

ولابن اللبانة في المعتمد على الله بن عباد :

سألت اخاه البحر عنه فقال لي شقيقي إلاّ أنه البارد العذبُ
لنا ديمتا ماء ومال : فديمتي تماسك احيانا وديمتـه سكبُ
اذا نشأت بريةً فله الندى وإن نشأت بحريةً فلي السحبُ

وما اعذب قول بعضهم :

ورد الخدود أرقّ من ورد الرياض وانعمُ
هذاك تنشقو الأنو ف ، وذا يقبله الفمُ

* * *

ومنه **التقسيم**، وهو: ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل «١» اليه على التعيين كقول أبي تمام «٢»:

فما هو إلاّ الوحيُ، أوحدُّ مرهفٍ ... تميل ظباه أخدعي كل مائلِ «٣»

فهذا دواء الداء من كلّ عالمٍ ... وهذا دواء الداء من كل جاهلِ

وقول الآخر «٤»:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عيرُ الحي والوتدُ

---

(١) أي ما لكل من افراده اليه، وبقيد الاضافة والتعيين يخرج اللف والنشر

(٢) الديوان ٢٤٧، وقبلها:

« وعادات نصر لم تزل تستعيدها ... عصابة حق في عصابة باطل »

(٣) الضمير من « فما هو ... » يعود الى الحق، أي لايحق الحق الا بالوحي او السيف، واسم الاشارة الاول يعود الى الوحي. والثاني الى السيف، ولا تعيين في هذا الشاهد: لأن فهم السامع يرد الاشارتين الى التعدد الذي يسبقها، فهو من قبيل « اللف والنشر » الذي لاتعيين فيه.

(٤) هو المتلمس جرير بن عبد المسيح الضبعي خال طرفة؛ و « هذا » في البيت الثاني عير الحي المربوط، و « ذا » هو الوتد المشجوج، وفي هذين البيتين ذكر « متعدداً » وهما العير اي الحمار والوتد، ثم اضاف الى الاول الربط، والى الثاني الشج وهو الدق على التعيين، فما هو من اللف والنشر بل من التقسيم كما حققه السعد في مختصره ومطوله، وغاية التحقيق ما قرره العصام في أطوله « ص ٢٠١ » إذ يقول: « ولا يخفى ان هذا وذا، وان كانا لايتعينان لشيء مما اشير اليه، لكن الحكم المذكور مع كل منهما قرينة على انه اشارة الى المعين، فان الربط يلائم العير والشج الوتد، فبهذا اندفع ان الاضافة في هذا البيت على غير تعيين.

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

وقال السكاكي : هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو اكثر ، ثم تضيف إلى كل واحد من اجزائه ماهو له عندك كقوله«١» :

أديبان في بلخ لا يأكلان إذا صحبا المرء غير الكبد

فهذا طويل كظل القناة وهذا قصير كظل الوتد

وهذا يقتضي أن يكون (التقسيم) أعمّ من اللف والنشر«٢» .

---

(١) لبعض شعراء العجم ، وأكل الكبد إما كناية عن الغيبة وسوء العشرة أو وصف للاديبين بخسة المأكل ، وليس في اسمي الاشارة تعيين ، فالشاهد ينطبق على اللف والنشر أيضاً .

(٢) ترك السكاكي في مفتاحه من تعريفه هذا قيد التعين ، فتوهم المصنف أن التقسيم عنده أعم من اللف والنشر ، مع أن قول السكاكي « ثم تضيف الى كل واحد ... » قد أغناه عن هذا القيد ، ذلك ان الاضافة نسبة كل واحد الى صاحبه فهي مقتضية للتعيين من المتكلم ؛ وعلى هذا يكون ذكر المصنف للتعيين بعد الاضافة تأكيداً ، وليس في اللف والنشر اضافة ما لكل اليه على التعيين ، بل ذكر ما لكل اعتماداً على القرائن التي تهدي السامع الى صحة الاضافة والتوزيع ، وهو مايراه السعد في مختصره ، وفي مطوله يقول : فليتأمل فانه دقيق .

نصوص وشواهد

على انواع التقسيم *

جاء في الكتاب المبين : هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعا «١» ، وينشىء السحاب الثقال ❀ (الرعد ١٢) .

وجاء فيه : (يا ايها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين ، أعزةٍ على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (المائدة ٥٤) .

وجاء في الحديث : ليس لك من مالك إلا ما اكلت فأفنيت ، او

---

* عبارات أهل البديع في التقسيم أنواع ثلاثة ترجع الى مقصود واحد ، ذكر المصنف هنا النوع الاول وهو ذكر متعدد ثم اضافة مالكل اليه على التعيين ، ثم ذكر بعد « الجمع مع التفريق والتقسيم » النوع الثاني ، والثالث استيفاء أقسام الشيء بالذكر ، وكان من حقه أن يذكرهما بعد الاول ، ولذلك جعلنا « النصوص والشواهد » هنا للأنواع الثلاثة .

(١) قال ابو الهلال في صناعتيه « ٣٣٠ » : وهذا أحسن تقسيم : لان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ليس فيهم ثالث .

او لبست فأبليت ، أو تصدقت فابقيت .

ومنه قول علي : أنعم على من شئت تكن أميره ، وأستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره .

وقال أعرابي لبعضهم: النعم ثلاث: نعمة في حال كونها، ونعمة ترجى مستقبلة ، ونعمة تأتي غير محتسبة ، فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترتجيه ، وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

وقال زهير ابن أبي سلمى (د ٧٣) :

وان الحق مقطعه ثلاث يمين او نفار او جلاء[1]

فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء

ويقول الشماخ (د ١٢) يشبه فرسه بحمار وحشي أحقب[2] :

كأني كسوت الرحل احقب ناشطا من اللاء ما بين الجناب ويأجج

أقبّ ترى عهد الفلاة بجسمه كعهد الصناع بالجديل المحملج

متى ما تقع ارساغه مطمئنةً على حجر يرفضّ او يتدحرج[3]

ومن النوع الثالث لبشار يمدح عمر بن هبيرة :

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

---

(١) كان عمر يعجب بهذا البيت ويقول : لو ادركت زهراً لوليته القضاء لمعرفته . (٢) هو الذي في مكان الحقب منه بياض .

(٣) الوطء الشديد اذا صادف الموطوء رخواً ارفض منه « تكسر » ، أو صلباً تدحرج عنه ، وهذه الشواهد على النوع الثالث من التقسيم .

بعثنا لهم موت الفجاءة إننا بنو الموت خفاق علينا سبائبه
فراحوا فريق في الاسار ومثله قتيل ، ومثل لاذ بالبحر هاربه

وللصلاح الصفدي (من الأول) :

وثلاثة كلفوا بحب ثلاثة فاعجب لايهم اشد واكلفا
كلفي بحبك اذا كلفت بجفوتي وبعذلنا كلف العذول وأسرفا
لا عاذلي يدع الملام ، ولا انا أدع الغرام، وانت لاتدع الجفا

وقال ابو الفتيان ابن حيّوس[1] مهنئاً ومعزياً (الثاني) :

كفى الدين عزاً ماقضاه لك الدهرُ فمن كان ذا نذر فقدوجب النذرُ
غزانا بيؤسى لا يماثلها الاسى تُقارب نعمى لا يقوم بها الشكر
ثمانيـة لم تفترق مذ جمعتهـا فلا افترقت ماذبّ عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى ، وكفك والندى ولفظك والمعني، وسيفك والنصر

وللشرف عمر بن الفارض (الثاني) :

يقولون لي : صفها فانت بوصفها خبير ، أجل عندي بأوصافها علمُ
صفاء ولا ماء، ولطف ولا هوىً ونور ولا نار . وروح ولاجسم

ومن النوع الأول قوله :

فتى قسم الايام بين سيوفه وبينَ طريفات المكارم والتّلدِ
فسوّد يوماً بالعجاج وبالردى وبيّض يوماً بالفضائل والمجد

---

(١) من قصيدة يهني بها نصر بن محمود المرداسي بتوليه الحكم بعد ابيه (ترجمته ص ٢٧).

ومن الثالث قول الحاركي :

فلا كمدي يفنى ولا لك رقة ولا عنك اقصار، ولا فيك مطمعُ

وللحسام التبريزي في الشباب (من الثاني) :

وناطقة بأفواه ثمان تميل بعقل ذى اللب العفيفِ

لكل فم لسان مستعار يخالف بين تقطيع الحروف

تخاطبنا بلفظ لا يعيه سوى من كان ذا طبع لطيف

فضيحة عاشق وندیم راع وعزة موكبٍ ومدام صوفي

❀❀❀

ومنه الجمع مع التفريق «١» ، وهو : أن يُدخل «٢» شيئان في معنى واحد، ويفرق بين جهتي الأدخال كقوله «٣» :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرّها

شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار ، وفرّق بين وجهي المشابهة، ومنه قوله تعالى :

« وجعلنا الليل والنهار آيتين: فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة «٤» »

---

(١) اورد كلمة « مع » اشارة الى ان المحسن — بكسر السين — هو اجتماعها، وكذا يقال فيما يأتي وانما لم يذكر اجتماع المحسنات الاخر بعضها مع بعض كالطباق مع المقابلة ، لما بين الجمع والتفريق من المقابلة ، واجتماعها موجب لحسن زائد على كل واحد منها « عبد الحكيم » .

(٢) الفعل مبني على المفعول و « شيئان » نائب الفاعل ، ومراده : ان يجمع بين شيئين فأكثر في معنى كالمشابهة بالنار ثم يفرق بين جهتي الادخال أي وجهي الشبه كالضوء في الوجه والحر في القلب .

(٣) أي الوطواط الذي مر التعريف به ، وفي الأطول : ولو قيل : فوجهك وقلبي كالنار في ضوئها وحرها لكان جمعاً مع التفريق ولفاً ونشراً .

(٤) وتمام الآية : لتبتغوا فضلاً من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلناه تفصيلا . « اسراء ١٢ » ، والمعنى الجامع بين الليل والنهار كونهما آيتين ثم فرق بينهما .

نصوص وشواهد

على الجمع مع التفريق

جاء في العربي المبين : الله يتوفى الانفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها : فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (الزمر ٤٢) .

وقال مروان بن ابي حفصة (١٠٥ — ١٨١ هـ) :

تشابه يوماه علينا فأشكلاه ... فما نحن ندري أي يوميه أفضلُ ؟
أيوم نداه الغمرُ أم يوم بأسه ... وما منهما الا أغر محجّلُ

وقال البحتري (١/١١٥) :

ولما التقينا ، والنقا موعد لنا ... تعجب رائي الدرحسناً ولاقطهْ
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامتها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

ويقول أبو الطيب (د . ع ٥٠٦) :

الحزن يقلق والتجمل يردعُ ... والدمع بينهما عصيٌّ طيعُ
يتنازعان ، دموع عين مسهد ... هذا يجيء بها ، وهذا يرجع

وللببغاء المخزومي (— ٣٩٨) :

أوليس من احدى العجائب أنني ... فارقته ، وحييت بعد فراقهِ
يامن يحاكي البدر عند تمامه ... إرحمْ فتى يحكيه عند محاقه

ومنه الجمع مع التقسيم وهو جمع متعدد «١» تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه ، فالأول «٢» كقول أبي الطيب :

حتى أقام على أرباض خرشنةٍ تشقى به الروم والصلبانُ والبيعُ
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

جمع في البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الاجمال حيث قال : (تشقى به الروم) ثم قسم في الثاني وفصله ، والثاني «٣» كقول حسان :

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم أو حاولوا النفعَ في اشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق ـ فاعلم ـ شرّها البدعُ

---

(١) والمتعدد في بيت المتنبي « الروم » لانه جمع بين النساء والرجال والولد والمال والزرع ، تحت حكم وهو هنا شقاء الروم بالممدوح على سبيل الاجمال ، ثم قسم هذا الحكم فأضاف منه ما لكل متعدد اليه كما يطلق هذا النوع على العكس أي على تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم .

(٢) فالأول اي الجمع ثم التقسيم ، والشاهد في الديوان « د. ع/٣٠١ » ، وقبله:

قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم ، وأدنى سيرها سرع
لا يعتقي بلد مسراه عن بلد كالموت ليس له ري ولا شبع

و(على) من قوله « على الشكيم » بمعنى مع ، و« السرع » مصدر سرع كضخم . وقد جمع في البيت الأول شقاء الروم بالممدوح ، ثم قسم وفصل في الثاني فقال : للسبي والقتل والنهب والنار ، وعبر باسم الموصول « ما » دون « من » ليفيد انهم من غير ذوي العقول اهانة وازدراء .

(٣) اي التقسيم ثم الجمع ، واستشهد له بقول حسان بن ثابت « ديوان البرقوقي ٢٤٨ » .

قسم في البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرّ الاعداء، ونفع الاولياء، ثم جمعها في البيت الثاني حيث قال : (سجية تلك . . .) ، ومن لطيف هذا الضرب[١] قول الآخر :

لو أن ما أنتم فيه يدوم لكم ظننت ما أنا فيه دائماً أبدا
لكن رأيت الليالي غير تاركة ماسرّ من حادث أو ساء مطردا
فقد سكنت إلى أني وأنكم سنستجدُّ خلاف الحالتين غدا

فقوله : (خلاف الحالتين) جمع لما قسم لطيف، وقد زاد لطفاً بحسن ما بناه عليه من قوله : (فقد سكنت إلى أني وأنكم) .

---

(١) اي التقسيم مع الجمع ، ويريد بقوله « ما أنتم فيه ... » حسن الحال، وبقوله « ما أنا فيه » سوء حاله ، وظهر قوله « خلاف الحالتين » جمعاً لطيفاً لحسن ايجازه ولطف بيانه .

نصوص و شواهد

على الجمع مع التقسيم

جاء في الذكر الحكيم من الجمع التقديري مع التقسيم[1] : يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً ❀ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطاً مستقيما ❀ (النساء ١٧٤ و ١٧٥) .

قال حسان بن ثابت يهجو بني الحماس (د ٢٢٦ برقوقي) :

أما الحماسُ فاني غير شاتمهم ... لاهم كرامٌ ولا عرضي لهم خطرُ

ان سابقوا سبقوا ، أو نافروا نفروا ... أو كاثروا أحداً من غيرهم كثروا

تلقى الحماسيَّ لا يمنعك حرمته ... شبهَ النبيط إذا استعبدتهم صبروا

ولأبي طالب المأموني في طست الشمع (— ٣٨٣ هـ) :

وحديقةٍ تهتز فيها روضة ... لم ينمها ثوبٌ ولا أمطارُ

فصعيدها صفر ، ونامي غصنها ... شمع ، وما قد أثمرته نارُ

ولابي فراس الحمداني (ديوان الدهان ٣/٣٤١) :

انا اذا اشتد الزما ... ن ونابَ خطب وادلهمْ

---

(٢) كان هذا الجمع تقديرياً لانه ذكر جزاء المؤمن ولم يذكر جزاء الكافر.

الفيت حول بيوتنا عُدد الشجاعة والكرم
للقا العدى بيض السيو ف وللندى حمر النعم
هذا وهـذا دأبنا يودى دم ، ويراق دم

ولثقة الدولة علي بن محمد الانباري (٤٧٥—٥٤٩ هـ)[1] :

أرى بدرين قد طلعا على غصنين في نسقِ
وفي ثوبين قد صبغا صباغَ الخد والحدقِ
فهذا الشمس في شفقٍ وهذا البدر في غسقِ

وللخالديّ :

في وجهه كل ريحان تراح له منا قلوب وأبصار وتهواهُ
النرجس الغض عيناه ، وطرته بنفسج ، وجنيّ الورد خدّاه

ومن اللطائف المأثورة أن الشهاب القوصي كان عند الملك الاشرف فدخل سعد الدين الطبيب ، فقال الملك للشهاب : ماتقول في سعد هذا؟ فقال : يامولانا هذا السعد أبو السعود بأنواعها : فهو في مجلسكم سعد السعود ، وفي السماط سعد بلع ، وفي خيمة المضافة سعد الاخبية ، وعند المرضى سعد الذابح !

***

(١) جعلها صاحب المعاهد شاهداً على الجمع مع التفريق ، والنابلسي في نفحاته على الجمع مع التقسيم ، فمن أي النوعين هي ؟

ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم «١» كقوله تعالى: « يوم يأتي لا تكلم نفس إلا باذنه ، فمنهم شقي وسعيد ❀ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ❀ خالدين فيها مادامت السموات والأرض، إلا ماشاء ربك، إن ربك فعال لما يريد ❀ وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السمواتُ والارض ، إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ ❀ » اما (الجمع) ففي قوله : (يوم يأتي لا تكلم نفسٌ الا باذنه) ، فان قوله (نفس) متعدد معنىً : لان النكرة في سياق النفي تعم ؛ وأما (التفريق) ففي قوله : (فمنهم شقي وسعيد) ، واما (التقسيم) ففي قوله : فاما الذين شقوا . . .) الى آخر الآية الثانية «٢» ، وقول ابن شرف القيرواني :

لمختافي الحاجات جمعٌ بيابه فهذا له فنٌ وهذا له فنٌ «٣»

---

(١) هذه التسمية تجمع الانواع الثلاثة المتقدمة ولذلك، لم يتعرض لتعريف هذا النوع المعنوي، واكتفي بشاهده من سورة هود « ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ »، وفي الآية الأولى « يوم يأتي » أي امر الله ، يتعلق الظرف بمحذوف تقديره اذكر .

(٢) وبتأمل هذه الآيات نرى أن « الجمع » في الآية الأولى قد وقع في قوله : « لا تكلم نفس » ذلك أن كلمة نفس فكرة جاءت بعد نفي لا تكلم ، والنكرة في سياق النفي تعم ، وذلك دال على جمع الانفس في الحكم بعدم التكلم الا باذن الله ؛ أما « التفريق » لذلك المجموع ، فقد تم بأن جعل منه الشقي والسعيد ، وتم « التقسيم » بأن اضيف لفريق الهناء ما له من الخلود في النعيم ، ولفريق الشقاء ما له من الخلود في الجحيم .

(٣) الجمع في صدر هذا البيت ، والتفريق في عجزه ، والتقسيم في البيت الثاني

فللخامل العُليا، وللمعدم الغنى وللمذنب العُتبى وللخائف الأمن

وقد يطلق التقسيم على أمرين : (أحدهما) أن يذكر أحوال الشيء مضافاً الى كل حالٍ مايليق بها«١»، كقول أبي الطيب :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخٍ كأنهم من طول ماالتثموا مُردُ

ثقالٌ اذا لاقوا، خفافٌ اذا دعوا كثيرٌ اذا شدوا قليلٌ اذا عدوا«٢»

وقوله أيضاً«٣» :

بدت قمراً، ومالت خوط بانٍ وفاحت عنبراً، ورنت غزالا

ونحوه قول الآخر«٤» :

سفرن بدوراً، وانتقبن أهلةً ومسن غصوناً، والتفتن جآذرا

---

(١) وهذا التقسيم يغاير التقسيم السابق الذي لا يذكر فيه المتعدد أولاً، بل يذكر كل واحد من التعدد ما يليق به .

(٢) ذكر المتنبي في بيتيه « د. ع / ١٨٣ » أحوال المشايخ من الثقل والخفة والقلة والكثرة، وأضاف لكل حال ماياسبها . فاضاف للثقل حالة الملاقاة، والى الخفة حالة الدعوة، والى الكثرة حالة الشد، والى القلة حالة العد، ويزيد في جمال هذا التقسيم ما اشتمل عليه من المطابقة بذكر القلة والكثرة والخفة والثقل :

(٣) أي قول أبي الطيب في « د. ع / ١٢٩ »، والمنصوبات فيه أسماء وضعت موضع الحال على التشبيه، والشاهد في ذكره لأحوال المحبوبة من البدو والميل والفوح والرنو، ثم في اضافته الى كل حال ماياسبها .

(٤) هو أبو قاسم علي بن اسحق الزاهي: شاعر بغدادي وصاف كثير الملح، أكثر شعره في مديح البيت النبوي، ومدح سيف الدولة والوزير المهلبي وغيرهما=

و (الثاني)«١» : استيفاء أقسام الشيء بالذكر كقوله تعالى«٢» : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » . وقوله : « يهب لمن يشاء اناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، او يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما » ، ومنه : ماحكي عن أعرابي وقف على حلقة الحسن ، فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، او آسى من كفاف ، او آثر من قوت ، فقال الحسن : ماترك لاحدٍ عذرا . ومثاله من الشعر قول زهير«٣» :

واعلم علم اليوم والامس قبله ولكنني عن مافي غدٍ عمي

« ٣١٨ — ٣٥٢ هـ » ، وبعد هذا البيت في الصفحة ٢٣٣ من الجزء الأول من البتيمة « بتحقيق محي الدين عبد الحميد » :

وأطلعن في الأجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وقد احتذى في شاهده مثال المتنبي : « بدت قمراً . . . » ، ولذلك يقال في هذا ما قيل في ذاك .

(١) من الأمرين اللذين ليسا من التقسيم السابق ، وهذا التعريف هو المفهوم للتقسيم .

(٢) الآية الأولى (فاطر ٣٢) في تقسيم احوال العباد: منهم المقصر والمعتدل والسابق ولارابع لهم، والآية الثانية والثالثة (الشورى ٤٩ و ٥٠) في تقسيم الانسان باعتبار الولادة : إما ان يكون له ولد، او ذكر او أنثى، أو ذكر وأنثى وقد استوفتا هذه الاقسام.

(٣) قد استوفى تقسيم ما يعلمه في اليوم والامس والغد مع السلاسة والجمال.

وقول طريح «١»:

ان يعلموا الخير يخفوه، وان علموا شراً أذاعوا، وان لم يعلموا كذبوا

وقول أبي تمام في الافشين لما أحرق «٢»:

صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع النجارِ

وقول نصيب «٣»:

فقال فريقُ القوم: لا، وفريقهم نعمْ، وفريقٌ: ليمين الله ماندري

فانه ليس في اقسام الاجابة غير ماذكر. وقول الآخر «٤»:

فهبها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار، أو من غيبة المقابرُ

---

(١) هو طريح بن اسماعيل الثقفي (— نحو ١٧٠ هـ) شاعر الوليد بن يزيد الاموي وخليله، وقد استوفى بيته تقسيم احوال اعدائه.

(٢) في بيت ابي تمام (الديوان ١٥٣) قسمة مستوفاة لحاله مع النار، وكان الافشين متهما بعبادة النار والتآمر على الدولة العباسية وقد احرق في سامراء «—٢٢٦هـ»، وقبله:

لله من نار رأيت ضياءها ضاق الفضاء به على النظار

مشبوبة رفعت لاعظم مشترك ما كان يرفع ضوءها للساري

(٣) هو ابن رباح البدوي ابو محجن شاعر فحل مقدم في النسيب والمديح، واخباره مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبدالملك والفرزدق وغيرهم: الارشاد ٢١٢/٧ والاغاني، والمغني ٩٢/١ والصناعتين ٣٣٠، ونقد الشعر لقدامة ٧٨.

(٤) هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي، والشاهد في ديوانه ص ٢٠٢ وقبله

يقول عتيق اذ شكوت صبابتي وبين داء من فؤادي مخامر

فان كنت علقت الرباب فلا تكن أحاديث من يبدو ومن هو حاضر

أمت حبها واجعل قديم وصالها وعشرتها أمثال من لا تعاشر

وقال صاحب العمدة (٢١/٢) بعد ان ذكر الشاهد: فلم يبق مما يعبر به عن انسان مفقود إلا أتى به في هذا البيت.

نصوص وشواهد

على الجمع مع التفريق والتقسيم

جاء في الكتاب المبين«١»: هو الذي أنزل عليك الكتابَ منه آياتٌ محكمات هنّ أمُّ الكتاب، وأخر متشابهاتٌ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله الا الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كلٌّ من عند ربنا، وما يذكر الا أولو الالباب ❀ (آل عمران ٧).

وقال حكيم عربي«٢»: العدل رعاية الحقوق للخالق والمخلوق، فللخالق

---

(١) علق الطيبي في تبيانه على هذه الآية بقوله: فالجمع (الكتاب)، والتفريق «آيات محكمات واخر متشابهات» والتقسيم «فاما الذين... الآية»، فلا بد من جعل «والراسخون ...» قسما له، لان التقسيم خاص.

و «التبيان في المعاني والبيان» كتاب مفيد ينقل البلاغيون عنه، وهو بخط صديقنا العلامة أبو يسار الشيخ محمد بهجة البيطار، وقد وعدته بنشره يوم اعارني مخطوطته، وذلك إن أعان الرحمن وسمح الزمان.

(٢) فقد جمع بقوله «العدل رعاية الحقوق ...» وفرق بقوله «فللخالق حق وللمخلوق حق» ثم قسم بقوله «أما حق .. واما حق ...» الى آخر قوله الحكيم.

بديع التقسيم: التقسيم اسلوب طبيعي من اساليب البيان لاحتياج الانسان=

حق والمخلوق حق ، اما حق الخالق فقضاؤه الرضا بقضائه واكرام اوليائه ، واما حق المخلوق فمنه ، وهو أولاه بالرعاية ، حق نفسك. وقضاؤه تعهدها بما يصلحها ويحسم مواد الادواء عنها ؛ ومنه حق الناس ، وقضاؤه عمومتهم بالمودة ثم تخصيص كل منهم بالتوقير والتفضيل والصلة ؛ ومنه حق السلطان ، وقضاؤه تعريفه ماخفي عليه من منفعة رعية وجهاد عدو وعمارة بلد وسدّ ثغر .

لنا إبل كومٌ يضيق بها الفضا ويفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها ان يستباح دماؤنا ومن دوننا ان يستباح دماؤها

بطبعه اليه في احاديثه ، وقد يجيء التقسيم في شعر الكلام ونثره عفواً بتسلل الفكر فيكون جميلا ، ويجيء بالاستكراه والتكلف فتمجه الاذن ويأباه الطبع الصحيح ، وقد رأيناه في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام جميلاً مقبولا لجمعه بين صحة التقسيم واستيفاء الاقسام ، ثم اخذ البديعيون ، بعد مفارقة عمود الشعر يتفننون في تنويعه فكان الجمع والتفريق والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم ، والجمع مع التقسيم مع الجمع ، مما يدعو الى تشابه الأنواع وإشكالها ، فان كنت ترى ان الشاهد الواحد لدى بعض البديعيين من الجمع مع التفريق ، وعند غيره من الجمع مع التقسيم ، فكيف لايكون تنويع التقسيم صعباً على طلاب الآداب !

وبحسب الاديب المطبوع ان يعرف نوع الجمع والتقسيم الحسن وحده . وان يفرق بين صحيح التقسيم ورديئه كما يفرق بين المطبوع الجميل والمتكلف المزخرف البعيد عن الجمال ، قال ابو هلال: واجود الكلام ما كان جزلا سهلا لاينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه ، ولا يكون مكدودا مستكرها ومتوعراً متقعراً .

حمىً وقرى فالموت دون مرامها وايسر خطب يوم حق فناؤها

ولابن نباتة :

وكم لليل عندي من نجوم جمعت النثر منها في نظامِ
عتاباً او نسيباً او مديحاً لخل أو حبيبٍ أو همامِ

ولطريح الثقفي وهل يعد بيته من هذا النوع ؟

إن يعلموا الخير يخفوه، وإن علموا شراً أذاعوا ،وان لم يعلموا كذبوا

ومن بديعية الصفي الحلي، وهل اشتمل بيتاه على نوع واحد ؟

أبادهم : فلبيت المال ماجمعوا والروح للسيف والاجساد للرخمِ
سناه كالبرق يخلو كلّ مظلمة والعزم كالنار يفني كلّ مجترمِ

***

ومنه«١» التجريد ، وهو : ان يُنتزع من أمر ذي صفة أمرٌ «٢» آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغةً في كمالها فيه«٣» ، وهو أقسام«٤» :

---

(١) اي ومن البديع المعنوي التجريد ، وهو لغة : التقشير والتعرية من الثياب وانتضاء السيف، والمعنى الأخير يناسب معنى « التجريد » البديعي ، وكان ابو علي الفارسي يطلق « التجريد » على هذا الاسلوب البديع .

(٢) نائب فاعل « ينتزع » المبني للمجهول ، وتعريف التجريد هذا لايشمل بظاهره نحو « لقيت من زيد وعمرو أسدين » ولا « لقيت من زيد أسدين أو أسودا» فالأولى أن يقال : « من أمر ذي صفة أو أكثر ، أمر آخر أو اكثر مثله » : (الأطول ص٢٠٤ « دار الطباعة العامرة) .

(٣) فيه : « أي في ذلك الأمر حتى بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة ، ولو قلت : « لقيت من فلان أسداً» للتهكم ، كما تقول للجبان : « ما أشبهه بالأسد » ! لايصح فيه أنه انتزع منه مبالغةً لكمالها فيه ، بل مبالغة لنقصانها فيه ، فيلزم خروجه عن تعريف التجريد ، إلا أن يتكلف بأنه لأجل المبالغة في الكمال تهكما . » أي على سبيل التهكم ، كما في الاطول ايضاً ص ٢٠٤ .

(٤) واقسام التجريد التي اشار المصنف لها ولا مثلها سبعة تظهر لك في الجدول التالي :

التجريد
- ١ — بحرف
  - من الباء
    - ٣ — داخلة على المنتزع منه
    - في
      - ٤ — داخلة على المنتزع
- ٢ — بدون حرف
  - ٥ — لاعلى وجه الكناية
  - على وجه الكناية
    - ٦ — انتزاع من غير المتكلم
    - ٧ — انتزاع من المتكلم نفسه

منها : نحو قولهم : لي من فلان صديق حميم «١» : اي بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يُستخلص منه صديق آخر ،

ومنها : نحو قولهم : لئن سألت فلاناً لتسألنَّ به البحر «٢» ،

ومنها : نحو قول الشاعر :

وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى

بمستلئمٍ مثلِ الفنيقِ المرحّلِ «٣»

اي تعدو بي ، ومعي من نفسي لكمال استعدادها للحرب ، (مستلئم) اي لابس لأمةً ، ومنها : نحو قوله تعالى : « لهم فيها «٤» دار الخلد » : فان جهنم أعاذنا الله منها هي دار الخلد ، لكن انتزع منها مثلُها ، وجعل «٥» مُعداً فيها للكفار تهويلًا لامرها .

---

(١) مثال للتجريد بحرف « من » الداخلة على المنتزع منه .

(٢) مثال للتجريد بالباء الداخلة على المنتزع منه .

(٣) مثال للتجريد بالباء الداخلة على المنتزع ، ولم نعثر على قائل هذا البيت الذي يصف به فرسه ، يقال : « فرس شوهاء » أي رحبة الشدقين والمنخرين ؛ وهي صفة محمودة في الخيل ، والصارخ المستغيث ؛ والفنيق الفحل المكرم من الابل ، والمرحل الذي وضع رحله عليه ، ففي اللسان : وابل مرحلة عليها رحالها ، والمعنى : تعدو بي الشوهاء ، ومعي من نفسي لابس درع لكمال استعدادي للحرب فبالغ في الاستعداد حتى انتزع منه مستعداً آخر لابس درع .

(٤) أي في جهنم و « في » هنا للظرفية .

(٥) أي وجعل مثلها معداً .

ومنها قول الحماسي«١»:

فلئن بقيتُ لارحلن بغزوةٍ تحوي الغنائم، اويموتَ كريمُ

وعليه قراءة من قرأ: «فاذا انشقت السماء فكانت وردةٌ كالدهان» بالرفع. بمعنى فحصلت سماء وردة، وقيل: تقدير الاول: أو يموت مني والثاني: فكانت منه وردة كالدهان، وفيه نظر«٢»؟

ومنها نحو قوله«٣»:

ياخير من ركب المطيَّ ولا يشرب كأساً بكفِّ من بخلا

---

(١) من شعراء الحماسة، وهو قتادة بن مسلمة الحنفي، ويروي «نحو الغنائم» بدل «تحوي ...» و«أو» من «أو يموت كريم» بمعنى «إلا ان»، والشاهد من مقطوعة في الحماسة «١/٣٢٥» عدد أبياتها ١٢، وقبله:

لما التقى الصفان واختلف القنا والخيل في نقع العجاج أزوم
يمت كبشهم بطعنة فيصل فهوى لحر الوجه وهو دميم

(٢) لحصول التجريد مع تمام المعنى، فلا حاجة الى مثل هذا التقدير.

(٣) أي الأعشى «د ١٥٧»، وكان أصل التجريد في العجز: «ويشرب كأسا بكف الجواد»، ولكنه عبر عنه بأسلوب الكناية: لأن الذي لايشرب بكف البخيل يشرب بكف الجواد، وفي «الجواد» التجريد لأنه انتزع من المخاطب الممدوح جواداً آخر يشرب بكفه.

وقد استشهد الطيبي في تبيانه بهذا الشاهد، ثم قال: إنه «ليس من التجريد في شيء، وانما هو كناية عن ان الممدوح ليس ببخيل.» اقول: وفي قول الطيبي نظر، لان الكناية لاتنافي التجريد فيجوز ان يجتمعا في عبارة واحدة؛ وبيت الأعشى شاهد على القسم السادس من التجريد: بدون حرف، وعلى وجه الكناية الانتزاع من غير المتكلم.

ونحوه قول الآخر «١»:

إن تلقني لاترى غيري بناظرةٍ تنسَ السلاحَ وتعرفْ جبهة الاسدِ !

ومنها: مخاطبة الانسان نفسه كقول الاعشى:

ودع هريرةَ إن الركبَ مرتحلُ وهل تطيق وداعاً ايها الرجلُ

وقول أبي الطيب «٢»:

لاخيل عندك تهديها ولا مالُ فليسعد النطقُ ان لم تسعد الحالُ

---

(١) هو أرطاة بن سهية المري، وسهية أمه، وهو شاعر أموي فارس؛ والشاهد في قوله «وتعرف جبهة الاسد» لان اصله «وتعرف بي اسدا» والتعبير في البيت كناية عن هذا الاصل؛ وعلى هذا يكون التجريد من القسم السابع أي بدون حرف وعلى وجه الكناية، والانتزاع فيه من المتكلم نفسه.

(٢) سنة ٣٤٨ هـ يمدح فاتكا حين حمل اليه ما قيمته الف دينار قال ابن جني: وما رأيته أشكر لاحد من فاتك، وكان يترحم عليه كثيراً، «د. ع ٥٠٢».

حسن التجريد. — التجريد من أساليب البيان ومزايا لغتنا العربية: فيه توسع في الكلام وحسن تفنن، وفيه قوة تعبير كما في خطاب النفس الذي هو ضرب من التلقين الذاتي لنكت ومقاصد، كالنصح والتوبيخ والتعريض؛ والضياء في مثله السائر «ص ١٦٥» يقول: وقد تأملته فوجدت له فائدتين، احداهما أبلغ من الاخرى:

فالأولى: طلب التوسع في الكلام فانه اذا كان ظاهره خطابا لغيرك وباطنه خطابا لنفسك، كان ذلك من باب التوسع، وأظن انه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات.

والفائدة الثانية: وهي الأبلغ، وذاك أنه يتمكن المخاطب من اجراء الاوصاف المقصودة من مدح او غيره على نفسه، إذ يكون مخاطباً بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه.

نصوص وشواهد

على التجريد

جاء في الفرقان : لقد كان لكم في رسول الله أسوة«١» حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ❀ (الاحزاب ٢١) .

وفيه أيضاً : يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفي كل نفس ماعملت ، وهم لا يُظلمون«٢» ❀ (النحل ١١١) :

كذلك منه : وإني خفت الموالي من ورائي ، وكانت امرأتي عاقراً ، فهب لي من لدنك ولياً ❀ يرثني (وارث)«٣» من آل يعقوب ، واجعله رب رضياً (مريم ٤،٥،٦) .

---

(١) جرد من نفسه الزكية أسوة أي قدوة ، ورسول الله نفسه أسوة حسنة ، ومنهم من يسمي « في » من قوله « في رسول الله » تجريدية .

(٢) وهذه الآية من التجريد بغير حرف ولا قصد تشبيه ، ويسمى هذا القسم بمخاطبة الانسان نفسه ، بعد تجريدها عن ذاته كأنها غيره معتبراً أنها شخص مثله في الصفة التي سيق لها الكلام ، والمبالغة التي يقتضيها التجريد في هذا النوع بادعاء بلوغ النفس مرتبة من كمال الادراك يتصور معها ان فيها نفساً اخرى ، ومن احسن الامثلة على هذا النوع هذه الآية ، فقد صيرت فيها النفس لشدة جدالها كانها تجادل عن غيرها .

(٣) قراءة حفص : « يرثني ويرث » ، وأوردنا الآية على قراءة علي وجماعة=

ومن بليغ الحديث : اياك ومحقّرات الذنوب فان لها من الله طالبا ، وقال عامر بن الاطنابة الخزرجي «٤» :

أبت لي عفتي وأبى إبائي وأخذي الحمد بالثمن الربيحِ
وقولي كلما جشأت وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحاتٍ واحمي بعدُ عن عرض صحيحِ

ومنه قول الصمة بن عبدالله (الحماسة ٢/٥٤) :

حننتَ الى ريّا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعباكما معا

ويقول الكشاف «٢/٤٠٥» : اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان .

ونقل السيوطي في اتقانه أن ابن عيينة بعد ان اورد الآية بهذه القراءة قال : هذا هو التجريد ، وذلك انه يريد : وهب لي من لدنك ولياً يرثني منه وارث من آل يعقوب ، وهو الوارث نفسه فكأنه جرد منه .

(٤) وقيل هو عمرو بن زيد مناة الشاعر الجاهلي ، والأطنابة أمه ، قال معاوية: عليكم بحفظ الشعر ، لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين غير مرة ، فما يمنعني من الانهزام الا ابيات ابن الاطنابة ، وفي رواية اخرى قال معاوية يخاطب نفسه « وفي قوله تجريد » : الله لتحامين عن الشاة والبعير ، ولتفرن عن الملك ! قال : فصبرت حتى آل الامر الى ما آل اليه .

والشاهد في البيت الثاني على تجريد « المخاطبة النفسية » لنكتة النصح ، فان ابن الاطنابة لما أراد ان يوطن نفسه على احتمال المكروه جردها مخاطباً لها على سبيل النصح : « انظر شرح الآية الثانية » .

والابيات هذه في الطبري ٦/ ١٣ ، والمزهر ٢ / ١٩٧ و العيون ١ / ١٢٦ ، وابن ابي الحديد ٢/٢٨٦ والعيني ٤/٤١٥ .

فاحسن أن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

ومنه قول المعري (د ٣٧) :

ماجت نمير فهاجت «منك ذا لبد» والليث افتك أفعالاً من النمر

تلقي الغواني حفيظ الدر من جزع عنها وتلقى الرجال السرد من خور

فكم دلاص على البطحاء ساقطة وكم جمان مع الحصباء منتثر !

ولابن هاني الاندلسي الاليري (تبيين المعاني ٣٢١) :

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر

وجنيتم ثمر الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وضربتم هام الكماة ورعتم بيض الخدور «بكل ليث محذر»

وقال أبو تمام يمدح احمد بن أبي دواد (د ٢٣٧) :

هتك الظلام أبو الوليد بغرة فتحت لنا باب الرجاء المقفل

« بأتم من قمر السماء » وان بدا بدراً وأحسن في العيون واجمل

و« أجل من قس » اذا استنطقته رأياً وألطف في الامور واجزل

وقال أبو الطيب في بعض أمراء حمص (د. ع ٣٧) :

تمضي المواكب والابصار شاخصة منها الى الملك الميمون طائره

قد حرن في بشر في تاجه قمر « في درعه أسد » تدمي أظافره

حلو خلائقه ، شوس حقائقه يحصى الحصى قبل أن تحصى مآثره

***

ومنه **المبالغة المقبولة**[١] ، والمبالغةُ : أن يُدّعى[٢] لوصف بلوغُه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً[٣] : لئلا يظنّ أنه غير متناهٍ في الشدة او الضعف[٤] ، وتنحصر في (التبليغ والاغراق والغلوّ) لأن المدّعى للوصف من الشدة أو الضعف[٥] : إما أن يكون ممكناً في نفسه أو لا : الأول (التبليغ) ، والثاني (الاغراق) .

أما التبليغ فكقول امرىء القيس[٦] :

فَعادى عِداء بين ثورٍ ونعجةٍ دِراكاً فلم ينضح بماء فيُغسَلِ

---

(١) لا المردودة فانها لاتكون من المحسنات ، وتسميته المبالغة منسوبة الى قدامة.

(٢) مبني للمجهول ونائب فاعله « بلوغه » ، ويحتمل ان تكون « في » من « في الشدة » بمعنى من . (٣) أي قريباً من المحال .

(٤) لئلا يتوهم ان ذلك الوصف غير متناه : اي لم يبلغ النهاية والغاية، بل متوسط او هو دون الوسط في الشدة والضعف ، وفاعل « تنحصر » ضمير يعود الى المبالغة.

(٥) المدعى بصيغة اسم المفعول، وهذا « المدعى » هو بلوغ الوصف نهايته شدةً او ضعفاً ، وهو سبب انقسام المبالغة الى اقسامها الثلاثة كما يرى في الجدول التالي :

المدعى للوصف		
ممكن في نفسه	١ — ممكن في العادة	« التبليغ »
	٢ — غير «	« الاغراق »
٣ — غير «		« الغلو »

(٦) الديوان ١٠٣ والبيت من المعلقة في وصف جواده « المكر المفر » . ومعنى « عادى » والى العدو والجري بين الثور من بقر الوحش ونعجته اي انثاه ، و « دراكاً » متتابعاً ، و « فيغسل » مجزوم معطوف على « ينضح » ، والمعنى ان جواده لم يعرق فيغسل ، وان كثر العدو منه .

وصف هذا الفرس بأنه أُدرك ثوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد ولم يعرق ، وذلك غير ممتنع عقلاً ولا عادةً ، ومثله قول أبي الطيب«١» :

وأصرعُ أيَّ الوحش قفيته بهِ وأنزلُ عنه مثله حين أركبُ

وأما الاغراق«٢» فكقول الآخر«٣» :

ونكرم جارَنا مادام فينا ونُتبعه الكرامة حيثُ مالا

فانه أدعى أن جاره لايميل عنه الى جهةٍ إلا وهو يتبعه الكرامة ،

---

(١) البيت في «د. ع ٤٦٥» والضمير في « قفيته » للوحش، وفي « به » للجواد و « مثله » حال من الضمير في « عنه » ، و « حين اركب » حال من الضمير في « مثله » و « الشاهد فيه » قوله : « وانزل عنه مثله حين اركب » : اي وهو باق على نشاطه وقوة جريه مثلما كان حين الركوب، وهو ممكن عقلاً وعادةً في الصافنات الجياد .

(٢) مصدر مشتق من : اغرق النازع النبل ، إذا بلغ به غاية المد في القوس ، وأغرق في الشيء جاوز الحد « اللسان » ، وجاء في الاساس : واغرق الرامي النزع ومنه : الاغراق في القول وغيره وهو المبالغة والاطناب .

(٣) البيت في معاهد التنصيص « ١/٢٥٨ » لعمر بن الاهتم التغلبي ، واظنه نقل ذلك عن الصناعتين ، واخطأ الناقلون عنه ، فان ابن الاهتم هو عمرو بن سنان المنقري التميمي من الشعراء المخضرمين ؛ وأما قائل هذا البيت فهو عمر او عمير بن الأيهم بن أفلت التغلبي نصراني وشاعر اسلامي وعزاه اليه البغدادي في خزانته وروايته (ونكرم ضيفنا . . .) .

وهذا ممتنع عادة «١» ، وان كان غير ممتنع عقلا ، وهما «٢» مقبولان .

واما الغلو فكقول أبي نواس :

وأخفتَ أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلقِ «٣»

والمقبول منه أصناف :

(أحدها) : ما أدخل عليه ما يقرّبه الى الصحة ، نحو لفظة (يكاد) «٤» في قوله تعالى :

« يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » ، وفي قول الشاعر «٥» يصف فرساً :

ويكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب في فراق رفيقِ

---

(١) ان من عرف اخبار العرب في المكارم ، واطلع على عاداتهم في المروءات لم يستبعد هذا القول ، وقلما رحل عنهم ضيف او جار الا واتبعوه الكرامة حيث سار ، وهذا غير ممتنع عادة ، وما كان كذلك لا يمتنع عقلا : لان دائرة العقل والتصورات أوسع من دائرة العادات ، ولذلك نجوز ان يكون البيت شاهداً على التبليغ لا الاغراق .

(٢) اي التبليغ والاغراق مقبولان لعدم الامتناع في العادة والعقل .

(٣) بكسر همزة (إن) لدخول اللام في خبرها فهي على ذلك ابتدائية ، و (النطف) جمع نطفة ، وهي ما تخلق منه الانسان ، و (الشاهد) في الشطر الثاني ، فان خوف النطفة غير المخلوقة ممتنع عقلا وعادة .

(٤) ومثلها لو ولولا وكأن حرف التشبيه ، واضاءة الزيت بلا نار محال عقلا ، ولكن (يكاد) جعلت المحال لم يقع ولكن قرب من الوقوع مبالغة ، وقربه منه قرب من الصحة والامكان . (٥) هو ابن حمديس الصقلي الشاعر وديوانه مطبوع ، ويريد بالرفيق (فراق رفيق) الظل لأنه يرافق صاحبه ، وفيه تورية لا تخفى .

و (الثاني) : ماتضمن نوعاً حسناً من التخييل كقول أبي الطيب :

عقدت سنا بكها عليها عثيراً لو تبتغي عنقاً عليه لامكنا«١»

وقد جمع القاضي الأرجاني بينهما«٢» في قوله يصف الليل بالطول :

يخيل لي أن سمر الشهبُ في الدجى وشُدَّت بأهدابي اليهنّ اجفاني

و (الثالث) : مااخرج مخرج الهزل والخلاعة كقول الآخر«٣» :

أسكر بالامس إن عزمت على الشرب غداً ان ذا من العجب !

---

(١) (د . ع ١٤٠) والسنابك ج سنبك : طرف الحافر ، والعثير بكسر العين الغبار ، والعنق سرعة السير، وانما نشأ حسن التخييل من ادعاء تراكم الغبار حتى صار كالارض التي يمكن السير عليها ، وهو ممتنع عقلاً وعادة ، ولكن حسن التخييل قربه من الصحة والامكان ، وقوى هذا التخييل دخول (لو) التي تقرب الى الصحة كما فعلت (يكاد) في البيت السابق ، وقبل هذا البيت :

(اقبلت تبسم والقلوب خوافق في موقف بين المنية والمنى)

(٢) اي بين السببين الموجبين للقبول وهما: ادخال ما يقرب الى الصحة، وتضمنه تخييلاً حسناً، واجتماعهما في الغلو مما يزيد في قبوله وحسنه ، وفي بيت الارجاني هذا (د ٤٠٠) الذي يصف طول الليل قامت لفظة (يخيل) مقام (يكاد) واخوتها ، وقبله : (تأوبني ذكر الأحبة طارقاً والليل في الآفاق وقفة حيران)

(٣) بيت مجهول النسب ، ولا شك ان عزم الانسان على الشرب غداً يجعله يسكر في امسه مستحيل، لما فيه من تقدم المعلول على علته ، ولكن الشاعر الماجن جاء بقوله هذا على سبيل الهزل والخلاعة وما كان كذلك لا يعد صاحبه في العرف

....

كاذبا ، ولذلك كان غلوه مقبولا .

فائدة . — ذكرنا من المقربات الصحة: يكاد ويخيل ولو ، والشاهد على (لولا) قول مهلهل :

فلولا الريح اسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

قال بعضهم : وهذا اكذب بيت قاله شاعر ،لان بين حجر وموضع الوقعة مسيرة عشرة ايام ، والصوت عادة يسمع مع سكون الهواء من مقدار ميل .

وشاهد (كأن) حرف التشبيه قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

المبالغة من محاسن البديع . — اختلف القوم فيها ، فمنهم ، كما يقول البدر في مصباحه (ص ١٠٠) : من لا يرى لها فضلا ، ولا يعدها من محاسن الكلام محتجاً بأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق وجاء على نهج الصدق كما يشهد له قول حسان:

وانما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيسا وان حمقا

فان أشعر بيت انت قائله بيت يقال اذا أنشدته : صدقا

وبأن المبالغة لا تأتي الا من ضعيف قد عجز من الاختراع والتوليد ، فعمد اليها لسد خلله بما فيها من التهويل ، وربما احالت المعاني واخرجتها الى حد الامتناع .

ومنهم من يقصر الفضل عليها ، وينسب المحاسن كلها اليها ، محتجاً بان احسن الشعر أكذبه ، وخير الكلام مابولغ فيه ، وباستدراك النابغة على حسان في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

تلك المواضع الخمسة ، وليس فيها الا ترك المبالغة .

و (المذهب المرضي) ان المبالغة ضرب من المحاسن ، وللكلام بها فضل بهاء ورونق ليس لغيره ، ولكن لا على الاطلاق ، وان فضل الصدق لا يحمد ، وقد =

....

رأينا كثيراً من الكلام جاريا مجرى الصدق ، خارجاً مخرج الحق البحث ، وهو في غاية الجودة ونهاية الحسن كقول زهير :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

ومع هذا فالمبالغة فضيلة لا تنكر ، ولو كانت معيبة لما أتت في القرآن الكريم على وجوه شتى ، ولبطلت الاستعارة والتشبيه وكثير من محاسن الكلام ، ولكان الذين مذهبهم ترجيح الصدق ، وهم أكثر الفحول كزهير وحسان والحطيئة يكرهون ضره ، ويجحدون فضله ، وهم بخلاف ذلك ، لانهم قد استكثروا منه ، وقلما يخلو شعرهم عنه ، فعائب المبالغة على الاطلاق مخطيء ، وعائب الكلام الحسن بترك المبالغة غير مصيب ، وخير الامور أوسطها .

نصوص و شواهد

على المبالغة بأقسامها

جاء في الكتاب العربي المبين : أو كظلمات في بحرٍ لجيٍ يغشاه موجٌ ، من فوقه موجٌ ، من فوقه سحابٌ ، ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ❀ (النور ٤٠) .

وفي الحديث الصحيح : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى ، ولخَلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . البخاري (٧/٢١١) .

ومن التبليغ قول أبي الاضياف مرة بن محكان السعدي :

يا ربة الدار قومي غير صاغرة ضمي اليك رحالَ القوم والقِربا
في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلبُ في ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلبُ فيها غير واحدة حتى يلفَّ على خيشومه الذنبا

ومنه قول أبي تمام (د ٢٥٥) :

ووالله لا أنفك أهدى شوارداً اليك يحملن الثناء المنخلا
تخال به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مفصلا
ألذَّ من السلوى وأطيب نفحة من المسك مفتوقاً وأيسر محملا
ويُزهى به قوم ولم يمدحوا به إذا مثل الراوي بها أو تمثلا

وللصفي الحلي في وصف فرس دهماء محجلة (د ١٨٤) :

وعاديةٍ الى الغارات ضبحاً ... تريك لقدح حافرها التهابا
كأن الصبح ألبسها حجولا ... وجنح الليل قمصها إهابا
جواد في الجبال تخال وعلا ... وفي الفلوات تحسبها عقابا
اذا ما سابقتها الريح فرت ... وألقت في يد الريح الترابا

ومن (الاغراق) ماجاء في الكتاب المبين في تشبيه نور الله بالمشكاة:

« . . . الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . . . » (النور ٣٥).

ومنه الحديث المرفوع من بنى لله مسجداً ، ولو كمفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً في الجنة .

ومنه قول امريء القيس في سلماه (د ١٠٦) :

ديار لسلمى عافيات بذي الخال ... ألح عليها كل اسحم هطال
. . . تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب ، أدنى دارها نظر عال
نظرت اليها والنجوم كأنها ... مصابيح رهبان تشب لقفال

ويقول بشار :

سلبت عظامي لحمها فتركتها ... عواري في اجلادها تتكسر
واخليت منها مخها فتركتها ... أنابيب في اجوافها الريح تصفر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري
ضنى جسدي ، لكنني اتستر

وليس الذي يجرى من العين ماؤها
ولكنها نفس تذوب فتقطر

ومنه قول ابي الطيب (د . ع ١) :

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولاً انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وللبحتري (د ٢/٢٢٧) :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشوق الذي قد ضل في الاحشاء
يخفي الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء

ومن (الغلو) المقبول قول ابي الطمحان القيني :

اذا قيل أيُّ الناس خيرٌ قبيلةً وأصبر يوماً لا تَوارى كواكبه
فان بني لام بن عمرو أرومة سمت فوق صعب لاتنال مراقبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه!

وقول الفرزدق المنسوب اليه :

يغضي حياء، ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسمُ
يكاد يمسكه عرفانَ راحته ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

وللعتابي كلثوم بن عمر الثعلبي (— ٢٢٠) :

مازلت في غمرات الموت منطرحاً يضيق عني وسيع الرأي من حيلي

فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي اجلي

ومن الغلو المردود قول ابن دريد الأزدي (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) من مقصورته :

مارست من لو هوت الافلاك من جوانب الجو عليه ماشكا
ولو حمى المقدار عنه مهجةً لرامها، أو يستبيح ما حمى
تغدو المنايا طائعات أمره ترضي الذي يرضى وتأبى ما أبى

وقول المتنبي في ابن عمّار :

لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس مابعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل القرآن والتوراة والانجيلا

وقول متنبي المغرب ابن هاني :

ماشئت لاماشاءت الأقدارُ فاحكم فأنت الواحد القهارُ
وكأنما أنت النبيُّ محمدٌ وكأنما أنصارك الانصار

... شرفت بك الآفاق وانقسمت بك الأرزاق والآجال والأعمار

ومنه قول ابي نواس :

فلما شربناها ودب دبيبها الى موضع الاسرار قلت لها : قفي
مخافة ان يسطو عليّ شعاعها فيطلع ندماني على سري الخفي

* * *

ومنه **المذهب الكلامي**[١]: وهو أن يورد المتكلم حجةً لما يدعيه على طريق اهل الكلام كقوله تعالى: «لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا»[٢] وقوله: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهونُ عليه»: اي والاعادة أهون عليه من البدء، والاهونُ من البدء أدخلُ في الامكان من البدء، فالاعادة أدخلُ في الامكان من البدء، وهو المطلوب، وقوله تعالى: «فلما أفل قال: لا أحب الآفلين»: أي القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي، وقوله تعالى: «قل: فلمَ يعذبكم بذنوبكم؟»: أي أنتم تعذبون والبنون لا يعذبون فلستم بنين له، ومنه قول النابغة يعتذر إلى النعمان:

حلفتُ فلم أترك لنفسي ريبةً وليس وراء الله للمرء مطلبُ

---

(١) قال عبد الله بن المعتز في البديع: (وما اعلم أني وجدت شيئاً منه في القرآن وهو ينسب الى التكلف) وأي تكلف فيه؟ وقال البدر في مصباحه «ص ٩٤»: واول من ذكر «المذهب الكلامي» الجاحظ، وزعم أن ليس في القرآن منه شيء، ولعله إنما عنى القياس المنطقي، فان الجدلي في القرآن منه كثير.

(٢) هذه الآية ينطبق عليها من «القياس الاستثنائي الاتصالي»، الصورة العقلية التي تتألف من شرطية ومن حملية هي التالي منفياً نحو: «كلما كان الانسان عربياً كان سامياً، لكنه ليس سامياً فهو ليس بعربي» والتالي «كان سامياً» لازم للمقدم «كلما كان الانسان عربياً»، وانتفاء اللازم يستلزم بالضرورة انتفاء الملزوم، والآية هنا هي المقدمة الشرطية، والحملية الاستثنائية محذوفة تقديرها: «لكنها لم تفسدا، فلم يكن فيها آلهة»، فبانتفاء اللازم وهو الفساد انتفى الملزوم وهو تعدد الآلهة، إذ يدلك على انتفاء الفساد استمرار ذلك النظام الكوني العجيب.

لئن كنت قد بلغت عني خيانةً ... لمبلغكَ الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرءاً لي جانبٌ ... من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم ... أحكم في اموالهم وأقربُ
كفعلك في قومٍ أراك اصطفيتهم ... فلم ترهم في مدحهم ذلك أذنبوا

يقول : أنت أحسنت الى قوم فمدحوك، وانا أحسنَ اليَّ قوم فمدحتهم، فكما أن مدح أولئك لا يعدُّ ذنباً . فكذلك مدحي لمن أحسن إليَّ لا يُعدُّ ذنباً .

***

نصوص وشواهد

على المذهب الكلامي

جاء في الذكر الحكيم : وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه ، قال: من يحيي العظامَ وهي رميم ؟ قلْ : يحييها الذي انشأها أولَ مرة ، وهو بكل خلق عليم ❀ (يس ٧٩) .

وقال النبي العربي : يامعشر قريش ، لو قلت لكم: إن خيلًا تطلع عليكم من وراء هذا الجبل ، أكنتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، قال : إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد .

وقال الوليد لابن الاقرع : أنشدني قولك في الخمر ، فأنشده :

كميت اذا شجت ففي الكأس وردها ... لها في عظام الشاربين دبيبُ

تريك القذى من دونها وهي دونه ... لوجه أخيها في الاناء قطوب

فقال الوليد : شربتها ورب الكعبة ، فقال : لئن كان وصفي لها رابك، لقد رابني معرفتك بها !

وقال الفرزدق (د ٥١٤) :

لكل امريء نفسان نفس كريمة ... وأخرى يعاصيها الهوى أو يطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى ... إذا قلَّ من أحرارهن شفيعها

وقال قابوس بن وشمكير (- ٤٠٣) :

ياذا الذي بصروف الدهر عيرنا هل عاند الدهر الا من له خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف وتستقر باقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم لاعداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر

ويقول ابو عبد الرحمن العطوي :

فوحقّ البيان يعضده البرهانُ في مأقطٍ ألدّ الخصامِ
مارأينا سوى الحبيبة شيئاً جمع الحسنَ كله في نظام
فهي تجري مجرى الاصابة في الرأي ومجرى الارواح في الاجسام

***

ومنه **حسن التعليل** وهو أن يُدّعى لوصف علةٌ مناسبةٌ له باعتبار لطيف غير حقيقي «١» ، وهو أربعة أقسام «٢» :

لان الوصف : إما (ثابتٌ) قُصد بيانُ علته ، أو (غير ثابت) أريد إثباتُه ، و(الاول) : إما أن لا يظهر له في العادة علةٌ «٣» أو يظهر له علة غير المذكورة «٤» ، و (الثاني) «٥» : إما (ممكن) أو (غير ممكن) .

أما (الأول) فكقول أبي الطيب :

لم يحكِ نائلكَ السحابُ وانما ... حمت به فصيبها الرحضاءُ

---

(١) يراد من « الاعتبار اللطيف » دقة النظر ولطفه الداعي الى التأمل والعجب من جعل ماليس بواقع متخيلا كالصحيح الواقع ، وكونه « غير حقيقي » يراد به الخيالي الذي لا يطابق الواقع ، فان التعليل الحسن لا يكون من « البديع » الا اذا كان المعتبر غير مطابق له بمعنى انه ليس علة في نفس الامر ، بل اعتبر علة بوجه لطيف يتخيل به صحيحاً .

(٢)

الوصف « المعلل »	ثابت	١	— لاعلة له « ظاهرة في العادة »
		٢	— له علة « غير حقيقية »
	غير ثابت	٣	— ممكن « في ذاته »
		٤	— غير ممكن « إلا بالادعاء »

(٣) وان لم تخل في الواقع من علة خفية .

(٤) لان المذكورة هي خيالية وغير حقيقية لتكون من حسن التعليل .

(٥) أي الوصف المعلل غير الثابت ، وهو اما « ممكن » الحصول في نفسه ولكنه مجزوم بانتفائه او « غير ممكن » ولكن ادعي وقوعه وعلل بعلة تناسبه .

فان نزول المطر لايظهر له في العادة علة«١» ، وكقول أبي تمام«٢» :

لاتنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالي

علل عدم إصابة الغنى الكريم بالقياس على عدم اصابة السيل المكان العالي ، كالطود العظيم : من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالي ، والغني لحاجة الخلق اليه كالسيل ، ومن لطيف هذا الضرب قول أبي هلال العسكري«٣» :

زعم البنفسج أنه كعذاره حسناً فسلوا من قفاه لسانه

وقول ابن نباتة في صفة فرس«٤» :

وأدهم يستمدّ الليلُ منه وتطلعُ بين عينيه الثريا

---

(١) وقد علله بان صبيب السحاب اي ماؤه المصبوب انما هو رحضاؤها اي عرق حماها الناشئة من حسدها وغيرتها لعدم مشابهة جودها لجود الممدوح ، والشاهد في الديوان ص ١١٩ .

(٢) الديوان ٢٤٦ .

(٣) ديوان المعاني « ٢/٢٤ » وفيه يقول ابو هلال : وقلت في المهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ، ولم اسمع فيها من الشعر العربي شيئاً :

ومنجمٍ قال الكمال لخلقه كن مجمعاً للطيبات فكأنه

زعم البنفسج انه كعذاره حسناً فسلوا من قفاه لسانه

(٤) اي لما « خاف » الصباح وقد اوشك الادهم الذي يعدو خلفه أن يفوته تشبث بقوائمه فهي لذلك محجلة بالبياض ، وبمحياه فتلألأت غرته ، فالفرس أغر محجل .

سرى خلف الصباح يطير مشياً ويطوي خلفه الافلاك طيا

فلما خاف وشك الفوت منه تشبث بالقوائم والمحيا

واما (الثاني) فكقول ابي الطيب«١»:

مابه قتل اعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئابُ

فان قتل الملوك اعداءهم في العادة لارادة هلاكهم ، وان يدفعوا مضارهم عن انفسهم ، حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم ، لا لما ادعاه من ان طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبته ان يصدق رجاء الراجين بعثه على قتل اعدائه لما علم انه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع ان يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجود . ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي : أي تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم ، فاذا غدا للحرب رجت الذئاب ان تنال من لحوم أعدائه ، وفيه نوع آخر من المدح : وهو أنه ليس ممن يسرف في القتل طاعة للغيظ والحنق ، وكقول أبي طالب المأموني«٢» في بعض الوزراء يخاري:

---

(١) و(الثاني) هو ما كان الوصف المعلل فيه ثابتاً وله علة خفيفة غير المذكورة والشاهد في بدر بن عمار (د . ع ١٣٢)، وهو من مقطوعة مؤلفة من تسعة أبيات خالف ابو الطيب فيها قواعد العروض لأنها من بحر الرمل الذي تجيء عروضه الأولى محذوفة وجوباً ، ويشذ مجيئها تامة كما جاء بها المتنبي ، ولنا ان نعتبرها ضرباً جديداً ، وتنوعاً وتوسعاً .

(٢) عبد السلام بن الحسين « — ٣٨٣ » يتصل نسبه بالمأمون ، شاعر من العلماء بالادب ، قصد الري وامتدح الصاحب بن عباد ، والشاهد في البيت الثاني اذ علل إغفاءه بعلة غير حقيقية .

مغرمٌ بالثناء صبٌّ بكسب المجد يهتز للسماح ارتياحا
لا يذوق الاغفاء الا رجاء ان يرى طيف مستميح رواحا

وكأن تقييده بالرواح ليشير الى أن العفاة إنما يحضرونه في صدر النهار على عادة الملوك ، فاذا كان الرواح قلوا ، فهو يشتاق اليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم ، وأصله نحو قول الآخر :

وإني لاستغفي «١» وما بي نعسةٌ لعل خيالاً منكِ يلقى خياليا

وهذا غير بعيد أن يكون أيضاً من هذا الضرب ، إلا أنه لا يبلغ في الغرابة والبعد عن العادة ذلك المبلغ ، فانه قد يتصور ان يريد المغرم المتيم ، اذا بعد عهده بحبيبه ، ان يراه في المنام فيريد النوم لذلك خاصةً ؛

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

قالوا : اشتكت عينه فقلت : لهم من كثرة القتل نالها الوصبُ
حمرتها من دماء من قتلت والدم في النصل شاهد عجب «٢»

وقول الآخر :

ائتني تؤنبني بالبكاء فأهلاً بها وبتأنيبها

---

(١) ويروي : (واني لا ستغشي . . .) وفي التنزيل الجليل : « واستغشوا ثيابهم » أي تغطوا بها .

(٢) والشاهد في ان الرمد او غيره من امراض العين هو العلة الحقيقية لحمرة العين والتهابها ، ولكنه ادعى انها مخضوبة بدماء من قتلت من عشاقها .

تقول وفي قولها حشمة ابتكي بعين تراني بها
فقلت اذا استحسنت غيركم امرت الدموع بتأديبها

وذلك ان العادة في دمع العين ان يكون السبب فيه اعراض الحبيب او اعتراض الرقيب ، ونحو ذلك من الاسباب الموجبة للاكتئاب ، لا ما جعله من التأديب على الاساءة باستحسان غير الحبيب ،

واما (الثالث) فكقول مسلم بن الوليد :

ياواشياً حسنت فينا اساءته نجى حذارك انساني من الغرق[1]

فان استحسان اساءة الواشي ممكن[2] . لكن لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه ، وهو ان حذاره من الواشي منعه من البكاء ، فسلم انسان عينه من الغرق في الدموع ، وما حصّل ذلك فهو حسن ،

واما (الرابع) فكمعنى بيت فارسي ترجمته[3] :

---

(١) اي حذاري اياك ، من اضافة المصدر الى مفعوله والفاعل محذوف ، و (انساني) اي انسان عيني ، وقبله :

ما كل عاذلة تصغي لها أذني وقد سمعت على الاكراه فانطلقي

(٢) أي وصف ممكن في الظاهر ، ولكنه غير مطابق للواقع ، ولذلك يعد عدم وقوع هذه العلة الخيالية وعدم مطابقتها لما في نفس الأمر « لطيفة شعرية » جعلت استعمال الشاعر لعلته هذه الشعرية من حسن التعليل ، وجعلت هذا الوصف وهو « استحسان اساءة الواشي » من القسم الثالث غير الثابت الممكن غير الواقع .

(٣) يجوز ان تجعل « ترجمته مؤلفة من ماض مسند الى تاء المتكلم ، وبذلك يكون مصنفنا الجلال هو الذي ترجم البيت الفارسي ونقله شعراً الى العربية ،=

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رايت عليها عقد منتطق

فان نية الجوزاء خدمته ممتنعة .

ومما يلحق بالتعليل ، وليس به : لبناء الامر فيه على الشك«١» نحو قول ابي تمام :

ربّ شفعت ريح الصبا لرياضها الى الزن حتى جادها وهو هامعُ

ويجوز ان تجعلها مصدراً ، وهو ترجيح صاحب الأطول اذ يقول : « الظاهر كونه مصدراً : اذ لو كان ماضيا لتعدى الى المفعول الثاني بالباء » وكان يجب ان يقول المصنف : « ترجمته بقولي » ، وقيل ان البيت الفارسي هو :

كرنبودي عزم جوزا خدميش كس نديدي برميان أوكمر

والجوزاء من البروج الفلكية وحولها كواكب تسمى « نطاق الجوزاء » ، والنطاق ما يشد به الوسط وقد يكون مرصعاً بالجوهر كالعقد ، و « منتطق » اسم فاعل ، وانتطاق الجوزاء يريد به احاطة الكواكب بها كاحاطة المنطقة ، وعلى ذلك يكون بنية الجوزاء خدمة الممدوح علة لرؤية نطاقها المشدود تهيؤاً لخدمته ، ونية الخدمة هذه وصف غير ثابت ولا ممكن فهو من القسم الاول .

(١) وقول ابي تمام في الديوان «ص ٤٧٨» ، واما قول المصنف: «وليس به...» فلأن بناء الأمر في « حسن التعليل » على ادعاء ثبوت الوصف المعلل ، والبيت الأول من الشاهد هو الثاني في الديوان . وقبلها :

ألا إن صدري من بلائي بلاقع عشية شاقتني الديار البلاقع

و « الشاهد » فيها هو حسن تعليل امطار المزن والسحاب بكاء على حبيبها المغيب في ربى تلك البلاقع ، وبناء الأمر في هذا التعليل على الشك المستفاد من « كأن » في هذا الموقع .

كأن السحاب الغرّ غيبن تحتها حبيباً فما تَرقا لهن مدامعُ

وقول ابي الطيب[١]:

رحل العزاء برحلتي فكأنني اتبعته الانفاس للتشييع

علة تصعيد الانفاس في العادة هي التحسر والتأسف ، لاماجوز ان يكون اياه ، والمعنى : رحل عني العزاء بارتحالي عنك : اي معه او بسببه، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر ، وكانت الانفاس تتصعد منه ايضاً ، صار العزاء والنفس الصعداء كانهما نزيلان ، فلما رحل ذلك كان حقا على هذا ان يشيعه قضاء لحق الصحبة .

---

(١) البيت في « د . ع ٣٥ » وقبله بيت آخر من هذا النوع البديع يخاطب به حبيبه النازل على شاطىء نهر الصراة ، وهو فرع من الفرات ، وملوحة ماء الدمع معروفة :

أو ما وجدتم في الصراة ملوحة ؟ مما أرقرق في الفرات دموعي

ومعنى الشاهد : لقد ارتحل عزائي « صبري » برحلتي عنكم ، فأتبعته أنفاسي مشيعة له ، فالتعليل خيالي بني الأمر فيه أيضاً على الشك المستفاد من قوله « فكأنما »، بدون ادعاء كما في حسن التعليل ولا إصرار .

نصوص وشواهد

علي حسن الفعليل

جاء في الكتاب المبين[1] : لولا كتابٌ من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذابٌ عظيم (الانفال ٦٨) :

وجاء من القسم الاول (الثابت الظاهر العلة) قول كثير عزّة :

وحقك ان الجزع أضحى ترابه عبيراً وكافوراً ، وعيدانه رندا
وما ذاك إلا ان مشت بجنابه أميمة في سرب فجرت به بُردا

وكأن السيد الرضي نظر اليه فقال (ديوان بغداد ٥١٨) :

ياروض ذي الاثل من شرقيّ كاظمة قدعاود القلب من ذكراك احزانا
شغلت عيني دموعاً ، والحشا حرقاً فكيف ألفت أمواها ونيرانا
أشم منك نسيماً لست أعرفه أظن ظمياء جرت فيك اردانا
اشبهت اظعان ذاك الحي من يمنٍ طيباً وحسناً وأغصاناً وكثبانا

---

(١) قد نذكر الشاهد وهو لاينطبق على النوع البديعي اختباراً، فما قولك في هذه الآية ؟ وقد يختلف عد النص من احد الاقسام باختلاف اعتبار العلة فانتبه لذلك .

ولابي قاسم الزعفراني :

رأى المزن ماتعطي فضم على الاسى ... فؤاداً كأن البرق فيه لهيبُ
وكم لاح برق ، وابتسمت لشائمٍ ... فكنت صدوق الوبل وهو كذوب

وللبها زهير (د ٩٣) :

لا تنكروا خفقان قلبي ، والحبيبُ لديَّ حاضرْ
ما القلب إلا داره ... دقت له فيها البشائر

وللوراق : يقول لي حين وافى ... قد نلت ماترتجيه
فما لقلبك قد جا ... وخفقةٌ تعتريه
فقلت : وصلك عرس ... والقلب يرقص فيه
قالوا حبيبك محموم فقلت لهم ... أنا الذي كنت في حمائه السببُ «١»
عانقته ، ولهيب النار في كبدى ... يوماً ، فأثر فيه ذلك اللهبُ

ومن القسم الثاني (الثابت الخفي العلة) قول ابن رشيق يعلل حديث : « جعلت لي الارض مسجداً وطهورا » .

سألت الارض : لم كانت مصلى ؟ ولم جعلت لنا طهراً وطيبا
فقالت غير ناطقة : لأني ... حويت لكل انسانٍ حبيبا

وقال الحافظ يصف زهرة الآذريون تنضم على نفسها مساء :

عيون تبر كأنها سرقت ... سواد أحداقها من الغسقِ
فان دجا ليلها بظلمته ... تضمها خيفةً من السرق !

---

(١) كذا وردلفظ « السبب » بالرفع .

وللصلاح الصفدي :

بأبي من لسعته نحلةٌ آلمت أحسنَ شيء وأجلّ
حسبت أن بفيه بيتها مذ رأت في فمها طعم العسل

ومن القسم الثالث (غير الثابت وهو ممكن) قول عرقلة الدمشقي (٤٨٦ - ٥٧٦) :

أقسمت ياعاذلي فيمن بليت به ومن تحكم في هجري وابعادي
لو أنه كلما سافرت ودعني بقبلة ، لم ازل بالرائح الغادي

ومثله قول الشاعر ، فأيهما تراه أبدع واروع ؟

أرأيت من يرضى بفرقة إلفه ؟ انا قد رضيت لنا بأن نتفرقا
حتى أفوز بقبلة من خده عند الوداع ، ومثلها عند اللقا

وهل ترى من هذا اللون قول بعضهم في الشقائق ؟

ورياض من الشقائق أضحت يتهادى بها نسيم الرياحِ
زرتها ، والغمام يجلد منها زهرات تفوق لون الراح
قلت : ماذنبها ؟ فقال مجيباً : سرقت حمرة الخدود الملاح

وهل من الرابع (غير الثابت ولا الممكن) قول ابن الرومي ؟

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولدُ
وإلا فما يبكيه منها وإنها لافسح مما كان فيه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقى من أذاها يُهدد
وللنفس أحوال تظل كأنها تشاهد فيها كل غيب سيشهد

وقول احمد بن عبد ربه فيمن نبت عذاره :

ياذا الذي خط الجمال بوجهه خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندي ان لحظك صارم حتى لبست بعارضيك حمائلا

ومثله قول الشواء الحلبي (٥٦٢ – ٥٣٥) ، وانظر اي القولين اعذب واطرب ؟

ومعذرٍ نقش الجمال بوجهه خطاً غدا بدم القلوب مضرجا
لما تيقن ان سيف جفونه من نرجس جعل العذار بنفسجا

وإن رأيت قول أبي عثمان الخالدي (– نحو ٤٠٠) من الرابع ، فبين وجه اعتبارك :

ريقته خمرٌ وانفاسه مسك ، وذاك الثغر كافورُ
أخرجه رضوان من داره مخافة أن تُفتن الحور
يلومه الناس على تيهه والبدر ان تاه فمعذور

وأرجع النصوص التالية بعد التأمل الى اقسامها ، قال المعري رائياً (التنوير ٢٠٧) :

نعيناه حتى للغزالة والسهى فكلٌ تمنى لوفداه من الحتمِ
وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها في وجهه أثر اللدمِ

ولابي تمام (د ٨٥) :

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف العود

ولشاعر حكيم :

عداتي لهم فضل عليّ ومنة فلا أذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ولابي طالب المأموني يصف داراً ، وكان شاعراً بحسن التعليل :

وتراها من عنبر شيب بالمسك فان هبت الصبا فيه فاحا
ما بكاء الرياض بالطلّ الا خجلاً من رياضها وافتضاحا

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن بقي الاندلسي (المعاهد٢/٢١) :

بأبي غزالاً غازلته مقلتي بين العذيب وبين شطي بارقِ
عاطيته ، والليل يسحب ذيله صهباء كالمسك الفتيق الناشق
حتى اذا مالت بهسنة الكرى زحزحته شيئاً ، وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه كيلا ينام على وساد خافقِ

وقد ناقض ابن عيال اللبيب البيتين الأخيرين بقوله :

ان كان لابد من رقاد فأضلعي هاك كالوسادِ
فنم على خفقها هدوّاً كالطفل في هزة المهاد

وقد تعصب لابن بقي قوم ولابن عيال آخرون ، فأي القولين تفضل؟

وهل احسن التعليل القائل :

لو لم يكن أقحوانا ثغر مُبسمها ما كان يزداد طيباً ساعةَ السحر

***

ومنه **التفريع** : وهو أن يُثبت لمتعلَّق أمرٍ «١» حكمٌ بعد اثباته لمتعلَّقٍ له آخر كقول الكميت :

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم تشفي من الكَلَبِ

فرّع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب «٢» .

---

(١) المراد بالتعلق النسبة والارتباط ، و « المتعلق » في الموضعين بفتح اللام اسم مفعول اي منسوب ، فقوله : « لمتعلق أمر » اي لشيء بينه وبين امر آخر تعلق ، وعلى هذا يكون معنى التعريف :

« أن يثبت حكم لشيء بينه وبين آخر تعلق ، وذلك بعد اثبات ذلك الحكم لمنسوب آخر لذلك الامر » ، فيفهم من هذا التعريف انه لابد من متعلقين أي منسوبين لأمر واحد كقولنا : « تفكير عارف وتدبيره » ، فعارف أمر واحد له متعلقان أي منسوبان : تفكيره وتدبيره ، ولا بد من حكم واحد يثبت لأحد المنسوبين لعارف — التفكير والتدبير — بعد اثباته للآخر ، كان تقول : « صح تفكير عارف فصح تدبيره » فالصحة حكم اثبته لمتعلق عارف ، وهما تفكيره وتدبيره وكان الاثبات للثاني على وجه يشعر بتفريعه على الأول ؛

(٢) قال ابن الاعرابي : كانت العرب تقول : من اصابه الكلب « بفتح اللام » والجنون لايبرأ منه إلا أن يسقى من دم ملك ، قال الحماسي :

بنـاة مكارم وأساة كلم دماؤكم من الكلب الشفاء

فالكميت يقول : إن ممدوحيه ارباب العقول الراجحة ملوك واشراف هذا ، والبدر بن مالك في مصباحه « ص ١٠٨ » قد جعل « التفريع ، ضربين :

(الأول) : أن تأتي بالاسم منفيّاً بـ « ما » ، وتتبعه بمعظم أوصافه اللائقة به ، =

....

ثم تخبر عنه بأفعل للتفضيل موافق لمعنى الاوصاف ، معدى ب « من » فتفرع من ذلك مبالغة في مدح المجرور بها او ذمه ، وأكثر مايجيء منه في بيتين فصاعداً كقول الاعشى :

ماروضة من رياض الحزن معشبة غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها طيب رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الاصل

ومما جاء في بيت واحد قول أبي تمام « د ٩ » :

ماربع مية معموراً يطيف به غيلان ، أبهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدود ، وإن أدمين من خجل أشهى الى ناظر من خدها التربُ

وأما « الضرب الثاني » فلم يشترط فيه مااشترطه الخطيب في ايضاحه مما فصلناه ، بل هو أشمل وأسهل ، وعرفه بان تأتي المدوح او غيره بصفة يقرب منها أبلغ منها في معناها فتذكرك به فتفرعه منها واستشهد ببيت الكميت ثم بقول ابن المعتز :

كلامه أخدع من لحظه ووعده أكذب من طيفه

فبينما هو يصف خدع كلامه فرع منه وصف كذب وعده ، وقوله أيضاً :

وكأن حمرة لونها من خده وكأن طيب نسيمها من نشره
حتى إذا صب المزاج تشعشعت عن ثغرها فحسبته من ثغره

هذا ، والضرب الأول من التفريع أسلوب عربي أكثر بلغاء الشعراء من استعماله جاهلية واسلاماً ، إذ فيه قوة وفخولة ، ومبالغة مقبولة ، بل هو كما يقول الحموي في خزانته (٥٠٦) أحلى من غيره في الأذواق وأوقع في القلوب .

نصوص وشواهد

على التفريع

ومما جاء من التفريع على تعريف الايضاح قول الشريف الرضي يصف الذئب:

أغبر مقطوع من الليل ثوبه ... أنيسٌ بأطراف البلاد البلاقعِ
طوى نفسه وانساب في شملة الدجى ... وكل امرىء ينقاد طوعَ المطامع
اذا فات شيء سمعه دلّ أنفهُ ... وان فات عينيه رأى بالمسامع

ومنه قول ابن جابر الاندلسي (صاحب بديعية العميان) :

كريم شكت أمواله من سماحه ... كما قد شكت اعداؤه من سنانه
فلو لم يبدّ جمع العداة برمحه ... لاغرقهم بحر الندى من بنانه

وللغواص اللخمي في القاضي العادل من أصدقائه :

بأبي أفدي الذي إن حزب الامر في القوم رجاه قومهُ
صح منه العقل مذ كان فتىً ... يطلب العلم فصح علمه
وهو ان حار هداه عقله ... واذا نار ثناهُ حلمه

ومن التفريع على تعريف المصباح قول الصنوبري الحلبي (– ٣٣٤):

ما أخطأت نوناته من صدغه ... شيئاً ولا ألفاته من قدهِ
وكأنما أقلامه من شعره ... وكأنما قرطاسه من جلدهِ

ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم«١»، وهو ضربان :

(أفضلهما) : أن يُستثنى من صفة ذم منفيةٍ عن الشيء صفة مُدح«٢» بتقدير دخولها فيها«٣» كقول النابغة الذبياني«٤» :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائبِ

أي ان كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فاثبت شيئاً من العيب على تقدير أن فلول السيف منه ، وذلك محال(٥) .فهو في المعنى تعليق بالمحال«٦» كقولهم : حتى يبيضَّ القار . فالتأكيد فيه«٧» من وجهين :

---

(١) أو المدح في معرض الذم ، وهو « الاستثناء » في الصناعتين ، وقال المبرد: هذا القبيل من المدح يسمى «الاشتباه»، وتسمية المصنف هذه من مخترعات ابن المعتز.

(٢) اي لذلك الشيء ، و (صفة) نائب فاعل يستثنى .

(٣) اي دخول صفة المدح المستثناة في صفة الذم المنفية .

(٤) الشاهد في « د . ١٣ هلال » ، ومثله :

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تعاب بنسيان الأحبة والوطن

(٥) لأنه كناية عن الأقدام ومقارعة الأقران، فمحال أن يكون صفة ذم .

(٦) فهو: اي ان إثبات شيء من العيب على هذا التقدير تعليق بالمحال كما تقول: لا آتيك حتى يلج الجمل في سم الخياط ، أو يرجع الدر في الضرع ، أو حتى يؤوب القارظان ، ويؤلف بين الضب والنون ، وذلك انه في تأويل « الاستثناء المعلق»: لأن المعنى لا آتيك أبداً الا على هذا الوجه ، وهو أن يبيض القار « الزفت » ، وثبوت هذا الشرط محال فالاتيان محال .

(٧) أي في هذا الضرب .

(احدهما) : أنه كدعوى الشيء ببينة«١» ،

و (الثاني) : ان الاصل في الاستثناء ان يكون متصلاً ، فاذا نطق المتكلم بـ (إلا) ، أو نحوها ، توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي«٢» بعدها مخرج مما قبلها ، فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً ، وهذا ذم ، فاذا أتت بعدها صفة مدح«٣» تأكد المدح لكونه مدحاً على مدح ، وان كان فيه نوع من الخلابة .

و (الثاني)«٤» : أن يثبت لشيء صفة مدح ، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش) ، واصل الاستثناء في هذا الضرب ايضاً أن يكون منقطعاً«٥» ، لكنه باق على حاله لم يقدر متصلاً«٦» ، فلا يفيد التأكيد

---

(١) كأنه استدل على « انه لا عيب فيهم » بأن ثبوت عيب فيهم معلق بكون فلول سيوفهم عيبا ، وهو محال .

(٢) أي المستثنى الذي يأتي بعد اداة الاستثناء مخرج مما قبلها ، وهو المستثنى منه

(٣) تحول الاستثناء من الاتصال الى الانقطاع وبذلك يتأكد المدح ، و« الخلابة » بكسر الخاء خداع الكلام ، لما في تحول الاستثناء من الايهام .

(٤) الضرب الثاني من تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٥) كما أن الاستثناء في الضرب الاول منقطع لعدم دخول المستثنى في جنس المستثنى منه فيه ، وهو في هذا الضرب منقطع أيضاً لانتفاء العموم في المستثنى منه « كونه من قريش » ، فلم يدخل المستثنى في المستثنى منه .

(٦) كما قدر في الضرب الأول ، إذ ليس في هذا الضرب صفة ذم منفية عامة =

الا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين ، ولهذا قلنا : الاول أفضل ، ومنه قول النابغة الجعدي«١» :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

واما قوله تعالى : « لايسمعون فيها لغواً ولا تأثيما الا قيلا : سلاماً سلاما » ، فيحتمل الوجهين ؛ واما قوله تعالى : « لايسمعون فيها لغواً الا سلاماً«٢» ، فيحتملهما«٣» ، ويحتمل وجهاً ثالثاً ، وهو ان يكون الاستثناء

يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها ؛ واذا كان كذلك لم يفد هذا الضرب الثاني التأكيد الا من الوجه الثاني : وهو أن ذكر اداة الاستثناء يوهم إخراج شيء مما قبلها — من حيث أن الاصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال — ، فاذا ذكر بعد الاداة صفة مدح اخرى حصل التأكيد ، ولا يفيد التأكيد من الوجه الأول باعتبار انه كدعوى الشيء ببينة كما بيناه .

(١) وهو في الصناعتين «٣٩٦» منسوب لابن سلام لجندل بن جابر الفزاري ، ولكنه للجعدي في الحماسة ١/٤٠٨ ، وفي القالي ٢/٢ وفي السيوطي ٢٠٩ وفي الكتاب ١/٣٦٧ ، وروايته : « فتى كملت خيراته . . . » ، واستشهد سيبويه بهذا البيت على نصب « غير » على الاستثناء المنقطع ، أي : ولكنه مع ذلك جواد .

(٢) وتمامها : ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا « مريم ٦٢ » .

(٣) اى يحتمل ان يكون من الضرب الأول : بأن يقدر السلام من جملة اللغو ، فيفيد التأكيد من الوجهين المعهودين ، وان يكون من الضرب الثاني بأن لا يقدر ذلك ، ويجعل الاستثناء منقطعاً من اصله ، ويحتمل الوجه الثالث الذي ذكره المصنف ، =

من أصله متصلاً لان معنى السلام هو الدعاء ، بالسلامة ، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء ، فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام ، لولا مافيه من فائدة الاكرام .

ومن (تأكيد المدح بما يشبه الذم) ضرب ثالث[١] ، وهو أن يأتي الاستثناء فيه مفرغاً[٢] كقوله تعالى : « وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا[٣] » أي وما تعيب منها الا اصل المناقب والمفاخر كلها ، وهو الايمان بآيات الله ، ونحوه قوله : « قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله . وما أنزل الينا »[٤] ، فن الاستفهام فيه للانكار .

واما الآية التي قبل هذه « الواقعة ٢٥ و ٢٦ » فيمكن حملها على كل من الضربين ، ماخلا الوجه الثالث — اعني حقيقة الاستثناء المتصل — : لان قولهم « سلاماً » ، وان أمكن جعله من قبيل اللغو ، لا يمكن جعله من قبيل « التأثيم » وهو النسبة الى الاثم ؛ ثم لا يجوز تخصيصه باللغو مع اغفال التأثيم ، إذ لا يجوز لك ان تقول : « ما جاءني رجل ولا امرأة الا سعد » ، وتجعل الاستثناء المتصل من الأول .

(١) يعود الى الاول بالمعنى ، ولو اختلف عنه تركيبا .

(٢) فلا يذكر المستثنى منه ، ويكون العامل قبل « إلا » مما فيه معنى الذم كالنقمة في الآيتين ، كما يكون المستثنى — بعد الأداة — مما فيه معنى المدح .

(٣) وتمة الآية : ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين * « الاعراف ١٢٦ » .

(٤) وتمتها : وما أنزل من قبل ، وأن أكثركم فاسقون * « المائدة ٥٩ » .

واعلم ان الاستدراك في هذا الباب«١» يجري مجرى الاستثناء«٢» كما في قول أبي الفضل بديع الزمان«٣» :

هو البدر ، الا انه البحر زاخراً سوى أنه الضرغامُ ، لكنه الوبلُ

❀❀❀

---

(١) أي باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، والاستدراك الدال عليه لفظ «لكن» في الشاهد التالي .

(٢) في افادة المراد، وهو توكيد الشيء بما يشبه نقيضه، وانما كان الاستدراك جارياً مجري الاستثناء لانهما من واد واحد .

(٣) يمدح خلف بن أحمد الصفار أمير سجستان وكرمان « — نحو ٣٩٢». ووجه الشبه في الاول الرفعة والسمو ، وفي الثاني الجود، وفي الثالث البسالة والنجدة، وفي الرابع الجود أيضاً ، لكنه أصبح بالاستدراك أكمل وأشمل من الأول .

ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح ، وهو ضربان :

(أحدهما) : ان يستثني من صفة مدح منفية «١» عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها «٢» ، كقولك : فلان لا خير فيه الا انه يسيء الى من يحسن اليه «٣» .

و (ثانيهما) : أن يثبت للشيء صفة ذم ، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم اخرى له ، كقولك : فلان فاسق الا انه جاهل «٤» ، وتحقيق القول فيهما على قياس ماتقدم «٥» .

---

(١) وهي « لا خير » في المثال التالي .

(٢) أي دخول صفة الذم في صفة المدح ، ومن الواضح أن نفي صفة المدح ذم ، فاذا أثبت صفة ذم أخرى حصل التأكيد كما تقدم في « تأكيد المدح » .

(٣) وبقولك هذا تكون قد نفيت صفة مدح وهي « الخيرية » وهو ذم ، ثم استثنيت صفة ذم اخرى وهي « الاساءة للمحسن » تأكيداً للذم ، فيجري لذلك عليه ما جرى في الضرب الأول من « تأكيد المدح » ؛ وبتقدير الاتصال في الاستثناء « لوجود العموم في المثال » يكون المعنى « لا خير فيه الاساءة للمحسن » ، وهل في هذه الاساءة خير ؟ ولذلك يكون في المثال تعليق بالمحال ، فيكون من قبيل « دعوى الشيء ببينة » ، وهو الوجه الأول من الضرب الأول ، والوجه الثاني : ما فيه من الايهام وخلابة الكلام .

(٤) والاتصال الذي يكون معه التعليق بالمحال لا يوجد في مثالنا هذا ، فلا يفيد التأكيد بالوجه الأول من الضرب الأول ، وانما يفيده بالوجه الثاني الذي يعدل فيه عن الاتصال الى الانفصال : مما يشعرك أنه طلب استثناء المدح فلم يجده ، فأتى بالذم بوجه أبلغ .

(٥) في « تأكيد المدح » ، وبذلك يكون الضرب الاول ذو الوجهين أبلغ تعبيراً وتأثيراً من الضرب الثاني ذي الوجه الواحد .

نصوص و شواهد

على تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه

جاء في الكتاب المبين : لا يذوقون فيها الموتَ الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم[1] ❀ (الدخان ٥٦) .

وقال ابن الرومي :

وما تعتريها آفة بشريةٌ ... من النوم الى أنها تتخيرُ

كذلك انفاس الرياض بسحرة ... تطيب وأنفاس الرياض تغير

وقال أبو هفان مفتخراً : وأي نوع آخر عرفته في ابياته ؟

ولا عيب فينا غير ان سماحنا ... اضرّ بنا والبأس من كل جانبِ

فأفنى الردى ارواحنا غير ظالم ... وافنى الندى اموالنا غير عائب

ابونا اب لو كان للناس كلهم ... أبا واحداً أغناهم بالمناقب !

---

(١) ضمير « فيها » يعود الى الجنان في ما قبلها من الآيات ، وقد استشهد الطيبي في تبيانه بهذه الآية على هذا النوع ، فان « لا يذوقون فيها الموت » صفة مدح للجنان ، وتعقب باداة الاستثناء التعليق بالمحال تأكيداً « الا الموتة الأولى » فان هذه العبارة بمعنى « البتة » ، قال جار الله في كشافه « ٣ / ٤٣٥ » : لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل ، فهو من باب التعليق بالمحال .

ومن (الضرب الاول) أيضاً قول أبي جعفر القرشي :

فتى لم تسافر عنه آمال آمل ... وليس لها الا اليه اياب

ولا عيب فيه لامرىء غير انه ... تعاب له الدنيا، وليس يعاب

ولابن الحجاج البغدادي (— ٣٩١) :

اتوني فعابوا من احب جهالة ... وذاك على سمع المحب خفيف

فما فيه عيب غير ان جفونه ... مراض ، وان الحصر منه ضعيف

ولابن الرومي ايضاً :

ليس به عيب سوى انه ... لاتقع العين على شبهه

ولغيره : ولا عيب في معروفهم غير انه ... يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وللغواص اللخمي :

ويدخرون الزاد يخفون خيره ... ويبدونه للضيف في لزبة المحل

ولا عيب فيهم ظاهر غير انني ... حسبتهم — لما نزلت بهم — اهلي !

و (من الضرب الثاني) قول بعضهم :

وظبي ثناياه الصحاح كما ترى ... من الريق يرويها الرضاب المبرد

وقد حاز اشتات البها غير انه ... له مقلة كحلا وخد مورد

ومن الاستدراك الاستثنائي قول السري الرفاء (د ١٣٦) :

اما ترى الثلج قد خاطت انامله ... ثوباً يزر على الدنيا بازرار

نار ، ولكنها ليست بمبدية ... نوراً، وماء ولكن ليس بالجاري

ولابن قلاقس اللخمي (٥٣٢ — ٥٦٧) :

هو الثغر الا انه الفجر طالعاً على انه الكافور لكنه البدرُ

ولغيره: يسمى به البرق الا انه فرسٌ من فوقه الموت الا انه رجل

وللمحسن التنوخي (٣٢٧ — ٣٨٤) :

غصن تأوّد فوق دعص من نقا ليل تبلج عن صباح مسفرِ

كالشمس الا انه متنفسٌ عن مسكة متبسم عن جوهر

ومن تأكيد الذم بما يشبه المدح (الضرب الاول) قول النابلسي :

ذات الوشاح الذي تخب به كهودج الوعث في الملاقاةِ

مافيك شيء من الجمال سوى انك من اقبح القبيحات !

ولغيره (الضرب الثاني) :

هو الكلب الا ان فيه ملالة وسوء مراعاة، وما وماذا في الكلب

ومن اي ضرب قول الشاعر ؟

بيض المطابخ لاتشكو ولائدهم طبخ القدور ولاغسل المناديلِ

لاتأكل النار في مغنى بيوتهم الا فتائل سرج او قناديل

ومن هذا الوادي (الهجو في معرض الذم)[1] كقول الحماسيّ :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن اساءة اهل السوء احسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس انسانا

---

(١) هو من مستخرجات ابن ابي الاصبع « الخزانة الحموية ١٤٦ » .

وظريف قول بعضهم في الشريف ابن الشجري (٤٥٠ - ٥٤٣) :

ياسيدي ، والذي يعيذك من نظم قريض يصدا به الفكر
مافيك من جدك النبي سوى أنك لا ينبغي لك الشعرُ

وقال الرافعي في مقالة له :

تكلم فلان كلاماً لاصحيح فيه ، الا انه غير صحيح .ويقول غيره:

لقد خان العهود وفلسطين من باع أرضه للصهيونيين، الا أنه قد خان مع ذلك الله ورسوله مذ باع ملك آبائه وتاريخ امته ، واندلسه الثانية ونخوته العربية الباقية .ويقول آخر:

لاعيب في الطالب العربي بالثانوية او الكلية سوى انه مكب على دراسة تاريخه واسرار لغته بعثاً لمجده واحياء لامته .

. . .

ومنه **الادماج**«١»: وهو«٢» ان يُضمَّن كلامٌ سيقَ لمعنىً ، معنىً آخر فهو اعم من الاستتباع«٣» ، ومثاله قول أبي الطيب :

---

(١) اي ومن البديع المعنوي « الأدماج » ، وبعضهم سماه التعليق ، والتضعيف او التغليف ، وهو مصدر أدمج الشيء في ثوبه إذا لفه فيه ، فهو لغةً بمعنى اللف والادخال .

(٢) اي الادماج اصطلاحاً ، و « يضمن » مبني للمجهول نائب فاعله « كلام » الذي كان مفعولا به اولا ، وجملة « سيق » صفة كلام ، و « معنى » من معنى آخر منصوب مفعول ثان ليضمن .

(٣) ولذلك جعلنا من تهذيب الأيضاح حذف « الاستتباع » ، الذي عرفه الخطيب المصنف بانه « المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر » كقول أبي الطيب في سيفه « د. ع ٣١٤ » :

نهبت من الاعمار مالو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

فان مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة ، اذ كثر قتلاه ، بحيث لو ورث اعمارهم لخلد في الدنيا ، على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها ، حيث جعل الدنيا مهنأة به .

وانما قال « فهو اعم من الاستتباع » لانه خاص على رأيه بالمدح ، والادماج يشمل المدح والذم وغيرهما ، وقلنا « على رأيه » : لان الطيبي في تبيانه عرف « الاستتباع » بانه : « الوصف بشيء يستتبع وصفاً آخر إما مدحاً او ذما » ،بل جعل « الادماج » أخص منه ، وتابعه السيوطي في عقوده ص ١٢٩ » قائلا : « وهذا هو الصواب » وقال السبكي في عروسه « ٣٠٥/٤ شروح » معلقاً على قوله « اعم من الاستتباع » هذا بالنظر الى ظاهر تعريف الاستتباع ؛ أما لو قيل : ان ذكر المدح في التعريف بطريق التمثيل لا التخصيص يكون مساويا للادماج . اقول : ولذلك اكتفى السكاكي في مفتاحه بالاستتباع وأهمل الادماج .

أقلب فيه أجفاني كأني أعدُّ بها على الدهر الذنوبا

فانه ضمّن وصفَ الليل بالطول الشكايةَ من الدهر ، وقولُ ابن المعتز في الخيري«١» :

قد نقضَ العاشقونَ ماصنع الهجرُ بألوانهم على وَرَقهْ

فان الغرض وصف الخيري بالصفرة ، فادمج الغزل في الوصف ؛

وفيه وجه آخر من الحسن ، وهو (ايهام الجمع بين متنافيين) : أعني الايجاز والاطناب ، أما (الايجاز) فمن جهة الادماج ، وأما (الاطناب) فلان اصل المعنى انه أصفر ، فاللفظ زائد عليه لفائدة، ومنه قول ابن نباتة:

ولا بدَّ لي من جهلةٍ في وصالهِ فمن لي بخلٍ أودعُ الحلم عنده«٢» ؟

فانه ضمن الغزل (الفخر) بكونه حليماً ، المكنيَّ عنه بالاستفهام عن وجود خلٍ صالحٍ لان يودعه حلمه، وضمن الفخر بذلك باخراج الاستفهام مخرج الانكار ، شكوى الزمان لتغير الاخوان ، حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن ، ونبه بذلك على انه لم يعزم على مفارقة حلمه جملةً

---

(١) بكسر الخاء وتشديد الهاء في آخره ، وهو من الفصيلة الصليبية وأزهار الزينة ومنه عدة اصناف أشهرها الخيري الاصفر Giroflée واسمه العلمي : Cheiranthus Cheiri .

(٢) والبيت في اليتيمة « ٣٨١/٢ مع » تحقيق محي الدين عبد الحميد وقبله :

وبدر تمام بت ألثم رجله واكبره عن ان اقبل خده

تعشقت فيه كل شيء يوده من الجور حتى كدت اعشق صده

واحدةً ، ولكن اذا كان مريداً لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافي للحلم ، عزم على أنه ، ان وجد من يصلح لانه يودعه حلمه ، أودعه اياه ، فان الودائع تستعاد .

قيل : ومنه قول الآخر «١» يهنيء بعض الوزراء لما استوزر :

أبى دهرنا ، اسعادنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحبُّ ونكرمُ

فقلت له : نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا : إن المهمَّ المقدَّمُ

فانه أدمج شكوى الزمان ، وما هو عليه من اختلال الاحوال في التهنئة ، وفيه نظر «٢» : لان شكوى الزمان مصرح بها في صدره ، فكيف تكون مدمجةً ، ولو عكس فجعل التهنئة مدمجةً في الشكوى أصاب .

---

(١) البيتان لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي « ٢٢٣ — ٣٠٠ » ، كتب بها ، وحاله سيئة ، لعبيد الله بن سليمان بن وهب يهنئه حين وزر للمعتضد العباسي ففطن لمراده ووصله واستعمله ، وقد ادمج في تهنئته شكوى الزمان .

(٢) قال السعد في مطوله « ٤ / ٣٠٥ الفيض » مانصه : فهذا المعنى الثاني « الشكوى » يجب أن لا يكون مصرحا به ، ولا يكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لاجله ، فمن قال في قول الشاعر « ابى دهرنا ... » انه أدمج شكوى الزمان في التهنئة فقد سها ، لان الشكاية مصرح بها ، فكيف تكون مدمجة ، ولو جعل التهنئة مدمجة لكان أقرب .

وقال المحقق المغربي في مواهبه ، بعد ان اورد كلام السعد هذا « شروح ٤/٤٠٠ » : ولا ينافي ذلك كون المقصود بالذات هو التهنئة ، لان القصد الذاتي لا ينافي افادة ذلك المقصود بطريق الادماج بأن يؤتى به بعد التصريح بغيره فافهم !=

. . . .

نصوص وشواهد

على الادماج

جاء في الكتاب المبين : ووصينا الانسان بوالديه احساناً ، حملته أمه كرهاً . ووضعته كرهاً ، (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)«١» حتى اذا بلغ أشده ، وبلغ أربعين سنةً ، قال : ربِّ اوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والديَّ ، وان اعمل صالحاً ترضاه ، وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك ، واني من المسلمين ❀ (الاحقاف ١٥) .

ومن حديث الامين : ان رجلًا قال : يارسول الله ، ان لي مالاً وولداً ، وان ابي يجتاح مالي ، فقال : أنت ومالك لابيك«٢» ، ان اولادكم من اطيب كسبكم ، فكلوا من كسب اولادكم : أخرجه أبو داود .

ولابي الطيب (٣٨٠ د . ع) ، وقد ورد على السيف رسول الروم يطلب الهدنة سنة ٣٤٤ هـ :

وما تنفع الخيل الكرام ولا الفنا ... اذا لم يكن فوق الكرام كرامُ

---

(١) هذه الجملة القرآنية مسوقة لاثبات منة الوالدة على ولدها ، وفيها ان أقل مدة الحمل ستة أشهر .

(٢) الحديث في جواز أكل الوالد من كسب ولده ، والمعنى الثاني المدمج ان النسب للاباء ،

الى كم ترد الرسلَ عما أتوا له كأنهم فيما وهبتَ ملام[1]
فان كنت لا تعطي الذمام طواعةً فعوذ الاعادي بالكريم ذمام

وللصاحب بن عباد يمدح ابن العميد (اليتيمة ٢/١٥٧) :

من لقلب يهيم في كل واد وقتيل للحب من غير وادِ
وندى ابن العميداني عميد من هواها ألية الامجاد
ايها الآملون حطوا سريعاً برفيع العماد واري الزناد
ان خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كل ناد

ولابن الخيمي القاهري (٥٤٩ - ٦٤٢) :

وسبحةٍ مسودة لونها يحكي سواد القلب والناظر
كأنني وقت اشتغالي بها أعد أيامك ياهاجري

وللحاجري (- ٦٣٠) وقد أدمج الشوق في الوصف :

لما تبدى وثمل عارضه أبهى من الريحان والآس
قبلته فرحاً بحضرته فاسود من نيران انفاسي

وللشاب الظريف العفيف :

وأعد لي حديثه فلسمعي فرطٌ وجد باللؤلؤ المنثور
ثم صف لي ذؤابة منه طالت ودجت ، فهي ليلة المهجور

---

(١) مدحه اولا بالشجاعة والعز في رد الرسل عما اتوا له تهاوناً بمرسلهم ، وادمج واستتبع في باقي البيت مدحه بالكرم لعصيانه الملامة فيه .

ومن الاستتباع قول الذكي بن أبي الاصبع :

تخيل ان القرن وافاه سائلا فقابله طلق الاسرة ذا بشر
ونادى فرند السيف دونك نحوه فأحسن ما تهدى اللآلي الى النحر

ولامين ناصر الدين في (تحية جيوش العرب) بفلسطين وتهنئتها :

حي العروبة يا راع مهنئاً جيشاً يغاث بيأسه المستنجد
هو حصنها في النائبات ودرعها وحسامها ، وعلى الجميع له اليد
قبس من النصر استطار ضياؤه فالحق طلق ، والضلال مقيد
ووراءه النصر الأتم يعده يوم يقوم له الزمان ويقعد !

***

ومنه **التوجيه**«١» : وهو ايراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين«٢» ، كقول من قال«٣» لأعور يسمى عمراً :

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء

وعليه قوله تعالى : (واسمَعْ غيرَ مسمعٍ وراعنا)«٤» ،قال الزمخشري:

---

(١) ويسمى « محتمل الضدين »، والأبهام والمواربة من أقربائه .

(٢) على حد سواء : اذ لو كان أحدهما أخفى من غيره لكان تورية لا توجيهاً ، والمراد بالاختلاف التضاد والتنافي ، فلا يكفي مجرد احتمال معنيين متغايرين كما يوهمه كلام المصنف ، فلو قلت لصاحبك : « ان خالك قد أعجبني » ، وله خال في وجنته رائع ، وخال في صنعته بارع ، لم يكن من التوجيه : لأن المعنيين متغايران لا متضادان كالعلم والجهل والمدح والذم والدعاء والشتم .

(٣) هو بشار بن برد ، وبعد هذا البيت :

فاسأل النـــاس جميعاً أمديح أم هجـــاء

روى أن بشاراً فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو ، فقال له الخياط مداعباً : سآتيك به لا تعلم أقباء هو أم دراعة ؟ فقال له بشار : لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شعراً لا يدري أدعوت لك أم عليك ؟ فلما أتم القباء قال بشار البيتين ؛ والشعر يحتمل المدح بأنه أحسن خياطة القباء فتمنى تصحيح العوراء ليزيد في حسن خياطته ، ويحتمل الذم بأنه أساء خياطته فتمنى له العمى بتعوير الصحيحة ليتخلص الناس من شر خياطته .

(٤) سورة النساء « من الآية ٤٦ » وتمامها : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون : سمعنا وعصينا — واسمع غير مسمع وراعنا — ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ؛ ولو أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا ، واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ؛ ولكن لعنهم الله بكفرهم ، فلا يؤمنون إلا قليلا » .

(غير مسمع) حال من المخاطب : أي اسمعْ ، وانت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم : اي اسمع منا مدعواً عليك بـ (لاسمعتَ) لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع ، فكان اصم غير مسمع، قالوا ذلك اتكالاً على أن قولهم (لاسمعتَ) دعوة مستجابة ، أو (اسمعْ) غيرَ مجابٍ ماتدعو اليه . ومعناه : غير مسمع جواباً يوافقك ، فكأنك لم تسمع شيئاً ، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه، فسمعك عنه نابٍ ، ويجوز على هذا ان يكون (غير مسمع) مفعول (اسمع) ، اي اسمع كلاماً غير مسمع إياك ، لان أذنك لاتعيه نُبوّاً عنه .

ويحتمل (المدح) : اي اسمع غير مسمع مكروهاً ، من قولك: «اسمع فلانٌ فلانا » : إذا سبه ، وكذلك قوله (راعنا) يحتمل : راعنا نكلمك، اي ارقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها، وهي (راعينا)«١» ، فكانوا ، سخريةً بالدين وهزؤاً برسول الله (ص).

---

(١) وفي تفسير المنار ١٤٢/٥ : فيجعلونها في الظاهر « راعنا » وبلي اللسان واماله « راعينا» ينوون بذلك الشتم والسخرية « او جعله راعياً للشاء لهم ، أو من الرعن والرعونة، ولم يرض الاستاذ الامام كون هذه الكلمة سباً بالعبرانية، واختار في تعليل النهي عنها أنها لما كانت من المراعاة ، وهي تقتضي المشاركة نهوا عنها تأديباً لهم ، اذ لا يليق ان يقولوا للنبي « ص » ارعنا نرعك . كما هو معنى المشاركة . . . ومن لي اللسان على عادتهم قولهم في تحية النبي والمسلمين : « السام عليكم » اي الموت ، وكان يجيبهم : « وعليكم » اى كل أحد يموت .

يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ، ويظهرون به التوقير والاحترام .

ثم قال : فان قلت : كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا واطعنا . قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ، ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ، ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ، ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ، ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به .

قال السكاكي «١» : ومنه متشابهات القرآن باعتبار .

---

(١) وقد الحق فيما سبق من هذه المتشابهات بالتورية لان احد المعنيين قريب والآخر بعيد وهو المراد ، ولا تلحق بالتوجيه الا إذا احتمل بعض المتشابهات المعنيين على السواء ، وهو المراد بقوله « باعتبار » .

الابهام والموارية . — أما « الابهام » فينطبق على جميع ما فسره السكاكي والخطيب القزويني وابن الاثير ، وبذلك فسره الذكي ابن ابي الاصبع في « تحرير التحبير » الذي يعدونه اصح كتاب ألف في هذا الفن ، وهو الذي سماه « الابهام » وتابعه الصفي الحلي في بديعيته التي طالع لاجلها سبعين كتابا في البديع ، ووافقه السيوطي والمتأخرون من حذاق الصنعة .

واطلق ابن ابي الاصبع « التوجيه » على أن يأتي المتكلم بمصطلحات فنية او أسماء اعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما تتشعب له الفنون كقول الصفي الحلي :

خلت الفضائل بين الناس ترفعني بالابتداء فكانت أحرف القسم

واما « الموارية » فقد قال ابن ابي الاصبع : هي مشتقة من « الورب » بفتحتين ،=

. . . .

نصوص و شواهد

على التوجيه

جاء في الكتاب المبين : وحرمنا عليه«١» المراضع من قبلُ ، فقالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم، وهم(له)ناصحون❀(القصص١٢).

وفي حديث الأمين : «ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستح فاصنع ماشئت«٢» » البخاري (٨/٣٥) .

وسأل الحجاج ابن جبير عن نفسه فقال : أنت قاسط عادل ، فقال السامعون : احسن والله ، فقال : ياجهلة : انما سماني ظالماً مشركا ، ثم تلا : «واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون .

وقال أبو مسلم الخرساني يوماً لسليمان بن كثير : إنك كنت في

---

(١) الضمير يعود الى موسى ، «فقالت» : اخته لآل فرعون ؛ وروي أنها لما قالت : «وهم له ناصحون» قال وزير الملك حينما فهم أنها تريد بضمير «له» موسى ، انها لتعرفه وتعرف أهله ؟ فقالت : انما اردت : وهم للملك ناصحون ، فأزالت ريبة الوزير بدهائها .

(٢) يحتمل معنيين، ضدين مدحاً وذماً ، فالأول : اذا لم تفعل فعلا تستحي منه فاصنع ما شئت ، والثاني اذا لم يكن لك حياء .

مجلس ، وقد جرى ذكري فقلت : اللهم سوّد وجهه، واقطع رأسه واسقني من دمه ؟ قال : نعم ، قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حضرم . فاستحسن توجيهه وعفا عنه لسداد جوابه .

قال ابن حجة الحموي في خزانته (١٦٩) : ولم اسمع من شواهد الابهام — أي المتقدمين — غير البيت المنظوم في الخياط والبيتين المنظومين في الحسن بن سهل ، عند مازوج ابنته بوران للمأمون :

بارك الله للحسن ... وبوران في الختن
يا امام الهدى ظفر ... ت ولكن بينت من ؟

فقال الحسن للشاعر — على مانقله ابن ابي الاصبع — : أسمعت هذا المعنى أم ابتكرته ؟ فقال : لا والله ، نقلته من شعر شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع .

ويغلب التوجيه على كافوريات المتنبي كقوله من قصيدة أولها (د.ع ٤٧٢):

عدوّك مذموم بكل لسان ... ولو كان من اعدائك القمران[1]
ولله سر في علاك ، وانما ... كلام العدى ضرب من الهذيان
... فمالك تختار القسي وانما ... عن السعد يرمي دونك الثقلان

---

(١) استشهد صاحب المثل بهذه الابيات وقال : فان هذا بالذم اشبه منه بالمدح، لانه يقول : لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك ، بل بجد وسعادة ، وهذا لا فضل فيه ، لان السعادة تنال الخامل والجاهد ومن لا يستحقها .

ومالك تغني بالاسنة والقنا وجدك طعان بغير سنان
ولم تحمل السيف الطويل نجاده وانت غنيّ عنه بالحدثان !

ومن كافورياته (٤٦٦ د . ع) :

وايّ قبيل يستحقك قدره معد بن عدنان فداك ويعربُ !
وما طربي لما رأيتك بدعة لقد كنت ارجوان اراك فاطرب «١»
وتعذلني فيك القوافي وهمتي كأني بمدح قبل مدحك مذنب

ورفع غلامان الى بعض الولاة فاستحسن سمتهما فسأل عن نسبهما فقال أحدهما :

أنا ابن من دانت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه طوعاً اليه خاضعة يأخذ من مالها ومن دمها

وقال الآخر :

انا ابن الذي لا ينزل الارض قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعودُ
ترى الناس أفواجاً الى ضوء نارنا فمنهم قيام حولها وقعودُ

فسأل عنهما بعد اطلاقهما فقيل : هما ابنا حجام وطباخ !

---

(٢) في المثل السائر : حكى ابو الفتح بن جني قال : قرأت على ابي الطيب ديوانه الى ان وصلت الى قصيدته التي أولها « اغالب فيك الشوق والشوق اغلب » فأتيت منها الى هذا البيت « وما طربي . . . » ، فقلت له : ياابا الطيب، لم تزد على ان جعلته أبا زنة « بفتح الزاي كنية القرد » فضحك لقولي !

وللعلاء الوداعي «٢» :

من أمّ بابك لم تبرح جوارحه ... تروي أحاديث ما أوليتَ من منن
فالعين عن قرة، والكف عن صلة ... والقلب عن جابرٍ، والأذن عن حسن

وظريف قول الشاب الظريف (د ٦٦) :

ياسا كنا قلبي المعنى ... وليس فيه سواك ثاني
لاي شيء كسرت قلبي ؟ ... وما التقى فيه ساكنان !

وللشهاب ابن فضل الله :

وحمامنا كعبة للوفو ... د نحجّ اليها حفاة عراه
يكرر صوت انابيبه ... كتاب الطهارة باب المياه

ولبعضهم :

ردوا الهدوّ كما عهد الى الحشا ... والمقلتين الى الكرى، ثم اهجروا
من بعد ملكي رمتم ان تغدروا ... ما بعد فرقة بائعين تخيّر

---

(١) والامثلة التالية من توجيه المتأخرين، ويقول الحموي في بيتي الوداعي «الخزانة ١٧٠» : لو بلغت ما عسى ان أبلغه لما وجدت للمتقدمين شاهدا احسن من هذين البيتين على هذا النوع، ولذلك قدمتها، سبحان المانح ! وقد وجه بقرة ابن خالد السدوسي، وصلة بن اشيم العدوي وجابر بن عبد الله الصحابي، والحسن البصري، والمعنى الآخر هو المناسبة بين العين والقرة، والكف والصلة والقلب والجبر والسمع والحسن.

ومن المواربة بالتصحيف قول العز الموصلي لما مات الفتح بن الشهيد والشمس المزين

دمشق قالت لنا مقالا معناه في ذا الزمان بين
اندمل الجرح واستراحت ذاتي من القيح «٢» والمزين

ومن مواربة الحذف قول ابي نواس يهجو خالصة جارية الرشيد :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصة «٣»

***

(٢) ولو قال الفتح لحصلت « مواربة التورية » بدون التصحيف لان الفتح يناسب الجرح .

(٣) يروي انه نقش البيت على واجهة بابها . فلما شكته للرشيد ، وكان قد قلع العين بمحو بطنها ، قال له : انما قلت « ضاء » لا ضاع ، فخلص بمواربته اللطيفة من التنكيل به ، وقال بعض الحضور : هذا بيت قلمت عيناه فأبصر !

ومنه الهزل الذي يراد به الجد ، فترجمته تغني عن تفسيره«١» ، ومثله قول الشاعر (٢) :

إذا ما تميميٌ أتاك مفاخراً فقل : عدِ عن ذا ، كيف أكلك للضبِ ؟

ومنه قول امرىء القيس (٣) :

وقد علمت سلمى ، وان كان بعلَها بأن الفتى يهذي ، وليس بفعّالِ

«١» أي تسميته تغنيك عن تعريفه، ولذلك اكتفى بقول الشاعر مثالاً معرفاً؛ ولو اراد الافصاح بدل الاشارة لقال : هو أن يقصد المتكلم مدح شيء أو ذمه ، فيخرج مقصوده مخرج الهزل المعجب ، والمجون المطرب، فعل أشعب ومزيد المدني وأبي العيناء وأبي دلامة وأمثالهم من أصحاب النوادر الذين كانوا يوردون الهزل في معرض الجد كما يقال : بالضحك والمزاح تشتفي الارواح .

وقد يعترض على تسمية هذا النوع بأنها قد توهم تنافي الهزل والجد ، فكيف يراد بأحدهما الآخر ؟ ، فيقال له : ان الهزل صحيح بالنظر الى استعماله ، والجد صحيح باعتبار الحالة الراهنة ، فقد أراد الشاعر الاستهزاء والازدراء بقوله : — كيف اكلك للضب ؟ ، فهو بحسب الواقع جد صحيح، لأن تميماً كانت تعاب بأكل الضباب التي لا يأكلها أشراف الأعراب ، ويدلك على مقصده البيت الذي بعده :

تفاخر أبناء الملوك سفاهة وبولك يجري فوق ساقك والكعب

«٢» هو أبو نواس « د ١٥٩ » من قصيدة له يهجو بها تميماً ويفاخر بقحطان .

«٣» من قصيدته التي مطلعها ، « ألا بعم صباحاً أيها الطلل البالي » ، وهي في « د ١٠٩ سندوبي » ، قال ابن أبي الاصبع : ما رأيت أحسن من قوله ملتفتاً:«وان كان بعلها » ! ، و « الشاهد » في هذا البيت أن ظاهره هزل وباطنه جد ، وهو هجو بعلها الذي كان يهذي بتهديده وقتله ، يدل عليه قوله قبل هذا الشاهد :

. . . .

نصوص وشواهد

على الهزل يراد به الجد

جاء في الحديث : ان رجلًا جاء الى النبي (ص) فقال : يارسول الله احملني على بعير ، فقال : اني حاملك على ولد الناقة ! فقال : ماأصنع بولد الناقة ؟ فقال : وهل تلد الابل الا النوق ! (اخرجه ابوداود والترمذي عن أنس) .

ومن هذا النوع الظريف ماأنشده ابن المعتز لابي العتاهية :

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا من بخل نفسك عنّ الله يشفيكا
ماسلم كفك الا من يناولها ولا عدوّك إلا من يرجيكا

ولابن لؤلؤ الذهبي ، وقد بات بالجامع الاموي ليلة فأصابه برد شديد:

طال نومي بالجامع الرحب والبر د مبيدي ، وليس منه خلاصُ
كيف أدفا ، وفيه تحتي بلاط ورخام حولي ، وفوقي رصاص !

ومن لطائف كشاجم في وليمة بخيل :

صديق لنا من ابدع الناس في البخل وأفضلهم فيه ، وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه فجئت كما يأتي الى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيته يرى أنه من بعض أعضائه أكلي

ويغتاظ احياناً ويشتم عبده وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلت أستل الغذاء مخافةً والحاظ عينيه رقيب على فعلي
أمد يدي سراً لاسرق لقمة فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل
إلى أن جنت كفي لحتفي لقمة وذلك أن الجوع أعدمني عقلي
فجرّت يدي للحين رجل دجاجة فجرت كما جرت يدي رجلها رجلي
وقدم من بعد الطعام حلاوة فلم استطع منها أمر ولا أحلى
وقمت ، لو أني كنت بيت نية ربحت ثواب الصوم من عدم الاكل

وقد مدح العالم الشاعر أمين ظاهر خير الله الملك فيصلاً بقصائد تأخر أمين المال عن تأدية جوائزها ، وكانت حالة مختلة ، وزوجه الاولى ممن يفضلن الاموال على الاقوال ، والعصائد على القصائد ، فاحتدم بينهما جدال لم تحمد عقباه ، فوصفه للملك في شعر هازل ضحك له الملك كثيراً ووصله بجائزة سنية ، والشعر هو «١» :

أميري فدتك النفس شكواي مرة ولا بد من شكوى الى واسع الحلم
رأت بنت عمي ان كفي خلية فما رحمت فقري ولا رهبت شتمي
وقالت : اياحاوي القريض بضاعة الى كم تطيل الجهد في خدمة الوهم
تمر شهور لا تزال ملازماً بباب المليك الفائق الكرم الجم
وتأتي كما تمضي ورأسك ملؤها وعود ، ولا تأتي بشيء من الغنم

«١» وقد اسمعني بنفسه هذه الأبيات ، وروى لي قصتها الظريفة ، وهي مع الشعر في العدد الثاني من منتخبات مجلة المعارف « ص ٤٢ » .

إذا كنت لاتعطى هناك جوائزا فها أنا أعطيك الجوائز من عزمي
وأهوت بقبقاب على صلب منكبي كمطرقة الحداد عن ساعد ضخم
ألوذ بمولايَ المليك وعدله من الظلم يأتيني على أثر الظلم
اذا كنت لم أخجل لاني مخيبٌ فاني من القبقاب اخشى على عظمي !

ولبعضهم : أنزلنا الدهر على معشر تغرّ بالناس أحاديثهم
فما اكلنا من ضيافاتهم ماأكلت منا براغيثهم

ورد احد المطارنة مجلة (العروس) الى صاحبتها مع بيتين هما :

انا يامارِ راهب واديب لا أرى لي غير الكتاب أنيساً
قد نذرت العفاف طفلا وقلبي ليس يهوى بعد المشيب عروسا !

وأبصر أحد الشعراء الوزير الحكيم يشرب أركيلة فقال :

وأركيلة قد طوق الزهر خصرها فكاد يحاكيها الحمام المطوق
على رأسها نار وماء بقلبها فلا الماء يطفيها ولا النار تحرق
ومن طبعها حب السكوت وانما تحركها روح «الحكيم» فتنطق !

وللغواص التنوخي ، وقد لامه على انقباضه وانفراده بعض أهل وداده ممن يرتاد المقاهي والنوادي :

وصاحب يغشى المقاهي ولا ينفك عن « فاروق » والنصر
يهوى النوادي واجتماعاتها من مغرب الشمس الى الفجر
قلت له مذ لامني ضلة ليس لما تأتيه من فخر
الوزّ لا ينفك عن سربه والانفراد طبيعة الصقر !

ومنه **تجاهل العارف** وهو كما سماه السكاكي : « سوق المعلوم مساق غيره »«١» لنكتة«٢» : (كالتوبيخ) في قول الخارجية«٣» :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف !

«١» اي مساق المجهول ، و « مساق » مصدر ميمي بمعنى السوق ، وعبارة المصنف تدل على أن تسمية السكاكي تعريف لتسميته : « تجاهل العارف » ، قال السكاكي : « ولا احب تسميته بالتجاهل » لورود هذا النوع في كلام الله نحو : « وما تلك بيمينك ياموسى » ؛ وأسماه ابن المعتز « الأعنات لنكتة » ، والعسكري في الصناعتين (ص ٣٨٦) : « تجاهل العارف ومزج الشك باليقين » ، وفسره بأنه : اخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدا : أي مبالغة في المعنى ، وهي الفائدة من تجاهل العارف .

«٢» قال عصام في اطوله « ٢١٩ » : وقوله « لنكتة » مما زاده على السكاكي ، وليس في كلامه ، ولا يخلو عن تسامح لأيهامه ، والأولى ان يقول : « ومنه تجاهل العارف لنكتة ، وهو كما سماه . . . الخ » ويريد بالنكتة الفائدة والغرض المقصود كالتوبيخ والمدح والذم مما ذكره ، فلو عبرت عن المعلوم بعبارة المجهول لغير نكتة مقصودة كأن تقول لمن علمت نجاحه من الطلاب : « أناجح انت يامعن في امتحانك؟ لم يكن من هذا الباب في شيء لانه استفهام مجرد فتبينه !

«٣» هي ليلى ، وقيل سلمى ، ابنة طريف الشيبانية التغلبية ، وبيتها هذا أمير قصيدتها التي تعد من قلائد مراثي العرب ، وقد رثت بها أخاها الوليد بن طريف البطل الذي خرج على الرشيد فأرسل اليه يزيد بن مزيد الشيباني فقتله ولم يقتله « اليزيد بن معاوية » كما ذكره الدسوقي في حاشيته على السعد ؛ وتجد من مرثاة ليلى هذه أبياتا مختلفة العدد في كتب الأدب ، فهي في المعاهد ١٦ بيتاً ، واثبتها ابن خلكان في تاريخه ، وبلغت في خاتمة الحماسة البحترية ٢٤ بيتاً ، وستظهرها ان كنت موفقاً .=

و (المبالغة في المدح) في قول البحتري «١» :

ألمعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباحِ أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

أو (في الذم) في قول زهير «٢» :

وما أدري وسوف إخال أدري أقومٌ آل حصنٍ ام نساء

و « الخابور » شجر سمي به نهر الجزيرة الذي ينبع من جبال ماردين ويصب في الفرات وعلى شاطئه الأيسر تمتد « الحسكة » وهي قصبة محافظة الجزيرة ، و « مورقاً » حال من ضمير « لك » ، والعامل فيه معنى الفعل .

و « الشاهد » فيه توبيخ للشجر على إبراقه ، وكأنه لم يجزع على ابن طريف ، تجاهلا من ليلى الباكية على اخيها ، وهي تعرف انه لا يسمع ولا يجزع واستعملت « كأن » الدالة على الشك ، وبعده :

فتىً لم يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف

فقدناه فقدان الربيع فليتنا فديناه من دهمائنا بألوف

فان يك أرداه يزيد بن مزيد فرب زحوف فضها بزحوف

«١» هو مطلع قصيدة في الديوان «١/٣٦ جوائب» يمدح بها أبا الفتح بن خاقان وبعده :

يابؤس نفس عليها جد آسفة وشجو قلب اليها جد مرتاح

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح !

«٢» ابن أبي سلمى « د ٧٢ » وبعده :

فان قالوا النساء مخبآت فحق لكل محصنة هداء

« و قوم » في الشاهد يطلق على الرجال دون النساء ، و « آل حصن » من كلب قال الشنتمري الشارح : « وسوف إخال أدري » : اي سأبحث عن حقيقة أمرهم ، وانما يهزأ بهم ويتوعدهم ؛ و « الشاهد » ان التجاهل في هذا البيت يدل على الوعيد والهزء الشديد فهو لنكتة الذم .

و (التدله في الحب) في قول الحسين بن عبد الله الغزي«١» :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن ام ليلى من البشر !

وقول ذي الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجلٍ وبين النقا آ أنت أم امُّ سالم !

و(التحقير) في قوله تعالى في حق النبي (ص) حكاية عن الكفار: «هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد» كأن لم يكونوا

---

(١) ذكر الباخرزي في الدمية انه احد ثلاثة أبيات لبدوي اسمه كامل الثقفي وقال العيني : انه من قصيدة للعرجي ، ويروى للمجنون ولذي الرمة، وللحسين بن عبد الله ، ورأى صاحب الخزانة البغدادية « ٩٨/١ » الصاغاني يعزوه في عبابه للحسين بن عبد الرحمن العريبي ، ويعزوه السخاوي في شرح المفصل لعلي بن محمد العريبي ، وهو متأخر ، كان يتشبه بطريقة العرب في الشعر،أقول : ولعل «الغزي» تصحيف « الغربي » ، لأن الغزي الشاعر الفحل الذي مدح آل بويه وغيرهم « ٤٤١ — ٥٢٤ » هو أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان الكلبي الأشهبي لا الحسين بن عبد الله ؛ ومما يقوي الظن رواية « الايضاح » المنشورة مع شروح التلخيص فهي « الحسين بن عبد الله الغربي »، وكذلك جاء في عروس الافراح للسبكي،وفي حاشية الدسوقي على السعد ، والله أعلم ؟

و « الشاهد » فيه أنه يعلم أن ليلاه من البشر ، ولكن تجاهله ناشىء عن التدله والتوله ، ويقول « السعد في مختصره : وفي اضافة ليلى الى نفسه أولاً ، والتصريح باسمها ثانياً استلذاذ ، وهو انموذج من نكت التجاهل ، وهي أكثر من أن يضبطها القلم « ٤٠٦/٤ الشروح » ، ومثله يقال في بيت ذي الرمة التالي .

يعرفون منه الا أنه رجلٌ ما «١».

و (التعريض) في قوله تعالى : « وإنا وإياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين »«٢» وفي مجيء هذا اللفظ على الابهام فائدة اخرى، وهي أنه يبعث

---

(١) من سورة سبأ « الآية ٧ » ، وانما قصد المشركون من قريش التجاهل بالنبي العظيم ، تهاوناً بأمره ، واستصغاراً لبعثته ، فهذا التنكير لنكتة التحقير .

(٢) من سورة سبأ «الآية ٢٤» وهي:« قل من يرزقكم من السموات والأرض، قل الله،وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » ، أي ان احد الفريقين من الموحدين او المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال ، وقال الكشاف « ٣/٢٥٩ » : وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف ، قال لمن خوطب به : قد انصفك صاحبك ، وفي درجة من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ، ومن هو في الضلال المبين ؛ ولكن « التعريض » والتورية أنضل بالمجادل الى الغرض ،وأحجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم ، وفل شوكته بالهوينا ، ونحوه قول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق مني ومنك ، وان احدنا لكاذب ، ومنه بيت حسان :

أتهجوه ، ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

لطائف تجاهل العارف:ان التجاهل اسلوب طبيعي من أساليب البيان، يكسب الكلام روعة وتأثيراً ، فيزداد السامع بالتجاهل معرفة وشعوراً،وبه في مقام الجدل والمناظرة تتألف القلوب النافرة والأبصار المعرضة ، فيسلس لنا بارتفاع غضاضة المناظر القياد ، فهو كما يقول الزمخشري : « أنضل بالمجادل الى الغرض وأحجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم ، وفل شوكته بالهوينا » ؛ ولكن هذه اللطائف والنكات والاسرار انما يبحث عنها في علم المعاني ، فهي أشبه بمباحث الاستفهام والعطف والتنكير .

المشركين على الفكر في حال انفسهم و حال النبي (ص) والمؤمنين، واذا فكروا فيما هم عليه من اغارات بعضهم على بعض، وسبي ذراريهم واستباحة أموالهم وقطع الارحام، واتيان الفروج الحرام، وقتل النفوس التي حرّم الله قتلها، وشرب الخمر التي تذهب العقول، وتحسن ارتكاب الفواحش وفكروا فيما النبي عليه السلام والمؤمنون عليه: من صلة الارحام واجتناب الآثام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واطعام المساكين وبر الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى، علموا أن النبي عليه السلام والمسلمين على هدى، وانهم على الضلالة. فبعثهم ذلك على الاسلام، وهذه فائدة عظيمة.

نصوص وشواهد

على تجاهل العارف

جاء في الكتاب المبين : فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم«١» ❀ (محمد ٢٢) .

وفي حديث الامين : « . . . أليس من أهل بدر ؟ لعل الله - وفي روايه : وما يدريك ياعمر لعل الله — اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة«٢» . (البخاري : باب فضل من شهد بدرا).

ولابي الطيب المتنبي (د . ع ٣٢٤) والنكتة التدله في الحب :

أتراها لكثرة العشاق ؟ تحسب الدمع خلقة في المآقي

انت منا فتنت نفسك لكنك عوفيت من ضنىً واشتياقِ

حلت دون المزار فاليوم لوزر تٍ لحال النحول دون العناقِ

---

(١) قال الطيبي في تبيانه بعد أن استشهد بهذه الآية لنكتة الاستدراج: فلو عدل عن الاستخبار المتضمن للتوبيخ الى تصريح الأخبار بأنكم ، إذا توليتم أمور الناس أفسدتم وقطعتم الارحام ، للبسوا لهم جلد النمر ، ولكن اذا تأملوا في الاستخبار أنصفوا وأذعنوا للحق .

(٢) ان كان هذا الحديث من هذا النوع فما هي نكتته ؟

ولابن هانىء الاندلسي[١] (د ٣٢٢) والنكتة تعظيم الممدوح :

أبني العوالي السمهرية والسيو ... ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه ... تحت السوابغ تبع في حمير ؟
... في فتية صدأ الدروع عبيرهم ... وخلوقهم علق النجيع الأحمر
لايأكل السرحان شلو طعينهم ... مما عليه من القنا المتكسر

ولمهيار (د ٣/١٩٤) والنكتة للتقرير :

سلا ظبية الوادي ، وما الظبي مثلها ... وان كان مصقول الترائب اكحلا
أأنت امرت البدر أن يصدع الدجى ... وعلمت غصن الباب أن يتميلا
وحرمت يوم البين وقفة ساعة ... على عاشق ظن الوداع محللا
جمعت عليه حرقه الدمع والجوى ... وما اجتمع الداءان الا ليقتلا

ولابن المعتز متدلها :

كم ليلة عانقت فيها بدرها ... حتى الصباح موسداً كفيه
وسكرت لاأدري: أمن خمر الهوى
أم كأسه ، ام فيه ، أم عينيه ؟

---

(٣) الديوان « ص ٣٢٢ » ، قيل انه لما تجاهل في هذا البيت «من منكم . . .» عن معرفة الممدوح، ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح إذ هو ملكهم ،وهذه القصيدة سارت بها الركبان والحداة تشدو ببلاغتها ، وهي أخب من « قفانبك » في الشهرة لفصاحتها « الخزانة الحموية ١٥٤ » .

وللسراج الوراق ، وقد صرح بالتوبيخ :

وآخجلتي وصحائفي مسودة ... وصحائف الابرار في إشراق
وموبخ في الحشر وهو يقول لي ... أكذا تكون صحائف الوراق !

ولبعضهم في أبي الفتح الكاتب ، ونكتته الذم السفيه :

ان ابا الفتح فتى كاتب ... والشعر من آلته الفضلُ
انشدنا شعراً فقلنا له ... ذا غزل ، ويحك ، ام غزل
وملت عنه نحو اصحابنا ... أسألهم : هل عندكم نعل !

ولابن شمس الخلافة ، والنكتة المبالغة في التشبيه والتدله :

أشعرك ام ليل ، ووجهك ام قمر ... ونشرك أم مسك ، وثغرك ام درر
وخدك أم ورد ، وريقك ام طلى ... وجسمك ام ماء ، وقلبك ام حجر
شككنا على علم ، ومن غلب الهوى ... على قلبه غطى على السمع والبصر !

ومما جاء للتحقير قول الشاعر :

لما ادعى غصن الرياض انه ... في لينه مع قدها موصوفُ
قلنا له : ما أنت مثل قدها ... هل أنت هذا القد يا مقصوف

ومما جاء لنكتة التعريض قول البها زهير (د ٩٤) :

رعى الله ليلة وصل خلت ... وما خالط الصفو فيها الكدر
أيا قلب تعرف من قد أتاك ... وياعين تدرين من قد حضر
فكانت كما اشتهى ليلة ... وطال الحديث وطاب السهر

ورحنا نجر ذيول العفاف ونسحبها فوق ذاك الاثر
خلونا وما بيننا ثالث فأصبح عند النسيم الخبر

وما أرق قول صاحب دمية القصر الباخرزي (— ٤٦٧) :

قالت ، وقد فتشت عنها كل من لاقيته من حاضر أو بادي
انافي فؤادك فارم لحظك نحوه ترني فقلت لها: وأين فؤادي !

ومن ظريف التجاهل قول عبد المحسن الصوري (— ٤١٩) :

باللذي ألهم تعذيبي ثناياك العذابا
والذي صبر حظي منك هجراً واجتنابا
والذي البس خديك من الورد نقابا
ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا !

وكتب صاحب الصناعتين (٣٨٦) الى بعض اهل الادب : « سمعت بورود كتابك فاستفزني الفرح قبل رؤيته ، وهز عطفي المرح أمام مشاهدته فما أدري : أسمعت بورود كتاب ، أم ظفرت برجوع شباب ، ولم أدر مارأيت : أخط مسطور ، ام روض ممطور ، وكلام منثور ، ام وشي منشور . ولم أدر ماأبصرت في اثنائه : أأبيات شعر ، أم عقود در ، ولم أدر ماجملته : أغيث حل بوادي ظمآن ، أم غوث سيق الى لهفان ... » ؟!

* * *

ومنه القول بالموجب «١» وهو ضربان :

أحدهما : ان تقع صفةٌ في كلام الغير كناية «٢» عن شيء أثبت له حكمٌ ، فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له ، او انتفائه عنه «٣» كقوله تعالى : « يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعزُّ منها الأذلَّ ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . فانهم كنوا بـ (الاعزّ) عن فريقهم ، وب (الاذل) عن فريق المؤمنين ،

(١) نوع لطيف أفرده الصلاح الصندي بالتأليف ، ويسمى ايضاً « اسلوب الحكيم » ، « والموجب » بكسر الجيم على الأظهر : لان المراد به القول بالصفة أو بالوصف الذي يوجب الحكم ، فهو اسم فاعل من أوجب ، ويحتمل فتح الجيم على انه اسم مفعول ، ان اريد به القول بالحكم الذي أوجبه الوصف ، والمعنيان صحيحان : لانك اذا قلت بالصفة التي توجب ، فكأنك قلت بالحكم المرتب عليها ، وإنما كان الأول اظهر : لان الصفة هي المصرح بالقول بها ، والقول بالحكم ضمنها .

(٢) لا يحسن دخول الالف واللام على غير ، وقوله « كناية » اي عبارة عن او دلالة خفية عليه ، لا الكناية الاصطلاحيه .

(٣) وتبين معنى تعريف الضرب الأول بتطبيق الآية التالية عليه ، فقوله : « أن تقع صفة » هي « الاعز » في الآية ، وقد وقعت في كلام المنافقين « كناية عن شيء » هو فريقهم ، و « الاذل » كناية عن المؤمنين ، وقد « أثبت له حكم » اي اثبت لذلك الشيء وهو الفريق حكم ، وهو « الأخراج » ويريد به المنافقون إخراج المؤمنين من المدينة .

وبقوله : « فتثبت في كلامك . . . » قد اثبت الله رداً عليهم صفة « العزة » لغير فريقهم أي « لله ولرسوله وللمؤمنين » من غير ان يتعرض لاثبات ذلك الحكم « الاخراج » أو لنفيه عنهم .

واثبتوا للاعز الاخراج، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم .

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله«١» بذكر متعلقه«٢» كقوله«٣» :

قلتُ : ثقلتُ إذ أتيتُ مراراً قال : ثقلتَ كاهلي بالأيادي

---

(١) وهذا الضرب الثاني هو الذي جرى علية المتأخرون ونظمه الشعراء واصحاب البديعيات وسموه « اسلوب الحكيم » قال البهاء السبكي في عروسه «١/٤٠٩ شروح » : «واعلم ان هذا الضرب الثاني من القول بالوجب هو «الاسلوب الحكيم» المذكور في علم المعاني » . أقول : ويدل عليه ان صاحب التبيان قد عرف اسلوب الحكيم بقوله : وهو ان تلقى المخاطب بغير ما يترقب تنبيها به على انه اولى بالقصد .

(٢) وقوله : « مما يحتمله » أي ذلك اللفظ ، بأن يكون صالحا لما حمل عليه ومناسبا، والباء من « بذكر » متعلقة بالمصدر وهو: حمل ، من عبارة « حمل لفظ» ، وهي هنا للسببية : اي حمل لفظ على خلاف المراد بسبب متعلق ذلك اللفظ ، ويراد بالمتعلق هنا ما يناسب اللفظ المحمول على غير المراد .

هذا ، وبتطبيق الشاهد التالي : « قلت ثقلت . . . » على التعريف يتضح معناه، فقوله « ثقلت » هو اللفظ الذي وقع في كلام الغير ، ومراده حملتك المشقة المعنوية، فحملت لفظه هذا على غيره مراده ، وهو التثقيل على كاهله بالأيادي والمنن .

(٣) البيتان منسوبان لابن حجاج ، ولم يجدهما صاحب المعاهد في ديوانه ،ونسبها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان لمحمد بن ابراهيم الاسدي ، ومعنى « تطولت » تفضلت ، و « أبرمت » امللت .

قلتُ: طوّلتُ، قال: لا بل تطولـ ـتَ، وأبرمتُ، قال: حبلَ وادي

والاستشهاد بقوله: (ثقلتُ وابرمت) دون قوله (طولت)[1].

ومنه قول القاضي الأرجاني:

غالطتني إذ كست جسمي الضنى كسوةَ عرت من اللحم العظاما[2]

ثم قالت: انت عندي في الهوى مثل عيني، صدقت لكن سقاما

وكذا قول ابن دُوَيدة المغربي من أبيات يخاطب بها رجلًا أودع بعض القضاة مالاً، فادعى القاضي ضياعه:

إن قال: قد ضاعت، فيصدق إنها ضاعت، ولكن (منكَ) يعني لو تعي

أو قال: قد وقعت فيصدق إنها وقعت، ولكن منه أحسنَ موقعِ

---

(١) الاستشهاد على القول بالموجب يصح بقوله «ثقلت وابرمت» واما «طولت» فليس من هذا النوع، فانه رد عليه بقوله «لا»، واثبت شيئا آخر فان التطول غير التطويل.

(٢) في العبارة قلب، وأصلها: عرت العظام من اللحم، و«الشاهد» في قولها «مثل عيني» أي في محبتها واكرامها له، وسلم القاضي لها قولها، بانه مثل عينها، ولكن في فتورها وسقامها، وفتور العين من جمالها.

وفي قوله «لكن سقاما» نظر، لان حذاق البديع خصصوا لفظ «لكن» بنوع الاستدراك لاجل الفرق بينه وبين القول بالموجب، بلهم يستشهدوا على الاستدراك بغير بيتي الارجاني هذين فتنبه.

وقريبٌ من هذا قول الآخر «١» :

واخوانٍ حسبتهم دروعاً فكانوها ، ولكن للأعادي
وخلتهم سهاماً صائباتٍ فكانوها، ولكن في فؤادي
وقالوا: قد صفت مناقلوبٌ لقد صدقوا ولكن من ودادي

والمراد البيتان الأولان ، ولك ان تجعل نحوهما ضرباً ثالثاً .

. . .

(١) على بن فضال او فضالة القيرواني الفرزدقي حفيد الفرزدق ومن علماء اللغة والادب والتفسير « — ٤٧٩ هـ » وينسبها العباسي في معاهده له ولابن الرومي، وبعدها بيت رابع :

وقالوا قد سعينا كل سعي لقد صدقوا ولكن في فسادي

والبيت الثالث والرابع من القول بالموجب ،أما الأولان فقريبان من هذا النوع لدي الخطيب المصنف ولذا قال : « ذلك ان تجعل نحوهما ضربا ثالثا » : إذ ليس فيها حمل صفة ذكرت في كلام الغير على معنى آخر ،وانما فيها ذكر صفة ظنت على وجه، فاذا هي على خلافه ، ويقال في هذه الابيات وفي شاهدي ابن دويدة ماقلناه في شاهد الارجاني بأنها من الاستدراك ، ولذلك اتخذ السيوطي في عقوده هذه الشواهد الثلاثة أمثلة للاستدراك .

نصوص وشواهد

على القول بالموجب

جاء في كتابنا العربي المبين : يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ﴿ (البقره ٢١٥)»[1] :

وجاء في حديث الأمين : عن أبي بكرة قال قال رسول الله : الا انبئكم با كبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وهو قول الزور ، وشهادة الزور ، الا وهو قول الزور وشهادة الزور ، فما زال يقولها حتى قلت :

---

(١) استشهد الطيبي في تبيانه بهذا الآية على هذا النوع ، ويقول جار الله في كشافه « ١/١٣٠ » : فان قلت : كيف طابق الجواب السؤال في قوله : « قل ما انفقتم » وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون ، وأجيبوا ببيان المصرف ؟ قلت : قد تضمن « الجواب » (قوله ما انفقتم من خير) بيان ما ينفقونه ، وهو كل خير ، وبنى الكلام على ما هو أهم، وهو بيان المصرف : لأن النفقة لايعتد بها إلا أن تقع موقعها، قال الشاعر :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع

لايسكت ! «١» (البخاري: كتاب الأدب ٥/٤)

ومن أصيل الشعر في هذا النوع قول الشاعر :

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقي وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا: به أعين الجن نظرة ولو صدقوا قالوا: به أعين الانس !

أخذه أبو المحاسن الشواء (٥٦٢ - ٦٣٥) فقال :

ولما أتاني العاذلون ، عدمتهم وما فيهم الا للحمي قارضُ

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا وقالوا به عين فقلت وعارض «٢»

ولصدر الدين بن الوكيل (٦٦٥ - ٧١٦) وهو من الشعراء العلماء:

وبي من قسا قلباً ولان معاطفا اذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي

أقرّ برقٍ إذ أقول : أنا له وكم قالها يوماً ولكن لتهديدي

---

(١) ويشبه هذا الحديث الآية ، فان جواب السؤال عن اكبر الكبائر يقتضي أن يكون الاشراك بالله وحده ، فأجاب به وهو يتلقى المخاطبين اللذين قنعوا بجوابه بغير ما يترقبون تنبيهاً بهم الى شرط كمال التوحيد بأن لا يصاحبه عقوق الوالدين. ولا قول الزور وشهادة الزور .

(٢) ارادوا بالعين إصابة العائن ، وحمله على إصابة عين الحبيب بذكره ملائمه وهو العارض الذي يطلق على عارض الوجه وهو الخد ، أو على عارض الفم ، وهو ما يبدو منه عند الضحك كما في اللسان ، قال كعب :

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت كانه منهل بالراح معلول

وكأن الشعواء بقوله : « وعارض » قد قال : لقد صدقتم في عينها وعارضها ، لا في عين العائن ، اذ لا يؤثر في غيرها .

ولابن نباتة السعدي :

وملولة في الحب لما أن رأت أثر السقام بعظمي المنهاضِ
قالت: تغيرنا ، فقلت لها: نعم انا بالسقام وانت بالاعراض !

وما ألطف قول السراج الوراق :

شكا رمداً فقلت :عساه كلت لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا : سيف مقلته تصدى فقلت :نعم لقتل العاشقينا !

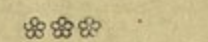

ومنه **الاطراد**«١» : وهو ان تأتي باسماء الممدوح أوغيره وآبائه«٢» على على ترتيب الولادة من غير تكلف«٣» في السبك حتى تكون الاسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده وسهولة انسجامه كقول الشاعر«٤» :

إن يقتلوك فقد ثللتَ عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهابِ

---

(١) قال المحقق المغربي في مواهبه ٤/٤١٢ ش » هذا تمام ما ذكره «المصنف» من أنواع الضرب البديعي ، والمرجع فيما يستبدع من انواعه إلى ما يستحسنه ذو الطبع السليم من البلغاء . وليس كل من ادعى حسن شيء كان مدعاه بديعا ، وقد عد من جملتها الاطراد ، والظاهر انه من اللفظي لان مرجعه الى حسن السبك ، وقد يقال : بل الى حسن السبك في معنى مخصوص هو النسب ، فللمعنى دخل فيه تأمله .

(٢) للممدوح اسم واحد ، إلا ان يريد لقبه وكنيته وصنعته واسرته ، وذكر الشيخ الصفي الحلي في شرح بديعيته : ان الاطراد عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به ، واسم من امكن من أبيه وجده وقبيلته ليزداد الممدوح تعريفاً ،وشرط ان يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولاتكلف ولاانقطاع بالفاظ أجنبية واورد على ذلك قول الشاعر :

مؤيد الدين أبو جعفر محمد بن العلقمي الوزير

(٣) بأن يذكر الابن والاب والجد فمافوق على ترتيب غير مختل التسلسل من غير تكلف في النظم ولا تعسف في السبك كأن يقال : « عتيبة الذي ابوه شهاب الذي ابوه الحارث » لا يسمى ذلك اطرادا « الاطول ٢٢٠ » .

(٤) هذا البيت في الحماسة الطائية « ١/٣٥٤ » وفي شرح التبريزي — نشره صديقنا العلامة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد « ٢/٣٢٢ م . ع » — مع الخبر =

وقول دريد بن الصمة :

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وفيه تعرض للمقتول به ولشرف المقتول ، قيل : لما سمعه عبد الملك ابن مروان قال : لولا القافية لبلغ به آدم !

وفي الحيوان « ٣/٤٢٦ مكتبة الجاحظ » ، وفي العقد « ٣/١٦٧ » والمؤتلف للآمدي « ١٢٦ » ، والشاعر جاهلي وهو أبو ذؤاب الاسدي : ربيعة « مؤنث تصغير ربيع » بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين ، وعتيبة هو ابن الحارث ، وهذا البيت أحد الأبيات الخمسة في الحماسة وهي :

ابلغ قبائل جعفر ان جئتها ما إن حاول جعفر بن كلاب
إن الهوادة والمودة بيننا خلق كسحق اليمنة المنجاب
أذؤاب ، إني لم أهبك ولم أقم للبيع عند تحضر الاجلاب

وبعد الشاهد :

بأشدهم كلباً على اعدائهم وأغرهم فقداً على الاصحاب

وشعر أبي ذؤاب جنى عليه فقد كان السبب في قتل ولده ، وذلك أن ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي يوم خو ، وأسر الربيع بن عتيبة بن الحارث ذلك اليوم ذؤاباً ، وهو لا يعلم انه قاتل أبيه ، فأتاه أبو ذؤاب فافتداه ، ووعده أن يأتي به عكاظ ، فلما دخلت الاشهر الحرم ، وافى ابو ذؤاب بالابل الموسم ، وتخلف الربيع بن عتيبة لشغل عرض له ، فلم يواف بالأسير ، فقدر ابو ذؤاب انه علم بقتله لابيه فقتله ، فرثاه بهذا الشعر الجاني ، وسارت به الركبان حتى بلغت يربوعا فعلموا ان ذؤابا قاتل عتيبة فأقادوه به ، ولهذا الخبر مزيد تفصيل في يوم خو من العقد « ٣/٣٧٥ » . =

ومنه قول النبي (ص) : « الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم : يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم » .

وجعفر في البيت الأول يعنى به جعفر بن ثعلبة بن ربوع رهط عتيبة بن الحارث لاجعفر بن كلاب فهو من بني عامر ، ومعنى الشاهد : ان يتبجحوا بقتلك وصاروا يفرحون به فقد ثلث عرشهم وهدمت عزهم بقتل عتيبة بن الحارث .

حسن الاطراد . — قال ابن رشيق في عمدته « ٢/٧٨ » : ومن حسن الصنعة أن تطرد الاسماء من غير كلفة ولا حشر فارغ ، فانها إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر وقلة كلفته ومبالاته بالشعر وذلك نحو قول الاعشى :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالدٍ وانت امرؤ ترجو شبابك وائل

***

نصوص وشواهد

على الاطراد

من الشعر القديم في الاطراد قول الحارث بن دوس الأيادي :

وشبابٍ حسن أوجهم من إياد بن نزار بن معد

ومن سيفيات أبي الطيب[1] (٣١٤ د ٠ ع) :

نهبت من الاعمار مالو حويته لهنئت الدنيا بانك خالدُ

فأنت حسام الملك ، والله ضارب وانت لواء الدين والله عاقد

وأنت أبو الهيجا ابن حمدان ، يا ابنه تشابه مولود كريم ووالد

قال ابن رشيق « العمدة ٢/٨٠ » : « وجاء ابو الطيب فجاءك بالتعسف في قوله لسيف الدولة : « واستشهد بالبيتين الثالث والرابع ، ثم قال : ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء في بيتين ، وأنه جعلهم أنياب الخلافة بقوله : « اولئك انياب الخلافة . . . » وهم سبعة بالممدوح ، والأنياب في المتعارف أربعة ، إلا ان تكون الخلافة تمساح نيل او كلب بحر ، فان أنياب كل واحد منها ثمانية ؛ اللهم إلا أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة ، فانه يصح ، وفيه من الزيادة على ما قبله انه زاد واحداً في العدد : فانه جعل كل ابن هو وابوه في الخلافة الى ان بلغ راشداً ، ولم يقصد الى ذلك احد من اصحابه ، وانما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهي اربعة اسماء .

وحمدان حمدون ، وحمدون حارث وحارث لقمان، ولقمان راشد
اولئك أنيابُ الخلافة كلها وسائر املاك البلاد زوائد

وقال أبو تمام«١» يمدح مالك بن طوق حين عزل من الجزيرة(د٢٧٣):

مهلًا بني غنم بن ثعلب إنكم هدفُ الأسنة ، والقنا يتحطمُ
ما منكم إلا مردّىً بالحجى أو مبشرٌ«٢» بالأحوذية مؤدَمُ
عمروُ بن كلثوم بنِ مالكِ بن عتاب بن سعدٍ سهمكم لا يسهم«٣»
تغزو فتغلب تغلبٌ مثل اسمها وتسيح غنم في البلاد فتغنم

وله أيضاً يمدح نوح بن عمرو الكندي«٤»:

مطرد الآباء في نسبةٍ كالصبح في اشراقه الساطع
مناسبٌ تحسب من ضوئها منازلاً للقمر الطالع

---

(١) خاطب بذلك بني عمرو بن غنم التغلبيين ، وهم بنو عم مالك بن طوق ، فانتظم له ما أراد من الاسماء ، إلا انه ظاهر التكلف « العمدة ٢/٧٩ » .

(٢) الاصمعي : رجل مؤدم مبشر « بصيغة اسم المفعول » : وهو الذي جمع بين لين الأدمة وخشونة البشرة وجرب الأمور .

(٣) لا يسهم أي لا يتغير .

(٤) وفي هذه الابيات أتى أبو تمام بستة آباء ، فأحكم التصنيع وقابل ستة بستة لان الاشراط منزلة ، وان جمعها ، إلا ان « الفتى » هنا غضة مع بردلفظ وركاكة ، ما أحسن أبا هؤلاء كلهم يقال له الفتى ، وان كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن ولكن الفتوة « العمدة ٢/٧٩ » ، غير ان اللفظ فيه ايحاء وايهام .

كالدلو والحوت وأشراطه والبطن والنجم الى البالع
نوح بن عمرو بن حُوَّي بن عمرو بن حُوَي بن الفتى مانع
في سكسكيّ المجد كنديه وأدديّ السؤدد الناصع

ولأبي نواس يمدح الامين[1] (د ٦٤) :

ملك اذا اعتسر الأمور مضى به رأيٌ يفل السيفَ وهو حسام
داوى به الله القلوب من العمى حتى أفقن وما بهن سقام
أصبحت يابن زبيدة ابنة جعفر أملًا لعقد حباله استحكام
فسلمت للأمر الذي ترجى له وتقاعست عن يومك الايام

وما أساس سبك القائل[2] :

من يكن رام حاجة بعدت عنه واعيت عليه كل العياء

فلها احمد المرجى بن يحى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

وقال ابن دريد ، وجمع ثمانية اسماء في بيت واحد :

فنعم اخو الجلى ومستنبط الندى وملجأ محزون ومفزع لاهث

عياذ بن عمرو بن الحليس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارث

---

(١) عيب على ابي نواس في مدحه لمحمد الامين ذكره لامه في مدحه ، وانما كان هذا مكروها لان شرف الانسان انما يكون بالرجال لامن جهة النساء الطراز « ٣/٩٤ » .

(٢) قال الزكي بن ابي الاصبع : لقد اربى هذا الشاعر في هذا النوع على من تقدمه ، ولو سلم بيته من الفصل بلفظة «المرجى» لكان غاية لا تدرك وعقيلة لا تملك .

وقال امية في القاضي منصور بن محمد الازدي :

قالت : تفتش عن اولى المجد من في الانام لطالب الرفد
فاجبت قاضينا وسيدنا منصورٌ بن محمد الأزدي

ومنه ما كتبه مجدالدين بن الظهير الحنفي على اجازة :

أجاز ما قد سألوا بشرط أهل السند
محمد بن أحمد بن عمروٍ بن أحمد

***

التحسين اللفظي

وأما (اللفظي) فمنه الجناس «١» بين اللفظين، وهو تشابههما في اللفظ «٢»، و (التام) منه أن يتفقا في انواع الحروف واعدادها وهيئاتها وترتيبها، فان كانا من نوع واحد كاسمين سمي (مماثلاً) «٣» كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة) «٤»، وقول الشاعر «٥».

---

(١) ويسميه قدامة طباقاً، وقال صاحب المحكم «ابن سيده»: الجنس الضرب من كل شيء، وكان الاصمعي يدفع قول العامة: «هذا مجانس لهذا»، وقول المتكلمين: تجانس الشيئان» اذا كانا من شكل واحد، ويقول: ليس عربياً صحيحاً إنما هو توسع.

(٢) فسر المصنف «جناس اللفظين» اي الملفوظين بتشابههما في اللفظ: أي في التلفظ: ليخرج التشابه في المعنى نحو أسد وليث، أو في مجرد العدد مع اختلاف الوزن نحو ضرب وعلم، أو في الوزن والعدد كضرب وقتل، مبنيين للفاعل؛ والمراد من التشابه اللفظي ان يكون مجموع اللفظ كمجموع اللفظ، فلا يرد التشابه في لام الكلمة أو عينها أو فائها، ولابد مع هذا التشابه اللفظي من اختلاف المعنى كما تراه في الأمثلة التالية.

(٣) أخذاً من «المماثلة» التي هي اتحاد النوع عند المتكلمين، وفي بعض نسخ الايضاح؛ سمي «متماثلا»، والعبرة في المماثلة تكون بالنطق لا بالكتابة.

(٤) شاهد على وقوع الجناس المماثل في مفردين، ويقال: ليس في القرآن جناس تام غير هذه الآية.

(٥) لا نعرفه الى الآن، وهو شاهد على الجناس في جمعين؛ وقد يكون الجناس في مفرد وجمع كقوله: =

حدق الآجال آجال والهوى للمرء قتالُ

الأول جمع إجْل بالكسر . وهو القطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع أَجل ، والمراد به منتهى الاعمار ، وقول أبي تمام«١» .

اذا الخيل جابت قسطلَ الحرب صدَّعوا

صدور العوالي في صدور الكتائبِ

وان كانا من نوعين كاسم وفعل سمي : « مستوفى »«٢» كقول أبي تمام أيضاً «٣» .

مامات من كرم الزمان فانه يَحيا لدى يَحيى بن عبد اللهِ

ونحوه قول الآخر «٤» .

وذى ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

فالذمام الأول مفرد بمعنى العهد والحرمة التي تلزمك اذا ضيعتها المذمة ، والثاني جمع ذمة بفتح الذال وهي البئر القليلة الماء .

(١) يمدح جد الخطيب المصنف أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي « د ٤٢ » ، وقبله شاهد على الجناس المطرف :

يمدون من أيد عواسٍ عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

(٢) لاستيفاء كل من اللفظين من اوصاف الآخر .

(٣) يمدح ابا الغريب يحي بن عبد الله « د ٣٤١ » ، والشاهد « في قوله يحيا لدى يحي » اذ الأول اسم والثاني فعل ، وبعد بيتين من الشاهد :

وأغر يلهو بالمكارم والعلى إن المكارم للكريم ملاهي

(٤) محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدي يرثي ولداً صغيراً له يسمى يحي ، وهو شاعر وعالم كوفي ، و « الشاهد » فيه « يحي ليحيا » كما في بيت أبي تمام .

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن الى ردّ امر الله فيه سبيلُ

و (التام) ايضاً إن كان احد لفظيه مركباً[1] سمي (جناس التركيب)، ثم إن كان المركب منهما مركباً من كلمة وبعض كلمة سمي (مرفوّاً) كقول الحريري[2].

ولا تلهُ عن تذكار ذنبك وابكهِ بدمع يحاكي الوبلَ حالَ مَصابه
ومثل لعينيك الحمامَ ووقعه وروعةَ مَلقاه ومطعمَ صابه

وإلا فان اتفقا في الخط سمي «متشابهاً» كقول أبي الفتح البستي.

اذا ملك لم يكن ذا هِبْه فدعه فدولته ذا هبَهْ[3]

---

(١) اي واللفظ الآخر مفرد؛ أما أن كان كل من اللفظين المتجانسين مركبا فيسمى «ملفقا»، وعليه قول البستي:

إلى حتفي سعى قدمي أرى قدمي أراق دمي

وبذلك ينقسم المركب الى قسمين: ١ — مركب اللفظ أو الركن «جناس التركيب»، و ٢ — مركب اللفظين «جناس التلفيق»، ولا ذكر لهذا الضرب في الأيضاح.

(٢) في المقامة الرازية «ص ٢٠٣» ورواية عجز البيت الاول فيها: «بدمع يضاهي المزن حال مصابه»، والبيتان من شعر مؤلف من أبيات عشرة، وكلمة «مصابه» بالفتح مصدر ميمي كالصوب وهو نزول المطر، والصاب شجر مر كالحنظل، أو هو الحنطل: اي مرارة طعم الموت، والشاهد في مصابه»، قال ابن حجة «الخزانة ٢٩»: وهذا النوع لا يخلو من تعسف وعقادة في التركيب.

(٣) ابو الفتح البستي، واللفظ الاول «ذا هبة» مركب بمعنى صاحب عطية، والثاني مفرد بمعنى مولية، والشاهد في هذين اللفظين أحدهما مركب والآخر مفرد.

وان اختلفا سمي (مفروقا) كقول ابي الفتح ايضاً .

كلكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا
ماالذي ضرّ مديرا جام لو جاملنا«١»

وقول الآخر«٢»

لاتعرضن على الرواة قصيدةً ما لم تبالغ قبلُ في تهذيبها
فمتى عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوساً تهذي بها

ووجه حسن هذا القسم أعني (التام) حسن الافادة ، مع ان الصورة صوره الاعادة«٣»

---

(١) ولا يعدهذا المفروق الذي اختلف فيه اللفظان خطأ من «مركب اللفظين» ذلك بانهم يرون اللفظ الاول مركباً « جام لنا » ، والثاني مفرداً « جاملنا » باعتبار الضمير المنصوب المتصل جزءاً من الكلمة ، وبذلك يصح التمثيل به لمفرد ومركب؛ ولولاه لكانا مركبين نحو « أرى قدمي اراق دمي » ، وحينئذ يسمى « الملفق » ، وإنما خص «المفروق» بهذا الاسم لان الميم في : جام لنا ، مفروقة ، وفي : جاملنا، موصولة فاعرفه ، قال الحموي في خزانته «٣٤»: وهو عزيز الوقوع « لصعوبة مسلكه » ولكن له رونق وموقع في الذوق لطلاوة تركيبه وغرابة اسلوبه ،وهو، كما أشعر به، مما ينبو عنه الطبع ويمجه الذوق السليم .

(٢) هو ابو حفص عمر المطوعي ، ويقال في هذا الشاهد ما قلناه في الشاهد السابق

(٣) **وجه حسن الجناس** : وعبارة الامام في اسرار البلاغة « ص١١ » : واعلم ان النكتة التي ذكرتها في التجنيس ، وجعلتها العلة في استيجابه الفضيلة وهي «حسن=

وان اختلفا في هيئات الحروف فقط سمي (محرّفاً)«١» ،ثم الاختلاف قد يكون في الحركة فقط كالبُرد والبَرد في قولهم : « جُبة البُرد جُنة البَرد »«٢» وعليه قوله تعالى : « ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان

الافادة) ، مع أن الصورة صورة التكرير والاعادة . وان كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه الا في المستوى المتفق الصورة منه كقوله :

مامات من كرم الزمان فانه بحيا لدى يحيى بن عبد الله

... وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من عواصم والباء من قواضب أنها هي التي مضت، وقد أرادت ان تجيئك ثانية ، وتعود اليك مؤكدة، حتى اذا تمكن في نفسك تمامها ، ووعى سمعك آخرها ، انصرفت عن ظنك الاول، وزلت عن الذي سبق من التخيل ، وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها ، وحصول الربح بعد ان تغالط فيه حتى ترى انه رأس المال » .

أقول : وكأن الانسان حين يسمع (اللفظ الاول) يقع بادي الرأي في نفسه ريبة سرعان ما تزول حين يسمع (اللفظ الثاني) الذي يعود به الاول ، فيكون للنفس تأكيداً تخيل معه ، بسماع الحروف نفسها الدليل على صحته وصدقه ، فتهتز طرباً لروعته طرب الاذن الموسيقية لرنته .

(١) لانحراف هيئة أحد اللفظين عن الآخر ، والمراد بالهيئة الشكل لا الصورة، ونائب فاعل « سمي » ضمير يعود الى التجنيس .

(٢) محل الشاهد (البرد والبرد) اختلف شكل الحروف فيها باختلاف حركة الباء فهي مضمومة في الاول : بمعنى الثوب فيه خطوط ، وهي مفتوحة في الثاني ، واما لفظا (الجبة والجنة) فمن التجنيس « اللاحق» الذي ستراه الآن لا المحرف .

عاقبةُ المنذَرين » قال السكاكي: (وكقولك: الجهول إمامفرط اومفرّط، والمشدّد في هذا الباب يقوم مقام المخفّف نظراً الى الصورة فاعلمْ)«١».

وقد يكون في الحركة والسكون كقولهم :البدعة شَرَك الشرْك»، وقول أبي العلاء«٢»:

والحسن يظهر في بيتين رونقهُ بيتٌ من الشعر أو بيتٌ من الشَعَر

---

(١) مابين القوسين كلام السكاكي ، وانما استشهد بمثال « الجهول ... » على الاختلاف في الهيئة فقط لئلا يتوهم انه من « الناقص » باعتبار الحرف المشدد من « مفرط »حرفين، فبين لنا ان المشدد في حكم الحرف الواحد لوجهين :

الاول : ما علله السكاكي بقوله : « نظراً الى الصورة » اي انهما برسم الكتابة شيء واحد .

والثاني : ماذكره السعد : بانه لما كان اللسان يرتفع عند النطق عن حرفي المشدد دفعة واحدة مثلما يرتفع عن الحرف الواحد عدا حرفا واحدا .

وانما اختلفت هيئة الحروف في « مفرط ومفرط » ان الفاء من الاول ساكنة ومن الثاني متحركة .

(٢) المعري ، والبيت هو السادس عشر من قصيدته التي مطلعها (د ١ / ٣٢ بولاق) :

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر لعل بالجزع أعوانا على السهر

وقبله : حسنت نظم كلام توصفين به ومنزلاً بك معموراً من الخفر

ورواية صدر الشاهد في الديوان : (فالحسن يظهر في شيئين رونقه) ،وهو يفسر البيت الذي قبله : اي فالحسن الرائق ثابت لبيت من الشعر لانك موصوفة به او لبيت من الشعر « بفتح الشين والعين » لانك ساكنة فيه.

وإن اختلفا في أعداد الحروف فقط سمي : (ناقصاً)«١» ، ويكون ذلك على وجهين : أحدهما ان يختلفا بزيادة حرف واحد **في الاول** كقوله تعالى : « والتفت الساق بالساق . الى ربك يومئذ المساق » .

أو **في الوسط** كقولهم : جدي جهدي«٢» ، او **في الاخر** كقول أبي تمام«٣» :

---

(١) لنقصان احد اللفظين عن الآخر ، وكان المعقول ان يسمى « زائدا » لتفسيره الوجه الاول : بان يختلف اللفظان فيه بالزيادة ، وبما انه سماه « ناقصا » كان من حق التعبير المنطقي ان يقول في أحد الوجهين « ان يختلفا بنقص حرف واحد » مثلاً واني بعد ان كتبت هذه الحاشية رأيت التبيان يسمى هذا النوع « الزائد » فقرت العين بموافقة الطيبي طاب ثراه .

(٢) بفتح الجيم فيهما . والجد الحظ والجهد المشقة ، والمعنى : حظي من الحياة بمشقتي فيها ، والزائد هو الهاء في الوسط ، ولا عبرة بتشديد دال « الجد » لان المشدد كالمخفف .

(٣) من قصيدة يمدح جد المصنف بها ، أبادلف العجلي وهي التي منها (د ٤٣)

وأحسن من نور تفتحه الصبا بياض العطايا في سواد المطالب

وقبله : بحافل لايتركن ذا جبرية سليما ولا يحربن من لم يحارب

و « الشاهد » في قوله عواص وعواصم وقواض وقواضب » بزيادة الميم والباء اخيراً ، ولا عبرة بالتنوين الذي يزول بالوقف والاضافة ، و (من أيد) في موضع نصب مفعول بزيادة (من) على مذهب الاخفش كما في قولهم : (هز من عطفه) ، و « عواص » جمع عاصية من عصاه اذا ضربه بالعصا ، ويراد بها هنا السيف . و « قواض » جمع قاضية أي قاتلة من قضى عليه : قتله .

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

وقول البحتري«١»:

لئن صدفت عنا فربتَ أنفسٍ صوادٍ الى تلك الوجوه الصوادفِ

ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب«٢» الى صاحب له يدعوه الى الى مجلس انسٍ له:

أيها الصاحبُ الذي فارقت عيني ونفسي منه السنا والسناء
نحنُ في المجلسِ الذي يهب الراحةَ ، والمسمعَ الغنى والغناء
نتعاطى التي تنسي من اللذة والرقةِ الهوى والهواء
فأتهِ تُلفِ راحةً ومحيا قد أعدا لك الحيا والحياء

---

(١) من قصيدة يمدح بها اسحق بن يعقوب مطلعها (د ١ / ٢٤١):

الى أي سر في الهوى لم أخالف وأي غرام عنده لم أصادف
ارى ثقة الراجي مواصلة المها تكاءدها ، أوآدهاشك خائف

وقبله: اذا ما لقيناهن ، والشيب شفعنا تغابين ، أو كلمننا بالسوالف

و « الشاهد » في « صواد وصوادف » يقال فيها ماقيل في « عواص وعواصم » والاولى جمع صادية من الصدى وهو الظمأ ، والثانية جمع صادفه من صدف بمعنى انصرف .

(٢) هو المعتمد بن عباد ، وفي كل من الابيات الاربعة شاهد على الجناس (الناقص) ، و « السنا » النور الذي يرجع الى العين ، و « السناء » الرفعة التي ترجع للنفس ، والراحة الاولى بمعنى الكف . و « الحيا » الغيث يريد به العطاء ، وفي كل بيت لف ونشر عليك تبيين نوعه .

وربما يسمى هذا القسم، أعني الثالث (مطرّفاً)«١»، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من (عواصم) انها هي التي مضت، وإنما أتي بها للتأكيد، حتى اذا تمكن آخرها في نفسك، ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم، وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها«٢».

الوجه الثاني: أن يختلفا بزيادة اكثر من حرف كقول الخنساء:

إن البكاء هو الشفا ، من الجوى بين الجوانحْ

وربما سمي هذا الضرب (مذيلاً)«٣».

وإن اختلفا في انواع الحروف«٤» اشترط ان لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف، ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين«٥» سمي الجناس (مضارعاً)،

---

(١) لأن زيادته في الطرف

(٢) الفكر مع بعض اللفظ مستعار من صاحب الاسرار كما رأيته في الحاشية «٥» من الصفحة العاشرة.

(٣) لان الزيادة في آخره كالذيل.

(٤) اشارة الى القسم الثالث من انواع الاختلاف، وهو ما كان «بالنوع» وهو ضربان المضارع واللاحق.

(٥) في المخرج، وأشبه ان يكون بينها «ابدال»، وسمي «مضارعا» لمضارعة احد الحرفين المتقاربين لصاحبه في المخرج.

ويكونان: إما في الاول كقول الحريري[١]: (بيني وبين كِنّي ليلٌ دامس، وطريق طامس)، وإما في الوسط كقوله تعالى: «وهم ينهون عنه وينأون عنه». وقول بعضهم: البرايا اهداف البلايا.

وإما في الآخر كقول النبي (ص): «الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة».

وان كانا غير متقاربين سمي: (لاحقاً)[٢]، ويكونان أيضاً:

إما في الاول كقوله تعالى: «ويل لكل همزة لمزة»، وقول بعضهم رب وضيّ غير رضي، وقول الحريري: لا اعطي زمامي لمن يخفر ذمامي،

وإما في الوسط كقوله تعالى: «ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون»[٣]، وقوله تعالى: «وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد».

---

(١) في القامة المغربية «١٥٦ الحسينية» و«كني بكسر الكاف: بيتي الذي اكتن فيه، وبعد هذه العبارة: «فهل من مصباح يؤمنني العثار، ويبين لي الآثار؟» والابدال بين الدال والطاء لتقارب المخرج مستفيض في العربية كمد ومط، ودحوت الشيء وطحوته وأمرد وأمرط وغيرها.

(٢) أي سمي الجناس بين اللفظين «لاحقا»: لان احد اللفظين ملحق بالآخر في الجناس باعتبار حل الحروف.

(٣) ان الاستشهاد بهذه الآية على «اللاحق» الذي يتباعد فيه الحرفان مخرجا، فيه نظر من وجهين: =

وإما في الآخر كقوله تعالى : فاذا جاء أمرٌ من الامن » ، وقول البحتري «١» ،

هل لما فات من تلاقٍ تلافِ أم لشاكٍ من الصبابة شافِ

وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي : (جناس القلب) ، وهو ضربان: (قلب الكل)«٢» كقولهم : حسامه فتح لاوليائه حتف

الاول — وهو ما أراه . أنها يصح بها الاستشهاد على الضرب الاول من المضارع وهو ما كان حرفاه المتقاربان في الاول : اذ لاتعد حروف « أنيت » الزوائد من مادة الكلمة كالدال والطاء من دامس وطامس .

والثاني : ان التقارب المخرجي موجود بين الفاء والميم اذ هما شفويتان معا ، وبحسب المصنف استشهاده والأصح ان يستشهد المصنف بالآية التالية : « وانه على ذلك لشهيد ... »

(١) من قصيدة يمدح بها أحمد بن علي الاسكافي « د ١ / ٢٣٦ جوائب » : ورواية الديوان : « ألمافات ... » .

أنظر أين موضع الشاهد ، ثم استخرج ما في البيتين بعده من الوان البديع ؟

أم هو الدمع عن جوى الحب بادٍ والجوى في جوانح الصدر خافِ

ووقوف على الديار فمن مر تبعٍ شائقٍ ومن مصطافِ

(٢) وفي التلخيص « ٣٩٢ برقوقي » : قلب كل وقلب بعض ، قال ابو حاتم قلت للاصمعي : في كتاب ابن المقفع : « العلم كثير ، ولكن اخذ البعض اولى من ترك الكل » فأنكره أشد الانكار وقال : « الالف واللام لا تدخلان في بعض وكل ، لانهما معرفة بغير الف ولام » أي : لان فيها معنى الاضافة أضفت او لم تضف ثم قال ابو حاتم : وقد استعمله الناس حتى سيبويه والاخفش في كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو ، فاجتنب ذلك فانه ليس من كلام العرب !

لاعدائه«١». و (قلب البعض) كما جاءفي الخبر : « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » . وقول بعضهم : رحم الله امرءاً أمسك مابين فكيه ، وأطلق مابين كفيه ، وعليه قول أبي الطيب«٢» :

ممنّعة منعّمة رَداحٌ يكلّف لفظها الطير الوقوعا

واذا وقع احد المتجانسين جناس القلب في أول البيت ، والآخر في آخره ،

---

(١) وهذا القول منثور شعر الاحنف بن قيس :

حسامك فيه للاحباب فتح ورمحك فيه للاعداء حتف

هذا ، وقد مثل المصنف « لقلب كل » بالفتح والحتف، وعورة وروعة ،وفكيه وكفيه ، وممنعة ومنعمة ، وكأنه لم يشترط اختلاف حروف اللفظين كلها ولا الترتيب في قلبها ، ولكن البهاء السبكي في عروسه « ٤/٤٢٨ شروح » يقول : « ولك ان تقول ينبغي ان يسمى القسم الاول أيضاً « قلب بعض » فان الحرف المتوسط وهو « التاء » في حتف وفتح لم ينقلب ، كما لم ينقلب الاخير في عورة وروعة ،وإلا فما الذي اوجب تسمية احدهما بقلب بعض ، والآخر بقلب كل ؟

أقول : ولا حق له في اعتبار اصلية التاء في « عورة وروعة » فقد وقع العكس في مادة « عور » ، ولا في اعتبار ياء المثنى والضمير والتشديد في « فكيه وكفيه » وانما لهان يعترض على « ممنعة ومنعمة » من بيت المتنبي فان مادتها الاصلية « منع ونعم» ولا قلب مرتب فيها .

(٢) يمدح علي بن ابراهيم التنوخي ، ومطلع قصيدته : « ملث القطر أعطشها ربوعا » (٨١ د . ع) ومما جاء بعده :

غدا بك كل خلو مستهاما وأصبح كل مستور خليعا

أحبك . أو يقولوا: جرنمل ثبيراً ، وابن ابراهيم ربعا

سمي : (مقلوباً مجنحاً)«١» .

واذا ولي احد المتجانسين الآخر سمي : (مزدوجاً)«٢» ومكرراً ومرداداً كقوله تعالى : (وجئتك من سبأ بنبأ يقين)«٣» ، وماجاء في الخبر : «المؤمنون هينون لينون » ، وقولهم : من طلب وجدَّ وجدَ ، وقولهم : من قرع باباً ولجَّ ولَجَ ، وقولهم : النبيذ بغير نغم غم ، وبغير الدسم سم«٤» ، وقوله«٥» :

يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصم تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

---

(١) لان اللفظين بمنزلة الجناحين ، كقول ابن نباتة :

ساق يرينى قلبه قسوة وكل ساق قلبه قاسي

(٢) لازدواج اللفظين بتواليها ، وتكرر أحدهما بالآخر وترداده به ، ويريد ب (احد المتجانسين) أي أنواع الجناس السابقة .

(٣) سبأ ونبأ : متواليان ، وتجنيسها « لاحق » : لاختلافهما بحرفين متباعدين ، والباء في « بنبأ » لا دخل لها في التجنيس .

(٤) قال الصفدي في « جنان الجناس » ص ٢٧ : كان شرف الدين محمد بن الوحيد الكاتب يقول : إن هاتين السجعتين ما وقع لهما ثالثة ... ولكن تكلفت أنا لهما الثالثة وهي : « وبغير النهم هم » اعنى ان الاكثار من الشرب سبب الانشراح والسر ورآه . وهو من « الناقص المردوف » كساق ومساق ، وتقول على سبيل المثال : «مع البقر قر ، ومع الغنم نم ، والنهل بعد الهل ، والغطل قبل الطل» والهل سح المطر والغطل اطباق الدجن .

(٥) ومر بنا الاستشهاد ببيت حبيب هذا على « الناقص المطرف » فهو هنا « المطرف المزدوج » .

واعلم أنه يلحق بالجناس شيئان :

أحدهما : أن يجمع اللفظين الاشتقاقُ «١» كقوله تعالى: « فأقم وجهك للدين القيم »«٢» ، وقوله تعالى : (فروح وريحان)«٣» ، وقول النبي (ص) « الظلم ظلمات يوم القيامة »«٤» وقول الشافعي (ض) وقد سئل عن النبيذ:

---

(١) هو «الاشتقاق الاصغر» ويراد به: «توافق الكلمتين في الحروف الاصول مع الترتيب والاتفاق في اصل المعنى» وقد خرج بالحروف الاصول « الاشتقاق الاكبر » كالثلب والثلم والخضم والقضم من الأبدال ، وبقوله : « مع الترتيب » خرج « الاشتقاق الكبير » كالجذب والجبذ ، وبقوله : « والاتفاق في اصل المعنى » خرج الجناس التام لان المعنى فيه مختلف . . (٢) : وتمام الآية « . . . من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله . يومئذ يصدعون « الروم ٤٣ » .

(٢) والكلمتان « اقم والقيم » مشتقتان من الفعل : « قام يقوم » على المذهب الكوفي ، أو من المصدر « القيام » على المذهب البصري ، وفي الكلمتين توافق في الحروف الأصول مع الترتيب والاتفاق في اصل المعنى .

(٣) من سورة الواقعة : « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم « ٨٨ و ٨٩ » ؛ والكلمتان مشتقتان من أصل واحد ، أما « الروح » فمن قولهم : راح يومنا يروح ويراح : اذا طاب نسيمه ، وقال الازهري: قوله « فروح وريحان» معناه فاستراحة وبرد ، وريحان ورزق ، وأجمع النحويون أن « ريحانا » في اللغة من ذوات الواو ، والاصل ريوحان « بفتح الراء والواو »، فقلبت الواو ياءً وادغمت فيها الأولى، فصارت ريحان «بتشديد الياء» ثم خفف كما قالوا: ميت «بالتشديد» وميت.

(٤) وجه الاشتقاق ظاهر، وقد اشار كشاجم الى الحديث في خادم اسود ظالم :

يامشبهاً في فعله لونه ... لم يخط ما أوجبت القسمة

فعلك من لونك مستخرج ... والظلم مشتق من الظلمة

أجمع أهل الحرمين على تحريمه ، وقول أبي تمام«١» :

❀ فيادمعُ أنجدني على ساكني نجدِ ❀

وقول البحتري«٢» :

يَعشى عن المجدالغبيُّ ولن ترى في سؤددٍ أرباً لغير أريبِ

وقول محمد بن وهيب«٣» :

قسمت صروف الدهر بأساً ونائلاً فالُكَ موتورٌ ، وسيفك واترُ

---

(١) هو من قوله يمدح موسى بن ابراهيم الرافقي « د ١٢٧ » وقبله المطلع :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحت كما محت وشائع من برد

وأنجدتم من بعد إتهام داركم فيادمع أنجدني على ساكني نجد

وأنجد الرجل أتى نجداً وأتهم أتى تهامة ، ويقال استنجده فانجده استعانه فأعانه والاسم النجدة وهو العون والنصرة والشجاعة ، و « النجد » في الأصل من الأرض ما غلظ وارتفع واستوى منها ، ومنه بلاد نجد المعروفة ، فلا اشتقاق بين «نجد وانجد» ، ولذلك كان الأولى ان نعد هذا : ثاني الشيئين الملحقين بالجناس ، وهو ما يشبه الاشتقاق ، وليس به .

(٢) من قصيدة بيته المشهور في الاستخدام : « فسقى الغضا والساكنيه . . . » ومطلعها :

كم بالكثيب من اعتراض كثيب وقوام غصن في الثياب رطيب

و « الشاهد » في شاهده قوله : « أرباً وأريب » .

(٣) وأظنك ما نسيت هذا الشاعر الحميري البغدادي ، فقد مر بك في الصفحة ١٢٣ ، والشاهد هنا في قوله : « موتور وواتر » ،

والثاني : أن يجمعهما المشابهة ، وهي مايشبه الاشتقاق «١» وليس به ، كقوله تعالى : (إثّاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) «٢» وقوله تعالى : (قال إني لعملكم من القالين) ، وقوله تعالى : (وجنى الجنتين دان) ، وقول البحتري «٣» :

واذا مارياح جودك هبت صار قول العذول فيها هباء

---

(١) لاختلاف اصل اللفظين فيه ، بخلاف الاشتقاق ، ولهذا اعتبره بعض العلماء في الجناس ، لا فيما يلحق به ، ولعل اعتباره هذا أقوى وأولى ، فان اصل اللفظين « الأرض وأرضيتم » من الآية التالية مختلف كل الاختلاف ، وكذلك بين « قال والقالين » بمعنى المبغضين ، من سورة « الشعراء ١٦٨ » و« جنى والجنتين » من الآية « متكئين على فرش بطائنها من استبرق ، وجنى الجنتين دان » : « الرحمن ٥٤ ».

(٢) من آية سورة التوبة وهي : « يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم : انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ، « الآية ٣٨ » .

(٣) هو مقطع أي آخر همزيته التي مدح بها محمد بن يوسف الثغري « د ٢٠٨ »، وعجز الشاهد في الديوان : « صار قول العذال فيها هباء » ، وقبل الشاهد :

خلق الله يامحمد أخلا قك مجداً في طيء وسناء

أفي الجناس مياة وجمال ؟

ما كان لأحد ان ينكر ان التجنيس من أساليب البيان العربي ، ولا أن ينكر انه شغل الكتاب والشعراء في القرن السابع ، وما اتصل به قبله أو بعده من الزمن الذي ضعفت فيه الفلسفة ، فضعف التفكير الصحيح والتعبير الحي الجميل ، ولذلك قيل : فلان يبدي شقاشقه ليخفي مخارقه ، وما اولع المتشاعرون والكتاب المتصنعون ببهرج الجناس ، الا ليواروا هزال عقولهم وضلال أذواقهم ، فكان رواج ذلك التكلف المشوه من صور الجناس في تلك الحقبة من الدهر دليلًا على انحطاط العلم والادب « فمعقول أن يترك الكاتب الحق ليلهى قارئه بالبهرج الزائف ، لان الحق لا يثير الحس بطبيعته ، فهو لا يغني عن القاريء الساذج غناء البهرج الذي يسترعيه من هذه الناحية ، ويلذه كما يلذ الطفل البريق والطنين»[1] .

وافترق العلماء والادباء في عصور انحطاط البيان فريقين في التجنيس : منهم من افتتن بزخرفه ، فتكلف تجنيس كلامه واستكثر من مصنوع هذه الحلية ، ومنهم من عد التحسين مطية التكلف المقيت والاستكراه ، فانحى بالزراية عليه واللائمة على أنصاره :

---

(١) للكاتب البليغ الاستاذ العقاد « ساعات بين الكتب » : ١/٤٣ .

قال الأمير الخفاجي (– ٤٦٦) في سرّ الفصاحه ١٨٣ : وهذا (التجنيس) إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير متكلف ولا مقصود في نفسه ، وقد استعمله العرب المتقدمون في اشعارهم ، ثم جاء المحدثون فلهج به منهم مسلم بن الوليد الانصاري، واكثر منه ومن استعمال المطابق والمخالف ، وهذه الفنون المذكورة في صناعة الشعر . حتى قيل : انه اول من أفسد الشعر . وجاء ابو تمام حبيب بن اوس بعده فزاد على مسلم فى استعماله والاكثار منه ، حتى وقع له الجيد والرديء الذي لاغاية وراءه في القبح . . . » .

ويرى ابن رشيق في عمدته : « ان الجناس من انواع القراغ وقلة الفائدة ، ومما لايشك في تكلفه ، وقد اكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نظمهم ونثرهم حتى برد ورك » .

ويذهب مذهبه هذا الشهاب الحلبي (– ٧٢٥) فيقول : « انما يحسن الجناس اذا قل ، وأتى به في الكلام عفواً من غير كد ولا استكراه، ولا ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة » .

اما صاحب الخزانة الحموية فهو ، وان لم يمل بطبعه الى التجنيس ، يستحسن بعض صوره التي لاينفر منها الطبع ، فيقول ص ٢٥ مانصه : «أما الجناس فانه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب ، وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ ، فان كلاً منها يؤدي الى العقادة والتقييد عن اطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة .

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدي يستحسن ورمه ويظنه شحماً فيشبع افكاره منه . ويملأ بطون دفاتره ، ويأتي فيه بتراكيب تخف عندها جلاميد الصخور » .

هذا ، وللجناس ألوان وصور تختلف حسناً وقبحاً . ويمكن بذلك تقسيمها الى أقسام ثلاثة : المتكلف المرذول ، والمصنوع المقبول والمطبوع المعسول ، أما الأول فمنه الجناس (المجنح) الذي ذكرناه ، وانما جعله مع أشباهه مرذولاً أن يفكر الشاعر طويلاً ، ثم لا يزال يغير ويبدل حتى يعثر على بيت لا يطير برأيه الا بجناحين ، ولا يرسل نفسه على سجيتها في الشعر .

ومنه (**المرفو**) من الشعر ، وحسبك انه لا يرفأ من الثياب الا الخلق البالي الذي يتكلف الرفاء لاعادة تماسكه بالرفو والترقيع ، وهو مع ذلك غير متين ولا بديع ، ومن القسم الثاني (المقبول) الجناس المركب الذى ذكره الحموي قائلاً : « وهذا النوع لا يخلو من تعسف وعقادة في التركيب » ، وانما يجعله مقبولاً بالجملة اذا جمع قائله الى صحة طبعه تضلعه من اللغة على أن لا يكد وراء المعاني الغامضة والالفاظ الغريبة ، فيجيء اسلوبه بعيداً عن السهولة ويكاد لتسلسل المعاني وسلاسة الالفاظ يكون جناسه خفياً كقول الشاعر :

كف عن الناس إذا شئت أن ... تسلم من قول جهول سفيه
من قذف الناس بما فيهم ... تقذفه الناس بما ليس فيه

ومن أنواع الجناس المقبولة لدى المتأخرين (الجناس المعنوي) وهو نوع لا يعد من قبيل الاشغال اليدوية التي تحاكيها صناعة التجنيس، قال الحموي في خزانته (ص ٥١) : « ان الجناس المعنوي طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جداً، ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح، ولا ذكره ابن رشيق في العمدة ، ولا زكي الدين ابن أبي الاصبع في التحرير، ولا ابن منقذ في كتابه، والعميان ذكروه في شرح بديعيهم ، ولكن ماتيسر لهم نظمه . وذكر الشهاب محمود في كتابه المسمى (بحسن التوسل في صناعة الترسل) منه نوع الاشارة لا نوع الاضمار، ولم يذكر نوع الاضمار في بديعيته غير الشيخ صفي الدين الحلي . . . ولو لم يفتح ابن عبدون هذا الباب في بيته ما حصل للشيخ صفي الدين دخول الى نظم هذا النوع . . . ، وقد اظهرت محاسن هذا الجناس المضمر ، وكشفت عن جماله الباهر ستور الاشكال ، ليتمتع به صاحب الذوق السليم ، فان فحول المتأخرين وقفوا عن المجاراة في حلبته ، ولم يتعلق احد منهم الا باذيال الضرب الثاني وهو جناس الاشارة » .

وشعر ابن عبدون الذي أشار الحموي اليه هو قوله ، وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا :

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة اتتنا بطعم عهده غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحةً وامست كجسم الشنفرى بعد ثابت

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء ، والشنفرى يقول :

إسقنيها ياسواد بن عمرو إن جسمي من بعد خالي لخلُّ

والخل هو الرقيق المهزول ، فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران : صهباء وصهباء وخل وخل ، وهما في صدر البيت وعجزه .

أما (جناس الاشارة) ، فهو أن يذكر احد المتجانسين ويشار الى الآخر بلفظ يدل عليه سواء كان رديفه ، او كناية لطيفة ، مثاله قول ابن نباتة :

رأيت في جلقٍ غزالاً تحار في حسنه العيونُ

فقلت ماالاسم؟قال موسى قلت : هنا تحلق الذقون

فبين اللفظ المصرح به ، وهو (موسى) العلم ، والمكني عنه ، وهو موسى الحلاقة، تجانس ظريف .

وقد جمح بنا جواد (الاستطراد) الى البحث عن التجنيس المعنوي بصنفيه ، لكيلا يكون بحثنا عن المجانسة ناقصاً ، فجعلناه مع (التورية المركبة)[1] التي بها نعرفك الآن (تذييلاً) للايضاح ، قال الحموي في خزانته (ص ٢٩) بعد ان ذكر الجناس المركب وما في بعضه من تعسفٍ وعقادة انه: « نوع متوسط بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع ، والتورية من أعز أنواعه واعلاها رتبة ، فاذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن

---

(١) ويسميها السيوطي في عقوده «التورية التامة»: ص١٧٣ مطبعة البابي الحلبي.

واحد ، وخلصت من عقادة الجناس ، وحركت الاذواق، وابهجت خاطر السامع بما تحفته من بديع تركيبها وتأهيله بغريبها ، وانا اذكر المثالين هنا ليتضح في الاذهان الصحيحة أن النهار لم يحتج الى اقامة دليل ، قال صاحب الجناس المركب :

أعن العقيق سألت برقاً أومضا أأقام حادٍ بالركائب أو مضى

وقال صاحب التورية :

وإذا تبسم ضاحكاً لم ألتفتْ أن عاد برقاً في الدياجي أو مضا

وهنا يحسن ان يتمثل بقول الشاعر :

ومن يقل للمسك : أين الشذا ؟ كذبه في الحال من شما !

وعماد القول في الصنعة البديعية انها لا تكون من المحسنات اللفظية او المعنوية إلا إذا كانت جارية مع الطبع ، وجاءت ملائمة للمعنى ، فيكون مثلها مثل الحسنة تأتيك من حيث لا تحتسبها ، والنافعة تجيئك ولم ترقبها ، وانما تتيسر لك على هذه الصورة اذا مافررت من قصد التجنيس وتعسفه ومن كل ماينبو عن الطباع ، او ينشز على الاسماع ، ويعجبني في ختام الكلام على الجناس قول الزين بن الوردي :

إذا أحببت نظم الشعر فاختر لنظمك كل سهل ذي امتناعِ
ولا تقصد مجانسةً ، ومكن قوافيه ، وكله الى الطباعِ

***

نصوص وشواهد

على انواع الجناس

جاء في الكتاب المبين : ألم تر أن الله يُزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ❀ يقلب الليل والنهار ، ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار «١» (النور ٤٣ و ٤٤) .

ومن أحاديث الامين : من تعلم صرف الكلام ليسحر به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا «٢» . (رواه ابو داود) ، ومنها : ماحسن الله خلق رجل ولا خلقه فتطعمه النار . (الطبراني) ، ومنها : لايكون ذو الوجهين عند الله وجيها (ويروى للاحنف بن قيس) ، ومنها : عصية عصت الله ورسوله ، وغفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله !

«١» الشهاب ابن حجر أول من انتبه الى ان الآية من الجناس التام « المماثل » ، وكان يخال انه ليس منه في القرآن غير آيه « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » .

«٢» قال أبو عبيدة : الصرف الأولى فصل الكلام ، والثانية النافلة او التوبة .

ومن تجنيس المتقدمين قول امريء القيس (د ٧٢ برقوقي) :

وما خلت تبريح الحياة كما أرى ... تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا
فلو انها نفس تموت جميعة ... ولكنها نفس تساقط أنفسا
وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة ... فيالك من نعمى تحولن أبؤسا !
لقد طمح الطماح من بعد أرضه ... ليلبسني من دائه ما تلبسا«١»
الا ان بعد العدم للمرء قنوة ... وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وقال اوس بن حجر :

قد قلت للركب لولا انهم عجلوا ... عوجوا عليّ فحيوا الحيّ أوسيروا
غرٌّ غرائر أبكار نشأن معاً ... خشن الخلائق عما يتقى زورُ

ولحسان بن ثابت (د ٣١٥) :

وفينا اذا ماشبت الحرب سادة ... كهول وفتيان طوال الحمائلِ
نصرنا وآوينا النبي وصدقت ... أوائلنا بالحق أول قائل
وكنا متى يغزُ النبيّ قبيلةً ... نصل حافتيها بالقنا والقنابل

ولجرير يهجو الفرزدق (د ٣٢٦)، وهل يدل جناسه على أنه مقصود؟

بنى مالك فات الفرزدق مجدنا ... ومات ابن ليلى وهو من ذاك يائسُ
فما زال معقولاً عقال عن العلى ... وما زال محبوساً عن المجد حابس

«١» الطماح رجل من بني اسد . يروى ان قيصر بعث الى امريء القيس بحلة مسمومة ، وقيل هي قرحة الجدرى او الزهري التي قرحت جسده .

ولعربيّ أبيّ ،وانظر أبالجناس المشتق ام بالمطلق هو أشبه؟

اذا اعطشتك اكف اللئام كفتك القناعة شبعاً وريّاً

فكن رجلًا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

وللقاضي عبد الباقي بن ابي حصين ، وقد تولى القضاء خمس سنين وهو ابن خمس وعشرين سنة:

وليت الحكم خمسا وهي خمسٌ لعمري والصبا في العنفوانِ

فلم تضع الاعادي قدر شاني ولا قالوا : فلان قد رشاني

ولابن مكانس في التورية التامة :

كمال اوصافي يا منيتي في الحب أن اصبحت مثل الخلال

وملت من سكر الهوى نشوةً فارحم معنىً مغرماً فيك مال

ومن الجناس المذيّل للبها زهير :

أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاكٍ منه شاكر

طرفي وطرف النجم فيك كلاهما ساهٍ وساهر

ومن اللاحق الذي لا يلحق قول البحتري :

عجب الناس لاعتزالي وفي الاطراف تلفى منازل الاشرافِ

وقعودي عن التقلب والار ض لمثلي رحيبة الاكناف

ليس عن ثروةٍ بلغت مداها غير أني امرو كفاني كفافي

وأي لون من الجناس في المطلعين التاليين، وأيهما تستعذب أقول المتنبي؟

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرقُ

أم قول ابن نباتة الدي عارضه :

مابت فيك بدمع عيني أشرقُ إلا وانت من الغزاله أشرقُ

وهل التورية في قول الشيخ صدر الدين ابن الوكيل (الدوبيت) بسيطة أم مركبة ؟

كم قال معاطفي حكتها الاسل والبيض سرقن ماحوته المقلُ

والآن أوامرى عليهم حكمت البيض تحدُّ والقنا تُعتقل

وللشمس بن العنيف (د ٦٧) :

أسرع وسر طالب المعالي بكل وادٍ وكل مهمهْ

وان لحا عاذل جهول فقل له : ياعذول مه مه

ولأبي تمام » وهل تعد المطلع من الابتداءات البارعة ؟

سعدت غربة النوى بسعاد فهي طوع الأتهام والانجادِ

عاتق معتق من اللوم الا من معاناة مغرم أو نجاد

مليتك الاحساب أى حياة وحيا أزمة وحية واد

كادت المكرمات تنهد لولا أنها أيدت بحي اياد

ومن أى الوان الجناس وصوره قول الشاعر :

وكم سبقت منه الي عوارف ثنائي من تلك العوارف وارفُ

وكم غرر من بره ولطائفٍ لشكرى على تلك اللطائف طائف

وللصلاح الصفدى (جنان الجناس ٦٠) ، وما هي صورة تجنيسه ؟

اذا الدهر اعطاك المنى من ولاية فلا تتخذها حرفة لمعاشِ

ولا تفتحن باب الهدايا وعدها مطار فراش لامطارف راش

واذكر أى صورة من جناس التركيب الشعر التالي من الدوبيت :

في مصر من القضاة قاض وله في أكل مواريث اليتامى وله
ان رمت عدالةً فقل مجتهداً من عدّ له دراهماً عدّله

وللشيخ العلاء الوداعي :

أتخنت عينها الجراح ولا أثم عليها لأنها نعساء
زاد في عشقها جنوني فقالوا ما بهذا؟ فقلت: بي سوداء

ومن لطائف البها زهير في المصحف :

وليس مشيباً ما ترون بعارضي فلا تمنعوني أن أهيم وأطربا
وما هو الا نور ثغر لثمته تعلق في أطراف شعرى فألهبا
وأعجبني التجنيس بيني وبينه فلما تبدى أشنباً رحت أشيبا

ولمحي الدين بن عبدالظاهر في كوزماء:

وذى اذن بلا سمع له قلبٌ بلا قلب
اذا استولى على حب فقل ماشئت في الصبِ

وما رأيك في جناس الاعشى ؟

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شولُ

أو في جناس المتنبي ، وما هو وقعه على اذنيك ؟

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى قلاقل عيش كلهن قلاقل

أو في قول أبي الغمر يصف السحاب :

نسجته الجنوب ، وهي صناعٌ فترق كأنه حبشيٌ
وقرى كل قريةٍ كان يقرو ها قرىً لايجف منه قريٌ

قارن ووازن بين هذه الجناسات وقول عمرو بن كلثوم :

الا لايجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أو قول السيد الرضي :

لايذكر الرمل الا حنّ مغتربٌ له الى الرمل أو طارٌ وأوطانُ

او قول ابن جابر الاندلسي :

لك نفسي اذا بدت لك نجد فلقد سرني الزمان بنجد
فلتلك الخيام عندي عهد وابى الله ان اضيع عهدي

قال صاحب المعاهد (٢/٨٢) : بعد ان ذكر قول أبي روح الهروي في جناس الاشارة :

حقيق لك أن تطعم عفصاً ، وهو معكوسُ
وأن يلبس جنباك الذي مقلوبه طوسُ

ثم التجنيس إنما يستحسن إذا كان سهلاً لا أثر للكلفة عليه ، وأما إن خرج عن هذا الحد فانه معيب عند أهل النقد ، ويذهب بهجة الشعر وحسنه ، وهذا وقع في اكثر شعر المتأخرين .

***

ومنه«١» رد العجز على الصدر ،وهو(في النثر) . أن يجعل أحد اللفظين المكررين«٢» أو المتجانسين«٣» أو الملحقين بهما«٤» في أول الفقرة«٥» ، والآخر في آخرها«٦» كقوله تعالى :

(وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)«٧» ،وقولهم: الحيلة ترك الحيلة«٨» ، وكقولهم : سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل«٩» ،وكقوله تعالى: «استغفروا

«١» أي ومن التحسين اللفظي هذا النوع ، ويسمى « التصدير » وهو أرشق وأليق بالشعر والنثر معا . وقسمه ابن المعتز على أقسام ثلاثة : ما يوافق آخر كلمة من البيت آخر الصدر أو أوله أو بعضه .

«٢» اي المتفقين في اللفظ والمعنى ، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر .

«٣» وهما المتشابهان في اللفظ دون المعنى .

«٤» تقدم ان الملحقين بالمتجانسين قسمان : ما يجمعهما الاشتقاق أو شبهه .

«٥» متعلق ب « ان يجعل » ، أى : هو في النثر أن يجعل في أول الفقرة احد المذكورين من تلك الانواع .

«٦» اي : واللفظ الآخر في آخرها ، فتكون أقسام هذا النوع اربعة في النثر؛ وأما في الشعر فهي ستة عشر كما ستراه جليا .

«٧» هذه الآية شاهد على القسم الأول أعني المكررين باللفظ والمعنى : « تخشى وتخشاه » في أول الفقرة من الآية وآخرها ، ولا يضر اتصال « تخشاه » بالضمير لان الضمير المتصل كالجزء من الفعل ؛ وهذا الشاهد من الآية « ٣٦ » من سورة الأحزاب .

«٨» شاهد ثان على المكررين . ومثل هذا المثل « القتل انفى للقتل » .

«٩» شاهد على القسم الثاني من هذا النوع في النثر اى : المتجانسين في اللفظ دون المعنى فان « سائل » الأول فعل أمر ، والثاني اسم فاعل من السيلان .

ربكم إنه كان غفارا»[١] وكقوله تعالى : « قال اني لعملكم من القالين»[٢] .

و (في الشعر) : أن يكون أحدهما[٣] في آخر البيت ، والآخر[٤] في صدر المصراع الاول أو حشوه او آخره ، أو صدر الثاني[٥] : (فالأول) كقوله[٦] :

سريعٌ الى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريعِ

«١» وأصل الآية : « فقلت استغفروا . . . » فلم يعتبر « فقلت » اول الفقرة ؛ وهو الشاهد على القسم الثالث ، أي : الملحقين من جهة الاشتقاق بالمتجانسين ، فان « استغفروا وغفارا » يرجعان الى مادة واحدة .

(٢) مثال للملحقين بالمتجانسين بسبب شبه الاشتقاق كما بين « قال والقالين » : لأن قال من القول والقالين من القلى وهو البغض ، وهو شاهد على القسم الرابع من هذا النوع في النثر .

(٣) اي احد اللفظين المكررين ، او أحد اللفظين المتجانسين، أو أحد الملحقين بالمتجانسين بطريق الاشتقاق .

(٤) أي واللفظ الآخر .

(٥) اي صدر المصراع الثاني، فتصير الأقسام ستة عشر حاصلة من ضرب اربعة في أربعة، وقد استشهد المصنف باربعة شواهد لكل من القسم الأول والثاني والثالث، أي باثنى عشر شاهداً من الشعر، وسكت عن شواهد القسم الرابع لقلة استعمال بعضها.

(٦) هو للأقيشر ، واسمه المغيرة بن عبد الله ، ولقب بالأقيشر لحمرة وجهه ، وكان كوفيا ماجنا ، وهذا الشاهد أول أمثلة المكررين الأربعة ، وهو أن يكون الصدر منه أول المصراع الأول وهما متكرران .

ونحوه قول الآخر«١»:

سكران سكر هوىً وسكر مدامةٍ أنى يفيق فتىً به سكران!

و (الثاني) كقول الحماسي«٢»:

تمتع من شميم عرار نجدٍ فما بعد العشية من عرارِ

ونحوه قول أبي تمام«٣»:

ولم يحفظ مضاعَ المجد شيءٌ من الاشياء كالمال المضاعِ

و (الثالث)«٤» كقوله أيضاً:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً فما زلت بالبيض القواضب مغرما

---

(١) هو الخليع الدمشقي، و «سكران» تثنية سكر، مبتدأ محذوف الخبر تقديره «بي سكران»، ويقال فيه ما قيل في البيت السابق.

(٢) وهو الصمة بن عبد الله القشيري، وقيل لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلي «الحماسة ٢/٦٥». وجملة «تمتع» مقول القول في البيت قبله، وهو:

أقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمار

و «من عرار» من زائدة وعرار مبتدأ، والظرف قبله «بعد العشية» خبره، و «ما» نافية مهملة، وصاحب المطول يجعلها حجازية، ويعترض عليه بان شرط عمل هذه الحجازية الترتيب، وهو منتف هنا.

(٣) هو في الديوان ص١٩٤، و «مضاع المجد» من اضافة الصفة الى الموصوف: اي المجد المضاع، ويريد ب «المال المضاع» ما بذل في اصطناع المعروف.

(٤) وهو ما كان الصدر في آخر المصراع الأول، وهما مكرران كقول حبيب الطائي (د٢٩٥): فان «مغرما» الأول في آخر الشطر الأول مكرر باللفظ والمعنى مع «مغرما» في آخر العجز.

و (الرابع)«١» كقول الحماسيّ :

وان لم يكن الا معرج ساعة قليلًا فاني نافع لي قليلها

و (الخامس)«٢» كقول القاضي الارجاني :

دعاني من ملامكما سفاهاً فداعي الشوق قبلكما دعاني

وقول الآخر«٣» :

سل سبيلًا فيها الى راحة النف س براحٍ كانها سلسبيلُ

وقول الآخر«٤» :

ذوائب سودٌ كالعناقيد أُرسلت فمن أجلهامنها النفوسُ ذوائبُ

---

(١) وهو ما يكون الصدر منه في أول المصراع الثاني ،وهما مكرران كقول الحماسي وهو ذو الرمة ، فان فيه « قليلا » و « قليلها » متفقان لفظاً ومعنى ؛ وهذا الشاهد من قصيدة في مية ربة غيلان أولها :

خليلي عدا حاجتي من هو اكما ومن ذا يواتي النفس إلا خليلها

ألما على الدار التي لو وجدتما بها أهلها ما كان وحشا مقيلها

«٢» وهو أول أمثلة المتجانسين: أي المتفقين لفظا لامعنى ، وهو ما كان «الصدر» في أول المصراع الأول ، فان «دعاني» الأولى بمعنى اتركاني في صدر الشطر الأول و « دعاني » الثانية في آخر العجز ، وهي فعل ماض بمعنى طلبني ، فهما متجانسان لفظا لا معنى ، والسفاه خفة العقل ، والشاهد في الديوان ص ٤٠٣ .

«٣» من الشعراء المحدثين يصف روضة ، والضمير من « فيها » يرجع اليها ، والبيت أيضا شاهد على جناس التركيب « المفروق » .

«٤» هو ابو الحسن نصر المرغيناني ، و « ذوائب » الأولى ج ذؤابة ، والثانية ج ذائبة .

و(السادس)«١» كقول الآخر :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل

و (السابع)«٢» كقول الحريري :

فمشغوفٌ بآيات المثاني ومفتونٌ برنات المثاني

و (الثامن)«٣» كقول القاضي الارجاني .

أمّلتهم ثم تأملتهم فلاح لي أن ليس فيهم فلاحُ

و (التاسع)«٤» كقول البحتري :

ضرائب ابدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا

«١» هو الثاني من أمثلة المتجانسين ، وهو ما كان « الصدر » منه في حشو المصراع الأول وهما متجانسان ، والشاهد لأبي منصور الثعالبي ، و « البلابل » الأولى ج بلبل الطائر الغريد ، والثانية ج بلبال وهو القلق والحزن ، والأخيرة بلبلة وهي ابريق الخمر .

«٢» وهو الثالث من امثلة المتجانسين، الذي يكون الصدر منه في آخر المصراع الأول ، وهما متجانسان ، وهذا البيت في وصف البصرة وقبله :

بها ما شئت من دنيا ودينٍ وجيران تنافوا بالمعاني

و «المثاني» الأولى وهي الصدر بمعنى القرآن، والثانية بمعنى الأوتار، وهي العجز، وبذلك رد الصدر على العجز .

«٣» وهو ما كان الصدر منه اول العجز، وهما متجانسان، والشاهد في (د٨٣).

«٤» أول أمثلة الملحقين اشتقاقاً ، وهي أربعة كما تقدم، وفي هذا الأول يكون آخر العجز في أول الصدر، فان « ضرائب » ج ضريبة، وهي الطبيعة يضرب الرجل=

و (العاشر)«١» كقول امرىء القيس :

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزانِ

وقول أبي العلاء المعري :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم والعذب يُهجر للافراط في الخصرِ

عليها ، و « ضريبا » مثيلا ، وأصله : الفرد من قداح الميسر يضرب به ، فهو فعيل بمعنى المفعول ، وكل ضريب مماثل للآخر بالضرب به ، فالضرائب مشتقان من أصل واحد ، وان اختلفا معنىً ، والمصنف الخطيب يعزو الشاهد للبحتري ، وهو للسري الرفاء من قصيدة يمدح بها سلامة بن وهب ويعرض بالخالديين في آخرها ، ومطلعها « د ٤٨ » :

تعنفني أن أطلت النحيبا وأسكب للبين دمعاً سكوبا

وأوفي المحبين في نحبه محب بكى يوم بين حبيبا

وقد سرق الرفاء معناه من الوليد البحتري حيث يقول «د ١/٥٨» :

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضريبا

من قصيدة يمدح الفتح بن خاقان بها مطلعها : « وانظر أي المطلعين هو اثلج للصدر وأقر للعين »

لوت بالسلام بنانا خضيبا ولحظاً يشوق الفؤاد الطروبا

وقد عزاه الشهاب الحلبي في حسن التوسل « ص ٥٢ » الى السري وتابعه صاحب المعاهد « ٢/٩٥ »، كما تابع المصنف في سهوه صاحب المطول « ٤/٣١٥ فيض » وصاحب الاطول « ٢/٢٣١ عامرة » والبهاء السبكي في عروسه « ٤/٤٤٠ ش »، والدسوقي في حاشيته والعصمة التامة لله وحده .

«١» وهو «الثاني» من الملحقين اشتقاقاً وفيه يكون الصدر «يخزن» في حشو المصراع =

و (الحادي عشر)«١» كقول الآخر :

فدع الوعيد ، فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير ؟

و (الثاني عشر)«٢» كقول أبي تمام :

وقد كانت البيض القواضب في الوغى بواتر ، فهي الآن من بعده بُتُرُ

الأول ، والملحقان مشتقان كما ترى من أصل واحد وهو الحزن ، وهذا الشاهد في الديوان « ص ١٤١ سندوبي » وأما الشاهد التالي للمعري « د ٣١ بولاق » فقد يوهم عطفه على قول امرىء القيس انه شبيهه في الاشتقاق ، على ان الخصر « ليس اسما مشتقاً من « الاختصار » ، فكان لذلك يحسن التمثيل به للقسم الثاني ، وهو الملحق بالجناس لايهام الاشتقاق ؛ ولكن المصنف أغفل أمثلة هذا النوع .

«١» وهو الثالث من أقسام الملحقين اشتقاقاً ، وفيه يكون الصدر ضائري في آخر المصراع الأول ، وبين ضائر ويضير اشتقاق ملحق ، والشاهد لعبدالله بن محمد بن عيينة المهلبي.

«٢» مثال للرابع من الملحقين اشتقاقاً ، وهو ما يكون فيه الصدر «بواتر» أول المصراع الثاني ، والبواتر والبترج أبتر مشتقان من البتر وهو القطع ، والشاهد في الديوان «ص ٣٦٩» من مرثية محمد بن حميد الطوسي حين استشهد. ورواية الديوان: (وقد كانت البيض المآثير . . .) وقبله :

فتى كان عذب الروح لامن غضاضة ولكن كبراً ان يقال به كبر

فتى سلبته الخيل ، وهو حميّ لها وبزته نار الحرب ، وهو لها جمر

نصوص وشواهد

على التصدير

جاء منه في الكتاب المبين ، قال لهم موسى : ويلكم، الا تفتروا على الله كذباً ، فيسحتكم بعذاب ، وقد خاب من افترى ❀ (طه ٦١) .

وفي حديث النبي العربي : خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لاهلي «١» (اخرجه الترمذي وصححه) .

ومن تصدير فحول الجاهلية قول زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان (د ٧٨) :

وعوّد قومه هرم عليه ... ومن عاداته الخلق الكريمُ
كما قد كان عوده أبوه ... إذا أزمتهم يوماً أزوم
كذلك خيمهم ولكل قوم ... اذا مستهم الضراء خيم
له في الذاهبين أروم صدق ... وكان لكل ذي حسب أروم

---

(١) واعتبار التصدير في الآية او الحديث من حيث الاسلوب، وإلا فان التصدير أحق بالشعر منه بالنثر وأكثر وضوحاً كما لو نظمنا الحديث مثلا بقولنا :

وخيركم من كان خيراً لأهله ... كما أنا خير الناس طراً الى أهلي
ومن صلة الأرحام إكرام جارنا ... وجار ابينا في النعيم أو المحل

ولجرير يهجو البعيث والفرزدق (د٤٦٠) وكانوا يستحسنون تصديره:

تريدين أن نرضى ، وأنت بخيلة ومن ذا الذي يرضى الاحباء بالبخلِ
سقى الرمل جون مستهل ربابه وما ذاك الا حب من حل بالرمل
متى تجمعي مناً كثيراً ونائلاً قليلا ، تقطع منك باقية الوصل

ويروى ليزيد بن الطثرية (— ١٢٧) :

عقيلية أما ملاث ازارها فدعص ، وأما خصرها فبتيل
أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك ، وكلا ، ليس منك قليل !
فما كل يوم لي بارضك حاجة ولا كل يومٍ لي اليك وصول

وللمتنبي يمدح شجاع بن محمد الطائي (٤٢ د.ع) :

اليوم عهدكم ، فاين الموعد ؟ هيهات ، ليس ليوم عهدكم غدُ
إن التي سفكت دمي بجفونها لم تدر أن دمي الذي تتقلد
قالت وقد رأت اصفراري ، من به ؟ وتنهدت ، فأجبتها : المتنهد

وكتب أبو نواس الى الامين حين وقع عليه الحبس (د١٠٧ هندية).

بك استجير من الردى وأعوذ من سطوات بأسك
وحياة رأسك لا أعو د لمثلها ، وحياة رأسك
من ذا يكون أبا نوا سك ان قتلت أبا نواسك ؟

ولابي تمام .

أأيامنا ما كنت الا مواهبا وكنت باسعاف الحبيب حبائبا
سنغرب ، تجديداً لعهدك ، في البكا فما كنت في الايام الا غرائبا

كواعب زارت في ليال قصيرة يخيلن لي من حسنهن كواعبا
سلبن غطاء الحسن عن حر أوجه تظل للب السالبيها سوالبا
وجوه لوان الارض فيها كواكب توقد للساري لكانت كواكبا !

وللقاضي الناصح الارجاني (د ٣٨٤) .

سترن المحاسن الا العيونا كما يشهد المعرك الدارعونا
سللن السيوف ولاقينا فلا تسأل اليوم ماذا لقينا
كسرن الجفون، ولولا الرضى بحكم الغرام كسرن الجفونا
ولا عيب فينا سوي أننا عففنا ، وظن الغيور الظنونا

ولابن خلوف المغربي الاندلسي :

قمر تجلى في دجنة شعره فأبان مابين الضلالة والهدى
متقلد يرمي رشيق لحاظه فحذار ياقلبي الرشا المتقلدا

ولابي الفضل الميكالي :

ان لي في الهوى لسانا كتوما وفؤاداً يخفي حريق هواه
غير أني أخاف دمعي عليه ستراه يبدي الذي ستراه

ولابن جابر الاندلسي :

لك نفسي اذا بدت لك نجد فلقد سرني زماني بنجد
فلتلك الخيام عندي عهد وابى الله ان اضيع عهدي

وهو القائل أيضاً :

بين تلك الخيام اكرم قوم ضربت للندى عليهم خيام
قد اقاموا بين العقيق وسلع فحياة النفوس حيث اقاموا !

ومن لطائف عبد المحسن الصدري :

والله ماعوضت عن مهجتي الا لان ارفع عنها يدي
الأهيف الأغيد والنفس ما آلفها الأهيف الأغيد !

ومن هذا اللون في التصدير قول الغواص التنوخي :

ياغوطة الفيحاء ، هل من نفحةٍ نحيا بها ياغوطة الفيحاء !
لك في القلوب وفي العيون مرابع ومدامع ممزوجة بدماء

مقتبسات :

قال القيرواني في عمدته (٢/٣) . « التصدير أن يرد أعجاز الكلام على صدوره فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر اذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة . ويكسوه رونقاً وديباجة ، ويزيده مائية وطلاوة . » ثم يقول :

« فالمولدون اكثر عناية بهذه الاشياء ، وأشد طلباً لها من القدماء وهي في اشعارهم أوجد . » وكذلك سائر انواع البديع .

. . . . .

ومنه السجع «١»، وهو «تواطؤ الفاصلتين «٢» من النثر على حرف واحد»، وهذا معنى قول السكاكي: الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر؛

وهو ثلاثة أضرب: مطرّف ومتوازٍ وترصيع: لان الفاصلتين إن اختلفتا في الوزن «٣» فهو السجع (المطرف) «٤» كقوله تعالى: (مالكم لا ترجون لله وقارا ۞ وقد خلقكم أطوارا) «٥»، وإلا «٦» فان كان مافي

---

(١) قال علماء اللغة: سجعت الحمامة اذا والت صوتها على طريق واحد، وسجع الرجل: إذا تكلم بكلام مقفّى غير موزون.

(٢) التواطؤ في الاصل التوافق في وضع القدمين في موطىء واحد، ثم استعمل مجازاً في الاتفاق، و «الفاصلتان» الكلمتان اللتان هما آخر الفقرتين، وتوافقهما في كونهما على حرف واحد في آخر كل منهما كالكتاب والصواب مثلا.

(٣) أي مع الاتفاق في التقفية اي الحرف الأخير، ويريد ب «الوزن»: العروضي لا التصريفي، قال العصام في أطوله «ص ٢٣٢»: ألا ترى ان «الكوثر» وقوله «وانحر» مختلفان في الوزن التصريفي، مع انهما جعلا مما لم يختلفا في الوزن.

(٤) وسمي «المطرف» لأن ما وقع به التوافق، وهو الاتحاد بين الفاصلتين، إنما هو الطرف أي الحرف الأخير دون ما يعم وهو الوزن.

(٥) واختلاف الفاصلتين وزناً من «وقاراً» و «اطواراً» واضح: لان ثاني وقار متحرك وثاني اطوار ساكن، وهما برموز التقطيع الصوتي «. — ، — — ، — — —» وتجد بحث الرموز الحديثة في كتابنا «إحياء العروض».

(٦) اي وإن لم يختلفا في الوزن.

احدى القرينتين«١» من الألفاظ ، «أو اكثر ما فيها مثل ما يقابله من الاخرى في الوزن والتفقية فهو (الترصيع)«٢» ، كقول الحريري«٣» :

---

(١) القرينة فعيلة بمعنى الفاعلة مأخوذة من المقارنة ، والمراد بها هنا القرينة اللغوية اي « الفقرة » التي تقارن الاخرى ، لا القرينة الاصطلاحية ، وهي الأمر الذي يشير الى المطلوب ، وأما « الفاصلة » فهي الكلمة الاخيرة من القرينة التي هي الفقرة ؛ وأما « السجع » فيطلق على معنيين : على نفس الفاصلة الموافقة لاخرى في حرفها الأخير ، وعلى توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ، والى هذا المعنى الثاني أشار المصنف في تعريف السجع بقوله « تواطؤ الفاصلتين » .

هذا وبمعرفة «الفروق الاصطلاحية» كما بين القرينة والفقرة والسجع والفاصلة هنا ، ثم بأرجاع الضمائر والاشارات ، يهون فهم النصوص القديمة على طالب العلم وتخريجها .

(٢) تشبيها له بجمل احدى اللؤلؤتين في العقد في مقابلة الاخرى ، وكان الانسب أن يقول المصنف « فمرصع » على صيغة اسم المفعول ليناسب قوله أولاً « فمطرف » ، ثم قوله : « فمتواز » .

(٣) في المقامة الأولى الصنعانية ، وطبع الاسجاع صياغتها وتنسيقها ، ويريد بها الكلمات المقفيات ، ومحل الشاهد : أن « وعظه » فاصلة موازنة للفاصلة الأولى وهي « لفظه » ، فخرج السجع بذلك عن كونه «مطرفا» ؛ ثم إن كل كلمة من القرينة الأولى موافقة لما يقابلها من الثانية وزناً وتقفية : ذلك أن « يطبع » يوازن لفظ « يقرع » ، والقافية فيها العين ، و « الاسجاع » توازن « الاسماع » والقافية العين ايضاً ، و « جواهر » وزان زواجر » والقافية الراء ، ولو قال بدل الاسماع الآذان ، لكان مثالا لما يكون أكثر ما في الثانية موافقاً لما يقابله في الأولى .

فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الاسماع بزواجر لفظه، وكقول أبي الفضل الهمذاني : ان بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا ، وقول أبي الفتح البستي: ليكن اقدامك توكلا ، واحجامك تأملا ، والا[1] فهو السجع (المتوازي) كقوله تعالى : « فيها سرر مرفوعة ۞ واكواب موضوعة »[2] ، وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اني أدرأ بك في نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم[3] .

---

(١) أي : وان لم يكن جميع مافي القرينة ولا أكثره مثل مايقابله من الاخرى.

(٢) لاختلاف سرر واكواب في الوزن والتقفية ، قال السعد في المختصر « ٤٤٨/٤ شروح » (فالعاصفات عصفاً) يريد أن المرسلات مع العاصفات متفقتان تقفيةً لا وزناً ، وكل منهما نصف القرينة ، وفيه نظر لان المعتبر من الوزن كما قلنا العروضي لا التصريفي ، وهما في العروضي متوافقان بالحركات أو المقاطع « ـ . ـ . ـ = . ـ . ـ » .

(٣) جاء في اللسان « درأ » : وفي الحديث « أللهم إني أدرأ بك في نحورهم » أي ادفع بك لتكفيني أمرهم ، وانما خص النحور لأنه اسرع واقوى في الدفع والتمكن من المدفوع ، وعن أبي موسى الأشعري ان رسول الله « ص » كان اذا خاف قوماً قال : « اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم » خرجه أبو داود والنسائي ، وقال النووي : إسناده صحيح ، وأخرجه أيضاً أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي .

وشرط حسن السجع أختلاف قرينتيه في المعنى كما مر«١» . لا كقول ابن عباد في مهزومين: طاروا واقين بظهورهم صدورهم، وبأصلابهم نحورهم.

قيل : وأحسن السجع ماتساوت قرائنه كقوله تعالى : (في سدر مخضود❀وطلح منضود❀وظل ممدود)«٢»، ثم ماطالت قرنية الثانية كقوله : (والنجم اذا هوى❀ماضل صاحبكم وما غوى) ، او الثالثة كقوله تعالى«٣» : (خذوه فغلوه❀ ثم الجحيم صلوه) وقول أبي الفضل الميكالي : له الامر ألمطاع ، والشرف اليفاع ، والعرض المصون والمال المضاع ، وقد اجتمعا«٤» في قوله تعالى : والعصر إن الانسان لفي خسر ،

---

(١) ويشترط فيه ما يشرط في هذه المحسنات كلها وهو أن يكون اللفظ تابعا للمعني لا العكس كقول الصاحب ابن عباد لقاضي قم : ايها القاضي بقم، قدعزلناك فقم ، فقال : والله ما عزلني إلا هذه السجعة !

(٢) وهي ثلاث آيات ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من سورة الواقعة ، قيل « قول بعض الادباء » : وهي من احسن السجع القصير الذي يصعب ادراكه ، لانها ثلاث قرائن متساوية في تركب كل منها من لفظين ؛ والسدر شجر النبق ، والمخضود مالاشوك له، والطلح الموز ، والمنضود المتراكب حمله من أسفله الى أعلاه ، وقبلها الآية ٢٧: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين .

(٣) الضمير في« خذوه » يعود الى « من اوتي كتابه بشماله » ، والشاهد آيتان ٣٠ و ٣١ من سورة الحاقة : وقد طالت هنا القرينة الثالثة « ثم الجحيم صلوه » باعتبار « خذوه فغلوه » قرينتين .

(٤) اي طول القرينة الثانية في : « والعصر ، ان الانسان لفي خسر » وطول الثالثة باعتبار السورة كلها .

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

ولا يحسن أن تولي قرينةً قرينةً أقصر منها كثيراً«١» ، لان السجع إذا استوفى أمده من الاولى لطولها . ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيراً يكون كالشيء المبتور . ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها ، والذوق يشهد بذلك ويقضي بصحته .

ثم السجع اما (قصير)«٢» كقوله تعالى : « والمرسلات عرفاً ❀ فالعاصفات عصفاً ❀ » . أو (طويل) كقوله تعالى : « اذ يريكهم الله في منامك قليلاً ، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ، ولتنازعتم في الامر ، ولكن الله سلم ، إنه عليم بذات الصدور ❀ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في اعينكم قليلاً ، ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امراً كان مفعولا ، والى الله ترجع الأمور ❀ » .

---

(١) قال « كثيراً » احترازاً من قوله تعالى : « الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل » ، فان قصر الثانية قليل يكاد لا يشعر به ، ولذلك لم يكن كالشيء المبتور الذي ينبو السمع الصحيح عنه .

(٢) هنا يقسم الجلال المصنف السجع من حيث الامتداد الى اقسام ثلاثة : قصير وطويل ومتوسط ، ولم يحدد كلا منها بعدد الكلمات كما فعل غيره من البلاغيين ولكن يستنتج من الامثلة التي اوردها انه يريد بالسجع (القصير) ما اشتملت القرنية على ما بين كلمتين وعشر ؛ و (المتوسط) ما اشتمل على احدى عشرة الى اثنتي عشرة ، واكثره خمس عشرة لفظة ، و (الطويل) على ما بين خمس عشرة وعشرين ، فيكون المفرط منه طولا ما زاد على العشرين .

أو (متوسط) كقوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر ۞ وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر ۞ » ، ومن لطيف السجع قول البديع الهمذاني من كتاب له الى ابن فريقون : كتابي والبحر وان لم أره ، فقد سمعت خبره . والليث وان لم القه ، فقد تصورت خلقه. والملك العادل وان لم اكن لقيته ، فقد لقيني صيته ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى اكثره .

واعلم ان فواصل الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفاً عليها ، «١» ، لان الغرض ان يزاوج بينها ، ولا يتم ذلك في كل صورة الا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم : (ما أبعد مافات ، وما أقرب ماهو آتٍ) لم يكن بدٌّ من اجراء كلٍ من الفاصلتين على مايقتضيه حكم الاعراب ، فيفوت الغرض من السجع ، واذا رأيتهم يخرجون الكلام عن اوضاعها للازدواج في قولهم : اني لآتيه بالغدايا والعشايا ، اي بالغدوات ، فما ظنك بهم في ذلك ؟ وقيل «٢» : إنه لايقال في القرآن

---

(١) وكذلك الشأن في فواصل القرآن قال بعض ارباب البيان : ان مبنى الفواصل على ان تكون موقوفا عليها ، ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور ونحو ذلك ، ومنه قوله تعالى : من طين لازب ، مع تقدم قوله : عذاب واصب ، وشهاب ثاقب ، وكذا : بماء منهمر ، وامر قد قدر ، وكذا : وما لكم من دونه من وال ، مع : وينشيء السحاب الثقال .

(٢) من علماء البلاغة والتفسير من يمنع ان يقال : ان في القرآن (سجعا) رعاية=

أسجاع وانما يقال : فواصل «١» .

وقيل : السجع غير مختص بالنثر «٢» ، ومثاله من الشعر قول أبي تمام «٣» :

للأدب وتعظيما له : إذ السجع في الاصل هدير الحمام الاعجم، او لان سجاعة الكهان مذمومة ، ومنهم من يتورع من ان يطلق على القرآن ما يطلق على كلام المخلوق ، ومنهم من يمنع علميا ان يقال : ان في القرآن سجعا : قاله ابو الحسن الاشعري في غير موضع من كتبه ، ومن اعظم المانعين لهذا القول امام المتكلمين ابو بكر الباقلاني واصحابه الماتريديون جميعا : ذكر ذلك في كتابه المطبوع (اعجاز القرآن) في ☆ فصل في نفي السجع من القرآن ☆ ، ثم نقل عنه انه ذكر في كتاب (الانتصار) الخلاف في جواز تسمية بعض فواصل القرآن سجعا ، وانه رجح فيه جواز تسميتها بذلك ، وذهب كثير ممن يخالف الاشاعرة الى اثبات السجع في القرآن وتجويز تسميته بالسجع ، لانه مما يبين به فصل الكلام وانه من الاجناس التي يقع التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات وما اشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة ، واقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على ان موسى افضل من هرون ، ولمكان السجع قيل في موضع من القرآن : هرون وموسى ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : موسى وهرون.

ومنهم من سلك في ذلك مسلكاً وسطاً وهو اطلاق السجع على ما ذكر حين تدعو الحاجة اليه في مثل علم البيان ، والاقتصار على (الفواصل) في مثل علم التفسير وفي كتاب (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) لشيخنا الطاهر الجزائري في المبحث الثالث منه ص ٢٢٤ تفصيل للسجع جليل النفع .

(١) عبارة المصنف مقلوبة ، والصواب ان يقال : (النثر غير مختص بالسجع) لان معنى اختصاص السجع بالنثر ان لا يكون شيء من النثر الا مسجعاً ، وهذا لا يقوله احد ، ومعنى اختصاص النثر بالسجع ان لا يكون السجع الا نثرياً وهو المقصود.

(٢) من قصيدة يمدح بها نصر بن منصور (د ١١٦) وقبله :

تجلى به رشدي ، وأثرت به يدي وفاض به ثمدي ، واورى بهزندي

وكذا قول الخنساء :

حامي الحقيقة ، محمود الخليقة ، مهـ ـديُّ الطريقة ، نفاع وضرار «١»

وكذا قول الآخر «٢» :

ومكارم اوليتها متبرعاً وجرائم الغيتها متورعا

وهو «٣» ظاهر التكلف ، وهذا القائل لايشترط التقفية في العروض والضرب كقوله :

وزند ندى فواضله وريٌّ ورند ربى فضائله نضير

ساحمد نصراً ما حييت واتني لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد

وبعده :

فانيك اربي عفوشكري على ندى أناس ، فقد اربى نداك على جهدي

(والثمد) في اللغة الماء القليل استعير للمال القليل ، و(اوري به زندي): اي صار ذا وري ، قال السعد في مختصره « ٤ / ٤٥٣ ش » : واما اوري بضم الهمزة على انه متكلم المضارع من اوريت الزند : اخرجت ناره فتصحيف ، ومع ذلك يأباه الطبع ! » والشاهد في اتفاق فواصل البيت في حرف الدال الاخير .

(١) معنى البيت واضح ، والشاهد فيه اتفاق فواصله الثلاث في القاف .

(٢) هـذا البيت شاهد على السجع المرصع في الشعر ، وقد مر بك ترصيع الحريري في النثر .

(٣) هذا الضمير « وهو » يعود الى التزام السجع في الشعر .

ومن السجع على هذا القول مايسمى : (التشطير) ، وهو ان يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لاختها كقول ابي تمام«١» :

تدبير معتصمٍ بالله منتقمٍ لله مرتغبٍ في الله مرتقب

ومنه مايسمى : (التصريع) وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب كقول أبي فراس :

بأطراف المثقفة العوالي تفردنا بأوساط المعالي

وهو مما استحسن ، حتى ان اكثر الشعر صرع البيت الاول منه ، ولذلك متى خالفت العروض الضرب في الوزن جاز ان تجعل موازنة اذا كان البيت مصرعاً كقول امريء القيس :

ألا عم صباحاً ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

أتى بعروض الطويل (مفاعيلن) ، وذلك لايصح اذا لم يكن البيت

---

(١) من قصيدة فتح الفتوح المشهورة « د ٩ » . ورواية العجز في الديوان : « لله مرتقب في الله مرتهب » ويروى « ... في الله مرتغب » ، وقبله .

وحسن منقلب تبدو عواقبه بأكثر مما حار في حسنه الطرف

لم يعلم الكفر كم من أعصر كمنت له المنية بين السمر والقضب

والشاهد فيه ان سجعة الشطر الاول الميمية مخالفة لسجعة الشطر الثاني البائية.

مصرعاً ولهذا خطىء ابو الطيب في قوله«١»:

تفكره علم، ومنطقة حكم وباطنه دين ، وظاهره ظرف

***

(١) من قصيدة يمدح بها ابا الفرج احمد بن الحسين القاضي« ٩٦ د.ع »وقبله:

وما حارت الاوهام في عظم شأنه بأكثر مما حار في حسه الطرف
ولا نال من حساده الغيظ والأذى بأعظم مما نال من وفره العرف

وبعده:

أمات رياح اللؤم ، وهي عواصف ومغنى العلى يودي، ورسم الندى يعفو
فلم نر قبل ابن الحسين أصابعاً إذا ما هطلن استحيت الديم الوطف
ولا ساعياً في قلة المجد مدركاً بأفعاله ما ليس يدركه الوصف
فواعجبا مني أحاول نعته وقد فنيت فيه القراطيس والصحف
ومن كثرة الاخبار عن مكرماته يمر له صنف ويأتي له صنف

قال ابو الفتح : استعمل في هذا البيت — اي الشاهد — عروض الطويل غير مقبوضة ، ولا يجوز مثله إلا في التصريع ؛ ولكنه اخرجه على الاصل ، وهو عيب وقال : مع عذره من وجهين : ان هذا جاء عن العرب ، وانه الاصل ، وروي : « ومنطقه حجى » وروي : تقى ، وهذا لا اعتراض عليه .

نصوص وشواهد

على انواع السجع

جاء في الكتاب المبين : اقرأ باسم ربك الذي خلق ❀ خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم * (العلق ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ، وجاء فيه :

والسماء ذات الرجع ❀ والارض ذات الصدع ❀ انه لقول فصل ❀ وما هو بالهزل ❀ (الطارق ١١،١٢،١٣،١٤) .

وقوله تعالى : « ياأيها المدثر ❀ قم فأنذر ❀ وربك فكبر ❀ وثيابك فطهر ❀ والرجز فاهجر ❀ ولا تمنن تستكثر ❀ ولربك فاصبر ❀» (المدثر ١،٢،٣،٤،٥،٦،٧) ؛ وقوله تعالى :

أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ❀ أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم، ونطبع على قلوبهم ، فهم لايسمعون (الاعراف ٩٩ و ١٠٠) ؛ وقوله تعالى :

لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فان تولوا فقل . حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، (التوبة ١٢٨ و ١٢٩) .

ومن كلام النبي العربي . ١ — « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه، ولا ينزع من شيء الا شانه » ؛ ٢ — « المؤمن غرّ كريم ، والفاجر خب لئيم » ٣ — « يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » ٤ — « اللهم اني اعوذ بك من الشقاق والنفاق ، وسوء الاخلاق » . (اخرج الحديث الاول مسلم وابو داود ؛ والثاني . ابو داود والترمذي ، والثالث . مسلم وابو داود والنسائي ، والرابع . ابو داود والنسائي) .

ومن سجع الاعراب قول بعضهم في سنتي خصب وجدب : باكرناوسمي . ثم خلفه ولي . فالارض كانها وشي منشور . عليه لؤلؤ منثور ؛ ثم اتتنا غيوم جراد . بمناجل حصاد . فاحترثت البلاد . واهلكت العباد . فسبحان من يهلك القوي الاكول بالضعيف المأكول ! » وقيل لاعرابي من بقي من اخوانك ؟ فقال : كلب نابح . وحمار رامح . واخ فاضح ! . وقيل لآخر . ماخير العنب ؟ قال . ما اخضر عوده وطال عموده . وعظم عنقوده .

ومن سجع الكتاب أنه قيل لابن عباد : ما احسن السجع ؟ فقال: ماخف على السمع . فقيل : مثل ماذا ؟ قال مثل هذا !.

ومنها ما كتب به عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد : فاثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة ، وتصحو هذه السكرة . فسينضب السيل. وتمحى آية الليل .

وقول أبي نصر العتبي: لما سمع القوم باقباله دب الضعف في تضاعيف

أحشائهم ، وسرى الوهل في تفاريق اعضائهم ، وضاقت عليهم الارض بما رحبت ، فجيوب الاقطار عنهم مزرورة ، وذيول الخذلان عليهم مجرورة.

وقول بديع الزمان : كتابي الى البحر وان لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وان لم ألقه ، فقد تصورت خلقه ، والملك العادل وان لم أكن لقيته ، فقد بلغني صيته ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره .

ومن السجع العصري قول البشري في مختاره (ص ١١٠) : لأن الشاعر قد رفعك الى نفسه ، فأشهدك مالم تكن تشهد ، وبعث عاطفتك فخلقت في عالم الروح كل محلق ، وترقرقت في سرحات الجمال كل مترقرق ،

ومن التسجيع والتسميط قول أبي الطيب (٣٣٠ د . ع) :

ضاق الزمان ، ووجه الارض عن ملك ... ملء الزمان ، وملء السهل والجبلِ
معطي الكواعب ، والجرد السلاهب ، والبيض القواضب ، والعسالة الذبل
فنحن في جذل ، والروم في وجل ... والبر في شغل ، والبحر في خجل
من تغلب الغالبين الناس منصبه ... ومن عديّ أعادي الجبن والبخل

ومن التشطير قول ذي الرمة :

كحلاء في برجٍ ، صفراء في نعج ... كأنها فضةٌ قد مسها ذهبُ

وقول مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد الشيباني :

اجررت حبل خليع في الصبا غزل ... وقصرت هم العذال عن عذلي
كيف السلو لقلب بات مختبلاً ... يهذي بصاحب قلب غير مختبل
يفتر عند افترار الحرب مبتسماً ... اذا تغير وجه الفارس البطل

موف على مهج، في يوم ذي رهج كأنه أجل ، يسعى الى أمل
ينال بالرفق ماتعيا الرجال به كالموت مستعجلًا يأتي على مهل

ومثله للقاضي الارجاني (د ٣٢٧) :

ما للممالك تغدو ، وهي مهملة وللكفاة ، وهم فيهن كالهمل
فكم نرى رجلًا فيها بلا عمل وكم نرى عملًا فيها بلا رجل
حتى انجلت عقب الايام عن فطن برأيه صحت الدنيا من العلل
عجبت من قلم، في كف ذي كرم في الجود منسكب بالرأي مشتعل

وقد يجيء التصريع درج القصيدة كقول الملك الضليل (د ٧٠ سندوبي):

ألما على الربع القديم بعسعسا كأني انادي او اكلم اخرسا
فلو أن اهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلا عندهم ومعرسا
فلا تنكروني انني انا ذاكم ليالي حل الحي غولا فألعسا
تأوبني دائي القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا
فيارب مكروهٍ كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

ومن نصوص النثر كلام صاحب الصناعتين (ص ٢٤٩) التالي : فتدبره واذكر رأيك فيه :

« . . . لايحسن منثور الكلام . ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً . ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج . ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن : لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق . وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في اوساط الآيات ، فضلًا عما تزاوج

في الفواصل منه . . . ثم قال في تعليل النبي (ص) لسجع الكهان :لأن التكلف في سجعهم فاش ، ولو كرهه لكونه سجعاً لقال : أسجعا ؟ ثم سكت – اي ولم يقل : كسجع الكهان – . واذا سلم من التكلف . وبرىء من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام احسن منه !

والنص التالي من البيان والتبيين للجاحظ :

قيل لعبدالصمد بن عيسى الرقاشي : لم تؤثر السجع ؟قال : إن كلامي لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافي عليه . ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع . والآذان لسماعه أنشط . وهو أحق بالتقييد وبقلة التغلب . وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون . فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . ومن استعمل السجع في غير موضعه كان جديراً بان ينكر عليه ، الا أن يأتي ذلك بغير تكلف . وذلك كقول الاعرابي حين شكا الى عامل الماء :

حلئت ركابي . وخرقت ثيابي . وضربت صحابي . ومنعت ابلي من الماء والكلأ ! فقال له العامل : أوسجع ايضاً ؟ فقال الاعرابي : فكيف اقول ؟

قال الجاحظ : لانه لو قال : حلئت ابلي او جمالي او نوقي او بعراني او صرمتي ، لكان لم يعبر عن حق معناه . وانما حلئت ركابه . فكيف يدع الركاب الى غير الركاب؟ وكذلك قوله:وخرقت ثيابي.وضربت اصحابي!

السجع المذموم: ولبعض علماء البيان . . . وليس مذموماً على الاطلاق كما زعمه بعض أرباب هذه الصناعة . فانه قد جاء في القران كثيراً حتى انه لم تخل منه سورة من السور . وقد جاءت بعض السور مسجوعة كلها كسورة الرحمن والقمر . وانما المذموم من السجع ما لم يستوف الاوصاف المطلوبة فيه . فان المراد بالسجع ليس مجرد تواطؤ الفواصل على حرف واحد . اذ لو كان كذلك لكان كل اديب ، ولو شدا شيئاً يسيراً من الادب يمكنه ان يأتي بالسجع في كلامه .

والاوصاف المطلوبة في الكلام المسجوع اربعة : ١ — ان تكون الالفاظ متخيرة . ٢ — ان يكون تركيبها جارياً على وجه حسن (اي خالياً من التكلف) . ٣ — ان يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى . ٤ — ان يكون معتدلاً .

اقول : والخامس ان لاتكون الفقرة الثانية بمعنى الاولى . فهو الفضول الذي لايجنح اليه الفحول في عصرنا هذا ، كالذي تراه في رسائل الصابي وغيره .

❀❀❀

ومنه«١» الموازنة : وهي ان تكون الفاصلتان«٢» متساويتين في الوزن دون التقفية كقوله تعالى:« ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة »«٣» : فان كان مافي احدى القرينتين من الالفاظ ، أو اكثر ما فيها مثل ما يقابله من الاخرى في الوزن«٤» ، خص باسم (المماثلة) كقوله تعالى : « وآتيناهما الكتاب المستبين ❀ وهديناهما الصراط المستقيم»«٥» ، وقول

---

(١) من البديع اللفظي .

(٢) أي الكلمتان الاخيرتان من الفقرتين او الشطرين .

(٣) من سورة « الغاشية ١٥و١٦ » وقبلها : « في جنة عالية ، لا تسمع فيها لاغية ، فيها عين جارية ، فيها سرر مرفوعة ، واكواب موضوعة .» ونرى في شاهد الآيتين أن « مصفوفة ومبثوثة » هما الفاصلتان المتساويتان في الوزن الشعري دون القافية السجعية التي هي الحرف الاخير ، فان فاء الفاصلة الاولى « مصفوفة » مخالفة لثاء الفاصلة الثانية « مبثوثة » ، ولا عبرة بتاء التأنيث فيها كما هو مبين في علم القوافي لانها تبدل هاء في الوقف ، والتي لا تبدل تعتبر تاءً كما في اخت وبنت ؛ هذا ، وباشتراط عدم التقفية في الموازنة خرج من السجع مثل « سرر مرفوعة ، واكواب موضوعة » فتأمل .

(٤) أي من القرينة الاخرى في الوزن ، سواء أماثله في القافية أم لا .

(٥) من سورة « الصافات ١١٧ و١١٨ » وقبلها : « ولقد منا على موسى وهرون ، ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ، ونصرناهم فكانوا هم الغالبين . » والشاهد من الآيتين مثال لتساوي اكثر الالفاظ في القرينتين ، وزناً لا قافية : ذلك أن في كل من القرينتين أربع كلات غير الفاصلة ، والتوافق في ثلاث منها ، وهي : الفعل وفاعله ومفعولاه ، ولا تخالف الا في الفعلين من « آتيناهما وهديناهما » ؛ .

وأما مثال التساوي في الكل نثراً ففي آية « ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة » وهي التي استشهد المصنف بها .

أبي تمام«١»:

مها الوحش الا أن هاتا أوانسٌ قنا الحظ إلا أن تلك ذوابل

وقول البحترى«٢»:

فاحجم لما لم يجد فيك مطمعاً وأقدم ، لما لم يجد عنك مهربا

---

(١) وهذا الشاهد « د ٢٥٦ » قد مر في هذا الكتاب شاهداً على الطباق الخفي ص ٢٤ ، وقد يكون في البيت الواحد عدة شواهد بحسب المقاصد ، وفي استشهاد المصنف بالشعر بعد النثر إشارة لعدم اختصاص الموازنة بالنثر وحده .

(٢) من قصيدته في وصف مبارزة الفتح بن خاقان للاسد « د ١/٥٣ » ، وقبله:

هزبر مشى يبغي هزبراً ، وأغلب من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا
أدل بشغب ثم هالته صولة رآك لها أمضى جناناً وأشغبا

وبعده :

فلم يغنه أن كر نحوك مقبلاً ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف:لاعزمك انثنى ولا يدك ارتدت ، ولا حده نبا

ويقول السعد في مختصره « ٤/٤٥٨ ش » : « وقد كثر ذلك — يريد المماثلة — في الشعر الفارسي ، واكثر مدائح أبي الفرج الرومي من شعراء العجم على المماثلة ، وقد اقتفى الانوري أثره في ذلك ... » غير أن التفتازاني يعزو بيت البحتري سهواً لابي تمام ، ويتابعه المحقق المغربي والبهاء السبكي والمحبي الدسوقي على سهوه هذا تقليداً .

نصوص وشواهد

على الموازنة والمماثلة

فمن الموازنة ماجاء في الكتاب المبين: «إن الذين آمنو اوعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ❀ فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المبقين ، وتنذر به قوماً لدا ❀ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ، هل تحس منهم من أحدٍ ، أو تسمع لهم ركزا ؟ » (مريم ٩٦ و ٩٧ و ٩٨) .

ومما جاء في الحديث : كفى بالمرء في ذنبه أن يكثر حظه ، وينقص حلمه ، ويقل حقيقته . جيفة بالليل بطال في النهار : رواه أبو نعيم في الحلية.

ومن الدعاء النبوي : اللهم اغفرلي ماقدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني : خرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي .

ولامرىء القيس في هر العامرية (د ٥٣ سندوبي) :

وهر تصيد قلوب الرجال ... وأفلت منها ابن عمرو حجر

فتور القيام قطيع الكلام ... تفتر عن ذي غروب خصر

كأن المدام . وصوب الغمام ... وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به برد أنيابها ... إذا طرّب الطائر المستحر

وللوليد بن عبيد البحتري يمدح محمد بن يوسف (د ٢٠٤ جوائب):

أرى بين ملتف الأراك منازلا ... مواثل . لو كانت مهاها مواثلا
فقف مسعداً فيهن. ان كنت عاذراً ... وسر مبعداً عنهن. ان كنت عاذلا
وقتل المحبين العيون. ولم أكن ... أظن الرسوم الدراسات قواتلا
ومذهب حب. لم أجد عنه مذهباً ... وشاغل بث لم أجد عنه شاغلا

ولابن هاني الاندلسي :(د ٣٢٨ تبيين المعاني):

فاذا عفا لم يلف غير مملك ... واذا سطا لم تلق غير معفر

ولاحمد بن المعلس :

ن يواجه فطود حلم ركين ... أو يفاوض فبحر علم غزير
أو يجد واهباً فغيث مطير ... أو يصل واثباً فليث هصور

وللباحرزي من قصيدة نظامية :

وأفرح فما يلقى لسدك هادم ... وامرح فما يلقى لحدك ثالم
فاذا سخوت فان سيبك عارض ... واذا سطوت فان سيفك عارم
فلذاك تخشى من قناك مطاعم ... ولذاك تغشى من قراك مطاعم

ولابن جابر الاندلسي :

تبسمت فتباكى الدر من وجل ... وأقبلت فتولى الغصن ذاعجب
تفتر عن حبب يبدو على ذهب ... يهديك من نشب ضرباً من الضرب

شجرة كلام العرب

الكلام عندنا نحن العرب نوعان : منظوم ومنثور ، فالمنظوم ، ويقال له : النظم والشعر ، هو الكلام الموزون المقفى ، وأما المنثور ، ويقال له : النثر ، فهو الكلام غير الموزون ، وتتفرع اقسامه وانواعه حسب الشجرة التالية :

١ — مرسل : الكلام المرسل على السجية ارسالاً بلا وزن ولا قافية :

المنثور

٢ — مسجع

١ — من حيث الطول

١ — مابلغت الفاظ الفقرة منه : « ٢ — ١٠ » : (قصير)

٢ — » » » » : « ١٠ — ١٥ » : (معتدل)

٣ — » » » » : « ١٥ — ٢٠ » : (طويل)

٤ — » » » » : « ٢٠ فصاعداً » : (مفرط الطول)

٢ — من حيث النوع

١ — باختلاف الفاصلتين وزناً لا قافية : « وقاراً ... أطواراً » : (مطرف)

٢ — بتوازي » » و » : « مرفوعة ... موضوعة » : (متواز)

٣ — بتناظر الفاظ القرينتين و » : « يطبع ... ويقرع » : (مرصع)

٣ — مستقل : (لا مسجع ولا مرسل)

١ — بتماثل » » وزنا لا » : « وآتيناهما ... وهديناهما » : (متماثل)

٢ — بتوازن الفاصلتين » لا » : « مصفوفة ... مبثوثة » : (متوازن)

واصل الحسن[١] في جميع ذلك ، أعنى (القسم اللفظي) كما قال الشيخ عبد القاهر : هو أن تكون الالفاظ تابعة للمعاني ، فان المعاني اذا ارسلت على سجيتها ، وتركت وما تريد طلبت لانفسها الالفاظ ، ولم تكتس الى مايليق بها ، فان كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيبُ

وقد يقع[٢] في كلام بعض المتأخرين ماحمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ماله اسم في البديع ، على أن ينسى انه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ماعناه في عمياء ، وأن يوقع السامع طلبه في خبط عشواء !

هذا ماتيسر باذن الله تعالى جمعه وتحريره من اصول الفن الثالث ، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين : منها مايتعين اهماله لعدم دخوله في فن البلاغة نحو مايرجع في التحسين الى الخط دون اللفظ . مع أنه لايخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط ، وكون الحروف

---

(١) أي الامر الذي لا بد ان يحصل ليحصل الحسن في جميع المحسنات اللفظية كما يقال : أصل الجود الغنى ، فالغنى هو الامر الذي لا بد ان يحصل ليحصل الجود

(٢) وعبارة الجرجاني في اسرار البلاغة ص ٦ : وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه ... الى عشواء ، ثم قال : وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وافسده كمن ثقل العروس باصناف الحلي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها .

منقوطة او غير منقوطة«١». ونحو مالا أثر له في التحسين كما يسمى (الترديد)، او لعدم جدواه نحو مايوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه، كما سماه (الايضاح) فانه في الحقيقة راجع الى الاطناب، أو خلط فيه كما سماه (حسن البيان). ومنها مالا بأس بذكره لاشتماله على فائدة وهو شيئان: أحدهما القول في (السرقات الشعرية) وما يتصل بها، والثاني القول في الابتداء والتخلص والانتهاء، فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب.

---

(١) ومن هذا الضرب «القلب» وهو «ما لا يستحيل بالانعكاس» كما سماه الحريري كقولك: ارض خضراء ونحو «سر فلا كبابك الفرس» قاله العماد الكاتب للقاضي الفاضل إذ رآه راكباً، فاجابه: «دام علا العماد»!

ان هذا النوع غير بديع لانه من باطل المتبطلين وهزل المتكلفين الذي لا تألفه حياة الجد والعمل في عصر الناس هذا لما فيه من كد التعسف ومقت التكلف فهو من أدب اللعب او اللعب بالادب، وما جاء منه شعراً نراه من شر الشعر الذي اشار اليه السري الوفاء بقوله:

وشر الشعر ما أداه فكر تعثر بين كد واعتساف

ولذلك اضفناه الى ما اهمله إمامنا المصنف، وحذفنا «التشريع» لانه من العاب النظم المتكلف، ولم نلتزم «لزوم ما لا يلزم» لانه من قيود الشعر واثقاله؛ ولو لا ان «التشطير والتصريع» قد يعدان من التسجيع لجذمنا حبلها ايضاً، كما انا اعملنا يد التهذيب بطرح بحث «السرقات الشعرية» لانها بفن النقد اليق وبه اعلق.

ومما يتصل بهذا الفن«١» القول في الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح :

أما **الاقتباس** فهو ان يضمن الكلام«٢» شيئاً من القرآن أو الحديث ، لاعلى أنه منه«٣» كقول الحريري«٤» : فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى أنشد فأغرب ، وقوله«٥» : أنا انبئكم بتأويله ، واميز صحيح

---

(١) يريد به « مجث السرقات الشعرية » الذي لم يجعله المصنف مما جمعه من اصول الفن الثالث ، وانما جعله مما لا بأس بذكره لفائدته ، ونحن آثرنا حذفه لانه من فن النقد ، ولانه ليس كل ما يفيد من غير الفن الثالث مما يجب ذكره وايضاحه ؛ ولكنا أثبتنا ما يتصل بفن السرقات كالاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح لانا نرى ان هذه الانواع الخمسة من المحسنات البديعية ، وهي التي لا بأس بذكرها لفائدتها وعلاقتها بتراثنا الادبي الذي ندرسه ، وانما جعل هذه الانواع الخمسة مما يتصل بالسرقات لانها تشبهها بأن في كل منها أخذ شيء من آخر .

(٢) نظما كان ام نثراً .

(٣) اي على وجه لا يكون فيه اشعار بأنه منه كان يقال : قال الله كذا وقال النبي كذا ، فانه لا يكون حينئذ اقتباساً .

(٤) في من مقاماته ، والفقرة مقتبسة من سورة النحل « الآية ٧٧ » وهي : « ولله غيب السموات والارض ، وما امر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ، ان الله على كل شيء قدير .

(٥) اي الحريري ايضاً في . من مقاماته ، والفقرة مقتبسة من سورة يوسف « الآية ٤٥ » وهي : « وقال الذي نجامنها وادكر بعدامة : انا انبئكم بتأويله فارسلون » .

القول من عليه ، وقول ابن نباتة الخطيب : فيأيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، مالكم لا تشفقون ؟ «فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون »«١» ! ، وقوله أيضاً من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة : هناك يرفع الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويجمع من وجب له الثواب ، وحق عليه العقاب ، « فيضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب »«٢» ، وقول القاضي الفاضل وقد ذكر الأفرنج : وغصبوا زادهم الله غضباً ، و«أوقدوا ناراً للحرب »«٣» جعلهم الله لها حطباً ، وكقول الحماسي«٤» :

---

(١) من سورة الذاريات « الآية ٢٣ » .

(٢) من سورة الحديد « الآية ١٣ » وهي : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » .

(٣) من المائدة « الآية ٦٤ » وهي بتمامها : « وقالت اليهود : يد الله مغلولة ، غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً ، والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الارض فساداً ، والله لا يحب المفسدين » .

(٤) هما للاحرص ، ومعنى البيتين ظاهر للاديب ، و « الآية المقتبسة في اخر البيت الثاني هي الثامنة من سورة الطارق ، وبعدها : فما له من قوة ولا ناصر * وضمير له يعود الى الانسان .

إذا رمتُ عنها سلوةً قال شافعٌ من الحب : ميعادُ السلو المقابرُ
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرةُ ودٍ يوم تبلى السرائر

وقول أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني :

لآل فريغونَ في المكرمات يدٌ أولاً واعتذار أخيرا
إذا ما حللت بمغناهم رأيت نعيماً وملكاً كبيرا«١»

وقول الابيوردي:

وقصائد مثل الرياض أضعتها في باخلٍ ضاعت به الاحساب

فاذا تناشدها الرواةُ وأبصروا الممدوح قالوا : ساحر كذاب«٢» !

وقول الآخر«٣» :

لاتعاشر معشراً ضلوا الهدى فسواء أقبلوا أو أدبروا
بدت البغضاء من أفواههم والذي يخفون منه اكبر

---

(١) من « الآية ٢٠ » من سورة الانسان ، وهي بتمامها : « واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً » .

(٢) من « الآية ٢٤ » من سورة غافر ، وهي بتمامها : « الى فرعون وهامان وقارون فقالوا : ساحر كذاب » وقبلها : « ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين » .

(٣) هما لمحمد الشجاعي ، والشاهد مقتبس من آل عمران « الآية ١١٨ » وهي : « يا ايها الذي آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، وقد بدت البغضاء من افواههم ، وما تخفي صدورهم اكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * » .

وقوله«١»:

خلةُ الغانياتِ خلة سوء فاتقوا اللهَ يا اولي الالبابِ
واذا ما سألتموهن شيئاً فاسألوهن من وراء حجابِ

وقول الآخر«٢».

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرمٍ فصبرٌ جميل
وان تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل!

وكقول الحريري: وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة، فان قوله. (انتظار الفرج بالصبر عبادة) لفظ الحديث، وقوله:

---

(١) الشاعر ابو منصور عبد الرحمن بن سعيد، والشاهد في البيت الثاني مقتبس من سورة الاحزاب «الآية ٥٣»: «يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه؛ ولكن اذا دعيتم فادخلوا، فاذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث: إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق، واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب، ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن، وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله، ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده أبدا، ان ذلكم كان عند الله عظيما ☆»

(٢) الاخر هو ابو القاسم بن الحسن الكاتبي، والشاهد في البيت الاول مقتبس من سورة يوسف «الاية ١٨»: «وجاؤا على قميصه بدم كذب، قال: بل سولت لكم انفسكم أمراً فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون ☆»، وشاهد البيت الثاني مقتبس من آل عمران «الاية ١٧٣»: الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل»:

قلنا شاهت الوجوه ، وقُبح اللكع ومن يرجوه«١» ، فان قوله (شاهت الوجوه) ، لفظ الحديث ، فانه روي أنه لما اشتدت الحرب يوم حنين أخذ النبي (ص) كفاً من الحصباء فرمى بها في وجوه المشركين وقال : شاهت الوجوه ! أي قبحت ، و (اللكع) قيل. هو اللئيم.وقال أبوعبيد هو العبد ، وكقول ابن عباد :

قال لي . إن رقيبي سيء الخلق فداره
قلت . دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره

اقتبس من لفظ الحديث . « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . و (الاقتباس) منه : مالا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الاصلي الى معنى آخر كما تقدم . ومنه : ماهو بخلاف ذلك كقول ابن الرومي .

لئن اخطأت في مدحيك ما اخطأت في منعي
لقد انزلت حاجاتي بوادٍ غير ذي زرعِ«٢»

---

(١) قبح : على المبني للمعقول : اي لعن ، قبحه الله بفتح الباء مع التخفيف ، قال تعالى : ويوم القيامة هم من المقبوحين ؛ واللكع وزان زفر اللئيم .

(٢) عجز البيت الثاني مقتبس من سورة ابراهيم « الاية ٣٧ » وهي : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * » ، لكن معناه في القرآن : واد ممحل لا ماء فيه ولا زرع ، فنقله ابي الرومي الى جناب لا خير فيه ولا نفع .

ولا بأس بتغيير يسير لاجل الوزن أو غيره كقول بعض المغاربة«١» عند وفاة بعض أصحابه :

قد كان ماخفت أن يكونا إنا الى الله راجعونا

وقال عمر الخيام«٢» :

سبقت العالمين الى المعالي بصائب فكرةٍ وعلو همه
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليالٍ للضلالة مدلهمه
يريد الجاهلون ليطفئوه ويأبى الله الا ان يتمه

---

(١) والصواب ان يقول : كقول ابي تمام يرثي ابنا له « د ٣٩١ » . ولم ينبه الى خطأ العزو التفتازاني في مختصره ، ولا المغربي في مواهبه ، ولا السبكي في عروسه ، ولا المحشي الدسوقي ولا غيرهم ، ولعل بعض المغاربة استشهد به فظن انه قائله ، ومثل ذلك يقع ، وقد اقتبس الطائي العجز من سورة البقرة « الاية ١٥٦ » وهي مع الاية قبلها : «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين * الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون*» فقد نقص اللام من «لله » و « وانا » ، والواو والضمير من «وانا اليه» قصد استقامة الوزن .

(٢) صاحب الرباعيات التي نقلها الى العربية الاستاذ احمد الصافي النجفي ، وترجمته ادق وارق من سائر الترجمات، والشاهد في البيت الاخير مقتبس من سورة التوبة « الاية ٣٢ » وهي : « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم « ويأبى الله » الا ان يتم نوره ، ولو كره الكافرون * » .

وكقول القاضي منصور الهروي الازدي :

فلو كانت الاخلاق تحوى وراثة ولو كانت الآراء لاتتشعب
لاصبح كل الناس قد ضمهم هوى كما أن كل الناس قد ضمهم أب
ولكنها الاقدار . كلٌ ميسرُ لما هو مخلوق له ومقرب

اقتبس من لفظ الحديث (اعملو . كل ميسر لما خلق له) .

***

نصوص وشواهد

على الاقتباس

قال صاحب أطباق الذهب عبد المؤمن المغربي الاصبهاني في خاتمة المقالة السادسة والثلاثين :

الحق وراء السماع ، والعلم بمعزل عن الرقاع ، فما أسعد من هدي الى العلم ونزل رباعه ، وأري الحق ورزق أتباعه ، وما أشقى جهالاً قلدوا الآباء فهم على آثارهم مقتدون ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون.

وكتب القاضي الفاضل في جواب رسالة :

ورد على الخادم الكتاب الكريم فشكره (وقربه نجيا) ، (ورفعه مكاناً علياً) واعاد عليه عصر الشباب (وقد بلغ من الكبر عتيا) .

ومن هذا (الاقتباس المقبول) قول الامام ابي منصور عبد القاهر البغدادي:

يامن عدا ، ثم اعتدى ، ثم اقترف ثم انتهى ، ثم ارعوى ، ثم اعترف
أبشر بقول الله في آياته إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقول أبي جعفر الاندلسي :

لا تعاد الناس في أوطانهم قلما يرعى غريب الوطن
واذا ما شئت عيشاً بينهم خالق الناس بخلق حسن

ويقول غيره : ايها السائل قوماً ما لهم في الخير مذهب
اترك الناس جميعاً والى ربك فارغب

ولعبد الغني النابلسي الدمشقي :

قابل بشكرك من قلت عطيته في الناس او كثرت ، واستبق ايناسا
ولا تنم ساخطاً منهم على أحد لا يشكر الله من لا يشكر الناسا

ومن الاقتباس المباح قول الشاب الظريف في الغزل :

وطرفه الساحر إن شككتم فى أمره
يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره

ولابن قرناص الحموي

ان الذين ترحلوا نزلوا بعين باصره
اسكنتهم في مهجتي فاذا هم بالساهره

وللبرهان الباعوني

قالوا الحميا شراب للانس والبسط جاءت
فقلت رداً عليهم بئس الشراب وساءت

وللعمار في مصر الغالية الطيبة :

ما مصر الا منزل مستحسن فاستوطنوه مشرقا أو مغربا
هذا وإن كنتم على سفر به فتيمموا منه صعيداً طيبا

وأما التضمين «١» فهو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير، مع التنبيه عليه «٢» إن لم يكن مشهوراً عند البغاء كقول بعض المتأخرين، قيل: وهو ابن التلميذ الطبيب النصراني:

كانت بلهنية الشبيبة سكرةً فصحوت، واستبدلت سيرة مجمل

« وقعدت انتظر الفناء كراكبٍ عرف المحل فبات دون المنزل »

البيت الثاني لمسلم بن الوليد الانصاري، وقول عبد القاهر بن طاهر التميمي «٣»:

إذا ضاق صدري وخفت العدى تمثلت بيتاً بحالي يليق

« فبالله أبلغ ما أرتجي وبالله أدفع مالا أطيق

وقول ابن العميد «٤»:

---

(١) في اللغة جعل شيء ضمن آخر، وفي الاصطلاح ان يضمن المتكلم شعره كلمة من آية أو حديث أو بيت شعر او مثل سائر.

(٢) اي على أنه من شعر الغير ليتميز عن الاخذ والسرقة، وبالتنبيه على انه من « شعر الغير » خرج « نثر الغير » فانه لايسمى تضميناً بل « عقدا » كما ستراه قريباً.

(٣) أبو منصور البغدادي من كبار أئمة الشافعية، وشعره مثال على تضمين البيت غير المشهور مع التنبيه على أنه من شعر الغير، فان في (تمثلت بيتاً) من عجز البيت الأول إشارة الى ان البيت الآتي من شعر غيره، والبيت المضمن غير معروف صاحبه، ولم أجد من دل عليه فيجب البحث عنه ليعرف نسبه.

(٤) ويرده صاحب المعاهد «٢/١٧٤» للصاحب بن عباد، وهو من أبيات سبعة غير البيت المضمن وهذه الابيات: =

وصاحب كنت مغبوطاً بصحبته ... دهراً فغادرني فرداً بلا سكن
هبت له ريح إقبال فطار بها ... نحو السرور وألجاني الى الحزن
كأنه كان مطوياً على إحن ... ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني
« ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن »

البيت لابي تمام ، وكقول الحريري :

على أني سأنشد يوم بيعي ... « أضاعوني وأي فتى أضاعوا »

المصراع الاخير قيل : هو للعرجي . وقيل : لامية بن ابي الصلت ، وتمام البيت :

« ليوم كريهة وسداد ثغر »

أشكو اليك زماناً ظل يعركني ... عرك الأديم ومن يعدو على الزمن

وبعده « وصاحباً كنت . . . » ، ثم « هبت له . . . » وبعده :

نأى بجانبه عني وصيرني ... مع الاسى ودواعي الشوق في قرن
وباع صفو وداد كنت أقصره ... عليه مجتهداً في السر والعلن
وكان غالى به حيناً فأرخصه ... يامن رأى صفو ود بيع بالغبن
كأنه كان مطوياً على إحن ... ولم يكن في قديم الدهر أنشدني
« ان الكرام . . . »

(٥) وهو في « د ٣٣٥ » ، وقد عزاه صاحب المعاهد « ٢/١٧٥ » لابراهيم ابن العباس الصولي خطأ ، وكذا البيت الذي قبله وهو :

أولى البرية حقاً ان تراعيه ... عند السرور الذي آخاك في الحزن

ولكن رواية هذا البيت تختلف في المعاهد : ففي الصدر « . . . ان تواسيه » وفي العجز « . . . الذي واساك » فاحفظه .

ولا حاجة الى تقديره لتمام المعنى بدونه .

ومثله قول الآخر «١» :

قد قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس

أعذاره الساري العجول ترفقاً «مافي وقوفك ساعةً من باس»

المصراع الاخير لابي تمام : وكقول الآخر «٢» :

وهي على لسان غلام أبي زيد حين عرضه للبيع ، والمصراع الثاني من الشاهد لعبد الله العرجي من أبيات قالها في حبسه ، وهي : « أضاعوني . . . » وبعده :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها نحري

أجر في المجامع كل يوم فيالله مظلمتي وصبري

كأني لم اكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي في آل عمرو

والعرجي من شعراء الغزل الذين ذهبوا مذهب ابن ربيعة ، وترجمته في الأغاني .

(١) وفيه مثال تضمين المصراع بدون التنبيه لاشتهاره ، ويروي صدر البيت الثاني « ترفقن » بنون التوكيد الخفيفة اي استمسك بالرفق ، والمصراع المضمن من مطلع قصيدة لابي تمام « د ١٧٢ » يمدح بها احمد بن المعتصم وهو :

مافي وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربع الأدراس

فلعل عينك أن تعين بما لها والدمع منه خاذل ومواسي

لايسعد المشتاق وسنان الهوى يبس المدامع بارد الانفاس

وانما نادى عذاره لانه هو المشغوف به ، وكثيراً ما يشبب به فاستغنى بندائه عن نداء صاحبه ، ووضعه بالساري لاشتماله على سواد كسواد الليل فكأنه سار به.

(٢) حكي أن الامير بدر الدين بيلبك الخازندار احضره الى القاهرة تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه ، فلما باعه تنقلت به الاحوال الى ماصار اليه، وافتقر=

كنا معاً أمس في بؤس نكابده والعين والقلب منا في قذىً واذى
والآن اقبلت الدنيا عليك فما تهوى فلا تنسنى: ان الكرام إذا

أشار الى بيت ابي تمام: ولا بد من تقدير الباقي معه: لان المعنى لا يتم بدونه: وقد علم بهذا ان تضمين مادون البيت ضربان: واحسن وجوه التضمين أن يزيد المضمن في الفرع عليه في الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه في قول صاحب التحبير«١»:

اذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدها ومدامعي «مجر عوالينا ومجرى السوابق»«٢»

التاجر فيما بعد، فحضر الى مصر وكتب اليه رقعه فيها هذان البيتان فأعطاه عشرة آلاف درهم، ويروى البيت الأول في المعاهد «٢/١٧٥»:

كنا جميعين في كد نكابده والقلب والطرف منا في أذى وقذى

(١) هو ابن ابي الاصبع زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد العدواني المصري الشاعر المشهور الامام في الادب صاحب تحرير التحبير في البديع، وقالوا: انه ما وضع في هذا الفن له نظير، وبديع القرآن، والجواهر السوانح في سرائر القرائح وله شعر رقيق منه:

انتخب للقريض لفظاً رقيقاً كنسيم الرياض في الأسحار
فاذا اللفظ رق شف عن المعنى فأبداه مثل ضوء النهار
مثلما شفت الزجاجة جسماً فاختفى لونها بلون العقار

عاش نيفاً وستين سنة، وتوفي بمصر «— ٦٥٤ هـ».

(٢) في كل من البيتين لف ونشر مرتب، والعجزان من سيفية لأبي الطيب «٣٨٦ د. ع» مطلعها: =

المصراعان الاخيران لابي الطيب: ولا يضر التغيير اليسير «١» ليدخل في معنى الكلام كقول بعض المتأخرين في يهودي به داء الثعلب «٢»

أقول لمعشر غلطوا وغضوا ... عن الشيخ الرشيد وانكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى يضع العمامة تعرفوه

البيت لسحيم بن وثيل واصله :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

فالعذيب وبارق في قول المتنبي موضعان ، وهما المعنى القريب ، اواراد صاحب التحبير معناهما البعيد ، اذ قصد بالعذيب (تصغير العذب) لمى المحبوبة وشفتها ، وفي ذلك تشبيه وتورية وهي التي قصدها الشاعر وحدها .

(١) الذي لا يخرج به الشيء عن التضمين ، أما التغيير الكثير فانه يخرج به المضمن عن التضمين ، ويدخل في حد السرقة ان عرف انه للغة ، والفرق بين اليسير والكثير موكول الى عرف البلغاء .

(٢) هو ضياء الدين بن موسى بن ملهم الكاتب في الرشيد عمر الفوى وكان به داء الثعلب واسنانه بارزة ، وداء الثعلب يتناثر منه الشعر ، والبيت الثاني لسحيم ابن وثيل ، وهو « انا ابن جلا . . . » أورده على طريقة التكلم ففيره الضياء الى طريقة الغيبة ليدخل في المقصود ، فالتغيير كما ترى يسير ، ومراد الشاعر الأول الفخار ، ومراد الثاني التهكم بالرشيد عمر ، وماهو بيهودي الاسم ، فالاول ابن رجل جلا أمره وعرف بوضع العمامة قدره ، والثاني وهو الرشيد الفوي ابن شعر جلا الرأس منه ، وأراى بالثنايا مشاق داء الثعلب .

وربما سمي تضمين البيت فما زاد (استعانة) : وتضمين المصراع فما دونه : تارة (ايداعاً) وتارة (رفواً)«١» .

---

(١) وانما سميت « استعانة » لان الشاعر يستعين ببيت غيره في شعره بعد أن يوطىء له توطئة لائقة به ، ويدل « الايداع » وهو تسمية ابن ابي الاصبع ، على أنه اودع شعره قليلاً من شعر الغير ، و « الرفو » على انه رفا خرق شعره بشيء من شعر الغير ، كما يرفأ الثوب بالخيط من جنسه ولونه .

***

نصوص وشواهد

على التضمين

تضمين الشعر الجاهلي . — تفنن الشعراء في تضمين اعجاز معلقة امرىء القيس أو تضمين بعضها وسبكوها في قوالب مختلفه الانواع : فمن ذلك قول أبي الحسن حازم ، وقد صرف معاني اياتها الى مديح النبي العربي فقال :

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل ... قفا منك من ذكرى حبيب ومنزل
وفي طيبة فانزل : ولا تغش منزلاً ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
نبي هدى قد قال للكفر نوره ... ألا أيها الليل الطويل انجلي
تلا سوراً ما قالها بمعارض ... اذا هي نصته ولا بمعطل
لقد نزلت في الارض حلة هديه ... نزول اليماني ذي العباب المخول

ومدح شاعر الفلاسفة المعري ابن القصصي بقصيدته الرائية المشهورة التي مطلعها :

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر ... لعل بالجذع أعواناً على السهر

فأخذ الزين بن الوردي أعجاز قصيدته وبعض صدورها ونقلها الى

قصيدة يمدح بها العربي المبين فأظهر في ايداعه براعة مطلعها .

أدر أحاديث سلع والحمى أدر والهج بذكر اللوى أو بانه العطر
وقف على الجزع واذكرني لساكنه لعل بالجزع أعوانا على السهر
اذا تبسم ليلا قل لمبسمه ياساهر البرق أيقظ راقد السمر
عذبت ورداً فلم تهجر على خصرٍ والعذب يهجر للافراط في الخصر

وصدر هذا العجز « لو اختصرتم من الاحسان زرتكم » .

ومن ظريف التضمين ماحكي ان الحيص بيص الشاعر قتل جروكلب وهو سكران : فأخذ ابو القاسم القطان الشاعر كلبة وعلق في رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير : فأخذت القصة من عنقها: وادخلت على الوزير فاذا فيها مكتوب :

ياأهل بغداد إن الحيص بيص أتى بخزية اورثته العار في البلد
أبدى شجاعته بالليل مجترئاً على جريّ ضعيف البطش والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت دم الأبيلق عند الواحد الصمد
« أقول للنفس تأساء وتعزيةً احدى يديّ أصابتني ولم ترد »
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي، حين أدعوه وذا ولدي

والبيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل اخوها ابناً لها ، فقالتهما تسلية لنفسها .

ومن حسن التضمين وفيه تورية حلوة قول الشمس التلمساني :

وعيونٍ أمرضن جسمي وأضر من بقلبي لواعج البلبال

وخدود مثل الرياض زواهٍ مالأيام حسنها من زوال

« لم اكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صال »

والبيت الثالث المضمن من شعر الحارث بن عبادة البكري في حرب البسوس حين عزم على دخول الحرب بعد مصرع ابنه بجير وقول مهلهل له حين قتل : « بؤ بشسع نعل كليب » فقال الحارث :

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

لم اكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالِ

فصرف لفظ (جناتها) عن معنى الجناية وهو القريب الى معنى الجنى وهو البعيد المقصود. ونظر الصلاح الصفدي الى بيت حسان في آل جفنة:

يغشون حتى ماتهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل

فضمنه ناقلا معنى (السواد) من الجمهور الى لون السواد متغزلاً :

دب العذار فظن فيه عواذلي أني أكون عن الغرام بمعزل

لا كان ذاك فانني من معشر لايسألون عن السواد المقبل

وما أحسن قول كشاجم في الخضاب :

ياخاضب الشيب والايام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنوع

أذكرتني قول ذي لبٍ وتجربةٍ في مثله لك تأديب وتقريع

« ان الجديد اذا مازيد في خلق تبين الناس ان الثوب مرفوع

ولصاحب حسن التوسل الشهاب الحلبي ، والبيت المضمن للنابغة :

وبتنا على حكم الصبابة مطعمي زفيري وأشجاني ، وشربي المدامع

وخلي يعاطيني كؤوس مدامة ... وينشدني ، واللهم للقلب صادع
أتطمع من ليلي بوصل، وانما ... تقطع أعناق الرجال المطامع
« فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع »

ولصاحب الخزانة الحموية (ص ٤٦٢) :

طاول الليل بالذؤابة قيس ... وتثنى عجبا بلطف وكيس
فخلا لي السهاد مذطال ليلي ... « ياخليليّ من ذؤابة قيس »

وللغواص التنوخي في فرجون الاسنان ، وفيه تضمينات : الأول صدر البيت الاول وهو للشمس بن العفيف ومن العلماء من يجيزه، والثاني لسحيم بن وثيل وهو عجز البيت الثاني :

« جلا ثغراً وأطلع لي ثنايا» ... تلألأ في الغدايا والعشايا
فأنشد ثغري الوضاء تيهاً ... أنا ابن جلا وطلاع الثنايا »

وللسراج الوراق ، والمضمن من شعر ابي فراس الحمداني :

توارت من الواشي بليل ذوائب ... له من جبين واضح تحته فجر
فدل عليها شعرها بظلامه ... «وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر»

ومن تضامين الامير مجير الدين بن تميم[1] في زهر اللوز ، والبيت

---

(١) وهو القائل من شغفه بالتضمين :

أطالع كل ديوان اراه ... ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى ... فشعري نصفه من شعر غيري

الثاني لابي الطيب (٩٦ د . ع) :

أزهر اللوز أنت لكل زهر من الازهار يأتينا امامُ
« لقد حسنت بك الايام حتى كأنك في فم الدنيا ابتسام »

وقوله أيضاً ، وعجز البيت الثاني من بيت للمتنبي صدره « واستقبلت قمر السماء بوجهها » (١٠٨ د . ع)

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا من بركة راقت فطابت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله « فأرتني القمرين في وقت معا »

ومن تضامين الصلاح الصفدي في مخطوطة قديمة :

ملكت كتاباً أخلق الدهر رسمه وما أحد في دهره بمخلد
اذا عاينت كتبي الجديدة جلده « يقولون لا تهلك أسى وتجلد »

واجاد البرهان القيراطي بقوله :

ولما بدا ، والليل اسود فاحم قد انتشرت في الخافقين غياهبه
أضاء بدر الثغر عند ابتسامه « دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه »

ولصاحب الخزانه الحموية مضمناً قول عنترة في معلقته : « واذا صحوت ... » (د ١٣٥) :

جاد النسيم على الربى بندى يديه وقال لي
انا ما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي »

ومن تضامين العصريين قولى البارودي مضمناً عجز البيت الثاني لابي نواس :

فلو كنت في عصر الكلام الذي انقضى
لباء بفضلي جرول وجرير
ولو كنت ادركت النواسي لم يقل
« أجارة بيتينا أبوك غيور »

وقال ابراهيم العرب يصف تائهاً في الصحراء يجد كنزاً، وهو احوج مايكون الى الماء ، والبيت الثاني لابي الطيب (٤٦٩ د . ع) :

أريد من زمني ماء فيمنحني مالاً فما ذلك التنغيص يازمنُ
« ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بمالا تشتهي السفن »

وقال معروف الرصافي مضمناً بيت امريء القيس (د ١٠٨ سندوبي):

نظرت بروق الاولين منيرةً على أفقٍ من ذلك الزمن الخالي
« تنورتها من أذرعات ، رأهلها بيثرب ، أدنى دارها نظر عالي

وللغواص التنوخي من قصيدة حميدية العهد يرثى بها مجد قومه العرب:

بكيت على قومي وسالف مجدهم ولا يشتكي الاحرار غير تغمغم
حضارتهم غابت كانى لذكرها بمر عرفت الدار بعد توهم

فالبيت الاول مأخوذ من معلقة عنترة بتصرف يسير مع التحول من

بحر الكامل الى الطويل ، وهو :

في حومة الحرب التي لاتشتكي غمراتها الابطال غير تغمغم

وفي الثاني تضمين لبعض عجز المطلع من المعلقة : « ام هل عرفت الدار بعد توهم » .

***

وأما **العقد**، فهو ان ينظم نثر«١»، لاعلى طريق الاقتباس: أما عقد القرآن فكقول الشاعر«٢»:

أنلني بالذي استقرضت خطا وأشهد معشراً قد شاهدو
فان الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول: اذا تداينتم بدين الى أجل مسمىً فاكتبو

وأما عقد الحديث افكما روي للشافعي«٣» (ض):

عمدة الخير عندنا كلمات أربع قالهن خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنيه

عقد قوله عليه السلام: الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات«٤»

---

(١) قرآناً كان او حديثاً او مثلا أو كلمة حكمة مشهورة، ويكون على غير طريق الاقتباس بأن يكون التغيير كثيراً، وبه يخرج القرآن والحديث عن الاقتباس ويدخلان في العقد، كذلك يخرجان عنه ان نبه على ان المعقود من القرآن والحديث؛ واما نظم غيرهما فهو عقد بلا قيد، ومتى اخذ معنى المنثور دون لفظه فهو من السرقة ولا يسمى عقداً.

(٢) مثال العقد في القرآن للتنبيه على انه منه، والباء في (بالذي استعرضت) للبدل، وبالبيت الثالث يشير لقوله تعالى: «يا ايها الذين آمنو اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه...» «البقرة ٢٨٢».

(٣) وقيل بل الشعر لأبي الحسن طاهر بن معوذ الاشبيلي، وهو مثال للحديث المعقود للتنبيه مع التغيير الكثير.

(٤) حديث «انما الاعمال بالنيات...» وحديث الحلال بين... رواهما الشيخان، وحديث ازهد رواه ابن ماجه وتمامه: وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس، وحديث «من حسن اسلام المرء...» رواه الترمذي.

وقوله عليه السلام : ازهد في الدنيا يحبك الناس ، وقوله عليه السلام : من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ، وقوله عليه السلام : انما الاعمال بالنيات .

وأما عقد غيرهما[١] فكقول أبي العتاهية :

مابال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

عقد قول علي (ض) : وما لابن آدم والفخر ، وانما أوله نطفة وآخره جيفة[٢] ، وقوله أيضاً[٣] :

كفى حزناً بدفنك ثم إني نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

قيل : عقد قول بعض الحكماء في الاسكندرية لما مات ، كان الملك امس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس ، وقيل[٤] : هو قول الموبذ لما مات قباذ الملك .

---

(١) اي عقد غير القرآن والحديث ، وجملة يفخر حال من «من» اسم الموصول اي ما باله مفتخرا ، وصح مجيء الحال من المضاف اليه لصلاحية المضاف للسقوط ، والعامل ماتضمنه « ما » ، والتقدير : اسأل عنه مفتخراً .

(٢) وكلمة على المشهورة هي : مالك وللفخر ، أو لك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بينهما تحمل العذرة !

(٣) اي قول ابي العتاهية ، والباء من « بدفنك » زائدة ، ودفنك فاعل كفى ، وما بعد « ثم » معطوف عليه .

(٤) والصواب القول الأول ، وهي كلمة رثاء مشهورة في الآداب الغربية .

وقول الآخر :

ياصاحب البغي ان البغي مصرعه فأربع[1]، فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوماً على جبلٍ لاندك منه أعاليه وأسفله

عقد قول ابن عباس (ض) : لو بغى جبل على جبل لدك الباغي، وقول الآخر :

إلبس جديدك اني لابس خلقي ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا[2]

عقد المثل : لاجديد لمن لاخلق له ، قالته عائشة (ض). وقدوهبت مالاً كثيراً ، ثم أمرت بثوب لها ان يرقع : يضرب في الحث على استصلاح المال .

---

(١) اي على ظلعك ، وكف من بغيك ، والفعال بفتح الفاء الفعل الحسن .
(٢) الخلق : البالي من الثياب يستوي المفرد فيه وغيره .

* * *

نصوص وشواهد

على العقد

جاء في الكتاب المبين : « قل : تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق . ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ❀» (الانعام ١٥١) .

فعقد أبو نواس من هذه الآية قوله :

بروحي غزال كان للناس قبلة ... وقد زرت في بعض الليالي مصلاه

ويقرأ في المحراب والناس خلفه ... «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله»

فقلت تأمل ما تقول فانها ... فعالك يامن تقتل الناس عيناه

وجاء فيه أيضاً . « ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ❀ » (الانفال ٤٥) ، فعقد منها السهل بن المزربان قوله :

لاتجزعن من كل خطب عرا ... ولا تُر الاعداء ما يُشمتُ

اما سمعت الله في قوله « اذا لقيتم فئة فاثبتوا » وجاء فيه . « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم » (البقرة ١٥٦) فعقد منها ابو محمد العبدلكاني قوله :

لا تكرهن خلقاً على مذهب ... لست من الارشاد في شيّ

ألم تر الرحمن سبحانه ... المخرج الميت من الحي

يقول لا اكراه في الدين قد ... تبين الرشد من الغي

وجاء في الحديث « الجنة تحت ظلال السيوف » فعقده ابن خلكان بقوله :

أنظر الى عارضه فوقه ... لحاظه ترسل منها الحتوف

تشاهد الجنة في وجهها ... لكنها تحت ظلال السيوف

وعقد ابن جابر الاندلسي حديث « انما الاعمال بالنيات » بقوله :

عمل ان لم يوافق نية ... فهو غرس لا يرى منه ثمر

انما الاعمال بالنيات قد ... نصه عن سيد الخلق عمر

وعزى علي الاشعث بن قيس في ولده قائلاً . « ان صبرت صبر الاحرار ، والا سلوت سلو البهائم » فعقده ابو تمام بقوله :

وقال علي في التعازي لاشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتؤجر ، أم تسلو سلو البهائم

ولابن رشيق القيرواني :

اسلمني حب سليمانكم ... الى هوىً ايسره القتل

قالت لنا جند ملاحاته لما بدا ما قالت النمل
قوموا ادخلوا مسكنكم قبل ان تحطمكم اعينه النجل

ويروى لحسان بن ثابت :

قد سمعنا نبينا قال قولا الذي يطلب الحوائج راحه
اغتدوا واطلبوا الحوائج ممن زين الله وجهه بصباحه

واما (الحل)«١» فهو . ان ينثر نظم ، وشرط كونه مقبولا شيئان«٢» :
احدهما ان يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن اصله .
والثاني ان يكون حسن الموقع مستقراً في محله غير قلق ، وذلك كقول بعض المغاربة«٣» : فانه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته«٤» لم يزل سوء الظن يقتاده . ويصدق توهمه الذي يعتاده ، حل قول ابي الطيب«٥» .

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق مايعتاده من توهم

وكقول صاحب «الوشي المرقوم في حل المنظوم» يصف قلم كاتب:
فلا تحظى به دولة الا فخرت على الدول ، وغنيت به عن الخيل والخول

---

(١) مقابل للعقد الذي مر بنا آنفاً .
(٢) احدهما : وهو « ان يكون سبكه مختاراً » ، يرجع الى اللفظ ، واشترطوا له السجع ، وما نراه في عصرنا هذا شرطاً مقبولاً ، والثاني ، وهو « حسن الموقع » ، يرجع الى المعنى : بان يكون مطابقاً لمقتضى الحال ، لتتم بالاول طلاوته ، وبالثاني بلاغته .
(٣) يسيء ظنه بالناس لقياسه غيره على نفسه .
(٤) اي صارت ثمار نخلاته في مرارتها كالحنظل على سبيل المجاز المرسل : اطلق النخلات واراد الثمرات ، او الاستعارة التمثيلية : شبه حال من تبدلت اوصافه الحسنة وامست سيئة بحال من كانت نخلاته حلوة الجنى فانقلبت الى مرارة الحنظل .
(٥) يشكو سيف الدولة واستماعه لقول اعدائه ، وبعده :

وعارى محبيه لقول عداته واصبح في ليل من الشك مظلم

والشاهد من قصيدة كافورية « ٤٥٦ د . ع » مطلعها :

فراق ، ومن فارقت غير مذمم وأم ، ومن يممت خير ميمم

وقالت : اعلى الممالك مايبنى على الاقلام لاعلى الاسل ، حل قول ابي الطيب ايضاً«١» :

« أعلى الممالك مايبنى على الاسلِ »

وكقول بعض كتاب العصر في وصف السيف: اورثه عشق الرقاب نحولا ، فبكي ، والدمع مطر تزيد به الخدود محولا ، حل قول ابي الطيب ايضاً«٢» .

في الخد ان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا

---

(١) هو صدر مطلع قصيدة سيفية « ٢٦٥ د . ع » ، والعجز : « والطعن عند محبيهن كالقبل » .

(٢) مطلع قصيدته الاسدية التي مدح بها بدر بن عمار « ١٣٣ د . ع » ومنها:

امعفي الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا؟

ومنها :

انف الكريم من الدنية تارك في عينه العدد الكثير قليلاً

والعار مضاض ، وليس بخائف من حتفه من خاف مما قيلا

***

نصوص وشواهد

على الحل

قالوا : وجاء منه في الكتاب المبين . « يعملون مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات . اعملوا آل داود شكراً. وقليل من عبادي الشكور (سبأ ١٣)»[١].

وروي عن ابراهيم بن العباس الصولي انه قال : ما اتكلت قط في مكاتباتي الا على مايجلبه خاطري او يجيش به صدري. الاقولي :«فأبدلوه آجالاً من آمال» فاني حللت فيه قول مسلم بن الوليد :

---

(١) ذهب ابن ابي الاصبع ، الى ان هذه الآية حل قول امريء القيس :

وقدور راسيات وجفان كالجوابي

على ان بعض الرواة ذكر ان بعض الزنادقة وضع هذا البيت ، وتكلم على هذه الآية ، وان امريء القيس لم يصح انه تلفظ به ، قال صاحب المعاهد «١٨٨/٢» « وقد تصفحت ديوانه على اختلاف رواته ، فلم اجد فيه قصيدة على هذا الوزن والروي ، » على ان القرآن انما نزل بلغة العرب حقيقة ومجازا ، فما يضير هذا القرآن فيما لو اشتمل على بعض الفاظها وتشبيهاتها ، او لم يقل امرؤ القيس :

« ومسنونة زرق كانياب اغوال »

وجاء في القرآن : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » !

موفٍ على مهج، في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى الى أمل

وقولي : « قد صار مايحرزهم يبرزهم وما يعقلهم يعقلهم » فاني حللت فيه قول أبي تمام (د ٢٣١) .

فان باشر الاصحار فالبيض والقنا قراه ، واحواض المنايا مناهله

وإن يبن حيطاناً عليه فانما أولئك عقالاته لا معاقله

وقال آخر : « العيادة سنة مأجورة ، ومكرمة مأثورة ، ومع هذا فنحن المرضى ونحن العواد ، وكل وداد ، لايدوم على ذلك فليس بوداد » حل بقوله هذا قول الشاعر :

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذرُ

وقال صاحب الوشي المرقوم : « لم ابك عصر الشباب الذي هو في الاعمار ، بمنزلة الربيع من الاعوام ، وما كنت أعرف كنه أمره ، حتى مضى فترحلت معه الحياة بسلام » . حل بقوله هذا البيت الثالث من قول أبي الطيب (٧٠٨ د . ع) :

ذكر الصبا ومرابع الآرام جلبت حمامي قبل وقت حمامي

قد كنت اهزأ بالفراق مجانة وأجر ذيلي شرة وعرام

ليس القباب على الركاب وانما هن الحياة ترحلت بسلام

وقال أيضاً : « الشيب بعد جدة الشباب اخلاق ، وهو على كراهة لقائه مكروه الفراق ، فواهاً لنزوله ، وواهاً لرحيله ! وسحقاً له بديلاً من الشباب ، وسحقاً لبديله ! » وبهذا حل قول ابن هانيء الاندلسي :

الشيب كره ، وكره أن يفارقنى أحبب بشيء على البغضاء مودود
يمضي الشباب ويأتي بعده بدل والشيب يذهب مفقوداً بمفقود

وقال صاحب الوشي أيضاً : « كيف يظلم ذلك اللحد ؛ وبه من اعمال ساكنه أنوار ؟ أم كيف يخفيه طول العهد ، وطيب ترابه هادٍ للزوار ؟ فقد حل بذلك قول مسلم بن الوليد :

أرادوا ليخفوا قبرها عن محبها وطيب تراب القبر دل على القبر

وقلت فيمن وصف معركة لم يشهد غمراتها ملتزماً في الحل ما التزموه من السجع على سبيل المثال : « بله ان وصف ذلك القتال ووقد جمرته وأهوال غمرته ، ممن لم يشهده متثبتاً بشهوده ورؤيته ، لحكم لعمري بالظلم حقيق ، وتصوير سيء بتلوين غير دقيق ، وكيف يحق الوصاف الحق بنقص أقدار الرجال ، وكفران مالهم من صنائع ومنن ، أو باغفال ما أبلى الابطال في ذلك اليوم من بلاء حسن ، واين الخُبر من الخبر والعين من الأثر ، وهل يصدق الوصف الا بصدق النظر ؟ فحللت بذلك كله قول أبي الطيب (٣٦٣ د . ع) :

ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته لا يصدق الوصف حتى يصدق النظر

. . . . .

وأما التلميح «١» . فهو أن يشار الى قصة أو شعر «٢» من غير ذكره :
فالأول «٣» ، كقول ابن المعتز :

أترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا أنني مقيم وقلبي راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز في أرحل القو م ، ولا يعلمون مافي الرحال «٤»

وقول أبي تمام «٥» :

---

(١) قال السيوطي في عقود الجمان « ٢/٢٢٢ البابي » : « وأما التلميح فذكره في التلخيص بتقديم الميم على اللام — كذا رأيته بخطه — وهو غلط نبه عليه الشراح ، لان ذلك من الملاحة ، وهو في باب التشبيه والاستعارة واما الذي هنا فبتقديم اللام على الميم من لمحه اذانظر اليه » وكأن الشاعر أو الكاتب نظر الى المشار اليه وراءه، ولذلك تسمعهم يقولون بتشديد الميم : لمح فلان الى هذا البيت ، وفي هذا تلميح الى قول فلان .

(٢) أومثل سائر، فالمشار اليه في التلميح إذن ثلاثة ، وكل منها إما نظم أو نثر وبذلك تصير ستة اقسام من ضرب «٢ × ٣» ، والمذكور في الايضاح مثال التلميح في النظم الى القصة والشعر وحدهما ، وقد يشار في التلميح الى مسألة علمية اونكتة بارعة ذائعة ايضاً .

(٣) اي ما كان من الشعر وفيه اشارة الى قصة كقصة العزيز ويوشع .

(٤) صاع العزيز صواعه ، وهي سقاية او مشربة كان يسقي بها ثم جعلت صاعاً وقصة صاع العزيز معلومة في سورة يوسف « الآية ٧٠ فما بعدها » وذلك حين جعله في رحل اخيه ، واخوته لم يشعروا به .

(٥) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري «د ١٨٩ » اولها:=

لحقنا بأخراهم وقد حوم الهوى قلوباً عهدنا طيرها وهي وقع
فردت علينا الشمس، والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى لبهجتها ثوب السماء المجزع
فوا ما أدري أأحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى ، واستيقافه الشمس ، فانه روي : انه قاتل الجبارين يوم الجمعة . فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعا ا فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

أما وانه لولا الخليط المودع وربع خلامنه مصيف ومربع
لردت على أعقابها أريحية من الشوق واديها من الدمع مترع

ثم الابيات الاربعة ،ومعنى«حوم الهوى قلوبا» ادارها حول الاحبة ، و «وقع» جمع واقع بمعنى ساكن ، و « بشمس » الباء للتجريد ، ويعني بها المحبوبة ، ورواية عجز البيت الثالث في الديوان : « لبهجتها ثوب الظلام » وفي تلميحات كثيرة الى قصة يوشع ، نذكر منها تلميح أبي العلاء المعري بقوله (السقط ٦٤)

فلو صح التناسخ كنت موسى وكان ابوك اسحاق الذبيحا
ويوشع رد يوحى بعض يوم وانت متى سفرت رددت يوحا

ويوح ويوحى بياءين مثناتين من أسفل من أسماء الشمس ، ومن اللغويين من يروونها بالباء الموحدة ، ويروى ان المعري احتج عليه في هذه اللفظة ببغداد في حلقة ابن المحسن بكتاب « الالفاظ) ليعقوب ، فقال : هذه نسخ محدثة غيرها شيوخكم ، ولكن أخرجوا مافي « دار العلم » من النسخ القديمة ، فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال ؛ ورواية الديوان في الصدر يوحي ، وفي العجز يوحا .

والثاني «١» كقول الحريري : « بتُّ بليلةٍ نابغية » «٢» أومأ به الى قول النابغة «٣» :

فبتّ كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرقش في أنيابها السم ناقع

وقول غيره «٤» .

لعمروٌ مع الرمضاء والنار تلتظي أرق وأحفى منك في ساعة الكرب

اشار الى البيت المشهور «٥» :

المستجير بعمروٍ عند كربته كالمستجير من الظلماء بالنار

---

(١) اي ما كان من النثر وفيه اشارة الى شعر .

(٢) المقامة الوبرية ، وبعد هذه الفقرة : واحزان يعقوبية ، اساور الوجوم ، واساهر النجوم .

(٣) من اعتذاريته العينية « د ٧٣ هندية » وقبله :

وعيد أبي قابوس في غير كهنه أتاني ودوني راكس والضواجع

(٤) هو ابو تمام الطائي « د ٤٣٣ » والشاهد من قطعة أولها :

بعقلي هذا صرت احدوثة الركب وقد كنت في سلم فاصبحت في حرب

وبعده :

متى اتبغى النصف من قلب صاحب اذا لم يكن قلبي شفيقاً على قلبي

فمن مات في حب فاني ميت لئن دام ذا ، من شدة البغض للحب!

(٥) ولا يعرف صاحب المعاهد قائل هذا البيت ، وعمرو هذا المستجار به هو ابن الحارث لاجساس بن مرة كما ذكر السعد في مختصره « ٥٢٨/٤ شروح » وكان قد اشترك مع جساس البكري في مصرع كليب التغلبي لرميه بدهم ناقة سعد=

ومن التلميح ضرب يشبه اللغز ، كماروي ان تميمياً قال لشريك النميري. مافي الجوارح أحب الي من البازي ، فقال له . اذا كان يصيد القطا ! اشار

الجرمي ، وهو جار للبسوس خالة جساس ، فلما رأت الناقة يشخب ضرعها لبناً ودماً ضربت يدها على رأسها وصاحت واذلاه ! ، فتربص جساس بكليب ريب المنون ، وتباعد مرة عن الحي فتبعه جساس ومعه عمرو بن الحارث ، وطعنه بالرمح فدق صلبه ثم ادركه عمرو بن الحارث فقال له كليب : يا عمرو اغثني بشربة ماء ، فقال : تجاوزت شبثياً والاحص يعني موضع الماء ، واجهز عمرو عليه فقيل « المستجير بعمرو ... » ونشبت الحرب بين بكر قوم جساس وتغلب قوم كليب اربعين سنة ، قال ابن اسحق وهي قبل البعثة بستين سنة ، وتفصيل هذه القصة في المعاهد « ١٩١/٢ »

هذا ، وقد اشار استاذنا المصنف بشواهده الى ضربين من التلميح : الاول: التلميح في النظم الى القصة « صاع العزيز ويوشع » والى الشعر « لعمرو مع الرمضاء ... » ، والثاني . التلميح في النثر الى الشعر كاشارة الحريري الى بيت النابغة بقوله : « فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية » ، وفي الفقرة الثانية تلميح في النثر الى قصة ، وهي قصة حزن يعقوب على يوسف ، ولم يشر في ايضاحه الى التلميح في الشعر والنثر الى المثل ، وهو كقوله : « ومن دون ذلك خرط القتاد » واصله لكليب قاله حين اوعد جساس بعقر عليان فحل كليب بدل ناقة الجرمي ، وقول كليب : « دون عليان خرط القتاد » فذهب مثلا ؛ واما مثال التلميح في النثر الى المثل فنحو قول الحريري : فيالها من هرة تعق اولادها ، اشار به الى المثل المعروف : « اعق من الهرة تأكل اولادها » ، وبه اتممنا لك المثل الامثلة الستة التي اشرنا اليها في الحاشية الثانية من حواشي التلميح ، وشجرة التلميح التالية توضح لك هذه الامثلة الستة أجمل إيضاح :

التميمي الى قول جرير«١» :

أنا البازي المطل على نميرٍ أتيح من السماء لها الضبابا

وأشار شريك الى قول الطرماح:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت

شجرة التلميح

- التلميح
  - ١ ـ بالشعر الى
    - ١ ـ الشعر : « لعمرو مع الرمضاء ... »
    - ٢ ـ القصة : « أم كان في الركب يوضع »
    - ٣ ـ المثل : « ومن دون ذلك خرط القتاد »
  - ٣ ـ بالنثر الى
    - ١ ـ الشعر : « فبت بليلة نابغية »
    - ٢ ـ القصة : « واحزان يعقوبية »
    - ٣ ـ المثل : « هرة تعق اولادها »

(١) من قصيدة يهجو بها الراعي النميري « د ٧٢ صاوي » ويروي الصدر « .... المدل على نمير » والعجز : « اتحت من السماء له انصبابا » .

***

نصوص وشواهد

على التلميح

جاء في الكتاب المبين « وضرب الله مثلاً رجلين : احدهما ابكم لا يقدر على شيء ، وهو كلٌّ على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل . وهو على صراط مستقيم » (النحل ٧٦) .

فمن التلميح بالقرآن إشارة أبي نصر محمد الاصفهاني الى هذه الآية في ذم مملوك :

بليت بمملوك اذا ما بعثته ... لامر اعيرت رجله مشية النمل

بليد كان الله خالقنا عني ... به المثل المضروب في سورة النحل

ومن التلميح بالحديث قول عمر بن الفارض .

ليهن ركب سروا ليلاً ، وأنت بهم ... لسيرهم في صباح منك منبلج

وليصنع الركب ماشاؤا لأنفسهم ... هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

أشار الى قول النبي لعمر حين سأله قتل حاطب . لعل الله اطلع على اهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم !

ولابي العلاء المعري :

افق انما البدر المقنع رأسه ... ضلال وغي مثل بدر المقنع

وهو تلميح بقصة المقنع وهو عطاء الخراساني ، وكان من الكهنة

ادعى النبوة ، (من طريق التناسخ) وكان مشوه الخلق فاتخذ وجهاً من ذهب تقنع به وخيل للناظرين سحره بدراً طالعاً في السماء ، واشتهر امره سنة ١٦١ هـ .

ومن التلميح بالشعر الى الشعر قول الصفي الحلي يطلب جبناً ، وهو من لطيف التلميح في مثل هذا المقام ، لما فيه من سؤال بتلطف ، وظاهره التعفف :

خففت عنكم فلم أطلب لمجلسنا ... من المآكل شيئاً غالي القيم
لكن أقصى مرادي من هديتكم ... ما بالكرائم من لامية العجم

يريد قول الطغرائي :

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها ... ما بالكرائم من جبن ومن بخل

ومن جيد التلميح قول أبي تمام (د ٤٢) يمدح أبا دلف العجلي :

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ... وزادت على ماوطدت من مناقب
فانتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
معالٍ ، تمادت في العلو كأنما ... تحاول ثاراً عند بعض الكواكب

ففي البيت الاول تلميح بالشعر الى قصة حاجب بن زرارة حين رهن كسرى قوسه ضماناً لعشيرته من الاعتداء على رعية كسرى اذ اذن لهم بنزول ناحية مخصبة من بلاده . فقبل كسرى قوسه قائلاً لمن ضحك من حاشيته : لولا وفاؤه العربي ما كان ليسلمها أبداً ! وفي البيت الثاني تلميح بواقعة ذي قار ، وكانت بعد بدر بأشهر ، فلما بلغ النبي العربي خبرها

وهو يومئذ بالمدينة ، وتمثلت له الواقعة رفع يديه ودعا لبني شيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ولم يزل يدعو لهم حتى رأى هزيمة الفرس وغلبت عليه نشوة الطرب فقال معتزاً بقومه العرب : ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا !

ومن براعة التلميح بالشعر الى الشعر ماروي أن أبا العلاء يتعصب لابي الطيب ، فحضر يوماً مجلس المرتضى فجرى ذكره ، فتنقصه المرتضى فقال المعري : لو لم يكن له من الشعر الا قوله (١٦٣ د . ع) :

لك يامنازل في القلوب منازل أقفرت أنت ، وهن فيك أواهل

لكفاه فضلا ، فغضب المرتضى فأمر به فسحب وأخرج ، وقال لمن بحضرته : هل تدرون ماعنى الاعمى بذكر البيت ؟ عنى به قوله :

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بانني كامل !

ويروى أن رجلاً من بني محارب دخل على عبدالله بن يزيد الهلالي ، فقال عبدالله :

ماذا لقينا البارحة من شيوخ بني محارب ، ماتركونا ننام! فقال المحاربي: اصلحك الله ، أضلوا البارحة برقعاً فكانوا في طلبه ! فأراد الهلالي قول الاخطل :

تريش بلا شيء شيوخ محارب وما خلتها كانت تريش ولا تبري

ضفادع في ظلماء ليل في تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

واراد المحاربي قول الآخر :

لكل هلالي من اللؤم برقع ولابن هلال برقع وجلال

ومن التلميح بالشعر الى الشعر قول الرئيس ابي العباس بن ابي طالب:

وكم ليلة نلت فيها المنى وبات لي الحب فيها نجيا
حكت ليلة السفح في حسنها فأصبحت احكي الشريف الرضيا

يشير الى قول الشريف الرضي (د ٤٦٦ بغداد) :

ياليلة السفح هلا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم
وامست الريح كالغيرى تجاذبنا على الكثيب فضول الريط واللمم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داج من الظلم
وبيننا عفة بايعتها بيدي على الوفاء لها والرعي للذمم

ومما كتبه بديع الزمان الى الخوارزمي :

انا لقرب مولانا الاستاذ « كما طرب النشوان مالت به الخمر »
ومن الارتياح للقائه « كما انتفض العصفور بلله القطر »
ومن الامتزاج بولائه « كما التقت الصهباء والبارد العذب »
ومن الابتهاج بمزاره « كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

***

الخاتمة[1]

ينبغي للمتكلم ان يتأنق[2] في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً واسحر معنى[3]:

الاول: الابتداء، لانه اول مايقرع السمع، فان كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وان كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، إن كان في غاية الحسن؛ فمن الابتداءآت المختارة قول امرىء القيس[4]:

---

(١) اخترنا هذا العنوان بدل «الفصل الثاني»: لأنا حذفنا الفصل الأول فصل السرقات الشعرية لانه من بابه النقد كما بيناه قبلا.

(٢) أي يتتبع الآنق أي الاعجب لذوقه، يقال: تأنق في الروضة، اذا تتبع فيها ما يونقه أي يعجبه.

(٣) أما عذوبة اللفظ فبعده عن الثقل والتنافر وهو متعلق بالمفردات، وأما حسن السبك فبعده عن التعقيد المتعلق بالمركبات وعن التقديم والتأخير الموجبين للبس، مع تقارب الألفاظ في الجزالة والمتانة والرقة والسلاسة ومع تناسب المعاني والألفاظ فلايكتسي اللفظ الشريف المعنى السخيف ولا العكس، وأما صحة المعنى فبسلامته من التناقض والامتناع والابتذال ومخالفة العرف ومقتضى الحال.

(٤) الشطر الأول من مطلع معلقته المشهورة، والشطر الثاني هو =

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

وقول النابغة«١»:

كليني لهم ياأميمة ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

وقول أبي الطيب«٢»:

أتظنني من زلة أتعتب قلبي أرق عليك مما تحسب

وقوله«٣»:

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر بفيّ برود، وهو في كبدي جمر

(بسقط اللوى بين الدخول فحومل) قالوا: وانما أحسن امرؤ القيس في هذا المطلع لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب بصدر البيت، بلفظ حسن سبكه لا تعقيد فيه ولا تنافر ولا ركاكة؛ وأما العجز فلم يتفق له فيه ما اتفق في الصدر لانه كثير اللفظ قليل المعنى.

(١) الذبياني، وهو مطلع قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الاصغر الغساني « د ٩ هندية »، وقد فضلوه على مطلع امرئ القيس بأنه اكثر معنى وارشق مبنى وشطراه متناسبان.

(٢) ليس هذا البيت في ديوان عزام مع اتمامه لكثير من نواقص دواوين المتنبي المنشورة.

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى البحتري « ٥٦ د. ع » وبعده

أذا الغصن، أم ذا الدعص أم أنت فتنة وذيا الذي قبلته البرق أم ثغر؟

وفي البيتين تجاهل العارف وحيرة الولهان.

وقوله«١»:

فراق ومن فارقت غير مذمم وأمٌّ ، ومن يممت غير ميمم

وقوله«٢»:

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

وقول الآخر:

زموا الجمال فقل للعاذل الجاني لاعاصم اليوم من مدرار اجفاني

وينبغي ان يجتنب في المديح مايتطير به ، فانه قد يتفاءل به الممدوح أو بعض الحاضرين كما روى أن ذا الرمة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية«٣»:

---

(١) من كافوريات أبي الطيب ، و « فراق » خبر لمبتدأ محذوف تقديره حالي ، و « أم » أي قصد ، يريد فراقه لسيفه الذي لايذم عهده ، ثم قصده لكافور بعده ، وفي البيت الثاني تعريض بكافور حيث يقول :

وما منزل اللذات عندي بمنزل اذا لم أسجل عنده واكرم

وتعريض بالسيف بقوله :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

(٢) مطلع قصيدته التي يمدح بها أبا العشائر الحمداني ابن عم سيف الدولة وأمير أنطاكية «٢٢٣ د . ع» ؛ وانظر أي نوع من البديعين في هذا المطلع ، ثم ماقولك في عذوبة مبناه ورقة معناه ؟

(٣) هو مصدر مطلع قصيدة له وعجزه « كأنه من كلى مفرية سرب » ، ان البيت لذي الرمة ، وأما ان الذي مدحه وانشده هو هشام بن عبد الملك ففيه نظر :

« مابال عينك منها الماء ينسكب »

قال هشام : بل عينك ، ويقال : ان ابن مقاتل الضرير«١» أنشد الداعي العلوي قصيدته التي أولها :

« موعد أحبابك بالفرقة غد »

فقال له الداعي : موعد أحبابك ، ولك المثل السوء ! ، وروي أيضاً انه دخل عليه في يوم مهرجان وأنشد :

لاتقل بشرى ، ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

فتطير به ، وقال : اعمى يبتديء بهذا يوم المهرجان ! وقيل بطحه وضربه خمسين عصا ، وقال : إصلاح ادبه ابلغ في ثوابه ،

وقيل : لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده اسحق الموصلي :

يادار غيرك البلى ومحاك ياليت شعري ماالذي ابلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر ،

ومن أراد ذكر الديار والاطلال في مديح فليقل مثل قول القطامي :

لأنه كان احول لا تدمع عيناه ، وأبوه عبد الملك بن مروان كانت في عينه ريشة « شعرة » فهي تدمع ابدا ، فذو الرمة انشد هذا المطلع عبد الملك لا هشاماً ، فتوهم انه خاطبه أوعرض به فقال له: وما سؤالك عن هذا ياجاهل؟ ومقته وأمر باخراجه؛ أما هشام ابنه فقد كان احول لاشعرة بعينه فماؤها سرب سكب ، والذي انشده هو أبو النجم العجلي يصف الشمس في بعض أبيات أرجوزته :

صفراء قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول

فأمر هشام فحجب عنه مدة ، وكان قبل ذلك من سماره المقربين .

(١) احد شعراء الجبال ، والداعي الى الحق العلوي كان ثائراً بطبرستان .

« انا محبوك فاسلم ايها الطلل »(١)

أو مثل قول أشجع السلمي(٢) :

قصر عليه تحية وسلام　　خلعت عليه جمالها الايام

وأحسن الابتداء آت ماناسب المقصود. ويسمى: (براعة الاستهلال)(٣) كقول أبي تمام(٤) يهنيء المعتصم بالله بفتح عمورية، وكان أهل التنجيم زعموا انها لاتفتح في ذلك الوقت :

السيف اصدق انباء من الكتب　　في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف في　　متونهن جلاء الشك والريب

---

(١) صدر مطلع قصيدة له، وعجزه : « وإن بليت وان طالت بك الطيل »

(٢) مطلع قصيدة يمدح بها الرشيد، والرواية « ثنرت بدل خلعت : « حدث » عبد الله بن العباس الربيعي ان اول من ادخل أشجع الى الرشيد هو الفضل بن الربيع قال له : هو أشعر شعراء هذا الزمان، وقد اقتطعته عنك البرامكة، ولما وصل اليه وأنشده هذه القصيدة استحسنها، وامر له ب ٢٠٠٠٠ درهم، ومنها :

واذا سيوفك صافحت هام العدى　　طارت لهن عن الرؤوس الهام

يثني على أيامك الاسلام　　والشاهدان الحل والأحرام

وعلى عدوك يابن عم محمد　　رصدان ضوء الصبح والأظلام

فاذا تنبه رعته، واذا غفا　　سلت عليه سيوفك الأحلام

(٣) وهو أن يكون في الابتداء إشارة الى ما سبق الكلام لأجله، و « براعة الاستهلال » من المحسنات البديعية وكذلك حسن التخلص وبراعة المقطع، فلو الحقت بها لاستغنينا عن الخاتمة التي نسأل الله حسنها.

(٤) وهي القصيدة الخالدة في ديوانه « ص ٧ » وتسمى فتح الفتوح.

وقول أبي محمد الخازن يهنيء ابن عباد بمولود لبنته[١] :

بشرى فقد أنجز الاقبال ماوعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وقول الآخر :

أبشر فقد جاء ماتريد أباد أعداءك المبيد

وكقول أبي الفرج الساوي يرثي بعض الملوك من آل بويه ، أظنه فخر الدولة[٢] :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي

---

(١) وهو سبطه الشريف ابو الحسن عباد بن علي الحسني ، وبعد :

وقد تفرع في روض الوزارة عن دوح الرسالة غصن مورق رشدا
وكادت الغادة الهيفاء من طرب تعطي مبشرها الاهياف والغيدا

وابو محمد هذا هو عبد الله بن احمد الخازن ، قال فيه صاحب اليتيمة : هو من حسنات اصبهان واعيان أهلها في الفضل وافرادها في الشعر ومن خواص الصاحب ومشاهير صنائعه ، وهو من نظراء الخوارزمي والرستمي وما أصدق قوله :

لا يحسن الشعر ما لم يسترق له حر الكلام وتستخدم له الفكر
أنظر تجد سور الاشعار واحدة وانما لمعان تعشق الصور
والمعدمون من الابداع قد كثروا وهم قليلون إن عدوا وإن حصروا
قوم لو أنهم ارتاضوا لما قرضوا أو أنهم شعروا بالنقص ماشعروا !

(٢) وقد صدق ظنه فالبيت من مرثية رثى بها فخر الدولة بن بويه ، وبعده :

ولا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاني أخذت الملك منه بسيف ملكي
... فامسى بعد ما قرع البرايا أسير القبر في ضيق وضنك

وكذا قول أبي الطيب يرثي أم سيف الدولة[1] :

نعد الشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال

ونرتبط السوابق مقربات ... وما ينجين من خبب الليالي

---

(١) وقد ورد خبرها الى انطاكية سنة ٣٣٧ هـ « ٢٥٣ د . ع » ومنها البيتان المشهوران :

ولو كان النساء كمن فقدنا ... لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال

***

نصوص وشواهد

على الابتداء

جاء في الكتاب المبين : « يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ❀ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكاري ، ولكن عذاب الله شديد[1] ❀ (الحج ١ ، ٢) .

وقال ابو بصير ميمون بن قيس (الاعشى) في فاتحة معلقته :

ودع هريرة ان الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعاً ايها الرجل

غراء فرعاء مصقول عوارضها ... تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مرُّ السحابة لاريث ولا عجل

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ... ولا تراها لسر الجار تختتل

وقال المخبل السعدي (٤٣ مفضليات السندوبي) :

---

(١) في هذه السورة أنواع من الارهاب والافزاع وأمثال ذلك كذكر الغضب والذم ، فابتداء هذه السورة وارد على أحسن وجوه البلاغة وأكملها ، وباشتماله على مقصود هذه السورة ذات الأهوال ، كان من اجمل الامثلة لبراعة الاستهلال .

ذكر الرباب ، وذكرها سقم فصبا وليس لمن صبا حلم
واذا ألم خيالها طرفت عيني فماء شؤونها سجم
كاللؤلؤ المسجور أغفل في سلك النظام فخانه النظم

وقال علقمة بن عبدة (١٨٦ مفض . سند) :

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب
منعمة ما يستطاع كلامها على بابها من أن تزار رقيب
اذا غاب عنها البعل لم تفش سره وترضي اياب البعل حين يؤوب

ويقول أبو نواس (٨٨ د . هندية) :

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ماأقوت وطيب نسيم
تجافى البلى عنهن حتى كانما لبس على الاقواء ثوب نعيم
ومازال مدلولاً على الربع عاشق حسير لبانات طليح هموم

ويقول المتنبي من قصيدة يمدح بها ابا العشائر (٢٤٢ العرف الطيب):

أراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي
كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راقي «١»
انت منا فتفت نفسك لكنك عوفيت من ضنىً واشتياق
حلت دون المزار فاليوم لو زر ت لحال النحول دون العناق

---

(١) وما قولك في سبك هذا البيت ؟ ، وما هو الفرق بينه والذي تقدمه ؟

وقال ابن هاني الاندلسي المغربي (٥٦٠ د . زاهد) :

أتظن راحاً في الشمال شمولا أتظنها سكرى تجر ذيولا ؟
نثرت ندى أنفاسها فكأنما نثرت حبالات الدموع همولا
أو كلما جنح الاصيل تنفست نفساً تجاذبه الي عليلا

وللبحتري يقول في مطلع قصيدة له :

بودي لو يهوى العذول ويعشق ليعلم اسباب الهوى كيف تعلق

ولابن المعتز مع تناسب القسمين :

أخذت من شبابي الايام وتولى الصبا عليه السلام

وللشريف أبي جعفر البياضي مشيراً الى الرفق بالابل عند السرى .

رفقاً بهن فما خلقن حديدا أو ما تراها اعظما وجلودا

وما اعذب قول التهامي .

حازك البين حين اصبحت بدرا إن للبدر في التنقل عذرا
فارحلي ، ان اردت ، أو فأقيمي أعظم الله للهوى في أجرا
لاتقولي . لقاؤنا بعد عشر لست ممن يعيش بعدك عشرا !

ومن مختارات براعة الاستهلال المشيرة الى المقصد قول ابي الطيب مهنئاً سيف الدولة بالشفاء (٣٧٩ العرف) .

المجد عوفي مذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك الالم
صحت بصحتك الغارات وابتهجت بها المكارم وانهلت بها الديم

الى ان يقول في انتهائها :

وما اخصك في برء بهنئة اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقول مهيار المشعر بالاعتذار والتنصل مما رمي به (٣/١٩٤ الدار):

أما وهواها عذرةً وتنصلا لقد نقل الواشي اليها فأمحلا
سعى جهده، لكن تجاوز حده فكثر فارتابت ، ولو شاء قللا
وطار حها أني سلوت فهل رأى له الذم مثلي عن هوى مثلها سلا
أبى الله والقلب الوفي بعهده وإلف اذا عد الهوى كان اولا

وقال ابو نصر احمد بن ابرهيم الكاتب مهنئاً ببناء دار .

أهلا بدار أبان بانيها دلائل المجد في مغانيها
دار حكت صدر ربها سعة تسافر العين في نواحيها

ومن المطالع المشعرة بالرثاء قول الشريف الموسوي في أبي منصور الشيرازي الكاتب (٧٠ د . بغداد) :

أي دموع عليك لم تصب وأي قلب عليك لم يجب
مالي وما للزمان يسلبني في كل يوم غرائب السلب
إما فتى ناضر الصبا كاخي عندي او زائد المدى كابي
وأنني للشقاء أحسبني ألعب بالدهر وهو يلعب بي

ومن غرر براعات الاستهلال قول ابن نباتة يهنيء الملك الافضل صاحب حماه ويعزيه بوالده الملك المويد :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
تردمجاري الدمع والبشر واضح كوابل غيث في ضحى الشمس قدهمى

واوفد الحجاج جريراً على عبد الملك بن مروان ،واستأذنه في الانشاد فأذن له فقال ومن قبح الابتداء مطلعه (د ٩٦ صاوي) :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبك بالرواح

فقال له عبد الملك . بل فؤادك . . . ثم استمر ينشد حتى بلغ :

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح ؟

فارتاح عبدالملك وكان متكئاً فجلس ثم قال : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا . أو ليسكت !

لكم شمم الجبال من الرواسي وأعظم سيل معتلج البطاح

ومن قبيح الابتداء مطلع أبي نواس للفضل بن يحى البرمكي من قصيدة له أولها (٧٣ هندية) .

أربع البلى ان الخشوع لباد عليك واني لم اخنك ودادي
فمعذرة مني اليك بأن ترى رهينة أرواح وصوب غواد

الى ان قال واستحكم له تطير الفضل فلم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة

سلام على الدنيا اذا مافقدتم بني يومك من رائحين وغاد

ولقد عيب على ابي الطيب خطابه لممدوحه كافور حين رحل الى مصر لزيارته فاخلى له داراً وخلع عليه (٤٧١ العرف) :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا ان يكن أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا ، اوعدواً مداجيا
اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا
خلقت ألوفاً لو رجعت الى الصبا لفارقت قلبي موجع القلب باكيا

***

الثاني (**التخلص**)«١» ، ونعني به : الانتقال مما شبب الكلام به من تشبيب«٢» أو غيره الى المقصود مع رعاية الملائمة بينهما«٣» ، لان السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب الى المقصود كيف يكون ، فاذا كان حسناً متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على اصغائه الى ما بعده ، وان كان بخلاف ذلك كان الامر بالعكس ، فمن التخلصات المختارة قول أبي تمام«٤» :

---

(١) ويسميه صاحب العمدة « ١/٢٠٦ » الخروج ، قال : فهو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به ، لان الخروج انما هو ان تخرج من نسيب الى مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تمادى فيما خرجت اليه... ثم يقول ... واكثر الناس استعمالاً لهذا الفن أبو الطيب ، فانه ما يكاد يفلت منه ، ولا يشذ عنه ، حتى ربما قبح سقوطه فيه.

(٢) أي مما ابتديء به من « تشبيب » ، قال الامام الواحدي : « معنى التشبيب ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ، وذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر ، فسمي ابتداء كل أمر تشبيباً ، وان لم يكن في ذكر الشباب . » أقول : فهو لذلك مجاز مرسل علاقته الاطلاق والتقييد .

(٣) واحترز بهذا القيد عن الاقتضاب الآتي بيانه .

(٤) في عبد الله بن طاهر وقد خرج اليه « د ١٣٦ » ، و « قومس » كما في الأطول : اسم موضع متسع بين خراسان وبلاد الجبل ، وفي الانساب : محل بين بسطام الى سمنان ؛ و « السرى » سير الليل فهو مصدر يؤنثه بعض العرب على توهم الجمع لانه على وزن من أوزان الجموع كالنهى والعلى ؛ وقد أخذ أبو تمام البيتين بلفظها من مسلم بن الوليد حيث يقول :

يقول صحبي وقد جدوا على عجل ... والخيل تستن بالركبان في اللجم
أمطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا ... فقلت : كلا ولكن مطلع الكرم

يقول في قومس قومي وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القودِ
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا فقلت كلا ، ولكن مطلع الجود

وقول مسلم بن الوليد«١» :

أجدك ماتدرين أن رب ليلةٍ كأن دجاها من قرونك تنشر
سهرت بها حتى تجلت بغرة كغرة يحيي حين يذكر جعفر

وقول ابي الطيب يمدح المغيث العجلي«٢» :

مرت بنا بين تربيها فقلت لها من أين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجل اذا انتسبا

وقوله ايضاً«٣» :

خليليَّ مالي لاأرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا ، إن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

---

(١) لما فيه من ادماج المبالغة في مدح يحيى البرمكي بالبر بابيه جعفر . وقوله : « أجدك » بتشديد الدال ولا يقال الا مضافاً ، ومنصوب بنزع الخافض أي أبجدمنك والقرون جمع قرن وهو خصلة الشعر هنا ، والغرة بياض الجبهة خرج بها من غرة المحبوبة الى غرة يحيى حين يذكر جعفر ، فاحسن التخلص من النسيب الى المديح .

(٢) والمغيث هو ابو الحسن بن علي بن بشر العمي من أهل عمم ، ومطلع القصيدة التي مدحه بها « ٨٨ د . ع » :

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا لأهله وشفى ، أنى ؟ ولا كربا

(٣) من سيفيات ابي الطيب « ٣١٠ د . ع » ومطلعها :

« عواذل ذات الخال في حواسد » .

وقد ينتقل من الفن الذي شبب الكلام به الى مالا يلائمه، ويسمى ذلك (الاقتضاب)«١» وهو مذهب العرب الاولى ، ومن يليهم من المخضرمين«٢»

كقول ابي تمام«٣» .

لو رأى الله ان في الشيب خيراً جاورته الابرار في الخلد شيبا
كل يوم تبدى صروف الليالي خلقا من أبي سعيد غريبا

ومن الاقتضاب مايقرب من التخلص«٤» كقول القائل:

---

(١) قال صاحب العمدة « ١/٢٠٣ » : ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب ، بل يهجم على ما يريده مكافحة ، ويتناوله مصافحة ،وذلك عندهم: الوثب والبتر والقطع والكسع والاقتضاب ،كل ذلك يقال ، والقصيدة اذا كانت على تلك الحال « بتراء » كالخطبة البتراء ، وهي التي لا يبتدأ فيها بحمد الله على عادتهم في الخطب ، قال ابو الطيب ، وقد انكر النسيب :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم ؟

(٢) العرب الاولى هم الجاهليون ، والمخضرمون من أدرك الجاهلية والاسلام، وقوله :«وهو مذهب العرب ...»أي دأبهم وطريقتهم فلا ينافي ان يسلكه الاسلاميون كابي تمام ، وقد خفي الفرق بين كونه مذهباً وكونه لا يصدر الا منهم،وهو فرق يظهر بأدنى تأمل .

(٣) يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري « د ٣٥ » . من قصيدة مطلعها :

من سجايا الطلول ان لا تجيبا فصواب من مقلتي أن تصوبا

(٤) في أنه يمازجه شيء من المناسبة والملاءمة .

«بعد حمد الله: أما بعد، قيل: وهو فصل الخطاب«١»، وكقوله تعالى: (هذا، وان للطاغين لشر مآب): اي الامر هذا، أو: هذا كما ذكر، وقوله تعالى: (هذا ذكر، وان المتقين لحسن مآب)«٢»، ونحوه قول الكاتب: هذا باب، هذا فصل.

---

(١) قال ابن الاثير: «والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أن فصل الخطاب هو «أما بعد»: لان المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده، فاذا اراد ان يخرج منه الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله: (أما بعد)، أقول: وهي اقتضاب من حيث الانتقال من الحمد الى غيره من غير ملاءمة، وتشبه التخلص من جهة انه لم يؤت بالكلام الآخر فجأة من غير قصد الى ربطه بما قبله على نوع من الربط لانها بمعنى: مهما يكن من شيء بعد الحمد فانه كان كذا وكذا.

(٢) وفي هذا المثال من الآية اثبت الخبر، وهو ذكر، وهو مقدر في الآية قبلها كما بينه المصنف.

نصوص وشواهد

على التخلص

جاء في الكتاب المبين(١): « قل: أفرأيتم ما كنتم تعبدون ❀ أنتم وآباؤكم الاقدمون ❀ فانهم عدو لي الا رب العالمين ❀ الذي خلقني فهو يهدين ❀ والذي هو يطعمني ويسقين ❀ واذا مرضت فهو يشفين ❀ والذي يميتني ثم يحيين ❀ والذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين ❀ » رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين ❀ » (الشعراء ٧٥ — ٨٣) .

ان التخلص قليل في كلام المتقدمين ، وأبدع ماأوردوه لهم قول زهير بن أبي سلمى :

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرمُ

---

(١) نقل ابن الاثير في الجامع عن الغانمي انه لم يأت في القرآن الكريم تخلص ، وحمله على ذلك أنه وجده يقع متكلفاً في الغالب ، والقرآن لا كلفة فيه ؛ قال التنوخي : وليس الامر كما قالوا ، بل في القرآن التخلص ، اذ فيه الخروج من الوعد والوعيد، والتذكر بالانذار والبشارة بالجنة الى أمر ونهي ووعد ووعيد بلطائف دقيقة تجمع بينها ، وتجعلها كلاماً واحداً كما قال تعالى: «سأل سائل بعذاب واقع ❀ للكافرين ليس له دافع ❀ من الله ذي المعارج ❀ » تخلص من ذكر العذاب الى صفاته عز وجل الى غير ذلك .

ومنه قول الفرزدق (٣٠ د . صاوي) :

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترةً من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم ... الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا ناراً يقولون : ليتها ... وقد خصرت ايديهم ، نار غالب

ومما أحسن البحتري فيه التخلص قوله في الفتح بن خاقان :

رياض تردت بالنبات مجودة ... بكل جديد الماء عذب الموارد
اذا راوحتها مزنة عرضت لها ... شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خقان أقبلت ... عليها بتلك البارقات الرواعد

وقول المتنبي يمدح احمد بن عمران:

ومطالب فيها الهلاك اتيتها ... ثبتَ الجنان كأنني لم آتها
ومقانب بمقانب غادرتها ... أقوات وحش كن من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد كأنما ... أيدي بني عمران في جبهاتها

وقول ابى العلاء من قصيدة في مذهب المديح ، ولم يكن من طلاب الرفد :

ولو أن المطي لها عقول ... وحقك لم نشد بها عقالا
مواصلةً بها رحلي كأني ... عن الدنيا أريد بها انفصالا
سألن فقلن: مقصدنا سعيد ... فكان اسم الامير لهن فالا
فكلف خيله قنص الاعادي ... وجاعل غابه الاسل الطوالا

ومن حسن التخلص قول النامي :

وليل له نجم كليل عن السرى ... تحيّر لا يدري لقصد ولا يهدي
كأني وابن العمد والطرف أنجم ... على قصدها، والنجم ليس على قصد
الى أن رأيت الفجر والنسر خاضب ... جناحيه ورساً عل بالعنبر الورد
وحلّت يد الجوزاء عقد وشاحها ... إزاء الثريا ، وهي مقطوعة العقد
فقلت : أخيل التغلبي مغيرةً ... أم الفجر يرمي الليلَ سهماً على سد

ومن المخالص البديعة قول مهيار من قصيدة أنشدها سند الدولة أبا الحسن بن مزيد في داره بالنيل (١٩/١ الدار) :

تسعى السقاة علينا بين منتظر ... بلوغ كأس ، ووثاب فمستلب
كأنما قولنا للبابلي : أدر ... سلافةً ، قولنا للمزيدي هب
فدى عليّ جبان الكف مقتصر ... من الفخار على الموروث بالنسب
ومشبعون من الدنيا وجارهم ... بادي الطوى ضامر الجنبين بالسغب

وللشاب الظريف يمدح ابن عبد الظاهر من قصيدة مطلعها (د ٥٣) :

روح يمينك مما أنت معتقل ... أمضى الأسنة ما فولاذه الكحل
يثني حديث الوغى اعطافهم طربا ... كأن ذكر المنايا بينهم غزل
اذا انتضوها بروقاً صيرت سحبا ... يسيل من جانبيها عارض هطل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما ... ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

وللبها زهير يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن عبد العزيز من قصيدة مطلعها :

عرف الحبيب مكانه فتدللا وقنعت منه بزورة فتعللا
ولقد كتمت حديثه وحفظته فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا
أهوى التذلُّل في الغرام وانما يأبى صلاح الدين أن اتذللا
مهدت بالغزل الرقيق لمدحه وأردت قبل الفرض ان اتنفلا

وقول ابي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله :

وكم ليلة قد بتها معسراً ، ولي بزخرف آمالي كنوز من اليسر
أقول لقلبي كلما اشتقت للغنى اذا جاء نصر الله تبت يد الفقر

***

الثالث (الانتهاء)[١] لانه آخر مايعيه السمع ويرتسم في النفس ، فان كان مختاراً كما وصفنا جبر ماعساه وقع فيما قبله من التقصير ، وان كان غير مختار كان بخلاف ذلك . ولربما أنسى محاسن ماقبله، فمن الانتهاءآت المرضية قول أبي نواس[٢] :

فبقيت للعلم الذي تهدي له ... وتقاعست عن يومك الايام

وقوله[٣] :

واني جدير ، اذا بلغتك ، بالمنى ... وأنت بما أملت منك جدير
فأن تولني منك الجميل فاهله ... والا فاني عاذر وشكور

---

(١) اي انتهاء القصيدة أو الرسالة أو الخطبة وما أشبهها من الانواع الادبية المعروفة ويسمى المقطع ايضاً .

(٢) من قصيدة مدح بها المأمون .

(٣) هو أبو نواس يمدح الخصيب بن عبد الحميد المرادي أمير مصر بقصيدة مطلعها « ٩٨ د . هند » :

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور مايرجى لديك عسير

ومنها :

تقول التي عن بيتها خف مركبي ... عزيز علينا ان نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب ... بلى ، إن أسباب الغنى لكثير
ذريني أكثر حاسديك برحلة ... الى بلد فيه الخصيب أمير
فما جازه جود ، ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

وقول ابي تمام في خاتمه قصيدة فتح عمورية«١»:

ان كان بين صروف الدهر من رحمٍ موصولةٍ، أو ذمام غير مقتضب
فبين أيامك اللائي نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب
أبقت بني الاصفر الممراض كاسمهم صفر الوجوه وجلت اوجه العرب!

واجسن الانتهاء آت ما آذن بانتهاء الكلام«٢» كقول الآخر«٣»:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

وقوله«٤»:

فلا حطّت لك الهيجاء سرجاً ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

---

(١) ورواية الديوان «ص ١١» للبيت الاول «... غير منقضب»، وللثالث «... الاصفر المصفر».

(٢) فلا يبقى للنفس والقلب تشوف وتشوق الى ما وراءه: كالالفاظ المشعرة بالانتهاء، أو التي يدل العرف والعادة على أنه قد انقطع بها الكلام، كقولهم آخر الرسائل: والسلام، وفعلت ان شاء الله، أو كعبارات الدعاء شعراً أو نثراً نحو: ونسأل الرحمن حسن الختام.

(٣) عزاه صاحب المطول «٤/٢٤١ فيض»، والاطول «٢/٢٦٠ عامرة» الى المعري، ونسبه ابن فضل الله الى المتنبي. قال العباسي في معاهده «٢/٢٢٣»: ولم اره في ديوان واحد منهما، ولا رأيته أنا أيضاً في غيرهما.

(٤) هو انتهاء سيفية مدح بها أبو الطيب سيفه وقد أنفذ اليه جارية وفرساً مطلعها «٢٧٨ د. ع»:

وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على احسن وجوه البلاغة واكملها(١) يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الاصول والله الموفق للخيرات.

أيدري الربع أى دم أراقا ؟ وأي قلوب هذا الركب شاقا ؟

ومنها :

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

ومنها :

اذا ما الناس جربهم لبيب فاني قد اكلتهم وذاقا

فلم أر ودهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا

(١) لما في الفواتح من ضروب التفنن كالطائف الاشارات الملائمة لما نزلت لاجله وكالتحميدات المنيفة في اوائل بعض السور كسورة الانعام والكهف وفاطر، وكالنداءات الموقظة للسامع نحو يا أيها الناس، ويا أيها الذين آمنوا، ثم من روائع الخواتم أدعية آخر البقرة، ووصايا آخر آل عمران، ومواعظ آخر اذا زلزلت، أو الوعد آخر الانعام، أو ما أشبه ذلك من كرائم الخواتم التي لا وراء في حسن التعبير وقوة التأثير بعدها كخاتمة سورة الجن : « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا، واستغفروا الله، ان الله غفور رحيم * » ، وختام الصافات مسك بقوله تعالى : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين * » .

نصوص وشواهد

على الانتهاء

جاء في خاتمة آل عمران من القرآن: « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ❀ ».

وقد احسن أبو العلاء المعري الانتهاء من قصيدته (ياساهر البرق ..) بهذه الخاتمة (د ٤١).

سافرت عنا فظل الناس كلهم ... يراقبون إياب العيد من سفر
لو غبت شهرك موصولاً بتابعه ... وأبت لا تنقل الاضحى الى صفر
فاسعد بمجد ويوم اذ سلمت لنا ... فما يزيد على أيامنا الأخر
ولا تزل لك أزمان ممتعة ... بالآل والحال والغلياء والعمر

وكتب مهيار الى عميد الكفاة ابي سعد بن عبد الرحيم قصيدة مطلعها في وصف الابل (٢/٢٢٢ الدار):

دعوها ترد بعد خمس شروعا ... وراخوا علائقها والنسوعا
وقولوا دعاء لها: لاعقرت ... ولا امتد دهرك الا ربيعا

الى أن يقول متخلصاً الى المديح:

حلفت بها كشقاق القسي تحسب أعناقهن الضلوعا

عليهن شحب رقاق الجلو د ، قد بدلوا بالبياض السفوعا
رعوا يبس العيش أو كثروا على منسك الخيف تلك الجموعا
لاتعب سعي عميد الكفاة سرى النجم أو عاد عنه ظليعا
حديد الفؤاد وسيع الذراع اذاالناس ضاقوا صدوراً وبوعا

ثم يطلب سد خلاته مستعطفا :

كفيت المهمة من حاجتي وأعذرتني أن اداري القنوعا
وسددت اكثر خلاتي الدغاب ، فلو قد سددت الجميعا !
. . . وغاليت أهل زماني بكم فلا ترخصوا بيباني البيوعا
وضموا قلوصي الى سرحكم وضنوا على الدهر بي أن أضيعا
وكن أنت واليها نعمةً ومبتدئاً غرسها والصنيعا
وخذ من زمانك كيف اقترحت عمراً بطيئاً وحظاً سريعا
وعش للتهاني وللمأثرا ت ماولد الليل فجراً صديعا !

وجميل قول الارجاني :

بقيت ، ولا أبقى لك الدهر كاشحاً فانك في هذا الزمان فريد
علاك سوار والممالك معصم وجودك طوق والبرية جيد

ولابن الساعاني يمدح الامير مجد الدين المبارك بن منقذ الكناني من قصيدة مطلعها :

أرى سيرها عنقاً أو وخيداً لعلك ياسعد تنوي زرودا
أغزلان كاظمة لاغدا كناسك في المحل الا مجودا

أعيدوا عي ناشد قلبه فليس بأول حق أعيدا
ولا تشقوا بوفاق الجمال فان له بعد وصلٍ صدودا
فلو كان شيء يحوز الخلود اذاً ملك المنقذي الخلودا
رفيع العماد ، طويل النجاد يمد الى المجد باعاً مديدا

الى أن يقول :

وان عشت أرسلتها في علا كَ معنى حليما ولفظاً رشيدا
مهىً لو تقادم ميلادها لقام ليبد لديها بليدا
ولا زال فهمك بعلاً لها تزف اليه فتجلي نشيدا

وللغواص التنوخي وقد ضمن في ختام شرحه هذا للايضاح ختام قصيدة لابي تمام ، ويقولها معتذراً :

لئن كنت قد قصرت في الشرح ساهياً
فما كان تقصيري مراداً مع الجهد
«وإن يك ذنب عنّ أوتك هفوة
على خطأ مني فعذري على عمد»

***

١ – فهرس الموضوعات

كلمة الشارح ٣
ترجمة مؤلف الايضاح ٨
تاريخ البديع ١٢
خطبة المؤلف ١٦
التحسين المعنوي
الطباق ١٨
المقابلة ٣٢
نصوص وشواهد على الطباق والمقابلة ٣٧
مراعاة النظير ٤٣
نصوص وشواهد على مراعاة النظير ٥٠
الارصاد ٥٣
نصوص وشواهد على الارصاد ٥٦
المشاكلة ٥٩
نصوص وشواهد على المشاكلة ٦٤
الاستطراد ٦٧
نصوص وشواهد على الاستطراد ٦٩
المزاوجة ٧٢
نصوص وشواهد على المزاوجة ٧٤
العكس أو التبديل ٧٦
نصوص وشواهد على العكس ٧٨
الرجوع ٨٣
نصوص وشواهد على الرجوع ٨٥
التورية ٨٩
نصوص وشواهد على التورية ٩٩
الاستخدام ١٠٩
نصوص وشواهد على الاستخدام ١١٢
اللف والنشر ١١٧
نصوص وشواهد على اللف والنشر ١٢٠
الجمع ١٢٣
نصوص وشواهد على الجمع ١٢٤
التفريق ١٢٦
نصوص وشواهد على التفريق ١٢٧
التقسيم ١٢٩
نصوص وشواهد على التقسيم ١٣١
الجمع مع التفريق ١٣٥
نصوص وشواهد على الجمع والتفريق ١٣٦
الجمع مع التقسيم ١٣٧
نصوص وشواهد على الجمع مع التقسيم ١٣٩

الجمع مع التفريق والتقسيم ١٤١
نصوص وشواهد على الجمع مع
التفريق والتقسيم ١٤٥
التجريد ١٤٨
نصوص وشواهد على التجريد ١٥٢
المبالغة ١٥٥
نصوص وشواهد على المبالغة بأقسامها ١٦١
المذهب الكلامي ١٦٥
نصوص وشواهد على المذهب
الكلامي ١٦٧
حسن التعليل ١٦٩
نصوص وشواهد على حسن التعليل ١٧٦
التفريع ١٨١
نصوص وشواهد على التفريع ١٨٣
تأكيد المدح بما يشبه الذم ١٨٤
تأكيد الذم بما يشبه المدح ١٨٩
نصوص وشواهد على التأكيدين ١٩٠
الأدماج ١٩٤
نصوص وشواهد على الأدماج ١٩٨
التوجيه ٢٠١
نصوص وشواهد على التوجيه ٢٠٥
الهزل الذي يراد به الجد ٢١٠
نصوص وشواهد على الهزل يراد
به الجد ٢١٢
تجاهل العارف ٢١٥
نصوص وشواهد على تجاهل
العارف ٢٢٠
القول بالموجب ٢٢٤
نصوص وشواهد على القول بالموجب ٢٢٨
الاطراد ٢٣١
نصوص وشواهد على الاطراد ٢٣٤

التحسين اللفظي

الجناس ٢٣٨
أفي الجناس حياة وجمال؟ ٢٥٤
نصوص وشواهد على انواع الجناس ٢٦٠
شجرة الجناس ٢٦٠
رد العجز على الصدر أو التصدير ٢٦٦
نصوص وشواهد على التصدير ٢٧٣
السجع ٢٧٧
نصوص وشواهد على انواع السجع ٢٨٧
السجع المذموم ٢٩٢
الموازنة والمماثلة ٢٩٣
نصوص وشواهد على الموازنة
والمماثلة ٢٩٤
شجرة كلام العرب ٢٩٧
الاقتباس ٣٠٠
نصوص وشواهد على الاقتباس م ٣٠٦ و ٣٠٧

التضمين ٣٠٧
نصوص وشواهد على التضمين ٣١٣
العقد ٣٢٠
نصوص وشواهد على العقد ٣٢٣
الحل ٣٢٦
نصوص وشواهد على الحل ٣٢٨
التلميح ٣٣١
نصوص وشواهد على التلميح ٣٣٦
الخاتمة : الابتداء ٣٤٠
نصوص وشواهد على الابتداء ٣٤٧
التخلص ٣٥٣
نصوص وشواهد على التخلص ٣٥٧
الانتهاء ٣٦١
نصوص وشواهد على الانتهاء ٣٦٤

* * *

٢ – مراجع البحث

الاتقان للسيوطي . طبع مصر

اساس البلاغة للزمخشري الدار ١٣٤١ هـ

اسرار البلاغة لعبد القاهر . القاهرة المنار .

الاطول للعصام السفارينى . الاستانة ١٢٨٤

اعجاز القرآن للباقلاني القاهرة

الأغاني . الدار .

امالي القالي . الدار ١٩٢٦

امالي المرتضى . القاهرة ١٣٢٥

البديع لابن المعتز . مصر

بديع التلخص للشيخ طاهر الجزائري

بغية الوعاة للسيوطي . القاهرة ١٣٢٦ هـ

البلدان لياقوت . مصر

تاج العروس . مصر ١٣٠٦ هـ

التبيان للطيبي : المخطوطة البيطارية الدمشقية.

تلخيص المفتاح وشرحه للبرقوقي . مصر ١٣٥٠ هـ

جمهرة أشعار العرب ببولاق ١٣٠٨ هـ

حاشية الدسوقي على السعد (مجموعة شروح التلخيص) القاهرة ١٣١٧ هـ

الحماسة البحترية . مصر ١٩٢٩ م

شرح التبريزي لحماسة أبي تمام تحقيق محي الدين عبد الحميد
خزانة الادب البغدادية . القاهرة السلفية .
الخزانة الحموية . القاهرة
خاص الخاص للثعالبي ١٣٢٦ هـ
الخصائص لابن جني . القاهرة ١٣٢١ هـ
دلائل الاعجاز لعبد القاهر . القاهرة المنار .
دمية القصر للباخرزي . حلب ١٣٤٨ هـ
ديوان الاعشى (ذكرى جيب) ١٩٢٧ م
أراجيز العرب القاهرة ١٣١٣ هـ
ديوان امرىء القيس القاهرة ١٣٢٤ هـ
» الاخطل . بيروت ١٨٩١ م
» البحتري (الجوائب)
» جرير (الصاوي) القاهرة
» الشريف الرضي
» حسان . القاهرة ١٣٤٧
» الحطيئة (التقدم) القاهرة
» زهير . الدار ١٣٦٣ هـ
السري الرفاء . القاهرة
شعراء النصرانية . بيروت ١٨٩٠ م
ديوان الشماخ (السعادة) القاهرة
» الطرماح . ليدن ١٩٢٨ م
» عمر بن أبي ربيعة . القاهرة ١٣١١ هـ
» الفرزدق . القاهرة ١٣٥٤ هـ
» الصفي الحلي . دمشق ١٢٩٧ هـ

المتنبي (عبد الوهاب عزام) القاهرة
مختار شعر ابن الرومي . القاهرة ١٩٢٤ م
ديوان المختار من شعر بشار وشرحه للتجيبي . القاهرة ١٣٥٣ هـ
» مهيار . الدار ١٣٤٤ هـ
» النابغة الذبياني (مجموعة الدواوين)
» الهاشميات للكميت الاسدي . القاهرة ١٣٣٠ هـ
» الهذليين . الدار ١٣٦٤ هـ
ودواوين الرصافي وشوقي واسماعيل صبري
الرابطة الادبية دمشق .
رغبة الآمل شرح الكامل للمرصفي . القاهرة ١٣٤٦ هـ
زهر الآداب للحصري . القاهرة ١٩٢٥ م
سر الفصاحة للخفاجي . القاهرة
سمط اللآلي للراجكوتي . القاهرة لجنة التأليف والنشر ١٣٥٤ هـ .
الشعر والشعراء للقتبي القاهرة ١٣٢٢ هـ
شرح المقامات للشريشي . مصر ١٣١٤ هـ
شرح شواهد المغنى للسيوطي القاهرة ١٣٢٢ هـ
شرح المفصل لابن يعيش . دار الطباعة المنيرية
كتاب الصناعتين للعسكري . الاستانة ١٣٢٠ هـ
طراز المجالس للخفاجي ط العامرة
الطراز للعلوي القاهرة
عروس الافراح للبهاء السبكي (شروح التلخيص) القاهرة ١٣١٧ هـ
العقد لابن عبد ربه . القاهرة ١٣٤٤ هـ
العمدة لابن رشيق . القاهرة ١٣٤٤ هـ
عيون الاخبار للقتبي . الدار ١٣٤٣ هـ
غرر الخصائص . القاهرة ١٣١٨ هـ

فيض الفتاح للشربيني ١٣٢٣ هـ
الكامل للمبرد . ليبسيك ١٨٦٤ م
الكشاف للزمخشري القاهرة ١٣٥٤ هـ
المثل السائر لابن الأثير . القاهرة
المختصر للسعد على التلخيص (شروح التلخيص) القاهرة
المزهر للسيوطي . الدار ١٣٦٤
المشرق (المجلة) بيروت
المصباح للبدر بن مالك القاهرة
المطول للتفتازاني (شروح التلخيص) القاهرة
ديوان المعاني للعسكري القاهرة ١٣٥٢
مفتاح العلوم للسكاكي . القاهرة ١٣١٧ هـ
معاهد التنصيص . القاهرة ١٣١٦ هـ
معجم الشعراء للمرزباني . القاهرة ١٣٥٤ هـ
المعلقات السبع للزوزني . القاهرة ١٣٤٠ هـ
المعلقات العشر للتبريزي ١٣٤٣ هـ
مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي (شروح التلخيص) القاهرة ١٣١٧ هـ
نهج البلاغة وشرحه لابن ابي الحديد. القاهرة (دار الكتب العربية الكبرى)
يتيمة الدهر للثعالبي بتحقيق محي الدين عبد الحميد . القاهرة

٣ ـ دليل الكتاب

«أ»

ابراهيم بن العباس الصولي ٣٠٨ و ٢٣٨
ابراهيم العرب ٣١٨
الأبيوردي (محمد بن احمد الأوى) ٣٠٢
الامام احمد بن محمد بن حنبل ١٠٠
احمد بن ابراهيم الفاروثي ٩
احمد بن ابراهيم الكاتب ٣٥٠
احمد البربير ١٤
احمد حسن الزيات ٦
احمد بن الحسين القاضي ٢٨٦
احمد بن حمزة العلوي (صاحب الطراز) ٤٩ و ٩٦
احمد صافي النجفي ٣٠٥
احمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي (ابو العلاء) ٥٠ و ٩٧ و ١٠٢ و ١١١ و ١٥٤ و ١٧٩ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٣١٣ و ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤٣
احمد بن عبد ربه ١٧٩
احمد بن عبيد بن ناصح ٤٣
احمد بن علي الاسكافي ٢٤٨
احمد بن علي الكناني (ابن حجر) ١٠ و ١١
احمد بن فرح الاياديي (ابن ابي دواد) ١٥٤
احمد بن محمد بن الحسين الارجاني ٢١ و ١٥٨ و ٢٢٦ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧٥ و ٢٩٠
احمد بن محمد الكندي (المتنبي) ٢٥ و ٣٠ و ٣٤ و ٣٥ و ٨١ و ٨٨ و ٩٦ و ٩٧ و ١٠٢ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٤٢ و ١٥١ و ١٥٤ و ١٥٦ و ١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٩ ١٧١ و ١٧٥ و ١٩٤ و ١٩٨ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٢٠ و ٢٣٤ و ٢٤٩ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٧٤ و ٢٨٦ و ٢٨٩ و ٢٩٨ و ٣١١ و ٣١٧ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٣٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٦ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٢

احمد بن محمد الانطاكي (ابو الرقعمق) ٥٩ و ٦٣ و ٦٥
احمد بن المعتصم العباسي ٣٠٩
احمد بن المغلس ٢٩٦
احمد بن هبة الله بن عساكر ١٠
الاحوص (عبد الله بن محمد) ٣٠١
الاحنف بن قيس ٢٠ و ٢٤٩ و ٢٦٠
الاخطل ٣٣٨
الاخفش (سعيد بن مسعدة) ٢٤٤
ادريس بن بدر السامي ٣٩
ارطاة بن سهية ١٥١
الازهري (محمد بن احمد ابومنصور) ٢٥١
اسحق الموصلي ٣٤٣
اسحق بن يعقوب ٢٤٥
اسيد بن عنقاء الفزاري ٤٣ و ٧٣
اشجع السلمي ٣٤٤
الاشعث بن قيس ١٠٤ و ٣٢٤
الاضبط بن قريع السعدي ٧٨
الاعشى ١٥٠ و ١٥١ و ١٨٢ و٢٣٣ و ٢٦٤
الاعمش ١٠٤
امين ضاهر خير الله ٢١٣
امين ناصر الدين ٢٠٠
امرؤ القيس ٢٦١ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٨٥ و ٢٩٠ و ٢٩٥ و ٣١٨ و٣٢٨ و ٣٤٠
انس بن مالك ٢١٢
اوريا ٦٩
اوس بن حجر ٢٦١
اياد بن نزار ٢٣٤
ابن الاعرابي ١٨١
ابن بقي الاندلسي (يحيى بن عبد الله الوشاح) ١٨٠
ابن التلميذ الطبيب ٣٠٧
ابن جابر الاندلسي ٦٥ و ١٢٢ و١٨٣ و ٢٦٥ و ٢٧٥ و ٢٩٦ و ٣٢٤
ابن جبير (محمد بن احمد بن جبير الكناني الرحالة) ٢٠٥
ابن الحجاج (حسين بن أحمد) ١٩١ و٢٢٥
ابن حمديس الصقلي ١٥٧
ابن حيوس ١١٨ و ١٣٣
ابن خلدون ٩٨
ابن خلكان ٢١٥
ابن خلوف التونسي (أحمد بن محمد ٢٧٥
ابن الخيمي ١٩٩
ابن دريد الازدي ١٦٤
ابن دويدة ٢٢٦

ابن الربيع ٩٣
ابن رشيق ١٧٧ و ٢٣٤ و ٢٥٥ و ٢٥٧
ابن الرومي ١٢٤ و ١٨٨ و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٢٧ و ٣٠٤
ابن زيدون ٤٨ و ٤٩
ابن زيلاق ٥٢
ابن الساعاتي ٥١
ابن سناء الملك (هبة الله ٨٧ و ٩٢ و ٩٧
ابن سيده ٢٣٨
ابن شرف القيرواني (محمد بن أبي سعيد الجذامي) ١٢١ و ١٤١
الصاحب بن عباد ٢٨٨ و ٣٠٤ و ٣٠٧ و ٣٤٥
ابن صاعد ١١
ابن عباس (عبد الله) ٣٢٢
ابن عبدون ٢٥٧
ابن عمار ٢٥
ابن العميد ٩٧ و ٣٠٧
ابن عيال ١٨٠
ابن القصصي ٣١٣
ابن قلاقس (نصر الله ١٩٢
ابن لؤلؤ الذهبي (البدر يوسف) ٢١٢
ابن ماجه (محمد بن يزيد) ١٠٠ و ٣٢٠
ابن المعتز (عبد الله) ٨٣ و ٣٣١ و ٣٤٩
ابن معتوق ١١٤
ابن مقاتل الضرير الشاعر ٣٤٣
ابن مكانس (عبد الرحمن بن عبد الرزاق الشاعر المصري) ٢٦٢
ابن منظور ١٠٤
ابن نباتة (محمد بن محمد) ٧٨ و ٩٨ و ١٠٦ و ١١٤ و ١٢١ و ١٩٥
أبو اسحق الصابي ٦٨
أبو بكر الصديق ١٠٠
أبو بكر الباقلاني ٢٨٣
أبو جعفر القرسي ١٩١
أبو جهل ١٠٥
أبو الحسين الجزار ٩٥ و ١١٥
أبو حنيفة النعمان ١١٣
أبو داود (سليمان بن الاشعث الازدي الحافظ ١٠٠ و ٢١٢ و ٢٦٠ و ٢٧٩ و ٢٩٥
أبو دواد الايادي ٢١
أبو دلامة (زند بن الجون) ٣٣
أبو دلف (القاسم بن عيسى العجلي) ٧١ و ٢٤٤ و ٣٣٧ و ٣٣٩
أبو روح الهروي ٢٦٥
أبو سعيد الثغري ٣١
أبو طالب المأموني ١٣٩
أبو الطمحان القيني ١٦٣

أبو العباس بن أبي طالب ٣٣٩
أبو عبد الرحمن العطوي ١٦٨
أبو عبيد ٣٠٤
أبو عبيدة ٢٦٠
أبو العتاهية ١٢٣ و ١٢٤ و ٢١٢ و ٣٢١
أبو العشائر الحمداني ٣٤٢ و ٣٤٨
أبو الغمر ٢٦٥
أبو الفتح البستي (علي بن الحسين) ٢٤٠ و ٢٧٩
أبو الفتح ابن جني ٦٧ و ٢٠٧ و ٢٤١ و ٢٨٦
أبو الفتح الكاتب ٢٢٢
أبو فراس الحمداني ٥٨ و ١٢٠ و ١٣٩ و ٢٨٥ و ٣١٦
أبو الفرج الرومي ٢٩٤
أبو الفضل الميكالي ٢٧٥ و ٢٨٠
أبو الفضل الهمذاني ٢٧٩ و ٣٠٢
أبو القاسم بن الحسن الكاتبي ٣٠٣
أبو قاسم الزعفراني ١٧٧
أبو لهب ١٠٥
أبو محمد العبدلكاني ٣٢٤
أبو مسلم الخراساني ٢٠٥
أبو منصور الشيرازي الكاتب ٣٥٠
أبو منصور الثعالبي ٢٧٠
أبو نصر العتبي ٢٨٨
أبو هفان ١٩٠
ابن منقذ (اسامة بن مرشد الكناني الشيزري) ٢٥٧
ابن هاني (محمد الازدي متنبي المغرب ١٥٤ و ١٦٤ و ٢٢١ و ٢٩٦ و ٣٢٩ و ٣٤٩
ابن الوردي ١٠٩

« ب »

الباخرزي (صاحب الدمية) ٢١٧ و ٢٢٣ و ٢٩٦
البارودي (محمود سامي) ٩٨
البيغاء المخزومي ١٣٦
البحتري ٢٩ و ٤٤ و ٥٨ و ١٣٦ و ١٦٢ و ٢١٦ و ٢٤٥ و ٢٤٨ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٦٢ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٩٤ و ٢٩٦ و ٣٤٩

بدر بن عمار ٢٦٤و٣٢٧
البدر بن مالك ٩٢و١١٠و١٦٥و١٨١
بديع الزمان الهمذاني ٥٠و١٢٧و١٨٨ و٣٣٩
البرزالي ٩
البرهان القيراطي ٩٧و٣١٧
بسطام بن قيس ٢٥٨
البسوس ٣٣٤
بشار بن برد ١٩و١٢٤و١٣٢ و١٦٢ و٢٠١
البعيث المجاشعي ٢٧٤
بكر بن نطاح ٧١
البها زهير ١٢١و١٧٧و٢٦٢
البها السبكي (صاحب عروس الافراح) ٢٩و٩٠و١٢٣ و١٢٦ و ١٩٤ و ٢٢٢ و ٢٢٥ و ٢٤٩و٢٧١ و ٢٩٤ و ٣٠٥
بوران ٢٠٦
البيهقي (أحمد بن الحسين) ٢٧٩

«ت»

الترمذي الامام ١٠٠ و ٢١٢ و ٢٧٩ و٢٩٥ و ٣٢٠
تميم (الامير) ٤٥
التهامي ٣٤٩

«ث»

الثريا (بنت عبد الله بن الحارث) ٩٣

«ج»

جابر بن عبد الله الصحابي ٢٠٨
الجاحظ ٢٩١
جرير ٢٢و٤٩و١٠٩ و ٢٦١ و ٢٧٤ و٣٣٥و٣٥١و٣٥٦
الجرجاني (صاحب الدلائل) ٢٩٨
جساس البكرى ٣٣٣
جعدة بن معاوية العقيلي ٢٦٨
جعفر البرمكي ١٠٣
جعفر بن ثعلبة اليربوعي ٢٣٣
جندل بن جابر الفزاوي ١٨٦

"ح"

الحاتمي (محمد بن الحسن صاحب سر الصناعة) ٦٧
حاجب بن زرارة ٣٣٧
الحاجري ١٩٩
الحارث بن دوس الايادي ٢٣٤
الحارث بن عباد ٣١٥
الحاركي ١٣٤
الحاكم (الحافظ) ١٠٠ و ٢٧٩
السيد الحميري (اسماعيل بن محمد) ١٢٤
حبيب بن أوس (أبو تمام) ٢٣ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٩ و ٣١ و ٣٩ و ٦٠ و ٧٠ و ٨٠ و ٨٥ و ٨٨ و ٩١ و ١٢٩ و ١٤٤ و ١٥٤ و ١٦١ و ١٧٠ و ١٧٩ و ١٨٢ و ٢٣٥ و ٢٣٩ و ٢٤٤ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٦٣ و ٢٧٢ و ٢٧٤ و ٢٨٥ و ٢٩٤ و ٣٠٥ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣٢٩ و ٣٣١ و ٣٣٣ و ٣٣٧ و ٣٤٤
حسان بن ثابت ١٣٧ و ١٣٩ و ١٥٩ و ٢٦١ و ٣١٥ و ٣٢٤
الحجاج بن يوسف الثقفي ٨١ و ٢٠٥ و ٣٥١
الحريري ٢٣ و ٢٨ و ٢٤٠ و ٢٤٧ و ٢٧٠ و ٢٧٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠٣ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣٣٤
الحسن البصري ٢٠٨
الحسن التبريزي ١٣٤
الحسن بن رشيق القيرواني ١٣ و ٤٥ و ٥٢ و ٢٣٣ و ٢٧٦ و ٣٢٤
الحسن بن سهل ٧٨ و ٢٠٦
الحسن بن عبدالله العسكري (أبو هلال) ١٧ و ٨٣ و ٨٨ و ١٣١ و ١٧٠ و ٢١٥ و ٢٩٠
الحسن بن علي البدري ١٢١
الحسن بن هاني (أبو نواس) ٥٢ و ٩٧ و ١٠١ و ١٥٧ و ١٦٤ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٣٣٦ و ٢٧٤ و ٣١٨ و ٣٤٨ و ٣٥١
أبو الحسن حازم ٣١٣
الحسين بن عبد الله الغزي ٢١٧
الحصن بن حصينة ١١٣
الحصين بن الحمام المري ٣٧
الحيص بيص ٣١٤
الحطيئة ١٦٠
حمدة بنت زياد الاندلسية ١٢٠

« خ »

خالد بن مزيد الشيباني ٣١
الخالدي ١٤١ و ١٧٩
خالصة ٢٠٩
الخفاجي الاندلسي (ابن خفاجة) ٤٤
١٢٥
خلف بن احمد الصفار ١٨٨
الخليع الدمشقي ٢٦٨
الخنساء ٢٨٤
الخوارزمي ٣٣٩ و ٣٤٥

« د »

الدارمي ١٠٠
داود (النبي) ٩٩
دريد بن الصمة ٨٥ و ٢٣٢
الدسوقي (المحشي ٢١٥ و ٢٩٤ و ٣٠٥
دعبل الخزاعي ٣٠

« ذ »

الذهبي (البدر) ٩٧ و ١٠٦
الذهبي (المحدث) ١١ و ١٠٠
ذؤاب بن اسماء ٢٣٢
ذياد الاعجم ٦٧
ذياد بن معاوية (النابغة الذبياني) ٣٣
و ٣٨ و ٣٩ و ٩٧ و ١٠١ و ١١٣ و ١٨٤

« ر »

الرافعي (مصطفى صادق) ١٩٣
الربيع ١٠٣
ربيعة (ابو ذؤاب الاسدي) ٢٣٢
الرضي (الشريف) ٤٢ و ١٧٦ و ٢٦٥
و ٣٣٩ و ٣٥٠

« ز »

الزاهي (علي بن اسحق) ١٤٢
زبيدة بنت جعفر ٢٣٦
زهير بن ابي سلمى ٨٣ و ١٣٢ و ١٤٣
و ١٦٠ و ٢١٦ و ٢٧٣
الزين بن الوردي ٩٧ و ١٠٨ و ٢٥٨
و ٣١٣

« س »

السبط بن الجوزي ٢٢٥
السراج بن الوراق ٩٧ و ١٧٧ و ٢٢٢
٢٣٠
السري الرفاء ٣٩ و ٤٢ و ١٩١ و ٢٧١
السفاح العباسي ٣٣
سلامة بن وهب ٢٧١
السلامي ٥٠
السعد التفتازاني ٨٠ و ١٢٩ و ١٩٦
٢١٥ و ٢١٧ و ٢٤٣ و ٢٧٩ و ٢٨٤
٢٩٤ و ٣٠٥ و ٣٣٣
سعد الجرمي ٣٣٣
السكاكي (مفتاح العلوم) ٣٢ و ٣٦
و ١٣٠ و ١٩٤ و ٢٠٣ و ٢١٥ و ٢٤٣
سليم شاكر ٨٢
سليمان بن داود ٩٩
سليمان (الاعمش) ١٠٤
سليمان بن كثير ٢٠٥
السموأل ٢٥ و ٣٨ و ٦٩
السهل بن المرزبان ٣٢٣
سيبويه ١٨٦ و ٢٤٨
سيف الدولة ٩٦ و ٣٢٦ و ٣٤٢ و ٣٤٦
و ٣٤٩
السيف بن المشد ٩٧

« ش »

الشافعي (محمد بن ادريس) ٢٥١ و ٣٢٠
شبيب العقيلي ٩٦
شريح ٦١
الشرف التيفاشي ١٣
الشرف الاربلي ٤١
الشماخ بن ضرار ١٣٢
الشمس بن العفيف التلمساني ٢٦٣ و ٣١٤ و ٣١٦
الشنتمري ٢١٦
الشنفرى ٢٥٨
الشهاب بن حجر ٢٦٠
الشهاب الخفاجي ١١١ و ٢٥٥
الشهاب محمود الحلبي ٥٦ و ٢٥٧ و ٢٧١ و ٣١٥
الشهاب المنصوري ١١٥
الشهاب بن فضل الله العمري ٢٠٨
الشعواء الحلبي ١٧٩
شوقي ١١٦

« ص »

الصاحب بن عباد ٦١ و ٧٩ و ١٩٩
الصاغاني (العباب) ٢١٧
صدر الدين بن الوكيل ٢٢٩
الصفي الحلي (عبد العزيز الطائي) ١٣ و ١٤ و ٢٥ و ٤٧ و ٧٥ و ١٠٨ و ١٤٧ و ١٦٢ و ٣٣٧
الصلاح الصفدي ٩٦ و ٩٨ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٣٣ و ١٧٨ و ٢٢٤ و ٢٥٦ و ٢٦٣ و ٣١٥ و ٣١٧
صلة بن أشيم ٢٠٨
الصمة بن عبد الله القشيري ٢٦٨
الصنوبري (احمد بن محمد) ١٨٣

«ض»

الضياء (ابن الاثير) ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٥ و ٢٠٣
الضياء بن موسى الكاتب ٣١١

«ط»

الطائع لله العباسي ٤٢
طاهر بن صالح الجزائري ١٤ و ٢٨ و ٧٥ و ٢٨٣
طاهر بن المعوذ ٣٢٠
الطبراني ٢٦٠
الطرماح بن حكيم ٢٣٥
طريح الثقفي (شاعر الوليد) ١٤٤ و ١٤٧
الطغرائي (الحسين بن علي) ٣٣٧
طفيل بن عوف الغنوي ٢١
الطيبي (صاحب التبيان ٤٧ و ١٤٥ و ١٥٠ و ١٩٠ و ١٩٤

«ع»

عائشة الباعونية ١٣ و ١٤ و ٣٢٢
عباد بن علي الحسيني ٣٤٥
عباس محمود العقاد ٢٥٤
عبد الباقي بن أبي حصين ٢٦٢
عبد البر الفيومي ١٥
عبد بن حميد ٣٣
عبد الحميد الكاتب ٢٨٨
عبد الرحمن البرقوقي ١٤ و ٢٠
عبد الرحمن بن سعيد ٣٠٣
عبد الرحمن السيوطي ١١ و ١٤ و ٤١ و ٩٤ و ١٠٤ و ١١٢ و ١٥٣ و ١٨٦ و ١٩٤ و ٢٢٧ و ٢٥٨ و ٣٣١
عبد الرحيم العباسي ٢٢٧ و ٢٦٥ و ٢٧١ و ٣٠٨
عبد الرحيم (القاضي الفاضل) ٩٧ و ١٠٣ و ١٠٥ و ٣٠١
عبد السلام بن رغبان ٤٩
عبد الصمد بن عيسى الرقاشي ٢٩١

عبد العزيز البشري ٨٢ و ٢٨٩
عبد العظيم بن أبي الاصبع ١٣ و ١٧
و ٩٤ و ١٩٢ و ٢٠٠ و ٢٠٣ و ٢١٠ و ٢٣٦
و ٢٥٧ و ٣١٠ و ٣٢٨
عبد الغني النابلسي ١٣ و ١٤ و ٩٨ و ١٦٢
عبد القاهر الجرجاني ١٦ و ١٧
عبد القاهر بن طاهر التميمي ٣٠٧
عبد الله بن أحمد الخازن ٣٤٥
عبد الله بن سلم السهمي (أبو صخر الهذلي) ١٩
عبد الله بن عيينة ١٣٥ و ٢٧٢
عبد الله بن المعتز العباسي ٤١ و ٧٠
و ١٦٥ و ١٧٢ و ١٨٢ و ١٩٥ و ٢١٢
٢١٥
عبد الله بن المقفع ٢٤٨
عبد الله بن يزيد الهلالي ٣٣٨
عبد المحسن الصوري ٢٧٦
عبد المطلب الهاشمي ٧١
عبيدالله بن طاهر ٦٥
عبيد الله بن يحيى البحتري ٣٤١
عبد الملك بن قريب (الاصمعي) ٢٣
١٠١ و ٢٣٨ و ٢٤٨ و ٣٥١
عبد الملك ابن مروان ١٩ و ٤٤٣
عثمان بن عمر بن الحاجب ٩
العرجي ٣٠٩
عرقلة الدمشقي ١٠٧ و ١٧٨
عز الدين الموصلي ١٣ و ١٤ و ٩٧ و ٢٠٩
العصام (صاحب الاطول) ١٢٩ و ١٤٨
و ٢١٥ و ٢٣١ و ٢٧١ و ٢٧٧
عطاء الخراساني ٣٣٦
عقبة (المحدث) ١١٢
علقمة بن عبدة ٣٤٨
علاء الدين بن علي الكندي ٩٧ و ٢٠٨
العلاء بن غانم ١٠٧
العلاء الوداعي ٢٦٤
علي بن ابراهيم التنوخي ٢٤٩
علي بن جهير ٢٢
علي بن حجة الحموي (صاحب خزانة الادب) ١٣ و ١٤ و ٥١ و ٨٣ و ٨٧ و ٩٤
و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٦٦ و ٢٠٤ و ٢٠٦
و ٢١١ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٥٥ و ٢٥٦
و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٣١٦ و ٣١٧
علي بن أبي طالب ٣٢١ و ٣٢٤
علي بن محمد الانباري ١٤٠
عامر او عمرو بن الاطنابة ١٥٣
عمر بن أبي ربيعة ٩٣ و ١٤٤
عمر بن الخطاب ٥٥ و ٧٩
عمر الخيام ٣٠٥

عمر بن العلاء ٢٠
عمر بن الفارض ١٣٣ و ٣٣٦
عمر الفوي ٣١١
عمر المطوعي ٢٤١
عمر بن هبيرة ١٣٢
عمرو بن الحارث الغساني ٢٤١ و ٣٣٤
عمرو بن سنان المنقري (ابن الاهتم)
١٥٦
عمرو ذو الكلب ٥٦
عمرو بن كلثوم ٦٤ و ٩٧ و ١٠٠ و ١٠١
و ٢٣٥ و ٢٦٥
عميلة الفزاري ٤٣
عنترة العبسي ٣٥ و ٤٨ و ٤٩ و ١٠١
٣١٧ و ٣١٨

«غ»

غرس الدين الاربلي ٤١
الغواص اللخمي ٧٥ و ٨٢ و ١٠٧
و ١٨٣ و ١٩١ و ٢١٤ و ٢٧٦
غيلان (ذو الرمة) ٢٦٩ و ٢٨٩

«ف»

فاتك ١٥١
الفتح بن خاقان ٢٧١ و ٢٩٤
الفتح بن الشهيد ٢٠٩
فخر الدولة بن بويه ٣٤٥
فخر الدولة بن خاقان ٢٧١ و ٢٩٤
الفخر المصري ١٠
الفراء ٤٨
الفرزدق ٢٢ و ٦٧ و ٧٢ و ٨٦ و ١٠٣
و ١١٠ و ١١٨ و ١٦٣ و ١٦٧
فرعون ٢٠٥ و ٣٠٢
الفضل بن يحيى البرمكي ١٠٣ و ٣٥١
الفضل بن الربيع ٣٤٤
فيصل بن الحسين ٢١٣

— ق —

قابوس (شمس المعالي) ٨٧ و ١٦٨
قارون ٣٠٢
قباذ (الملك) ٣٢١
قتادة بن مسلمة الحنفي ١٥٠
قدامة بن جعفر ١٣
القطامي ٣٤٣
القطان (أبو القاسم) ٣١٤
القعقاع بن عوف ١١٨

— ك —

كافور الاخشيدي ٣٠ و ٣٥ و ٥٩ و ٩٦ و ٣٥٢
كامل الثقفي ٢١٧
كثير بن هراسة ٤٠
كشاجم (محمود بن محمد) ٢١٢ و ٢٥١
كلثوم بن عمرو العتابي ١٦٣
كليب التغلبي ٣٣٣
الكميت ١٨١

« ل »

لسان الدين بن الخطيب ١٠٤
ليلى بنت طريف الشيبانية ٢١٥

« م »

مالك بن اسماء الفزاري ٨٠
مالك بن طوق ٢٣٥
المأمون ٢٠٦
ماني الموسوس ٦٥
المتلمس (جرير الضبعي) ١٢٩
المجد بن الظهير الحنفي ٢٣٧
مجير الدين بن تميم ٩٧ و ٣١٦
المحسن التنوخي ١٨٤ و ١٩٢ و ١٩٨
محمد (النبي العربي) — أحاديثه — ٦٤ و ٧٤ و ٧٨ و ٩٩ و ١٢٠ و ١٢٤

و ١٣١ و ١٥٣ و ١٦٧ و ١٨٥
و ١٩٨ و ٢٠٥ و ٢١٢ و ٢٢٠ و ٢٢٨
و ٢٣٣ و ٢٦٠ و ٢٧٣ و ٢٧٩ و ٢٨٨
و ٢٩٤ و ٣٠٤ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٤ و ٣٣٦
محمد الامين العباسي ٢٣٦
محمد بن ابرهيم الاسدي ٢٢٥
محمد بن أبي بكر بن جماعة ١٠
محمد بن أحمد الاندلسي الاعمي ١٤
محمد الاصبهاني (أبو نصر) ٣٣٦
محمد الأيكي الشافعي ٩
محمد بن حميد الطوسي ٢٧ و ٢٧٢
محمد بن دانيال (الشمس) ٩٧
محمد بن رافع ٩
محمد بن سلطان الغنوي (ابن حيوس) ٢٧ و ٢٩
محمد الشجاعي ٣٠٢
محمد بن عبد الرحمن القزويني ٤ و ٨ و ١٥
محمد بن عبد الرحيم الاسنوي ١٠
محمد بن عبد الرحيم بن صصري ١٠
محمد عبده (الاستاذ الامام) ٢٠٢
محمد بن عبد البر السبكي ١٠
محمد بن عبدالله بن كناسة الأسدي ٢٣٩
محمد بن عبد الملك الزيات ٨١
محمد بن العفيف (الشاب الظريف) ٦٤ و ٩٧ و ١٩٩ و ٢٠٨
محمد بن العلقمي الوزير ٢٣١
محمد بن مصطفى البكري ١٤
محمد الناصر بن قلاوون ١٠ و ١١
محمد بن وهيب الحميري ١٢٣ و ٢٥١
محمد بن يوسف الثغري ٢٥٣ و ٣٣١
محمود الزمخشري ٦٨
محي الدين عبد الحميد ١٤٢ و ١٩٥ و ٢٣١
محي الدين بن عبد الظاهر ٩٧ و ١٠٣ و ١٠٥ و ٢٦٤
محي الدين بن قرناص الحموي ٩٧
المخبل السعدي ٣٤٧
المرتضى (شقيق الرضي) ٣٣٨
مروان بن ابي حفصة ١٣٦
مرة بن محكان السعدي ١٦٢
المزين (الشمس الدمشقي) ٢٠٩
مسلم (الامام) ٢٩٥
مسلم بن الوليد الانصاري ١٧٣ و ٢٥٥ و ٢٨٩ و ٣٠٧ و ٣٢٨ و ٣٣٠
معاوية بن مالك (معود الحكماء) ١٠٩
المعتصم العباسي ٣٤٣

المعتمد بن عباد ١٢٨ و ٢٤٥
معروف الرصافي ٤٢ و ٣١٨
المغيرة بن عبد الله الأقيشر) ٢٦٧
مكحول الشامي (الفقيه الحافظ) ١٠٤
المنصور العباسي ٣٣ و ٣٤
منصور الهروي ٣٠٦
المهدي العباسي ٣٣
المهلبي الوزير ٤٣
ملهل (الشاعر) ١٥٩
مهيار ١٢٧ و ٢٢١ و ٣٥٠
موسى (النبي) ٢٠٥ و ٢٨٣
موسى بن ابراهيم الرافقي ٢٥٢
موسى بن جابر الحنفي ٩١
موسى بن يغمور ١١٥

« ن »

النابغة الجعدي ٢١ و ١٨٦
النابغة الذبياني ١٥٦ و ٣١٥ و ٣٣٣ و ٣٤١
الناصر بن النقيب ٩٧
النجاشي الشاعر ٢٢
النجم البارزي ١٢٢
النسائي (الامام) ٢٧٩ و ٢٩٥
نصر بن محمود المرداسي ١٣٣
نصر المرغيناني ٢٦٩
نصر بن منصور ٢٨٣
نصيب الشاعر ١٤٤
النعمان ١١٣ و ١٦٥
نقولا (الخوري) ١٥
النميري (ابو حية) الشاعر ١٢٥
نوح بن عمرو الكندي ٢٣٥

« هـ »

هرون (النبي) ٢٨٢
هرون الرشيد ٧١ و ٢١٥ و ٣٤٤
هامان ٣٠٢
هبة الله بن الشجري ١٩٣
هبيرة بن ضمضم ١١٨
هر العامرية ٢٩٥
هريرة الاعشى ٣٤٧
هشام بن عبد الملك ٣٤٢ و ٣٤٣

الواقدي ٤٣
الوأواء الدمشقي ١٢٣
الوطواط (محمد بن ابراهيم الانصاري) ١٢٦
الوليد بن الأقرع ١٦٧
الوليد بن طريف الشيباني ٢١٥

« ي »

يحي البرمكي ١٠٣
يحي بن عبد ٢٣٩
يحي بن منصور الحنفي ٩١
يزيد بن الطثرية ٢٧٤
يزيد بن مزيد الشيباني ٢١٥ و ٢٨٩
ابن يعقوب المغربي (شارح التلخيص) ١٩٦ و ٢٣١ و ٢٩٤ و ٣٠٥
يعقوب النبي ٣٣٤
يوسف الصديق ٣٣١ و ٣٣٤
يوشع ٣٣١ و ٣٣٢

٤ – تصحيحات

ص	س	الصواب
٩	٢	: الأكناف ، ٩ — ٥ ابن عقيل ، ٩ — ٢٢ : ابن رافع
١٠	٢	: محمد بن عبد الله السبكي
١٣	٤	: وجمع ٣٧ نوعاً
١٥	٧	: على سبعة وثلاثين نوعاً
٢٣	١٧	: من برد الماء
٢٩	١٢	: عارضك الأخضر
٣٢	٩	: باذله ومضيعه ؛ ٣٢ — ١٨ : المعنيين
٣٩	٣	: بك الناعى
٤٢	٥	: بصوفة
٥٣	١٦	: على أن مادة الفاصلة
٦٤	٨	: ألا لا يجهلن . . . فنجهل . . .
٧٥	١٣	: فسر (في الصدر والعجز)
٧٦	١	: أرقام المتن أربعة متوالية والشرح كذلك ، فيحسن تصحيحها للتوفيق بينها .
٧٧	١٢	: يتضح العكس ، وبعد طبع الملزمة وجدت البيت الأول في الاعجاز والايجاز للثعالبي معزواً الى عتاب بن ورقاء الرياحي (— ٧٧ هـ).
٧٩	١٤	: بيني وبين
٨٦	٢	: إبيض ما اسود

٨٩ ١٠ : بل يفهم ؛ ٨٩ — ١٣ : فخرج

٩٢ ٤ : يستحكم

١٢٢ ٦ : أهله (جمع هلال) ويريد به القطعة الشبيهة به ؛ ١٢٢—٩:خاتم

١٣٢ ٧ : زهير بن أبي سلمى ؛ ١٣٢ — ١٦ : زهيراً

١٣٦ ٧ : فأشكلا

١٣٩ ٩ : من غيرهم ؛ ١٣٩ — ١٢ : لم ينهما نوء

١٤١ ١٥ : كلمة (نفس) نكرة

١٤٣ ٨ : ولكنني عن علم مافي . . .

١٤٤ ٨ : غيبته المقابر ؛ ١٤٤ — ١٤ : لاعظم مشرك

١٤٧ ٩ : يجلو كل مظلمة

١٤٨ ١٨ : داخلتان على المنتزع منه « أي من والباء »

١٥٣ ٩ : ابن عيينة

١٥٤ ٩ : مخدر

١٥٩ ٢١ : لا يجحد

١٦٣ ١٨ : التغلبي ؛ ١٦٣ — ١٩ : من حيلي

١٦٦ ٤ : في مدحهم لك

١٦٧ ٤ : يحييها

١٧٤ ٥ : الى المزن ؛ ١٧٤ — ٩ : « . . . عزم جوزا خدمتش » كما في المرشدي ٢/١٢٣ ؛ ١٧٤—١٣:تكون نية الجوزاء

١٧٦ ٣ : فيما أخذتم

١٧٧ ٢ : رأى المزن

٢٠٨ ١١ : كما عهدت

٢١٠ ١٠ : معرض الجد

٢١١ ١٢ : وهو بمعناه قدح

٢١٥ ٢٢ : فاستظهرها

٢٢٤ ٧ : الصفدي

٢٢٩ ٤ : به من أعين الجن ؛ ٢٢٩ — ١٢: الذين قنعوا ؛ ٢٢٩ — ١٦: وهو شعر الخد ؛ و ٢٢٩ — ١٩ : وكأن الشواء

٢٣٣ ٧ : ولا حشو فارغ

٢٣٥ ١٨ : ما أحسن آباء هؤلاء ، وكل منهم يقال

٢٣٩ ١٨ : الأول فعل والثاني اسم

٢٥١ ٢١ : القسمه ، ٢٥١ — ٢٢ : الظلمة

٢٦٣ ٧ : بن العفيف

٢٧١ ٣ : في الخضر ، ٢٧١ ٦ : فالضرائب والضريب مشتقان

٢٧٣ ٣ : ويلكم لا تفتروا

٢٨٥ ١٤ : عجز البيت الأول : جاءت بشاشته عن سوء منقلب

٢٨٧ ٧ : والرجز فاهجر « نقطة الجيم مكسورة » .

٢٨٩ ١٧ : همم العذال

٢٩٣ ١٤ : في الموازنة خرج منها مثل « سرر مرفوعة . . . »

٢٩٤ ٩ : هزبر مشى يبغي هزبراً

٢٩٥ ٢ : لتبشر به المتقين .

٢٩٦ ٨ : المغلس ؛ ٢٩٦ — ١١ : للباخرزي ؛ ٢٩٦ — ١٤ : من قناك مطاعن

٢٩٧ ١ : الكلام عندنا ؛ ٢٩٧ — ١٢ : الاصح ان نضع بدل « وآتيناهما... وهديناهما » فاصلتي آيتيها : « المستبين . . . المستقيم »

٢٩٨ ٣ : ولم تكتس إلا

٣٠٠ ١٦ : في المقاومة الحلوانية وهي الثانية من مقاماته ؛ ٣٠٠ — ١٩ في المقامة النحوية وهي الرابعة والعشرون من مقاماته

٣٠١ ٥ : عليه العقاب ؛ ٣٠١ — ٧ : وغضبوا ؛ ٣٠١ — ١٨ : هما للأحوص.

٣٠٣ ١٢ : فيستحي منكم ، والله لا يستحيي من الحق

٣٠٧ ٢ : عند البلغاء

٣٠٩ ٦ : وقول الحريري من أبيات في المقامة الزبيدية على لسان غلام أبي زيد ٣٠٩ — ١٩ : ووصفه بالساري

٣١١ ٣ : من الشيخ ؛ ٣١١ — ٨ : وأرادصاحب؛ ٣١١— ٢٠: وأرادبالثنايا

٣١٥ ٣ : الحارث بن عباد

٣٢٠ ٣ : شاهدوه ؛ ٣٢٠ — ٥ : فاكتبوه ؛ ٣٢٠ — ١٥ : استقرضت

٣٢٣ ١٢ : المرزبان

٣٢٦ ١٩ : وعادى محبيه

٣٢٧ ١٠ : أمعفر الليث

٣٣٢ ٢ : الخدر ؛ ٣٣٢ — ٤ : فوالله ؛ ٣٣٢—٥: فتى موسى؛ ٣٣٢—٧: فدعا الله

٣٣٥ ٢ : لها انصبابا ؛ ٣٣٥ — ٧ : في الركب يوشع

٣٣٦ ٢ : أيما يوجهه

٣٤٤ ١٦ : يابن عم محمد

٣٤٨ ١١ : لبسن على

٣٥١ ٣ : ضحى الشمس ؛ ٣٥١ — ١٨ برمك

٣٥٨ ٨ خاقان

٣٦٣ ٩ : كلطائف الاشارات

٣٦٥ ٧ خلاتي الرغاب

تهذيب

الإيضاح

شرح حديث لكتاب الايضاح الذي ألفه إمام البلغاء
قاضي دمشق وخطيب جامعها الشيخ جلال الدين
محمد بن عبد الرحمن القزويني ثم الدمشقي
المتوفى سنة ٧٢٦ من الهجرة

هذبه ورتبه وشرحه بتعليقات تبين مقاصده ، وأكمله بنصوص مختارة تمثل شواهده

عز الدين التنوخي
عضو المجمع العلمي العربي
واستاذ العلوم العربية بكلية الآداب السورية

الجزء الثاني

فن البيان

مطبعة الجامعة السورية

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

فن البيان

وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة(١) في وضوح

---

(١) أي بتراكيب وعبارات بعضها اوضح من بعض في الدلالة على هذا المعنى الواحد ، مع مطابقة طريقة التعبير لمقتضى الحال ، فاذا ما أريد التعبير عن (كرم معن) مثلا بعبارات مختلفة الوضوح قلت على سبيل التشبيه : (معن كالبحر في السخاء ، ومعن كالبحر ، ومعن بحر) ، وأوضحها العبارة الاولى المشتملة على وجه الشبه ، وأقلها وضوحاً واكثرها توكيداً وبلاغة هي العبارة الثالثة الخالية من الاداة والوجه معاً ، وهي التي يختارها علم البيان ، ولذلك يرى بعض البيانيين كالامام الطيبي في تبيانه ان التعريف الاصح لعلم البيان أنه علم (يعرف به ايراد المعنى الواحد في الطرق المختلفة الدلالة بالخفاء على مفهومها) ، فان في معرفة الدلالة الخفية والانتباه الى المعنى الدقيق الرقيق من الاريحية والنشوة ما ليس في التعابير المألوفة الجلية .

فاذا اريد التعبير عن السخاء على سبيل الاستعارة قيل : (رأيت في الحي بحراً ، او غمر الناس معن بفضله ، أو تلاطمت امواج جود معن) مثلا ، ومن التعبير على سبيل الكناية : (معن مهزول الفصيل ، ومعن جبان الكلب ، ومعن كثير الرماد) على ان كنايات الكرم جمة منها : معن مبسوط الكف او نديّ الكفين ، وموطأ

....

الاكناف ، وفسيح الرحاب واخضر الجناب ، ورحب العطن والسرب والذراع ، وفائض الانامل وزاخر الجداول ، وكفه لايليق شيئاً ، وكيسه لايألف درهما ، والمجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه،ووجهه يتهلل عند السؤال ، وهو يظلم الاموال، ويقسم جسمهفي جسوم كثيرة ،وما اشبه هذه الكنايات الدالة على معنى واحد وهو (معن كريم) : غير ان بعضها اقرب الى الفهم من بعض ، فان قولك (معن كثير الرماد) اوضح من (معن جبان الكلب): لان استنتاج الكرم من كثرة الرماد اقرب الى الذهن من استنتاجه من جبن الكلب وألفته للضيفان.

هذا وبين (معن كريم) وما سواه من الكنايات المختلفة في جلائها او خفائها فرق كبير ، ذلك ان قولك : (معن كثير الرماد دعوى مقرونة بالدليل على الكرم، وهو كثرة الرماد بجانب بيت معن : فان كل كثير الرماد كثير ايقاد النار ، وكل من يكثر ايقادها كثير الطبخ ، وكل كثير الطبخ فالآكلون عنده كثير ، وكل من كان الآكلون عنده كثيراً مضياف ، وكل مضياف كريم ، فينتج من هذا الاستدلال المتسلسل : (معن كريم) .

فان قيل : وما الداعي لكل هذا العناء ، وهلاّ اكتفى المتكلم بقوله : (معن كريم) ، وهو تعبير شائع يستوي في فهمه الذكي والغبي ، فالجواب عليه : ان البليغ المبين ـ أشاعراً كان أم ناثراً ام خطيباً ـ اذا ما اراد التعبير عن المعنى الواحد أمكنه بملكة بيانه التعبير عنه بعبارات مختلفات في وضوح دلالتها ، وطبقات بلاغتها على سبيل الحقيقة او المجاز ، وبتزاحم هذه العبارات على لسانه يتذوقها ، ويختار منها بسلامة ذوقه وصحة طبعه ما يناسب المقام من الكلام ، وما هو اجمل تعبيراً وابلغ في النفس تأثيراً.

وانما قلنا : (ما يناسب المقام من الكلام) لأن المعنى الذي يراد ايراده يجب ان يكون مطابقا لمقتضى الحال ليكون بليغا، لأن علم البيان يتوقف على علم المعاني ، فاذا قلت (معن كثير الرماد) في مقام يناسبه التوكيد ، كنت مصيباً في نظر صاحب علم البيان ، ومخطئا في نظر صاحب المعاني حيث يجب ان تقول : (ان معنا كثير الرماد) بالتأكيد ، وهلم جرا .

الدَّلالة (١) عليه .

(١) ولو قال المصنف : بطرق مختلفة في ايضاحه لصح التعبير ، ولاستغنى عن التعرض لبحث الدلالات من علم المنطق، وعن ورطة تنويعها وتفريعها ، فما زال فرط التقسيم من مصاعب التفهيم ومصائب التعليم .

وما أفرط البلاغيون في البحث عن الدلالات الا ليتوصلوا الى القول بان دلالة علم البيان هي عقلية اي التزامية وتضمنية ، لا وضعية بحسب اصطلاحهم أو مطابقية كما يقول المناطقة. ولم تكن كذلك الا لان السامع للالفاظ المترادفة ان كان عالماً بالوضع بمعانيها، لم يجد بعضها اوضح دلالة مع بعض، وان لم يكن من قبل عالماً بالوضع بها، لم يكن لفظ من الفاظها دالا ، فلا يفهم شيئا اصلا لتوقف الفهم على التعلم بالوضع ، ولذلك قال بعضهم : ان الدلالة الوضعية خارجة عن بحث البيان وانها من مباحث اللغة.

هذا ، وقد ذكرنا في مقدمة فن البديع ان علم المعاني يبحث من البلاغة العربية عن **المفردة** ، وتركيبها حين يبحث عن نظم الكلام ، وان علم البيان انما يبحث بأشكال التشبيه والمجاز والكناية عن **الصورة** ، مع ان الوان البيان وصوره التركيبية لا تكاد تحصى كثرةً ، وقد انتبه المتأخرون من علماء البلاغة الى ان جمال البيان العربي لا يتم بأبواب فن البيان الثلاثة وحدها ، وهي التشبيه والمجاز والكناية . بل يتم ويدرك بأية صورة واضحة من صور التعبير الجميل عن المعنى ، وسموا مثل هذا التعبير **حسن البيان** قال الحموي في خزانته (ص ٥٥٧) : «حسن البيان هو عبارة عن الابانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس : اذ المراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب بأسهل الطرق ، وقد تكون العبارة عنه تارةً من طريق الايجاز ، وطوراً من طريق الاطناب بحسب مايقتضيه الحال، وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها».

فالبيان على ذلك لا يقتصر على معرفة طرق التشبيه والمجاز والكناية ، بل هو أعم من ذلك ، وأحق بأن يشمل المعرفة بفنون الكلام وأجناسه (الأجناس الادبية) كلها ، كالرسالة والمقالة والوصف والخطابة والمناظرة وغيرها ، فان لكل منها بلاغة=

....

=خاصة وبياناً لا يسع الأديب البارع جهله ، ولله درّ الذي يقول في كتابه البيان والتبيين (١/٧٧) :

« والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل : لأن مدار الأمر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الافهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان » .

❀❀❀

القول في التشبيه

التشبيه الدّلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى[١] ،والمراد بالتشبيه ههنا[٢] مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية[٣] ، ولا الاستعارة بالكناية[٤] ولا التجريد[٥] ، فدخل فيه مايسمى تشبيهاً بلا خلاف ،

---

(١) المراد بلفظ (أمر) هو المشبه و (بالآخر) المشبه به ، والمعنى هو الوصف او وجه الشبه المشترك بين الطرفين الجامع بينهما ، ويكون التعبير ادق لو قال : (. . . في معنى بالكاف ونحوها ...) لكيلا يشمل نحو : قاتل زيد عمرا،وجاءني زيد وعمرو ، وزيد افضل من عمرو لمافيها من المشاركة.

(٢) أي في علم البيان .

(٣) نحو رأيت أسدا يحمل الرشاشة .

(٤) نحو (انشبت المنيةأظفارها) ، وانما قيد الاستعارة بالتحقيقية وبالكناية لان التخيلية كاثبات الاظفار للمنية ليست في شيء من التشبيه عند المصنف ، فالاظفار عنده تخييل ،واريد بها معناها الحقيقي فليست مجازا ، وانما التجوز في نسبتها الى المنية على ما يأتي .

(٥) لقيت بسعد اسداً ، أصله لقيت زيداً المماثل للاسد ثم بولغ في تشبيهه به حتى جرّدمن زيد ذات الاسد وانتزعها منه، وقد مر بنا (التجريد) في فن البديع ١/١٤٨. وليس التجريد والاستعارتان المذكورتان عند المصنف من التشبيه الاصطلاحي ولذلك قال : (مالم يكن على وجه الاستعارة الخ) ؛ على ان السكاكي كما سيجيء في درس الاستعارة يرى ان التجريد من التشبيه ، والاقرب انه ليس منه كقولك : (لي من فلان صديق حميم) لعدم ظهور التشبيه فيه ، الا اذا ذكر الطرفان فيه على وجه يشعر بالتشبيه فيكون الاقرب والاقوى جعله منه نحو : لئن سألت فلانا لتسألن به البحر).

وهو ماذكرت فيه أداة التشبيه كقولنا زيد كالأسد ، اوكالأسد بحذف زيدلقيام قرينة . وما يسمى تشبيها على المختار(١) كما سيأتي ، وهو ماحذفت فيه أداة التشبيه ، وكان اسم المشبه به خبراً للمشبه ،أو في حكم الخبر كقولنا : زيد أسد(٢) ، وكقوله تعالى : (صم بكم عمي) أي هم(٣) ،ونحوه قول من يخاطب الحجاج(٤) :

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافرِ

وكقولنا : رأيت زيداً بحراً .

وإذ قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح ،فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره ، وفخامة أمره في فن البلاغة ، وأن تعقيب المعاني به لاسيما قسم (**التمثيل**) منه يضاعف قواها في تحريك النفوس الى المقصود

---

(١) اي على الوجه المختار وهو مذهب المحققين .

(٢) بحذف اداة التشبيه مع ذكر الطرفين معا .

(٣) بحذف الاداة والمشبه معا ، اذ الأصل : (هم كصمّ بكم عمي) ، فحذف (هم) المشبه مع الكاف أداة التشبيه ، وذلك بناء على ان ماحذفت فيه الاداة من (التشبيه البليغ) ، وهو مذهب المحققين المختار :لان التركيب يشعرك بالتشبيه، وخالف غيرهم فادعى ان قولك (زيد أسد) من باب الاستعارة ، بناء على ان حمل الاسدية على زيد لايصح الا بادخاله في جنس الاسد المعلوم كما في الاستعارة .

(٤) هو عمران بن حطان رأس الخوارج ومن اكابر شعرائهم وخطبائهم وأفاضل فقهائهم وأبلغ دعاتهم أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم ، وروى عنه اصحاب الحديث ، وطلبه الحجاج ففر منه وله في اختفائه وفراره خطوب ونوادر .

بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك ، وإن أردت تحقيق هذا فانظر الى قول البحتري(١) :

دانٍ على أيدي العفاة وشاسعٌ عن كل نَدٍّ في الندى وضريبِ
كالبدر أفرط في العلوّ وضوءه للعصبة السارين جدُّ قريبِ

أو قول ابن لنكك(٢) :

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجاً رأيتَ صورتهمن أقبح الصورِ
وهبه كالشمس في حسنٍ ألم ترنا نفرّ منها إذا مالت الى الضررِ

أو قول ابن الروميّ(٣) :

بذل الوعدَ للأخلاّء سمحاً وأبى بعد ذاك بذلَ العطاء
فغدا كالخلاف يورق للعيـ ـن ويأبى الاثمارَ كل الأباءِ

أو قول أبي تمام(٤) :

---

(١) الديوان (الجوائب ١/١١٤) . والعفاة جمع عاف ،وهو كل من جاءك يطلب فضلا او رزقاً ، واصله من العفو وهو الفضل والمعروف ، ومنه قوله تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) اي فضل المال . وانظر اسرار البلاغة (ص ٩١ منار) . فان اكثر كلام المصنف في التمثيل مقتبس منه بتصرف قليل .

(٢) ابو الحسن محمد بن محمد البصري المعروف بابن لنكك ، وهبه : كلمة للامر بمعنى احسبه ينصب مفعولين .

(٣) الديوان اختيار الكيلاني ص ٣٩ من قصيدة عتاب مطلعها :

يا أخي ابن ريع ذاك اللقاء أين ما كان بيننا من صفاء

والخلاف ضرب من الصفصاف ، وهو بأرض العرب كثير

(٤) الديوان ص ٨٥

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيبُ عَرف العود

أو قوله أيضاً(١):

وطول مقام المرء في الحيّ مخلقٌ لديباجتيه فاغتربْ تتجددِ
فإني رأيت الشمس زيدت محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

وقِسْ حالك، وانت في البيت الأول ولم تنته إلى الثاني، على حالك وأنت قد انتهيت إليه ووقفت عليه، تعلمْ بُعد مابين حالتيك في تمكن المعنى لديك؛ وكذا تعهّد الفرق بين أن تقول: (الدنيا لاتدوم) وتسكت، وأن تذكر عقيبه ماروي عن النبيّ (ص) أنه قال: (من في الدنيا ضيف، ومافي يده عارية، والضيف مرتحل، والعارية مؤدّاة)، أو تنشد قول لبيد:

وما المال والاهلون إلاّ ودائعٌ ولابدّ يوماً أن تردّ الودائعُ

وبين أن تقول: (أرى قوما لهم منظر وليس لهم مخبر)، وتقطع الكلام، وأن تتبعه نحو قول ابن لنكك(٢):

في شجر السرو منهم مَثلٌ له رُواءٌ، وما له ثمرُ

---

(١) أي قول ابي تمام، الديوان ص ١٠٠، و (مخلق) اسم فاعل من أخلقه اذ أبلاه، وفي الاساس: فلان يصون أو يبذل ديباجتيه، وهما خداه، ولهذه القصيدة ديباجة حسنة اذا كانت محبرة، وما أحسن ديباجات البحتري!

(٢) السرو من الصنوبريات، والرواء بضم الراء المنظر ونقله الجوهري.

وانظر في جميع ذلك الى المعنى في الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه في الحالة الأولى ، ولذلك أسباب :

منها مايحصل للنفس من الأنس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ كالانتقال بما يحصل لها بالفكرة إلى ما يُعلم بالفطرة ، أو باخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته كما قيل : (ما الحب إلا للحبيب الاول)(١)

أو مما تعلمه إلى ماهي به أعلم كالانتقال من المعقول إلى المحسوس ، فإنك قد تعبّر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ نحو أن تقول ، وأنت تصف اليوم بالقصر : (يوم كأقصر مايتصور) فلا يجد السامع له من الأنس مايجده لنحو قولهم : (أيام كأباهيم(١) القطا) ، وقول الشاعر(٢).

---

(٣) عجز بيت لابي تمام في الديوان ص ٤٥٧ :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

(١) جمع ابهام ، وهي ذات المفصلين من اصابع اليد او القدم ، مؤنثة حكى اللحياني تذكيرها ، والقطا معروف واحدته قطاة بحجم الحجلة وابهامها كابهامها قصرا ، وتشبيه القصر بابهام القطاة مما ألفه العرب جاهلية واسلاما ، قال جرير (الديوان ٤٧٨):

ويوم كابهام القطاة مزين الليّ صباه غالبٍ لي باطله

(٢) هو عون بن محمد بن اسحق الموصلي على ماذكره العسكري في ديوان المعاني ١/٣٥٢ . وصدر البيت فيه (ظللنا في جوار ابي الجناب) وروى (... عند دار أبي نعيم) ، وبعده :

بقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب

والسالفة من قوله (سالفة الذباب) صفحة العنق من جانبيه ، ومن المجاز اطلاق العامة لها على الشعر المدلى على صفحتي الخد والعنق ، واذا كانت سالفة الانسان قصيرة=

ظللنا عند باب أبي نعيم يوم مثل سالفة الذبابِ

وكذا تقول : (فلان إذا همّ بالشيء لم يزُل ذاك عن ذكره ، وقصر خواطره على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شيء) ، فلا يصادف السامع له أريحية ، حتى إذا قلت : (إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه)(١) امتلأت نفسه سروراً ، وأدركته هِزةٌ لايمكن دفعها عنه ، ومن الدليل على أن للاحساس من التحريك للنفس ، وتمكين المعنى ماليس لغيره ، أنك اذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر ، وأنت تريد أن تقرّر له أنه لايحصل من سعيه على طائل ، فأدخلتَ يدك في الماء ثم قلت له : انظر ، هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكذلك انت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرّد ؛ ومنها الاستطراف كما سيأتي .

ومن فضائل التشبيه أنه يأتي من الشيء الواحد بأشباهٍ عدّة نحو أن

= فكيف تكون سالفة الذباب ؟ ، والذباب وما يتصل به مكروه ، وكذلك التشبيه به وباعضائه ، وما اخال السامع في عصرنا هذا يجد لتشابه الذباب من الانس والأريحية شيئاً .

(١) صدر بيت لسعد بن ناشب المازني من شعراء الحماسة وعجزه :

(ونكب عن ذكر العواقب جانبا) وبعده :

ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرضَ الا قائم السيف صاحبا

يعطيك من (الزَّند(١)) بايرائه،شبَه الجواد والذكيّ والنجح في الامور، و إصلاده(٢) شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي؛ ومن (القَمَر) الكمال عن النقصان كما قال ابو تمام(٣) :

لهفي على تلك الشواهد فيهما لو أُمهلت حتى تصير شمائلا !
لغدا سكوتهما حجىً . وصباهما حلماً . وتلك الاريحية نائلاً
ولأعقب النجمُ المرذُّ بديمة ولعاد ذاك الطلّ جوداً وابلا
إن الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيصير بدراً كاملا

---

(١) والزناد : العود يستقدح به النار ، و (الايراء) مصدر أوريت الزند : اذا أوقدته ، وهو مزيد : وري الزند يري كولي يلي اتقد قال الشاعر :

وجدنا زند جدهم وريا وزند بني هوزان غير واري

وفي قوله هذا شبه للنجح في الامور ، ويضربون مثلا للنجح والظفر بقولهم : هو أوراهم زنداً ، وفلان كثير الرماد واري الزناد ، وعكسه : قليل الرماد كابي الزناد أو صلوده : أي بخيل قليل النجاح ، وقالوا : وريت به زنادي ، وانا مقتدح بزندك ، وقد يطلق واري الزناد على الذكيّ ، ويقال : استوريت فلاناً رأياً : سألته ان يوريه لي ، كما يقال : استضيء برأيه .

(٢) الاصلاد مصدر أصلد الرجل : اذا كان زنده لايري وأصلده الله ، فهو ضد الايراء .

(٣) في رثاء ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد ، ويروى صدر البيت الاول في الديوان ص ٣٨٠ : (لهفي على تلك المخايل . . .) جمع مخيلة اي المظنة ، و (المرذ) في البيت الثالث اسم فاعل من أرذت السماء : اذا امطرت الرذاذ ، وهو مطر رقيق فوق الطل .

والنقصان عن الكمال كقول ابي العلاء المعري(١) :

وإن كنت تبغي العيش فابغ توسطا . فعند التناهي يقصر المتطاولُ

تَوقّى البدور النقصَ ، وهي أهلةٌ ويدركها النقصان ، وهي كواملُ

وتتفرّع من حالتي كماله ونقصه فروع لطيفة كقول ابن بابك(٢) في الاستاذ أبي عليّ(٣) ، وقد استوزره وأبا العباس(٤) الضبي فخر الدولة بعد وفاة ابن عبّاد :

---

(١) في التنوير على السقط ١١٥ ، والبيتان آخر اللامية التي مطلعها :
(الا في سبيل المجد ما انا فاعل)، وفي البيت الثاني ضرب المعري المثل بالبدر والهلال للقصد والتناهي ، فان الاهلة لا تزال تزداد حتى تبلغ الكمال ، فاذا كملت ادركها النقصان ، كذلك المتوسط يتزايد الى ان يبلغ الكمال فاذا بلغه تناقص وتراجع .

(٢) هو ابو القاسم عبد الصمد بن بابك من الكتاب الشعراء ذكره صاحب اليتيمة (٣/٢٧٤ مع) اي المنشورة بتحقيق العلامة محي الدين عبد الحميد المنذري .

(٣) هو الوزير ابو علي بن حمولة الذي لقب بالجليل عندما استوزره فخر الدولة بعد وفاة الصاحب .

(٤) هو الوزير الكاتب ابو العباس احمد بن ابراهيم الضبي الملقب بالرئيس بعد الصاحب ، ذكر في اليتيمة (٣/٢٨٦) بأنه جذوة من نار الصاحب ابي القاسم ونهر من بحره » . ولما استوزرهما فخر الدولة بعد الصاحب قال بعض بني المنجم ساخراً بالجليل والرئيس :

والله والله لا أفلحتم أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس

ان جاء منكم (جليل) فاجلبوا أجلي أوجاء منكم (رئيس) فاقطعوا راسي

وأعرتَ ثوبَ الملك شطرَ كماله والبدرُ في شطر المسافة يكملُ (١)

وقول أبي بكر الخوارزمي (٢):

أراكَ إذا أيسرتَ خيّمتَ عندنا مقيماً ، وإن أعسرتَ زرتَ لماما

فما أنت إلا البدرُ إن قلّ ضوءه أغبَّ ، وإن زاد الضياءُ أقاما

المعنى لطيف ، وإن لم تساعده العبارة على مايجب :لأن الأغباب (٣) ان يتخلل بين وقتي الحضور وقتٌ يخلو منه ، فانما يصلح (٤) لأن يراد ان القمر إذا نقص نوره لم يوالِ الطلوع في كل ليلة ، بل يظهر في بعض

---

(١) اي في نصف مسافة الشهر يكمل ، وابن بابك يعني بذلك وزارة ابي علي ابن حمولة المشتركة مع ابي العباس ، وانه بتدبيره لنصف المملكة قد اكمل ادارتها كالبدر الذي يكمل حين بلوغه شطر مسافة الشهرية .

(٢) الكاتب البارع والعالم الذي كان يحاضر بأخبار العرب وايامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ويبلغ في البيان كل مبلغ ، وله ديوان رسائل وديوان شعر (٣٢٣ ـ ٣٨٣ هـ) ، وصدر البيت الاول في اليتيمة (٤/٢٣٩ المنذري) : « رأيتك آن الشرب خيمت عندنا » ورواية الايضاح اعذب ، ولعل (آن الشرب) مصحفة عن (إن أيسرت) . التي يقابلها في العجز (ان اعسرت) فتأمل !

(٣) مصدر (أغبّ) في البيت الثاني ، يقال : (أغبّ الزائر القوم) اذا جاءهم يوماً وترك يوماً ، وفي الحديث : أغبوا في عيادة المريض واربعوا ، اي لاتعودوه كل يوم لما يجده من ثقل العواد ، وهو من (الغب) الذي هو ورد يوم وظمأ آخر ؛ قال ابن الاثير نقل الغب في اوراد الابل الى الزيارة ، وان جاء بعد ايام : ومنه زر غبا تزدد حبا .

(٤) اي يصح معنى الاغباب بأن يراد ان القمر الخ .

الليالي دون بعض ، وليس الأمر كذلك(١) : لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السرار (٢) ؛ وكذا ينظر الى بُعده وارتفاعه ، وقرب ضوئه وشعاعه ، في نحو مامضى من بيتي البحتري(٣) ، وإلى ظهوره في كل مكان كما في قول أبي الطيب(٤) :

كالبدر من حيث التفتَّ وجدته يُهدي الى عينيكَ نوراً ثاقباً

---

(١) أي وليس الامر في الواقع كذلك .

(٢) بفتح السين وكسرها : آخر ليلة من الشهر ، يستسرّ أي يخفى فيها الهلال بنور الشمس ، فان كان الشهر ٢٩ فسراره ليلة ٢٨ ، وان كان ٣٠ فسراره ليلة ٢٩ على ما بينه الفراء .

(٣) صفحة ٩ ، وهما : (دان على ايدي العفاة ..) وكالبدر افرط في العلو ..)

(٤) يمدح علي بن منصور الحاجب (الديوان ١٠٢ عزام) وقبله :

هذا الذي ابصرت منه حاضراً مثل الذي ابصرت منه غائباً

وبعده : كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ، ويبعث للبعيد سحائباً

كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

فانظر الى بدائع التشبيه وروائع محاسنه ، وبيت ابي الطيب الاخير يشبه بمعناه بيتي البحتري ، وقول الوليد أيضاً :

عطاء كضوء الشمس عم فمغرب يكون سواء في سناه ومشرق

وقول ابي تمام :

قريب الندى نائي المحل كانه هلال قريب النور ناءٍ منازله

وقول ابن الاحنف :

نعمة كالشمس لما طلعت ثبت الاشراق في كل بلد

الى غير ذلك(١).

ثمَّ النظر في اركان التشبيه ، وهي أربعة : طرفاه ووجهه وأداته ، وفي الغرض منه(٢) ، وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات :

أمَّا ﴿ طرفاه ﴾ فهما :

إمّا (**حسيان**) كما في تشبيه الخدّ بالورد(٣) ، والقدّ بالرمح ، والفيل بالجبل في (المبصرات) ، والصوت الضعيف بالهمس (٤) في (المسموعات) والنكهة بالعنبر(٥) في (المشمومات) ، والريق بالخمر في (المذوقات) ، والجلد الناعم بالحرير في (الملموسات) .

---

(١) من لطائف التشبيه وفوائده كما قال الضياء بن الاثير : ان التشبيه يجمع ثلاث صفات وهي المبالغة والبيان والايجاز ، وله مزايا بيانية اخرى ستمر بنا قريباً .

(٢) عطف على قوله : (في أركان التشبيه) ، أي وينظر في الغرض من التشبيه : وهو الأمر الباعث على ايجاده ، وينظر في تقسيمه الى أقسام تحصل باعتبار الطرفين وباعتبار الغرض وباعتبار الوجه وباعتبار الأداة ، وذلك كتشبيه مفرد بمفرد ، أو مركب بمفرد ، أو مركب بمركب ، وككونه ملفوفاً أو مجموعاً أومفروقاً الى غيرذلك مما يأتي .

(٣) تجد على ذلك كثيراً من الأمثلة الشعرية أو النثرية في تداريب (النصوص والشواهد) التي ستمر بك .

(٤) يصح ذلك بمثل قولك (دندنة سعيد كالهمس) لأن الدندنة هي أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه لأنه يخفيه ، وهي أقوى من الهمس قليلاً .

(٥) النكهة ريح الفم تكون طيبة وخبيثة ، والتشبيه أن تقول : (نكهة عليّ كالعنبر) في ميل النفس لكل .

وإما (**عقليان**)(١) كما في تشبيه العلم بالحياة ؛

وإما (**مختلفان**) ، والمعقول هو المشبه(٢) ، كما في تشبيه المنية بالسبع ، أو بالعكس(٣) ، كما في تشبيه العطر بخلق كريم .

والمراد بـ (الحسي) : المدرك هو(٤) ، أو مادته ، بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، فدخل فيه(٥)

---

(١) بأن لايدرك أحد الطرفين بالحس لعدم وجوده في الخارج بل بالعقل ، والطرفان عقليان أيضاً في عكس هذا التشبيه وهو : الجهل كالموت .

(٢) والمحسوس المشبه به كتشبيه الهدى بالنور والضلال بالظلام والعدل بالميزان .

(٣) حيثما يكون المحسوس هو المشبه ، والمعقول المشبه به ، قال السبكي في عروسه (٣/٣١٢ شروح) : لايجوز عند بعضهم تشبيه المحسوس بالمعقول ، وبه جزم الزنجاني في معيار العلوم ، والامام فخر الدين الرازي في المحصول ، إذ المشبه به يجب أن يكون أظهر من المشبه ، ولكون المعقول فرع المحسوس لأنه مستفاد منه ؛ وحيث جاء في الاشعار يؤول على أنه جعل المعقول محسوساً على سبيل المبالغة ، وهذا يستدرجك الى أن تجعل جميع هذا النوع من باب (قلب التشبيه) ؛ والتنوخي في كتابه (الاقصى القريب) ص ٤٢ فانه يرى أن تشبيه المعنى بالصورة (المعقول بالمحسوس) والصورة بالمعنى لا بد فيه من تجوز وتأويل يرجع الى تشبيه الصورة بالصورة والمعنى بالمعنى .

(٤) أي بنفسه كالقد والرمح ، والفم والعنبر كما مرّ بنا .

(٥) أي في (الحسيّ) بسبب زيادة قولنا : (أو مادته) وانما سمي (الخيالي) لكون صور أجزائه مرتسمةً في الخيال ، أو لكون المركب له هو القوة المخيلة ، والتشبيه الخيالي هو المركب المعدوم لتألفه من أجزاء ومفردات محسوسة هي مادته كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد ، ولكنه بمجموعه خيالي معدوم كأعلام الياقوت على رماح الزبرجد مما لا يدركه الحس .

(الخيالي) كما في قوله(١) :

وكأن محمرّ الشقيـ ـق إذا تصوّب أو تصعد
أعلامُ ياقوتٍ نُشر ـن على رماح من زبرجد

وقوله(٢) :

---

(١) البيتان لأبي بكر أحمد بن محمد بن الحسن الضبي المعروف بالصنوبري الحلبي (- ٣٣٤ هـ) ، وقد جمع له شعره مؤرخ حلب الاستاذ الطباخ ، وله في مجلة المجمع العلمي العربي ٥٢/١٢ تحقيق عن اسم جد الصنوبري ونسبته للضبي وتاريخ وفاته : ويقال : صوّب الاناء : اذا أماله الى اسفل و (تصوّب) : تسفّل قال ابو النجم : (تصوّب الحسن عليها وارتقى) : والياقوت حجر كريم مختلفة ألوانه ، وأراد الشاعر به الاحمر كما أراد بالزبرجد الأخضر .

(٢) وهذان البيتان (ص٢٠) هما للصنوبري أيضاً كما في (كتاب من غاب عنه المطرب) للثعالبي وفيه قبلهما بيتان هما :

حبذا يوم أحمد بين روح ومنجد
وخليج مزرّد وحمام مغرّد

ولكن تختلف فيه رواية البيت الاخير فهي :

كدنانير عسجد نصفها من زبرجد

ولعلها مصحفة .

والنيلوفر أو النوفر : نبتة مائية من الفصيلة النوفرية nympheacées ينمو في المناطق المعتدلة والحارة من النصف الشمالي من الكرة ، ومنه صنفان : أصفر ذهبي ذو جذر خالد ، وأبيض أزهره هو نيلوفر البرك ومنها يتولد نحو من ٢٥ نوعاً ، والورق عريض بشكل القلب ذو ذنبة طويلة يعوم على سطح الماء ، والازهار كبيرة ناصعة البياض، وقد يشوبها لون الورد أحياناً فتشبه العسجد وهو الذهب .

كلنا باسطُ اليد نحو نيلوفرنـدي
كدبابيس عسجدٍ قضبها من زبرجـد

والمراد بـ (العقليّ) ماعدا ذلك(١) ، فدخل فيه (الوهميّ) . وهو ماليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة ، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها كما في قول امرىء القيس (٢) :

---

(١) أي ما عدا الحسي والخيالي فدخل فيه الوهمي ، الذي يتميز عن (العقلي) الصرف بأنه لو وجد في الخارج لأدرك بالحواس الخمس بخلاف العقلي المحض كالعلم والحياة فانه معدوم لا وجود له في الخارج فلا يستطاع ادراكه بالحواس الظاهرة ، وبالجدول التالي يمكن التفريق بين المدركات :

المدرك
١ — حسيّ : ما كان خارجياً وأدرك بالحواس الخمس الظاهرة (كالخد والورد) .
٢ — عقليّ : ما ليس خارجياً فلا يدرك بالحواس الخمس الظاهرة : (كالعلم والحياة) .
٣ — وهميّ : مالا يدرك بالحس ، ولوادرك لكان بمدرك: (كأنياب أغوال) .
٤ — خيالي : المركب من مواد مشاهدة وهو بجملته معدوم: (كأعلام ياقوت...).
٥ — وجداني: ما يدرك بالوجدان أي بالقوى الباطنة : (كالفرح والغضب) .

(٢) الديوان (ص ١٠٩ : السندوبي) وصدر البيت : (أيقتلني والمشرفي مضاجعي) وانما جعل هذا التشبيه وهمياً ان الغول لا وجود له ، و (الأنياب) ان اعتبرت على=

« ومسنونة زرقٍ كأنياب أغوالِ »

وعليه قوله تعالى : (طلعها كأنه رؤوس الشياطين(١)) ، وكذا مايدرك بالوجدان(٢) كاللذة والألم والشبع والجوع .

وأما ﴿ وجه ﴾ فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان(٣) تحقيقاً أو تخييلا(٤) ، والمراد بالتخييل : أن لايمكن وجوده في المشبه به الا على

=حدة فهي موجودة في الخارج ومحسوسة ، وانما اتفت باعتبار نسبتها الى الأغوال ، فما أضيف الى الوهمي وهمي مثله .

(١) ان جعل المصنف (رؤوس الشياطين) من الوهمي اشارة الى ان الشيطان لا رأس له ، والشيطان نفسه ليس له وجود خارجي محسوس فهو من عالم الغيب .

(٢) انما دخل المدرك الوجداني في العقلي لأنه يدرك بالقوة الباطنة (كاللذة) التي هي ادراك الملائم ، و(الألم) وهو ادراك المنافي ، كذلك الشبع والجوع والفرح والغضب من الوجدانيات المدركة بالقوى الباطنة ، فهي لذلك مدركات عقلية .

(٣) بأن يوجد ذلك المعنى فيهما جميعاً ، والمراد باشتراك الطرفين في باب التشبيه ان يختصا في قصد المتكلم بأمر يكون لكل منهما به مزيد ارتباط من حيث الغرض ، والكلام لا يفيد التشبيه مالم يقصد مريده ذلك : كقولنا : خولة كالأسد ووجهها كالبدر ، فيكون (وجه الشبه) في الاول الجرأة والبسالة وسائر ما اشتهر به الاسد من الاوصاف ، وفي الثاني السناء والبهاء ، ومثل ذلك يبتغيه المشبه من اشتراك الطرفين ، لا أن يشتركا في الذاتيات والاعراض العامة كالحيوانية والجسمية والوجود ونحوها مما لا يصح أن يكون وجه شبه أو يقصده المتكلم .

(٤) — يصح ان يكون كل منهما مفعولاً مطلقاً لمصدر محذوف أي اشتراكَ تحقيق او تخييل ، أو حالين أي حالة كون الاشتراك تحقيقاً أو تخييلاً : اي محققاً او مخيلا ، وهذا ضعيف لأن مجيء الحال مصدراً سماعي لايقاس عليه على الصحيح .

تأويل كما في قول القاضي التنوخي (١) :

وكأن النجومَ بين دجاها سننٌ لاح بينهنّ ابتداعُ .

فان (وجه الشبه) فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، فهي غير موجودة في المشبه به إلاّ على طريق التخييل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة ، وكل ماهو جهلٌ يجعل صاحبَها في حكم من يمشي في الظلمة ، فلا يهتدي الى الطريق ، ولا يفصل الشيء من غيره ، فلا يأمن أن يتردّى في مهواة ، أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مهلكة ، شبهت بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن تُشبه السنة والهدى وكل ماهو علم بالنور وعليهما قوله تعالى : (يخرجهم من الظلمات الى النور) ؛

وشاع ذلك (٢) حتى وصف الصنف الاول بالسواد كما في قول القائل:

شاهدت سوادَ الكفر (٣) من جبين فلان ، والصنف الثاني بالبياض كما

---

(١) — ابو القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم من أعيان القرن الرابع في العلم والادب والظرف والكرم، وهو والد ابي علي المحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة ، والشاهد في اليتيمة (٢/٣٣٦) . وقبله: (رب ليل قطعته بصدود وفراق ما كان فيه وداعُ)

وبعده : مشرقات كأنهن حجاج تقطع الخصم ، والظلام انقطاع

(٢) اي كون الكفر والشرك والبدعة والجهل كالظلمة ، والايمان والتوحيد والسنة والعلم كالنور ، والمراد بشيوعه استعماله في الخطاب والكتاب .

(٣) الكفر لا سواد له حقيقةً بل تخيلا، وخص الجبين لا الوجه بالكفر لانه=

في قول النبي (ص) : أتيتكم بالحنيفية (١) البيضاء ، وذلك لتخيل ان السنن ونحوها من الجنس الذي هو اشراق أو ابيضاض في العين ، وان البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم مابين الدياجي بالسنن مابين الابتداع ، كتشبيه النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب ، وبالانوار (٢) مؤتلقةً بين النبات الشديد الخضرة (٣) ، فالتأويل فيه أنه : تخيلَ ماليس بمتلوّن متلوناً ؛

ويحتمل وجهاً آخر ، وهو ان يتأول بأنه أراد معنى قولهم : إن سواد

=اول ما يبدو من الانسان اذا التفت ، وهما جبينان يكتنفان الجبهة ، وشاع بين الناس ان الوجه مجلى لصفات الانسان ، والعينان عنوان الجنان ، فصلاح القلب وصدق الايمان يتجلى نورهما على الوجه ، والعامة تقول عن الصالح المخلص : في وجهه نور .

(١) اي بالملة الحنيفية نسبة للحنيف وهو المائل عن كل دين أعوج : من الحنف وهو الميل في الرجلين أو اليدين ، وتحنّف الى الشيء اذا مال اليه ، وتحنف فلان اذا مال الى دين التوحيد الحنيف قال جران العود :

وأدركن أعجازاً من الليل بعد ما أقام الصلاةَ العابدُ المتحنفُ

(٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر الأبيض ، ومنهم من لا يخصصه به ، وقالوا: نُور الحقيقة أجمل من نَور الحديقة .

و (مؤتلقة) لامعة يقال : ألق البرق يألِق ألقاً ، وتألّق وائتلق يأتلق ائتلاقاً : لمع وأضاء .

(٣) اللون المعروف ، وقد تطلق على السواد ، كما يطلق الأخضر على الأسود ، وسميت قرى العراق سواداً لكثرة شجرها ونخيلها وزرعها الذي يرى اسود من بعيد.

الظلام يزيد النجوم حسناً، فانه لما كان وقوف العاقل على عوار(١) الباطل يزيد الحق نبلاً في نفسه، وحسناً في مرآة عقله، جُعل هذا الاصل من المعقول مثلا للمشاهد المبصر هناك، غير أنه لايخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر: لان الظاهر أن يمثّل المعقول في ذلك بالمحسوس كما فعل البحتري في قوله(٢):

وقد زادها إفراط حسنِ جوارُها ... خلائقَ أصفارٍ من المجد خُيّبِ
وحسن دُراري الكواكبِ أن ترى ... طوالعَ في داجٍ من الليل غيهبِ

---

(١) جاء في لسان العرب: والعَوار والعُوار بفتح العين وضمها: خرق او شق في الثوب، وقيل: هو عيب فيه فلم يعين ذلك، قال ذو الرمة:

تبيّن نسبةُ المزنيّ لؤماً ... كما بيّنت في الأدم العُوارا

يريد المصنف ان معرفة العاقل البصير بعيوب الباطل يزيد الحق في نفسه وعقله نبلا وحسنا.

وقد جعل هذا الاصل والحكم مثالا للمشاهد المحسوس في بيت القاضي التنوخي الذي شبه فيه محسوساً بمعقول على خلاف الظاهر، لأن المقصود بالتشبيه انما هو التبيين والجلاء لا الغموض والخفاء، وهو أشد تحققاً بتشبيه المعقول المدرك بالمحسوس المبصر؛ ولايقال ان التشبيه مقلوب اذ قصد الشاعر تشبيه السنن في البدع بالنجوم في الدجى: لان البيت المذكور قبل الشاهد في الصفحة ٢٢ يدل على ان المقصود تشبيه الليل بالبدع والنور بالهدى على التبع لا عكس ذلك.

(٢) الديوان ١/٤٧ط الجوائب: (زاد) ينصب مفعولين الاول الضمير (ها)، والثاني (افراط) و (جوارها) فاعل مؤخر، و (خلائق) مفعوله: و (اصفار) =

ومن (التشبيه التخييلي) قول ابي طالب الرّقي(١) :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يومُ النوى وفؤاد من لم يعشقِ

فانه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعاً ، فيقال : اسودّ النهارُ في عيني ، وأظلمت الدنيا عليّ ، وكان الغزِل يدعي القسوةَ على من لم يعشق . والقلبُ القاسي يوصف بالسواد توسعاً ، تخيل يومَ النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد ، وجعلهما أعرفَ به واشهرَ من الظلام فشبهه بهما ، وكذا قول ابن بابك(٢) :

= جمع صفر وهو الخالي ، و (خيب) جمع خائب صفة لاصفار .

وفي هذين البيتين تشبيه صورة عقلية بحسية ، اي تشبيه صورة زواهر اخلاق غرائب بين خاليات من المجد خوائب ، بصورة طلوع كواكب في غياهب .

(١) يقول الثعالبي في يتيمته (١/٣٨٢ بتحقيق صديقنا محيي الدين عبد الحميد المنذري) : لم أحِد ذكره الا عند ابي بكر الخوارزمي ، وسمعته يقول : انه احد المقلين المحسنين الذين يطبقون المفصل في اغراضهم وينظمون الدر المفصل في معانيهم والفاظهم ثم انشدني له قوله : (ولقد ذكرتك ...) وبعده :

وكأن اجرام النجوم لوامعاً درر نثرن على زجاج ازرق

والفجر فيه كأنه قطر الندى ينهلّ من سيح الغمام المغدق

وقوله هذا ايضاً من تشبيه المحسوس بالمعقول كما مرّ في شعر القاضي التنوخي .

(٢) ابو القاسم عبد الصمد بن بابك مر ذكره في الجزء الاول من تهذيب الايضاح ، وترجمته في الجزء الثالث والباب السادس من اليتيمة (٣/٣٧٤) ، في صدر البيت تشبيه محسوس بمعقول ، والليل قد كحل السماك بظلمته لان الكحل اسود ، وضمير (ابصر) يعود الى السماك لأن الليل تتزايد ظلمته بتزايد كواكبه نوراً ، ويصح المعنى

وأرضٍ كاخلاق الكرام قطعتها وقد كحّل الليلُ السماكَ فأبصرا

فان الاخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيها لها بالاماكن الواسعة والضيقة، تخيّل اخلاق الكرام شيئاً له سعة، وجُعل اصلا فيها، فشبه الارض الواسعة بها، وكذا قول التنوخي(١):

فانهض بنار الى فحم كانهما في العين ظلم وانصاف قد اتفقا

فانه لما كان يقال في (الحق) إنه منير واضح، فيستعار له صفة الاجسام المنيرة، وفي (الظُلم) خلافُ ذلك، تخيلهما شيئين لهما إنارة واظلام، فشبه النار والفحم مجتمعين بهما مجتمعين.

=بعودته ايضاً الى الليل فيكون قد ابصر بتكحيله للسماك وزيادته بالكحل ضياء: والسماك سمي لسموكه اي ارتفاعه، وهما سماكان: الرامح Arcturus المع نجو كوكبة العواء، وسمي رامحاً لان الكوكب الذي في فخذه الايمن يشبه الرمح، وهو من القدر الاول كالسماك الاعزل الذي هو من برج السنبلة او العذراء Virgo، وسمي اعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب كالاعزل الذي لا رمح معه.

(١) هو القاضي ابو القاسم علي بن داود التنوخي صاحب:

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

وهذا الشاهد تراه في اليتيمة (٢/٣٣٩) من قطعة يصف البرد بها وهي:

أما ترى البرد قد وافت عساكره وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبها قد البست حبكا، او غشيت ورقا
فانهض بنارٍ الى فحم كأنهما في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سلا برداً، فصرنا كقلب الصب اذ عشقا!

وكذا ما كتب به الصاحب(١) الى القاضي أبي الحسن ، وقد أهدى له الصاحب عطر القُطر :

يا أيها القاضي الذي نفسي له ... مع قرب عهده لقائه مشتاقه
أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه ... فكأنما أهدي له أخلاقه

فانه لما كان الثناء يشبه بالعطر ويشتق له منه ، تخيله شيئاً له رائحة طيبة ، وشبه العطر به ليوهم انه اصل في الطيب ، وأحقُّ به منه ، وكذا قول الآخر(٢) :

---

(١) ابن عباد المستغني عن التعريف (—٣٨٥) ، والقاضي ابوالحسن : هو علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب (الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره) والذي يقول فيه صاحب اليتيمة (٣/٤المنذري) انه كان يجمع خط ابن مقلة الى نثر الجاحظ ونظم البحتري ، ويذكر هذه الهدية في يتيمته (١٩٨/٣) بقوله :

وحدثني ابو نصر النمري بجرجان قال : سمعت القاضي ابا الحسن علي بن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب ، وذلك قبل العيد ، فجاءني رسول بعطر القطر ، ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

كأن المدام وصوب الغمام ... وريح الخزامى ونشر القُطرْ
يُعلّ به بَرد انيابها ... اذا طرّب الطائر المستحر

(٢) (الانتضاء) مصدر انتضى السيف سله من غمده ، وهو من الفعل المجرد: نضا ثوبه عنه ينضوه نضواً خلعه والقاه،ونضت الدابةُ الدوابّ اذا خرجت من بينها ، وعلى ذلك يكون معنى انتضاء البدر خروجه من تحت غيمه وانكشافه ؛ والنجاء والنجاة الخلاص ، والبأساء الشدة ، ومعنى البيت ظاهر .

كأن انتضاءَ البدر من تحت غيمه نجاءٌ من البأساء بعد وقوع

فانه لما رأى الخلاص من شدة يشبّه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره عنه قلب التشبيه ليرى ان صورة النجاة من البأساء، لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب، أعرفُ من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه.

واذا عُلم أن وجه الشبه هو مايشترك فيه الطرفان، عُلم فساد جعله(١) في قول القائل: (النحو في الكلام كالملح في الطعام)، كون القليل مصلحاً(٢) والكثير مفسداً: لان القلة والكثرة إنما يتصور جريانهما في الملح، وذلك بان يجعل منه في الطعام القدر المصلح أو أكثر منه، دون النحو(٣) فانه اذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا، فان وجد ذلك في الكلام فقد حصل النحو فيه، وانتفى الفساد عنه، وصار منتفعاً به في فهم المراد منه(٤)، والا لم يحصل، وكان فاسداً لا ينتفع

---

(١) الضمير يعود الى وجه الشبه.

(٢) لما وجد فيه من الكلام في عبارة المشبه والطعام في عبارة المشبه به، و(الكثير مفسداً) في الملح، اما (النحو) فلا يشارك الملح في هذا المعنى، لأن زيادة الملح مفسدة، ويمكن تصورها فيه لا في النحو.

(٣) الذي لا يحتمل القلة والكثرة، فان قلته مفسدة، ويراد بها الاخلال ببعض احكامه، والكثرة لايمكن تصورها الا مجازاً، اذا اردنا بها تشادق المتقعرين من النحاة.

(٤) وبذلك يتبين ان المراد بالنحو هنا القيام باحكامه كرفع الفاعل ونصب

به ، فالوجه[١] فيه هو : (كون الاستعمال صالحاً والاهمال مفسدا) لاشتراكهما في ذلك ؛

ومما يتصل بهذا ما حكي أن ابن شرف القيرواني[٢] أنشد ابن رشيق[٣] قوله :

غيري جنى ، وأنا المعذَّب فيكمُ فكأنني سبَّابةُ المتندِّم

المفعول ، فان برعاية القواعد في الكلام يصلح لفهم المراد منه ويصح بمحاكاته لاساليب العرب في البيان؛ واما الكلام الملحون فقد يفهم المراد منه بواسطة القرائن والاشارات ، ولكنه يظل فاسداً بمخالفته لبيان العرب .

(١) اي (وجه الشبه) الصحيح فيه كون استعمال النحو والملح على الوجه اللائق مصلحاً ، واهمالها مفسداً: لان الكلام لا يتم الانتفاع به من الافهام الا بمراعاة قواعد النحو ، كما ان الطعام لا يتم الانتفاع به من التغذية الصحيحة الا باستيفاء ما يحتاج اليه من الملح .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن شرف الجذامي القيرواني رافق ابن رشيق القيرواني في خدمة المعز بن باديس الصنهاجي خليفة الفاطميين على افريقية ، على منافسة بينهما شديدة زالت بموت المعز ، ثم ارتحل ابن شرف زمن ملوك الطوائف الى الاندلس ومات بها بالمرية (— ٤٦٠ هـ) وله شعر بليغ رقيق يمازجه البديع ولاسيما الجناس ، وقد جمع شعره في (التنف من شعر ابن رشيق وابن شرف) امام العربية في الهند صديقنا ابو البركات عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، والشاهد في التنف ص ١١٢

(٣) هو الحسن بن رشيق القيرواني صاحب العمدة الذي يعد من خيرة كتب النقد العربي ، وله شعر رقيق بليغ يحسنه بالبديع جمعه الراجكوتي في (التنف) ، وتوفي بجزيرة صقلية (— ٤٥٦ هـ) .

وقال له : هل سمعتَ هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيق:

سمعتُه ، وأخذتَه أنت وأفسدته ؛ أما الاخذ فمن النابغة الذبياني حيث يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً وهل يأثمن ذو إمّة (١)،وهو طائع

لكلفتني ذنب امرئٍ وتركته كذي العرّ (٢) يكوى غيره وهو راتع

وأما (الافساد) فلأن سبابة المتندم أول شيء يتألم منه ، فلا يكون المعاقب غير الجاني(٣) . وهذا بخلاف بيت النابغة . فان المكويّ من الابل يألم،وما به عرُ البتةَ ، وصاحب العر لايألم جملةً .

وهو : إمّا غير خارج عن حقيقة الطرفين(٤) ، أو خارج ،

---

(١) الامة : قال في اللسان بعد الاستشهاد بالشطر الثاني من البيت : ويروى ذو امة ، فمن قال ذو امة) فمعناه ذو دين ، ومن قال ذو امة فمعناه ذو نعمة اسديت اليه ؛

(٢) العر بالفتح والضم الجرب ، وقيل العر بالفتح الجرب ، وبالضم قروح مثل القوباء تخرج بالابل فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض،تقول منها : عرت الابل فهي معرورة ، وقال ابن دريد في بيت النابغة : من رواه بالفتح فقد غلط لان الجرب لايكوى منه .

(٣) لانه هو الجاني بعّض نفسه لاغيره ، والمعاقب المجنى عليه في بيت النابغة هو البعير الصحيح ، والجاني المعرور لايكوى عقاباً .

(٤) ولم يقل : (وهو اما داخل او خارج) ليشمل النوع كالانسان مثلا ، فهو غير خارج عن تمام حقيقتي الطرفين : لان الانسان هو الحيوان الناطق ، فهو عين حقيقته وماهيته ؛ وهو غير داخل في حقيقته : لان الشيء لايدخل في نفسه ولايخرج=

والأول : إما (تمام حقيقتهما)[١] كما في تشبيه إنسان بانسان في كونه إنساناً[٢] ، أو (جزؤهما) كما في تشبيه بعض الحيوانات العجم بالانسان في كونه حيواناً[٣] ؛

والثاني[٤] : صفة ، إمّا (حقيقيّة) أو (اضافية) :

=منها ، هذا على تعبير المناطقة ، فلو اردنا على تعبيرنا بالدخول معنى الانطباق مثلا لجاز لنا ان نعتبر (النوع) داخلا في تمام حقيقته أي منطبقاً عليها .

(١) ليس للطرفين المشبه والمشبه به حقيقة واحدة ، ولذا كان من صحة التعبير أن يقول : (تمام حقيقتيهما) .

(٢) كأن يقال مثلا : « زيد كعمرو » في كون كل منهما انساناً ، فالانسان تمام حقيقة زيد وعمرو ، والانسانية وجه الشبه الجامع بينهما ، قال المحقق المغربي في مواهبه (٣/٣٣١ شروح) : ومثل هذا الكلام يفيد حيث يقصد مثلا تقريع من نزّلهما منزلة المتباينين ، وجعل عمراً مثلا من نوع الفرس والحمار في اعداده لمشاق الخدمة والاستكاف عن صحبته ،والسعد في مطوله ينكر مثل هذا التقسيم المنطقي العقيم ، كما ينكره كل ذي طبع قويم .

(٣) كان يقال : « الحصان كالانسان » في كونه حيوانا : اذا قصد تقريع من حمّل الحصان مالايطاق ، ولم يقدم له مايحتاج اليه من طعام وشراب : فالحيوان جزء من حقيقة كل من الطرفين .

(٤) اي الخارج عن حقيقتي الطرفين ، وهو (صفة) : اي معنى قائم بالطرفين يجب اشراكهما فيه ، والتقسيم الى (حقيقي واضافي) تعبير منطقي ، ويراد من الصفة (الحقيقية) الهيئة المتمكنة في الذات أي الذاتية ، ومن (الاضافة) النسبة التي لاتتحقق الا بالذات بل بالاضافة والنسبة .

والحقيقة إما **حسية**(١) : وهي الكيفيات الجسمية(٢) مما يدرك : (بالبصر) من الألوان والأشكال والمقادير والحركات ، وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك ؛ أو (بالسمع) من الأصوات القوية والضعيفة والتي بين بين ؛ أو (بالذوق) من أنواع الطعوم ؛ أو (بالشم) من أنواع الروائح ؛ أو (باللمس) من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملامسة ، واللين والصلابة ، والخفة والثقل وما ينضاف اليها ؛

وإما **عقلية** : كالكيفيات النفسية من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم ، وما جرى مجراها في الغرائز والأخلاق .

والاضافية(٣) : كازالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس .

---

(١) أي والصفة الحقيقية اما (حسية) وهي المدركة باحدى الحواس الخمس التي ذكرها وهي البصر والسمع والذوق والشم واللمس ؛

(٢) الكيفية بالتعريف القديم . عرض لايقتضي قسمة ولاعدمها لذاته اقتضاءً اولياً ولايتوقف تعقله على تعقل الغير ؛ وبتعريف الفلسفة الحديثة تطلق بوجه عام على جميع ماله علاقة بأوصاف الشيء وهيئته لاوجوده ؛ ويريد بالكيفيات الجسمية ماله تعلق بالجسم لتدخل الاشكال والالوان والمقادير والحركات ، وخواص الاجسام كيفيات جسمية أيضاً .

(٣) عطف على (الحقيقة) ، وقد ذكرنا ان الصفة الاضافية عكس الحقيقية وهي مالاتكون هيئة متقررة في الذات (اي في ذات الطرفين المشبه والمشبه به) بل تكون معنى متعلقاً ، بشيئين بالنسبة والاضافة اليهما ، بحيث يتوقف =

تقسيم آخر باعتبار آخر . — وجه الشبه إمّا (واحد) ، أو (غير واحد)(١) ؛ والواحد : إما (حسّي) أو (عقليّ)(٢) ، وغير الواحد : إمّا (بمنزلة الواحد) لكونه مركباً من أمرين أو أمور(٣) ؛

=تعقله على تعقلها ، وذلك كالابوة والبنوة ، فانه ليس شيء منهما متقرراً في ذات، بقطع النظر عن الغير ، بل بالاضافة الى الغير ، ومثل الابوة والبنوة (ازالة الحجاب) ، فانها انما تتصور متعلقة بشيئين هما الحجاب والشمس ، او الحجاب والحجة : فانك اذا قلت : (هذه الحجة كالشمس) كان وجه الشبه بينهما ان كلا منهما أزال حجابا يخفي ما وراءه ، فالحجة قد ازالت الحجاب عن المعقولات كما تزيل الشمس الحجاب عن المحسوسات،فوجه الشبه بينهما هو (ازالة الحجاب) المتعلقة بكل من الطرفين تعلقا نسبياً واضافياً ، وعلى ذلك تكون ازالة الحجاب (صفة اضافية) .

(١) أي مركب .

(٢) و (الحسيّ) : هو المدرك بالحواس الظاهرة نحو (الحمرة) من قولك : « خد كالورد» : ووجه الشبه (العقليّ) كالبيان في قولنا : « ابن قتيبة كالجاحظ »مثلا.

(٣) وقد يعدّ (المركب) من أمرين أو امور (بمنزلة الواحد) باعتبار مجموعه في التشبيه شيئاً واحداً،فلايكفي بعض هذا المجموع،وان كان مركباً من متعدد ، وهذا المركب من المتعدد على قسمين :

١ . — الاول : ما كان تركيبه (حقيقياً) ، وهو الذي كل جزء منه يصدق على الآخر بحيث يصيران في الخارج شيئاً واحدا وحقيقة واحدة كقولك: « زيد كعمرو » في الانسانية : اي في أن كلا منهما حيوان ناطق ، والناطق والحيوان يصدق كل منهما على صاحبه فيقال : الحيوان ناطق والناطق حيوان ، وهما في الخارج حقيقة واحدة هي (الانسان).فوجه الشبه اذن مع تركيبه الحقيقي هو بمنزلة الواحد .

٢ . — والثاني : ما كان تركيبه (اعتبارياً) لاحقيقياً : اي لاحقيقة له في حد ذاته،بل هو هيئة امور مجتمعة لايصح التشبيه الا بها كلها كالهيئة المنتزعة من قول بشار:=

أو (متعدد)(١) غير مركب : إمّا حسّي أو عقليّ (٢)، والمتعدّد إمّا : حسيّ أو عقلي أو مختلف(٣)، والحسي (٤) لا يكون طرفاه إلا حسيين :

= كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من هويّ أجرام مشرقة على وجه مخصوص في جنب شيء مظلم ، ومن البين انه لايلتئم من المجموع (حقيقة) واحدة : ولكن تلك الهيئة ، وان اعتبر التعدد فيها ، تعتبر كالشيء الواحد في عدم استقلال كل جزء منها في التشبيه : (المغربي والدسوقي ٣/٣٤٨ شروح) .

(١) عطف على قوله : اما واحد ، او غير واحد : يعني ان وجه الشبه اما ان يكون واحداً او مركبا يشبه الواحد ، او متعددا : والمراد بـ (التعدد) : ان يذكر وجهان او اكثر من وجوه الشبه ، بحيث لو اقتصر فيه على اي واحد منها لصح التشبيه ، بخلاف (المركب) الشبيه بالواحد ، فانه يبطل التشبيه فيه فيما لو نقص جزء مما اعتبرت فيه الهيئة او الحقيقة الواحدة كما تقدم في تشبيه بشار للنقع المثار ، وتشبيه زيد بعمرو في الحيوانية والناطقية .

ومثال (المتعدد) ان يقال : (هذه التفاحة كهذه) في لونها وشكلها ورائحتها وحلاوتها ، فلو انه أسقط من وجوه الشبه وجه او وجهان لكفى الباقي في التشبيه .

(٢) فالحسّي كالهيئة الحاصلة من هويّ لوامع في مظلم كما في بيت بشار المتقدم ، و (العقليّ) كهيئة حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه كقوله تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً) .

(٣) اما المتعدد (الحسي) فقد ذكرنا في آخر الحاشية الاولى مثاله : ومثال (العقلي) قولنا : « علي كعمر » في الذكاء والقضاء والوفاء ، ومثال المختلف : « سعاد كالشمس » في حسن الطلعة ونباهة الشأن .

(٤) اي ووجه الشبه الحسي لا يكون طرفاه الا حسيين ، فلا يجوز ان يكونا معاً عقليين او احدهما : لأن ادراك الامر العقلي بالحواس محال .

لامتناع أن يُدرك بالحس من غير الحسي شيء(١) ؛

والعقلي(٢) طرفاه : إما عقليان أو حسيان أو مختلفان ، لجواز أن يُدرك بالعقل من الحسي(٣) شيء ، ولذلك يقال :

التشبيه بالوجه العقلي أعم(٤) من التشبيه بالوجه الحسي :

و (المركب الحسي)(٥) طرفاه : إما مفردان كالهيئة الحاصلة من

---

(١) غير الحسّي هو العقلي ، اي لامتناع ان يدرك بالحس شيء من العقلي .

(٢) اي ووجه الشبه العقلي يجوز ان يكون طرفاه عقليين معاً ، او حسيين معاً ، او مختلفين : بأن يكون احدهما حسياً والآخر عقلياً ، فمثال ما كان طرفاه عقليين : العلم كالحياة في كونهما جهتي ادراك اي وسيلتين له ، ومثال الحسيين : سعد كالاسد في الجراءة ، ومثال المختلفين : العلم كالنور في الهداية ، فالمشبه معقول والمشبه به محسوس ، ومثال العكس : (النجوم كالسنن في عدم الخفاء) فان المشبه هنا محسوس والمشبه به معقول كما مر بنا آنفاً .

(٣) اي من المحسوس شيء معقول يقع التشبيه به ، فمتى كان احد الطرفين عقلياً كان الوجه عقلياً ، لجواز ادراك العقل شيئاً معقولاً من الحسي : اذ لا امتناع كما يقول السعد في مختصره (٣٥١/٣ شروح) في قيام المعقول بالمحسوس ، وادراك العقل من المحسوس شيئاً . ويريد السعد (بقيام المعقول) بالمحسوس اتصاف المحسوس بالمعقول كاتصاف الانسان بالعلم والايمان والشجاعة والاحسان ، فالقيام على معنى الاتصاف .

(٤) وذلك لأن صحة التشبيه تابعة لوجود وجه الشبه في الطرفين ، فاذا كان يوجد في العقليين والحسيين والمختلفين ، والحسّي لا يوجد الا في الحسيين كان محل الاول (التشبيه بالوجه العقلي) اعمّ : لعمومه الاقسام الثلاثة ، واختصاص الحسّي بواحد منها .

(٥) الذي هو من جملة اوجه الشبه ينقسم ايضاً باعتبار الطرفين تقسيما آخر وهو:

الحمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص في قول ذي الرمة(١):

وسقطٍ كعين الديك عاورت صاحبي اباها، وهيأنا لموقعها وكرا

وكالهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة الى مقدار مخصوص في قول أحيحة بن الجلاح أو قيس بن الأسلت(٢):

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود مُلاحيّة حين نوّرا

اما ان يكونا مفردين او أن مركبين، او ان المشبه مركب والمشبه به مفرد او العكس؛ والمراد بـ (المركب) هنا احد قسمي ما هو بمنزله المفرد، وهو ما كان تركيبه (اعتبارياً) لا حقيقياً: بأن يعتبر اجتماع عدة اشياء مختلفة لا يصدق كل واحد فيها على غيره، فينتزع منها هيئة تكون هي المشبه به او المشبه كما مر في بيت بشار.

والمراد (بتركيب وجه الشبه): ان تعمد الى عدة اوصاف لشيء فتنتزع منها هيئة تكون هي الجامع بين الطرفين، لا القسم الذي تركيبه ان تجمع بين شيئين او اشياء على ان يكون المجموع حقيقة واحدة معبراً عنها بلفظ واحد.

(١) غيلان بن عقبة العدوي (٧٧ - ١١٧)، والبيت في وصف الزند وما يتساقط منه و (عاورت) ناوبت، وكانوا لاستخراج النار يأتون بعودين يحكون احدهما بالآخر، ويسمون الاعلى (الاب) والاسفل (الام) والمراد من (الوكر) مقر الاشتعال من خشب أو غيره، والسقط وعين الديك حسيان — انظر الأسرار (ص ١٣٩).

(٢) ويرويه صاحب الاسرار (ص ٧٩ رابعة) لقيس بن الخطيم، وما هو في ديوانه المخطوط عندي، والصواب انه لابي قيس بن الاسلت كما رواه اللسان لا لقيس بن الاسلت كما رواه المصنف، واسمه عامر بن جشم الاوسي وهو من شعراء الجاهلية.

وإمّا (مركبان) : كالهيئة الحاصلة من هُويّ اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم في قول بشار(١) :

كأنّ مُثارَ النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وكالهيئة الحاصلة من تفرق اجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير في المرأى على سطح جسم أزرق صافي الزرقة في قول أبي طالب الرّقي(٢)

وكأنّ أجرامَ النجوم لوامعاً درٌ نُثرن على بساط أزرقِ

وإمّا (مختلفان)(٣) : كما في تشبيه الشاة الجبليّ بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر ، نابت على رأسه شجرتا غضي ، وكما مرّ في تشبيه الشقيق والنيلوفر(٤) .

---

(١) ابن برد ، وقد فاضل الجرجاني في أسراره (ص ١٥١ طبعة المنار الرابعة) بين قول بشار والمتنبي القائل :

(يزور الاعادي في سماء عجاجة أسنته في جانبيها الكواكبُ)

وعمرو بن كلثوم :

(تبني سنابكها من فوق أرؤسهم سقفاً كواكبه البيض المباتير)

وفضل بيت بشار الذي زاد عليهما بأن راعى مالم يراعياه ، وهو ان جعل الكواكب (تهاوى) فاتم الشبه ، وليرجع الى كتاب أسرار البلاغة ففيه من حسن المفاضلة مايستوقف العقول عجبا ، ويحرك القلوب طرباً .

(٢) وانظر ايضاً الى الصفحة (١٦٩ الرابعة) من كتاب اسرار البلاغة للجرجاني تجد فيها موضعاً للاستحسان .

(٣) احدهما مفرد والآخر مركب ، و (الشاة) الثور الوحشي قاله الجوهري .

(٤) ص ٢٠ من هذا الجزء .

ومن بديع هذا النوع — أعني المركب الحسي — مايجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين :

أحدهما : أن يُقرن بالحركة غيرُها من أوصاف الجسم كالشكل واللون كما في قوله(١) :

❀ والشمسُ كالمرآة في كف الأشلّ ❀

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق ، والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل من الاشراق ، بسبب تلك الحركة ، من التموّج والاضطراب حتى يُرى الشعاعُ كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي بدا له الى الانقباض، كأنه يجتمع من الجوانب الى الوسط ، فان الشمس اذا أخذ الانسان النظر اليها ليتبين جرمها ، وجدها مؤدية لهذه الهيئة، وكذا المرآة إذا كانت

---

(١) عزاه البهاء السبكي في عروسه (٣٦٦/٣ شروح) الى ابي النجم العجلي او ابن المعتز ونقل عنه الدسوقي ، ولم اجد هذا البيت من الرجز الا للجميح ابن اخي الشماخ في اراجيز العرب للبكري (ص ١٣٣) ، وذكر الدسوقي ان تمامه :

(لما رأيتها بدت فوق الجبل) ، وليس هذا في ارجوزة الجميح، وانما جاء الشاهد جملة حالية بين بيتين يصف بهما ثوراً وحشياً صبّ عليه الصائد كلابه المقلدات بسيور من جلود الصيد حيث يقول:

صبّ عليه قانص لما غفل والشمس كالمرآة في كف الاشل

مقلدات القد يقرون الدغل

في كف الأشل (١) :

ومثله قول المهلبي الوزير (٢) :

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب

فان البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها في الاستدارة، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة، كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها لما في طبعه من النعومة، ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء، وكما في قول الصنوبري (٣) :

كأن في غدرانها حواجباً ظلت تمط

---

(١) قال البهاء السبكي (٣/٣٦٧) : وقد اطبق الناس على استحسان هذا التشبيه، الا ان بعضهم اعترض عليه بأن الشلل فساد اليد فتمتنع عن الحركة، او تتحرك بحركة غير متناسبة، وكلاهما لا يحصل به التشبيه، انما كان يحصل بالارتعاش بان يقول : (والشمس مرآة بكف المرتعش).

(٢) هو ابو محمد الحسن بن هارون المهلبي، وزر لاحمد بن بويه سنة ٣٣٩، وكان من سروات الناس وادبائهم، وفيه يقول ابو اسحق الصابي :

لك في المجالس منطق يشفي الجوى ويسوغ في اذن الأديب سلافه

(٣) هو ابو بكر احمد بن محمد الضبي الحلبي المعروف بالصنوبري (— ٣٣٤) احد شعراء سيف الدولة، وليس هذا الشاهد في شعره المجموع في (الروضيات).

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال الماء كأنصاف دوائر صغار، ثم تمتد امتداداً ينقص من انحنائها، فينقلها من التقوّس الى الاستواء، وذلك أشبه شيء بالحواجب إذا امتدت لأن للحاجب — كما لا يخفى — تقويساً، ومدّه ينقص من تقويسه.

والوجه الثاني: أن تجرّد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم(١)، فهناك أيضاً لا بدّ من اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له، كأن يتحرك بعضه الى اليمين، وبعضه الى الشمال، وبعضه الى العلوّ، وبعضه الى السفل: فحركة الرحا والدّولاب والسهم لا تركيب فيها لاتحاد الحركة، وحركة المصحف في قول ابن المعتز(٢):

وكأن البرق مصحف قارٍ فانطباقاً مرة وانفتاحا

فيها تركيب: لأنه يتحرك في الحالتين الى جهتين(٣)، في كل حالة الى جهة؛ وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاض الجسم اليها أشدّ،

---

(١) كاللون والشكل وغيرها من الاوصاف.

(٢) انظر اسرار البلاغة (١٣١ منار رابعة).

(٣) باعتبار اليمين والشمال، فطرف المصحف الأيمن عند الانفتاح يتحرك الى اليمين، والطرف الأيسر الى الشمال، وحركة الطرفين عندئذ تكون من علو الى سفل، وفي الانطباق يتحرك كل طرف الى جهة الآخر وحركتها من سفل الى علو، وهذا معنى قوله: (في كل حالة الى جهة)، ووجه الشبه هو تقارن هذه الحركات مع تكررها.

كان التركيبُ في هيئة المتحرك اكثرَ ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى يصف السفينة في البحر وتفاذف الأمواج بها :

تَقص السفينُ بجانبيه كما ينزو الرُّباحُ خلاله كَسَرَعُ

قال الشيخ عبد القاهر (١) : الرُّباح الفصيل ، والكَرَع ماء السماء، شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوه . فان يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة، ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب ، وبحيث يدخل أحدهما في الآخر، فلا يتبينه الطرف مرتفعاً حتى يراه متسفلاً ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة، وهيئة حركاتها حين تتدافعها الأمواج .

ومنه قول الآخر (٢) :

حفت بسرو كالقيان تلحفت خضر الحرير على قوام معتدلْ
فكأنها ، والريح جاء يميلها تبغي التعانق ثم يمنعها الخجل

فان فيه تفصيلاً دقيقاً ، وذلك أنه راعى الحركتين : حركة التهيؤ

---

(١) في اسرار البلاغة (ص ١٥٩) . ومعنى (تقص) تثب ، وكان حق التعبير « خلال الكرع » بكسر الخاء فقلبه لوزن الشعر اعتماداً على فهم السامع .

(٢) البحر من الكامل ، ولا أعرف هذا الآخر من هو ؟ والضمير في (حفت) يعود لرياض يصفها ، وقد استشهد به امام البلاغة في اسراره ص ١٨٢ قائلا : المقصود من البيت الاول ظاهر ، وفي البيت الثاني تشبيه من جنس الهيئة المجردة من هيئات الحركة، وفيه تفصيل ظريف فاتن لخصه المصنف ، ولكني مع ذلك موصيك بالرجوع الى كلام الامام فان التلخيص قد ينافي الايضاح والتمحيص .

للدنو والعناق ، وحركة الرجوع الى أصل الافتراق ، وأدّى ما يكون في الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة : لأن حركة الشجرة المعتدلة في حال رجوعها الى اعتدالها أسرعُ لا محالة من حركتها في حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركةُ من يدركه الخجل فيرتدع ، أسرعُ من حركة من يهمّ بالدنو : لأن إزعاج الخوف أقوى أبدا من إزعاج الرجاء :

ومما مذهبه السهل الممتنع من هذا الضرب قول امرىء القيس :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

يقول : إن هذا الفرس لفرط مافيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى كفله في الحال التي ترى فيها لبته ، فهو كجمود صخر دفعه السيل من مكان عال : فان الحجر بطبعه يطلب جهة السفل لانها مركزه ، فكيف اذا أعانته قوة دفع السيل من عل ، فهو لسرعة تقلبه يُرى أحد وجهيه حين يرى الآخر :

وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون ، فمن لطيف ذلك قول أبي الطيب في صفة الكلب(١) :

---

(١) من ارجوزة في ديوان عزام (ص ١٢٠) يصف كلبا اخذ ظبيا بدون صقر منها :

يكاد في الوثب من التثقل يجمع بين متنه والكلكل

وبين اعلاه وبين الاسفل !

❀ يُقعي جلوسَ البدويِّ المصطلي ❀

إنما لطف من حيث كان لكل عضوٍ من الكلب في إقعائه موقعٌ خاصٌّ ، وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع ، ومنه البيت الثاني من قول الآخر في صفة مصلوب(١) :

كأنه عاشقٌ قد مدّ صفحته يومَ الوداعِ الى توديع مرتحلِ
أو قائمٌ من نعاسٍ فيه لوثته مواصلٌ لتمطيه من الكسلِ

والتفصيل فيه : أنه شبهه بالتمطي إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فيه . فنظر الى هذه الجهات الثلاث ؛ ولو اقتصر على انه كالتمطي كان قريب التناول : لأن هذا القدر يقع في نفس الرائي للمصلوب ابتداء ، لأنه من باب الجملة ، وشبيه بهذا القول قول الآخر(٢) :

= والضمير في (يقعي) يعود الى الكلب ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وقوع كل عضو من الكلب والبدوي المصطلي في موقع خاص ، وللمجموع صورة خاصة تتألف من تلك المواقع وتجمع بين طرفي التشبيه .

(١) وهما للأخيطل الاهوازي لا للاخطل كما نقله بعض شراح الشواهد ، وانشدهما الشيخ عبد القاهر في اسرار البلاغة (١٦٣) بدون عزو ، والضمير في (كأنه) يعود للمصلوب ، والمرتحل هو الحبيب ، واللوثة الاسترخاء والبطء ، وجملة (فيه لوثته) صفة ، و (مواصل) صفة بعد صفة ، ولم يلطف هذا القول كما في اسرار البلاغة الا لكثرة مافيه من التفصيل ، فارجع اليه ان كنت مفتوناً بأسرار البلاغة .

(٢) الزط طائفة هندية ، وقوله (من كل عال) اي من كل مصلوب عالٍ جذعه ، وبالشط صفة ، والضمير في (كأنه) للواحد من التسعين المصلوبين ، و (المشتط) المفرط =

لم أرَ صفاً مثل صف الزّط تسعين منهم صُلبوا في خطّ
من كل عالٍ جذعه بالشط كأنه في جذعه المشتطّ
أخو نعاسٍ جدّ في التمطي قد خامر النومَ ، ولم يُغطّ

والفرق بين هذا الأول: أن الأول صريح في الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها دون بلوغ الصفة غايةَ ما يمكن أن يكون عليها ، والثاني بالعكس ؛

قال الشيخ عبد القاهر: وشبيه بالأول في الاستقصاء قول ابن الرومي في المصلوب أيضاً(١) :

كأن له في الجوّ حبلاً يبوعه إذا ما انقضى حبلٌ أُتيح له حبلُ

فقوله : (اذا ما انقضى حبل أتيح له حبل) كقوله: (مواصل لتمطيه من الكسل) في التنبيه على استدامة الشبه : لأنه إذا كان لا يزال يبوع حبلا لم يَقبض باعه ولم يُرسل يدَه ، وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

والمركب العقلي(٢) : كالمنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذي هو على

=في طوله ، و (النوم) فاعل خامر اي خالط ، وغط النائم يغط غطيطاً كنخر ينخر نخيرا .

(١) يبوعه يقيسه بالباع ، كما أن يذرعه يقيسه بالذراع ، وبعده :

يعانق انفاس الرياح مودّعا وداعَ رحيلٍ لا يحطّ له رحلُ

(٢) وهذا هو القسم الثاني وهو وجه الشبه المركب الذي هو بمنزلة الواحد وهو عقلي .

عكس ما قدّر في قوله تعالى(١) : « والذين كفروا أعمالُهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآنُ ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفّاه حسابَه » شبّه ما يعمله من لا يَقرُن الايمانَ المعتبرَ بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله ، وتنجيه من عذابه ، ثم يَخيبُ في العاقبة أَمَلُه ، ويَلقى خلافَ ما قدّر ، بسراب يراهُ الكافر بالساهرة(٢) ، وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانيةَ الله عنده فيأخذونه ، فيعتلونه(٣) الى جهنم ، فيسقونه الحميمَ والغَساق(٤) ، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قُرن بعضها الى بعض ، وذلك أنه روعي من الكافر فعلٌ مخصوص ، وهو حسبان الأعمال نافعةً له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة ، وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الايمان به وبرسله عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئاً ، وأنهم يَلقون فيها عكس ما أمّلوه وهو العذاب الاليم ،

---

(١) وتتمة الآية : والله سريع الحساب » النور (٣٩) .

(٢) قال صاحب الاساس : ومن المجاز : قطعوا ساهرة : ارضا بسيطة عريضة يسهر سالكها .

(٣) وفي الاساس : عتله اذا أخذ بتلبيبه فجرّه الى حبس أو نحوه .

(٤) الحميم الماء الحار ، والغساق من غسقت العين اذا دمعت واظلمت ، ويراد به مايسيل من جلود اهل جهنم من الصديد الأسود .

وكذا في جانب المشبه به(١).

وكحرمان الانتفاع(٢) بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه كما في قوله تعالى: «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا» فانه أيضاً منتزعٌ من أمور مجموعة قُرن بعضها ببعض، وذلك أنه رُوعي من الحمار فعل مخصوص، وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً، وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم، وان الحمار جاهلٌ بما فيها، وكذا في جانب المشبه.

وقوع الخطأ في الانتزاع. — واعلم: أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يظن ان المقصود أمرٌ منتزع من بعضها، فيقع الخطأ(٣) لكونه أمراً

---

(١) فالجامع كون الشيء على صفة يتوهم نفعه، وهو في الباطن غير نافع بل ضار، وهو كما ترى وجه عقلي: أحد طرفيه وهو السراب عقلي وهمي، والآخر وهو الأعمال منها (حسي) كالصلاة والزكاة، ومنها (عقلي) كالاعتقاد، وكل ما كان في اطرافه حسي وعقلي كان وجهه عقليا، وقوله (وكذا في جانب المشبه به) وهو السراب بقيعة روعي فيه حسبان الظمآن له ماء فيجيئه فلا يراه شيئاً.

(٢) تمثيل ثان لوجه الشبه العقلي، قال البهاء السبكي في عروسه (٣/٣٧٦): واعلم ان ظاهر كلام المصنف ان الطرفين هنا حسيان وهما الكفار والحمار، وفي كتاب البلاغة لعبد اللطيف البغدادي انه من تشبيه المعقول بالمحسوس: لان حملهم التوراة ليس كالحمل على العاتق انما هو القيام بما فيها، ومثله بقوله تعالى «كمثل العنكبوت..»

(٣) من المتكلم لانه لم يأت بما يجب، أو من السامع لانه لم يتحقق ما قصده المتكلم مما يجب.

منتزعاً من جميعها كقوله(١) :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةٌ فلما رأوها ، أقشعت وتجلت

فانه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيهٌ مستقل بنفسه ، لاحاجة به الى الثاني ، على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة اليه ، ولكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر في التشبيه : أن يثبت ابتداءً مطمعاً متصلاً بانتهاء مؤيس ، وذلك يتوقف على البيت كله ؛

فان قيل : هذا يقتضي أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا : (زيد يصفو ويكدر) تشبيها واحداً ، لأن الاقتصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام : لأن الغرض منه وصف المخبر عنه بأن يجمع بين الصفتين ، وأن احداهما لاتدوم ؟

قلنا : الفرق بينهما ان الغرض في البيت ان يُثبت ابتداءٌ مطمع متصل بانتهاء مؤيس كما مرّ ، وكون الشيء ابتداء لآخر ، زائدٌ على الجمع بينهما وليس في قولنا (. . . يصفو ويكدر) اكثر من الجمع بين الصفتين ؛ ونظير البيت قولنا : (يصفو ثم يكدر) ، لافادة (ثم) الترتيب المقتضي ربط احد الوصفين بالآخر ؛

---

(١) البيت من الطويل ، ولا اعرف قائله ، وهو في اسرار البلاغة (الطبعة الرابعة ٨٨) والمعنى ابرقت الغمامة للقوم فحذف الجار واوصل الفعل ، ومعنى (اقشعت وتجلت) تفرقت وانكشفت .

وقد ظهر مما ذكرنا : ان التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيهَ المركب في مثل ما ذكرنا بأمرين : (احدهما) انه لا يجب فيها ترتيب ؛ و (الثاني) انه إذا حُذف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيده قبل الحذف، فاذا قلنا : (زيد كالاسد بأساً ، والبحر جوداً ، والسيف مضاءً) لا يجب ان يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص ، بل لو قدم التشبيه بالبحر ، او التشبيه بالسيف جاز ، ولو اسقط واحد من ثلاثة لم يتغير حالُ غيره في إفادة معناه .

والمتعدد الحسي : كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى(١) ؛

والمتعدد العقلي : كحدة النظر ، وكمال الحذر : وإخفاء السفاد في تشبيه طائر بالغراب(٢) .

والمختلف(٣) : كحسن الطلعة ونباهة الشأن في تشبيه انسان بالشمس .

و * اعلم * ان الطريق في اكتساب وجه الشبه ان يُميز عما عداه ،

---

(١) كما في تشبيه التفاح الحامض بالسفرجل ، والاوصاف الثلاثة الجامعة بين الفاكهتين حسية : فاللون يدرك بالبصر ، والطعم بالذوق والرائحة بالشم .

(٢) كما في تشبيه النسر بالغراب مثلا، هذا وحدة النظر الموجبة لادراك الخفيات ، وكمال الحذر من العدو ، واخفاء السفاد بين النوعين اوصاف عقلية .

(٣) الذي بعضه عقلي وبعضه حسي : فان حسن الطلعة يرجع الى اللون والشكل وهما محسوسان . ونباهة الشأن اي شرفه واشتهاره ، وهما لا يحسان بالبصر ولا غيره ، فالنباهة إذن عقلية .

فاذا اردت ان تشبه جسماً بجسم في هيئة حركة ، وجب ان تطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردتين عن الجسم وسائر اوصافه من اللون وغيره ، كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق ، فانه لم ينظر الى شيء من اوصافه سوى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض .

أداة التشبيه — وأما أداته فـ (الكاف)(١) في نحو قولك : زيد كالأسد ، و (كأنّ) في نحو قولك : زيد كأنه أسد ، و (مثل) في نحو قولك : زيد مثل الأسد ، وما في معنى مثل كلفظة (نحو) ، وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما :

والأصل في الكاف ونحوها : أن يليها المشبه به ، وقد يليها(٢) مفرد لا يتأتى التشبيه به ، وذلك إذا كان المشبه به مركباً كقوله تعالى(٣) : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح » : إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا

---

(١) قدم الكاف لأنها الأصل لبساطتها اتفاقا ، وتلزم الكاف (ما) قبل (أن) المفتوحة فيقال : (سعد قائم كما أن بشراً قائم) ، وذلك لكيلا يقع اللبس بينها وبين (كأن) التي هي من أخوات ان .

(٢) اي وقد يلي نحو الكاف غير المشبه به بحيث لايكون هناك لفظ مفرد هو المشبه به ، وذلك حيث يكون المشبه به حالة تركيبية كما في الآية التالية .

(٣) الكهف (الآية ٤٥) وتمتها : وكان الله على كل شيء مقتدرا .

بالماء، ولا بمفرد آخر يتمحّل لتقديره (١)؛ بل المراد: تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها، وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفاً (٢)، ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن:

وأما قوله عز وجل (٣): «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارَ الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين: مَن أنصاري الى الله؟» فليس منه، لأن المعنى: كونوا أنصارَ الله كما كان الحواريون أنصارَ عيسى حين قال لهم: مَن أنصاري الى الله؟:

وقد يذكر فعل ينبىء عن التشبيه كعلمت في قولك: (علمت زيداً أسداً) ونحوه. هذا إذا قُرِّب التشبيه (٤)، فإن بُعِّد أدنى تبعيد قيل: خلته وحسبته ونحوهما.

---

(١) أي يتكلف تقديره بنحو (نبات ماء)، فيكون قد ولي الكاف المشبه به تقديراً.

(٢) في الايضاح المطبوع (وارقا) وفي مخطوطة الظاهرية (وارفا)، والروايتان تصحان اذ يقال: شجرة وارقة أي: خضراء الورق حسنة، ونبات وارف أي: له بهجة من الري، ومعنى هاج النبت: أخذ في اليبس.

(٣) وتتمة الآية: «... قال الحواريون نحن انصار الله، فآمنت طائفة من بني اسرائيل، وكفرت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين.» الصف (١٤).

(٤) بأن يكون وجه الشبه قريب الادراك فيتحقق بأدنى التفات اليه لدلالة (علمت) على معنى التحقيق، بخلاف (خلته وحسبته)، لما في الخيلان والحسبان من الاشعار بالاحتمال وعدم التيقن والتحقق. ففي انبائهما عن التشبيه نوع خفاء يبعد عنا ادراك وجه الشبه: وهذا الذي ذكرناه بيان لكلام المصنف، وبعضهم يقول: فيه نظر، اذ=

نصوص وشواهد

على التشبيه وأركانه

تدريبات

١ ـــ جاء في الكتاب المبين : أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون . إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا . (الفرقان٤٤) .

٢ ـــ وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام . (الرحمن ٢٤) .

٣ ـــ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان . (الرحمن ٣٧)

٤ ـــ ومن حديث الأمين : أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم .

(رواه ابن المسيب عن عمر بن الخطاب)

=لا دلالة للعلم والحسبان على التشبيه ؛ وانما يدلان عليه على تقدير أداته ، ولو قيل : انه ينبيء عن حال التشبيه من القرب والبعد لكان اقرب الى الصواب .

(١) شبه المشركين الذين لايعقلون بالانعام بجامع الحرمان من العقل في الطرفين والأداة الكاف .

(٢) الطرفان السفن الجواري والاعلام ، ووجه الشبه ضخامتها . والأداة الكاف ، والدهان هو الجلد الاحمر الاملس ، والآية الثالثة كالثانية .

(٤) المشبه الاصحاب والمشبه به النجوم والوجه الاهتداء بهما والأداة الكاف أيضاً

٥ ـــ الانصار كرشي وعيبتي ، وان الناس سيكثرون ويقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام . (اخرجه الشيخان والترمذي)

٦ ـــ وقال الامام علي : مثل الذي يُعلمُ الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه .

٧ ـــ وقال العرندس البكري يمدح بني عمرو الغنويين

(الحماسة ٤/١٤٧ للمنذري) :

هينون لينون أيسارٌ ذوو كرم سوّاس مكرمة أبناء أيسار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

٨ ـــ وقال ابن المعتز في وصف الهلال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد

---

(٥) الانصار مشبه والكرش والعيبة المشبه به ، فالتشبيه بليغ لفقد الوجه والأداة وشبه الانصار أيضاً بالملح في الطعام بجامع القلة في كل ، والأداة الكاف .

(٦) شبه الامام معلم الخير الذي لا يعمل به وهو المشبه، بالسراج يضيء ويحرق نفسه وهو المشبه به ، والوجه الضرر في كل، والاداة مثل ، والطرفان مقيدان .

(٧) شبه الغنويين المماثلين في السيادة والهداية بالنجوم المماثلة يهتدي السارون بها ليلاً ، فالغنويون (المشبه) والنجوم (المشبه به) والهداية (وجه الشبه) . وانظر الى روعة التشبيه بالنجوم تشعر بالسرور والأريحية .

(٨) شبه صورة الهلال خلف الثريا (المشبه) بصورة جائع قد فغر فمه لالتقام عنقود أمامه (المشبه به) ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من صورة قوس وراء مجموعة من كرات بيض صغيرة على كيفية مخصوصة .

يتلو الثريا كفاغر فمه ... يفتح فاه لاكل عنقود

٩ — وقال ابن الرومي في خباز :

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به ... يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرةً ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرةٌ ... في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

١٠ — وقال ابو تمام في مغنية فارسية :

ولم أفهم معانيها ولكن ... ورت كبدي فلم اجهل شجاها
فبتُّ كأنني أعمى معنّى ... يحب الغانيات ولا يراها

١١ — وقال ابن سينا :

إنما النفس كالزجاجة والعلـ ... ـم سراجٌ وحكمة الله زيتُ
فاذا أشرقت فانك حيّ ... واذا أظلمت فانك ميتُ

---

(٩) (المشبه) هنا : حال كرة من العجين في يد الخباز تنبسط ثم تستدير بسرعة و (المشبه به) ، حال دائرة على صفحة الماء تنشأ صغيرة حين القاء حجر فيه، ثم تنبسط سريعاً ، و (وجه الشبه) : الهيئة الحاصلة من انبساط شيء مستدير صغير تتسع دائرته بسرعة ، وهو تمثيل جميل كالمثال السابق لان وجه الشبه منتزع من متعدد .

(١٠) وفي قول ابي تمام هذا ، تمثيل رائع أيضاً لانه يشبه حاله وقد أثار نغم الفارسية الشجي كوامن أشجانه ، بحال أعمى يحب الغواني ولا يرى من محاسنهن شيئاً ، ووجه الشبه صورة قلب يتأثر بما لا يدرك حقيقته .

(١١) النفس مشبه والزجاجة مشبه به ، والاداة الكاف ، وسائر التشابيه بليغة .

تمرينات

(٢)

بيّن أركان التشبيه مع التفصيل في التشبيهات التالية :

١ ـــ جاء في الكتاب المبين : وأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم .

٢ ـــ وفي الحديث : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا .

٣ ـــ وقال ابن الرومي :

هذي الشقائق قد ابصرت حمرتها ... مع السواد على قضبانها الذللِ
كانها أدمعٌ قد غسلت كحلا ... جادت بها وقفة في وجنتي خجل

٤ ـــ وقال ابو العلاء المعري :

ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمانِ
هرب النوم من عيوني فيها ... هرب الامن عن عيون الجبان

٥ ـــ وقال القاضي الأرّجاني :

وليلة مشتاقٍ كان نجومها ... قد اغتصبت عيني الكرى فهي نُوّمُ
كان سواد الليل والفجر ضاحك ... يلوح ويخفي : اسودٌ يتبسم

٦ ـــ وقال ابو القاسم التنوخي :

وليلةٍ كأنها طول الامل ... ظلامُها كالدهر مافيه خلل

كأنما الاصباح فيها باطل أزهقه الله لحق فبطل
ساعتها اطول من يوم النوى وليلة الهجر وساعات العذل
مؤصدة على الورى أبوابها كالنار لايخرج منهامن دخل

وبيّن نوع كل من الطرفين في التشبيهات التالية :

١ ـــ قال ابو الطيب يمدح علي بن ابراهيم التنوخي (ديوان عزام ٨٧) :

قوم بلوغ الغلام عندهم طعن نحور الكماة لا الحلم
اذا تولوا عداوة كشفوا وان تولوا صنيعة كتموا
تشرق أعراضهم وأوجههم كانها في نفوسهم شيم

٢ ـــ ولابن شرف القيرواني (النتف ٢٦) :

ودوحة نارنج بهتنا بحسنها وقد نشرت اغصانها بتأود
ونارنجها فوق الغصون كانه نجوم عقيق في سماء زبرجد

٣ ـــ ولابي الحسن العقيلي (اليتيمة ١/٤١٦ المنذري) :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقامة أغيد
اذاميلتها الريح مالت كاكرة بدت ذهباً في صولجان زمرد

٤ ـــ ولابي الغنائم الحمصي :

خودٌ كان بنانها في خضرة النقش المزرّد
سمك من البلور في شبك تكوّن من زبرجد

الاعراب البياني

ولابي الفتح كشاجم في وصف روضة جادها الغيث :

وروضٍ عن صنيع الغيث راض كما رضي الصديق عن الصديق
يعير الريح بالنعمات ريحاً كأن ثراه من مسك فتيق
كأن الطل منتشراً عليه بقايا الدمع في الخد المشوق

روض راض : مسند اليه ومسند .

عن صنيع الغيث : قيد ، ولعله قدم على المسند (راض) لتخصيصه أو للاهتمام به .

رضي الصديق : مسند ومسند اليه، والاسناد خبري في الشطرين ، وضربه ابتدائي فيهما .

عن الصديق : قيد للمسند .

وقد شبه رضا الروض عن الغيث الذي انعشه برضا الصديق عن صديقه وهو تشبيه ساحر نادر ، ووجه الشبه الانتعاش في كل من الطرفين ، ولكن تشبيه الثرى بالمسك مطروق غير نادر ؛ وأما البيت الثالث فان تشبيه الطل منتشراً على ورد الروض ببقايا دمع في الخد المشوق هو تشبيه رشيق دقيق ، وقد ابدع فيه كشاجم الابداع كله ،

ووجه الشبه انتشار القطر في كل من الطرفين على الورد والخد الذي يحاكيه .

للتمرين

اعرب البيت التالي اعراباً بيانياً ذاكراً مافيه من الاسناد واركان التشبيه :

وكأن إيماض السيوف بوارقٌ وعجاجَ خيلهم سحابٌ مظلمُ

❀❀❀

أغراض التشبيه . — وأما الغرض من التشبيه فيعود في الأغلب الى المشبه(١) ، وقد يعود الى المشبه به: أما ﴿الأول﴾ فيرجع الى وجوه مختلفة

❀ منها **بيان أن وجود المشبه ممكن** : وذلك في كل أمر غريب يمكن ان يخالف فيه ويُدّعى امتناعه كما في قول أبي الطيب(٢) :

فان تفق الانام ، وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

أراد أنه فاق الأنام في الأوصاف الفاضلة الى حدٍ بطل معه أن يكون واحداً منهم ، بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الانسان. وهذا — أعني أن يتناهى بعض أفراد النوع في الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها — أمرٌ غريب يفتقر مَن يدعيه إلى إثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجيء الى اثبات وجوده في الممدوح فقال: (فان المسك بعض دم الغزال)، أي ولا يعدّ في الدماء : لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا يوجد شيء منها في الدم ، وخلوّه من الأوصاف التي لها كان الدم دماً ، فأبان أن لما ادعاه أصلاً في الوجود على الجملة(٣) .

---

(١) لانه هو المحكوم عليه ، ولأن التشبيه بمنزلة القياس في ابتناء شيء على آخر ، ولذلك كان الوجه أن يعود الغرض الى المشبه في الاستعمال الأغلب .

(٢) ديوان عزام (ص ٢٥٨) من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة ، وقبله :

رأيتك في الذين أرى ملوكا كأنك مستقيم في محال

(٣) قيل : ان هذا المعنى لم يسبق المتنبي اليه احد ، فقال ابن وكيع : لا أعرفه منظوماً ، لكن وجدته منثوراً ، وهو : الناس يتفاضلون تفاضل الدماء : منها مسك يباع ، ومنها علق يضاع » .

❀ ومنها **بيان حاله** : كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد ، إذا عُلم لونُ المشبه به دون المشبه(١) .

❀ ومنها **بيان مقدار حاله** في القوة والضعف والزيادة والنقصان كما في قوله(٢) :

❀ مدادُه مثلُ خافيةِ الغرابِ ❀

وعليه قول الآخر(٣) :

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كقابضٍ على الماءِ خانته فروجُ الأصابعِ

أي بلغتُ ، في بوار سعيي في الوصول اليها وأن أمتع بها ، أقصى الغايات حتى لم أحظَ منها بما قلَّ ولا بما كثُر .

❀ ومنها **تقرير حاله في نفس السامع** : كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء(٤) . وعليه قوله عزوجل(٥) : « وإذ نَتقنا الجبلَ فوقهم كأنه ظُلة » فانه بيّن مالم تجر به العادةُ بما جرت به العادة .

---

(١) كما لو علم السامع لون الثوب الحاضر ، وهو المشبه به ، وجهل حال الثوب الغائب ، وهو المشبه مثلا ، فقال لك : مالون الغائب ؟ فأنك تقول له لبيان حاله : (ذلك الثوب الغائب كهذا الحاضر في سواده) أو في غيره من الألوان .

(٢) هو صدر بيت للحسن بن وهب ، وعجزه : (وأقلام كرهفة الحراب) .

(٣) لم ينسب في أسرار البلاغة هذا البيت الى أحد ، ولعجزه في أمثال الميداني (٢/٦٣) رواية اخرى : (... على الماء لايدري بما هو قابضُ) .

(٤) كقول الشاعر : (اذا انا عاتبت الملول كأنما أخطّ بأقلامي على الماء أرقم

(٥) وتتمة الآية (اعراف ١٧١) : « ... وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم =

وهذه الوجوه تقتضي أن يكون وجهُ الشبه في المشبه به أتمّ[١]، وهو به أشهر، ولهذا ضُعّف قولُ البحتري[٢]:

على باب قنسرين والليل لاطخ جوانبه من ظلمة بمدادِ

فانه ربّ مدادٍ فاقد اللون، والليلُ بالسواد وشدته أحقُّ وأحرى، ولهذا قال ابن الروميّ:

حبرُ أبي حفصٍ لُعاب الليلِ يَسيلُ للاخوان أيّ سيلِ

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل، فكأنه[٣] نظر الى قول العامة في الشيء الأسود هو كالنقس، ثم تركه للقافية الى المداد.

❀ ومنها **تزيينه للمرغَب فيه**: كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي،

❀ ومنها **تشويهه للمتنفر عنه**: كما في تشبيه وجه مجدور بسلحةٍ جامدة

بقوة، واذكروا مافيه لعلكم تتقون»، ومعنى (نتقنا الجبل) رفعناه، قال البهاء السبكي (٣/٣٩٨) شروح. وفيه نظر، وينبغي ان يكون هذا من الوجه الأول، لان المشبه حال الجبل في ارتفاعه عليهم، والمشبه به حال الظلة في ارتفاعها، فالغرض من التشبيه بيان امكان المشبه، فهو كقوله: (كما علا برسول الله عدنان)، وهو الموافق لقول المصنف: بين ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة.

(١) أي: أتمّ منه في المشبه، وقوله: (وهو به أشهر) أي: والمشبه بوجه الشبه أشهر عند السامع، لان المشبه به لأجل توضيح التشبيه يجب ان يكون اكثر وضوحاً.

(٢) ديوان الحوائب (١/٢٤٧) وهو من قصيدة في مدح أبي مسلم البصري وقبله

وليلتنا، والراح عجلى يحثها فنونٌ غناء للزجاجة حاد

و (على باب) متعلق بخبر (ليلتنا).

(٣) الضمير عائد الى البحتري، والنقس الآتي ذكره بكسر النون وهو المداد.

قد نقبتها الديكة . وقد أشار الى هذين الغرضين(١) ابن الرومي في قوله:

تقول : هذا مُجاجُ النحل تمدحه وان تعب قلت : ذا قيء الزنابير

❀ ومنها استطرافه(٢) : كما في تشبيه فحم فيه جمرٌ موقدٌ بحر من من المسك موجه الذهب لابرازه في صورة الممتنع عادةً(٣) .

وللاستطراف وجه آخر : وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور ، إما مطلقاً كما مرّ(٤) ، وإما عند حضور المشبه كما في قوله(٥)

ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حُمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في اطراف كبريت

فان صورة اتصال النار باطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب ؛ وإنما النادر حضورها

---

(١) أي التزيين والتشويه .

(٢) اي ومن أغراض التشبيه (استطرافه) اي عدّ المشبه طريفاً بديعاً ، وذلك لان لكل جديد لذة .

(٣) وان امكن عقلا ، ولا شك ان ابراز الشيء المبتذل في صورة الممتنع موجب لاستطرافه . قال المحقق المغربي في مواهبه (٣/٤٠٣) : ويحتمل ان يكون بالظاء المشالة ، فالمراد باستظرافه جعله ظريفاً ، أي جميلا حسناً بالوجه المذكور .

(٤) في تشبيه الفحم وفيه جمر موقد .

(٥) قال الدسوقي في حاشيته البيتان لابن الرومي كما في شرح الشواهد . ويروى البيتان هكذا :

بنفسج جمعت اوراقه فحكى كحلاً تشرّب دمعاً يوم تشتيت

كأنه وضعاف القضب تحمله أوائل النار في اطراف كبريت

وقد عزاها السعد في مطوله لأبي العتاهية ، والصواب انهما لابن المعتز .

عند حضور صورة البنفسج ، فاذا أحضر مع صحة الشبه استُطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما ، ومما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال: أنشدني عدي(١) : ❀ عرف الديار توهما فاعتادها ❀

فلما بلغ الى قوله : ❀ تُزجي أغنّ كان إبرة روقه ❀

رحمته ، وقلتُ : قد وقع ، ما عساه يقول ؟ وهو أعرابي جلف جافٍ ! فلما قال :

❀ قلمٌ أصاب من الدواة مدادها ❀

استحالت رحمتهُ حسداً ، فهل كانت رحمته في الاولى والحسد في الثانية ، إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في اول الفكر شبهٌ ، وحين أتمه صادفه قد ظفر باقرب صفة من أبعد موصوف ؟

وذكر الشيخ عبد القاهر(٢) للاستطراف في تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر ، وهو أنه أراك شبهاً لنبات غض يرف ، وأوراق

---

(١) هو عدي بن الرقاع العاملي ، كان ينزل دمشق ، وكان شاعراً مطبوعاً ، قال القتبي : ومن أحسن من وصف ظبية وولدها بقوله (تزجي أغن . . .) ، وأخباره في الاغاني ٨ / ١٧٩ ، والشعر والشعراء ٣٩١ أو ١٤٥ .

(٢) في أسرار البلاغة (١١٠ طبعة المنار الرابعة) ، ثم يقول الامام : ولو أنه شبه البنفسج ببعض النبات ، او صادف له شبها في شيء من المتلونات ، لم تجد له هذه الغرابة ولم ينل من الحسن هذا الحظ .

رطبةٍ من لهب نار في جسم مستولٍ عليه اليبس. ومبني الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له، كانت صبابة النفوس به أكثر، وكان الشغف به أجدر.

وأمّا ﴿ الثاني ﴾ فيكون في الغالب ايهام ان المشبه به أتمّ من المشبه في وجه الشبه، وذلك في **التشبيه المقلوب**. وهو أن يكون الأمر بالعكس كقول محمد بن وهيب(١):

وبدا الصباحُ كأن غرتَه وجه الخليفة حين يمتدح

فانه قصد ايهام أن وجه الخليفة أتمّ من الصباح في الوضوح والضياء **واعلم** أن هذا، وان كان في الظاهر يشبه قولهم: (لا أدري، أوجهه أنور أم الصبح، وغرته أضوأ أم البدر؟)، وقولهم اذا أفرطوا: (نور الصباح يخفى في ضوء وجهه)، أو: نور الشمس مسروقٌ من نور جبينه)، ونحو ذلك من وجوه المبالغة، فان في الأول(٢) خلابةً، وشيئاً

---

(١) الحميري، وقبل هذا البيت:

حتى استرد الليل خلعته وبدا خلال سواده وضح

وانما كان هذا التشبيه مقلوباً: لانا علمنا أن مقصود الشاعر منه انما هو تشبيه الخليفة بالصباح لا العكس.

(٢) اي في طريقة التشبيه المقلوب من الخلابة والسحر ما ليس في مثل قولهم: (اوجهه انور ام الصبح).

من السحر ليس في الثاني، وهو أنه يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة، ويوهم أنه احتشد له واجتهد في تشبيه يفخم به أمره، فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها(١): لأنه وضع كلامه وضعَ من يقيس على أصل متفق عليه، لا يُشفق من خلاف مُخالفٍ، وتهكم متهكمٍ، والمعاني، اذا وردت على النفس هذا المورد، كان لها نوعٌ من السرور عجيب، فكانت كالنعمة التي لا تكدرها المنة، وكالغنيمة من حيث لا تحتسب(٢).

وفي قوله: (حين تمتدح) **فائدة شريفة** وهي الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد الا فيمن هو كامل في الكرم من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه، وقصد له من تفخيم شأنه في عيون الناس بالاصغاء اليه، والارتياح له، والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده،

ومنه(٣) قوله تعالى حكايةً عن مستحلي الربا: «انما البيع مثل الربا

---

(١) وعبارة الشيخ عبد القاهر: ويزجي الخبر عن امر مسلم لا حاجة فيه الى دعوى.

(٢) وكل هذه العبارات مقتبسة بتصرف وايجاز من اسرار البلاغة (١٩٥ طبعة المنار الرابعة).

(٣) اي: ومن التشبيه المقلوب قوله تعالى: «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف، وأمره الى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون». سورة البقرة (٢٧٥).

فان مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع : إذ الكلام في الربا لافي البيع ، فخالفوا لجعلهم الربا في الحل أقوى حالاً من البيع وأعرف به؛

ومنه قوله عز وجل(١) : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » ، فان مقتضى الظاهر العكس : لأن الخطاب للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى ، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ،فخولف (٢) في خطابهم : لأنهم بالغوا في عبادتها وغلوا حتى صارت عندهم أصلا في العبادة ، والخالق سبحانه فرعاً ، فجاء الانكار على وفق ذلك .

وقال السكاكي(٣) : عندي أن المرادِ (من لايخلق) الحيّ العالم القادر من الخلق ، تعريضاً بانكار تشبيه الاصنام بالله عز وجل ، وقوله : (أفلا تذكرون) تنبيه توبيخ عليه ؛ ونحوه قوله تعالى(٤) : أرأيت من اتخذ الهه هواه » بدل (أرأيت من اتخذ هواه إلهه)(٥) :

وقد يكون الغرض العائد الى المشبه به **بيان الاهتمام به** كتشبيه

---

(١) والآية بتمامها : « أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون » . النحل (١٧) ، والاستفهام انكاري لمزيد التوبيخ فيه .

(٢) اي فخولف مقتضى الظاهر في خطابهم .

(٣) في مفتاحه (ص ١٨٤) ونص عبارته : وعندي ان الذي تقتضيه البلاغة القرآنية هو ان يكون المراد بمن لا يخلق . . .

(٤) في سورة الفرقان (٤٣) : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه ، أفأنت تكون عليه وكيلا » .

(٥) ذلك لأنه اراد انه مثله في قلب التشبيه ، وهو ظاهر كلام صاحب المفتاح لقوله : ان هذه الآية مصبوبة في هذا القالب .

الجائع(١) وجهاً كالبدر في الاشراق والاستدارة بالرغيف: إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لاغير ، وهذا(٢) يسمى **اظهار المطلوب** .

قال السكاكي(٣) : ولايحسن المصيرُ اليه الا في مقام الطمع في تسنّي المطلوب كما يحكى عن الصاحب(٤) أن قاضي سجستان دخل عليه فوجده الصاحب متفنناً ، فأخذ يمدحه حتى قال :

❀ وعالم يعرف بالسجزي ❀

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحداً بعد واحد الى أن انتهت النوبة الى شريف في البين (٥) فقال :

❀ أشهى الى النفس من الخبز ❀

فأمر الصاحب أن تقدم له مائدة ! هذا كله اذا اريد الحاق الناقص في وجه الشبه حقيقةً أو ادعاء بالزائد(٦) ،

---

(١) من اضافة المصدر لفاعله ، و (وجها) مفعول به لتشبيه المضاف الى الجائع .

(٢) اي وهذا الغرض يسمى (اظهار المطلوب) ، وهي تسمية اصطلاحية .

(٣) في المفتاح (ص ١٨٥ طبعة الآدبية الأولى) ، و (تسني المطلوب) تيسره وحصوله ، وفي الاساس : وسنيت لك الأمر يسرته، قال الشاعر :

« فلاتيأسا واستغورا الله انه ❀ اذا الله سنى عقد أمر تيسرا »

(٤) ابن عباد ، وقاضي سجستان هو ابو الحسن عمر السجزي النوقاني (اليتيمة ٤ / ٣٤٢ المنذري) ، و (السجزي) نسبة لسجزاسم سجستان .

(٥) اي بين الندماء الحاضرين . قال البهاء السبكي (٣ / ٤١١ شروح): وقد يعترض عليه بأن هذا افعل التفضيل لا تشبيه ، وقد يجاب بأمرين : احدهما : انه ليس المراد انه تشبيه بل تمثيل : لأن الانسان يسري ذهنه لما فيه ، والثاني : انه قد يجعل افعل التفضيل كله تشبيهاً كما تقدم عن الطيبي .

(٦) يؤيد أن ما تقدم كله مفروض فيما إذا أريد الحاق الناقص بالزائد حقيقةً في=

الحكم بالتشابه — فان اريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر ، فالاحسن ترك التشبيه الى الحكم بالتشابه ليكون كل واحد من الطرفين مشبهاً ومشبهاً به ، احترازاً من ترجيح احد المتساويين على الآخر كقول أبي اسحق الصابي :

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي ... فمن مثل مافي الكاس عيني تسكبُ

فوالله ما أدري : أبالخمر أسبلت ... جفوني ، أم من عبرتي كنت اشرب

وكقول الآخر(١) :

رقّ الزجاج ورقت الخمر ... وتشابها فتشا كل الامرُ

فكأنما خمرٌ ولا قدح ... وكأنما قدحٌ ولا خمر

ويجوز التشبيه أيضاً كتشبيه غُرّة الفرس بالصبح ، وتشبيه الصبح بغرة الفرس متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه(٢) . وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، أو الدينار الخارج من السكة كما قال(٣) :

= التشبيه المستقيم ، أو ادعاء في التشبيه المقلوب .

(١) وهو الصاحب ابن عباد ، والبيتان من الكامل . من ثاني العروض الثانية وهما في اليتيمة (٣ـ٢٥٩ المنذري) والرواية فيها (فتشابها).

(٢) من غير قصد الى المبالغة والتفاوت بينهما : لأن غرة الفرس والصبح متفاوتان في الواقع ، ولو قصد المتكلم التفاوت لوجب أن يجعل الغرة مشبهاً والصبح مشبهاً به ، وهذا الضرب من التشابه يختلف عن القسم الذى قبله حيث يقصد تساويهما تساوياً لا تفاوت فيه أصلاً .

(٣) القائل ابن المعتز كما في أسرار البلاغة (ص ١٩٣ ط المنار الرابعة)

وكأن الشمس المنيرة دينا ر جلته حدائد الضراب

وتشبيه المرآة المجلوّة أو الدينار الخارج عن السكة بالشمس متى أريد استدارةُ متلألىء متضمن لخصوص في اللون ، وان عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة، ونور الشمس ونور المرآة والدينار ، وبين الجرمين ، فانه ليس شيء من ذلك بمنظور اليه في التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في الظلام بعلم ابيض على ديباج اسود في قول ابن المعتز:

والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم

فانه تشبيه حسن مقبول ، وان كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطراز في الامتداد والانبساط شديداً ؛

تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه — وأما تقسيم التشبيه فباعتبار طرفيه أربعة أقسام(١) :

﴿ الأول ﴾ : تشبيه المفرد بالمفرد ، وهو ما طرفاه مفردان : إما **غير مقيدين**(٢) كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله تعالى(٣) : « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » . فان قلت ما وجه الشبه في الآية ؟

---

(١) بعد أن أتمّ المصنف كلامه في الطرفين والوجه والأداة شرع في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين .

(٢) والمراد هنا بالقيد ماله مدخل في التشبيه احترازاً من مثل : (خد دعد كهذا الورد) .

(٣) في سورة البقرة (١٨٧) .

— قلت : جعله الزمخشري[1] حسياً ، فانه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ، ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه ، شُبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنّت فكانت عليه لباسا

وقيل : شُبه كل واحد منهما باللباس للاخر ، لانه يصونه عن الوقوع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة[2] .

وإما **مقيدان**[3] كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شيء : (هو كالقابض على الماء ، وكالراقم في الماء) : فان المشبه هو الساعي ، لا مطلقاً ، بل مقيّدا بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض او الراقم لا مطلقاً ، بل مقيداً بكون قبضه على الماء أو رقمه فيه : لان وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقم فيه كذلك : وكذلك القصدُ بالرقم في الشيء أن يبقى أثره فيه ، فاذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالقيد في هاتين الصورتين هو الجار والمجرور ونحوهما ؛

---

(١) في كشافه (١ — ١١٥ ط التجارية) ، واستشهد لعبارته هذه المقتبسة ببيت النابغة الجعدي ، وهو جاهلي ، واخباره متفرقة في أسد الغابة ٢ — ٥ ، والاستيعاب ، والاصابة ، والاغاني ٤ — ١٨٢ والخزانة ١ — ٥٠٩ ، والقتبي (١ — ٢٤٧ : احمد شاكر) ، والجمحي ٢٦ والموشح ٦٤ ، والمؤتلف ١٩١ ومعجم المرزباني ٣٢١ والآلي ٢٤٧ وغيرها .

(٢) فوجه الشبه على هذا القول الثاني عقلي لا حسي كما جعله الزمخشري

(٣) أي مفردان مقيدان .

وقولهم : (هو كمن يجمع سيفين في غمدٍ) ، وقولهم : (هو كمبتغي الصيد في عرّيسة الاسد)، وقد يكون حالا[١] كقولهم : (هو كالحادي وليس له بعير) ؛

ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر[٢] :

إني وتزييني بمدحي معشراً كمعلقٍ درّاً على خنزيرِ

فان المشبَّه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فتعلقُ التزيين أعني قوله : (بمدحي) داخلٌ في المشبه ، والمشبه به (من يعلق درّاً) بقيد أن يكون تعليقه إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلته ، وهو ان كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر : لان الشيء غير قابل للتزيين ، فالواو في قوله : (وتزييني) بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال تقديره : إني كذا ، وان تزييني كذا : لانه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم[٣] والآخر عن تزييني) ، لا يقال تقديره : إني كمعلقٍ درّاً على خنزير ، وان تزييني بمدحي معشراً كتعليق درٍ على خنزير: لانه لا يُتصوّر ان يشبّه المتكلم

---

(١) أي وقد يكون القيد حالاً كجملة (وليس له بعير) .

(٢) ليس هذا البيت معزوّاً في اسرار البلاغة (١٧٤ ط المنار الرابعة) وكلام المصنف مقتبس بتصرف من الأسرار .

(٣) في (أني) من قول الشاعر ،وهو الضمير المعطوف عليه ، و (تزييني) المعطوف

نفسه من حيث هو هو (١) بمعلق درّاً على خنزير ، بل لابد ان يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشراً :

وإما مختلفان(٢) ، والمقيد هو المشبه به كقوله(٣)

❀ والشمسُ كالمرآة في كف الاشل ❀

فان المشبه هو (الشمس) على الاطلاق ، والمشبه به هو (المرآة) لاعلى الاطلاق ، بل بقيد كونها في يد (الاشل) : أو على عكس ذلك كتشبيه المرآة في كف الاشل بالشمس :

﴿ الثاني ﴾(٤) : تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان كما في قول البحتري(٥) :

---

(١) وعبارة الامام عبد القاهر (اسرار ١٧٥) : من حيث هو زيدمثلاً بمعلق الدر على الخنزير من حيث هو عمرو ، وانما يشبه الفعل بالفعل فاعرفه .

(٢) في التقيد وعدمه بأن يكون أحدهما مقيداً والاخر غير مقيد

(٣) مرّ بنا شاهداً على المركب الحسي ص٣٨ وهو في أساس البلاغة ص ١٥٧

(٤) وقد سبق ذكره في تقسيم وجه الشبه (ص٣٧) ، فلو أن المصنف أخره الى هذا الموضع لكان أولى .

(٥) ديوان الجوائب ١ ـ ٢٢٦ ، والبيت من قصيدة يمدح بها محمد بن عبدالله ابن طاهر يصف بها جواداً ادهم يستهديه منه ، وقبله :

أراجعتي يداك بأعوجيّ كقدح النبع في الريش اللؤام
بأدهم كالظلام أغرّ يجلو بغرته دياجير الظلام

وبيت البحتري هذا من شواهد أسرار البلاغة ١٧٠ ، وكلام شيخنا المصنف عليه مقتبس منه بتصرف ينافي الايضاح .

ترى اجماله يصعدن فيه صعود البرق في الغيم الجهام

لا يريد به تشبيه بياض الحجول على انفراد بالبرق ، بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين بالآخر ، وكذلك المقصود(١) في بيت بشار ،ولذلك وجب الحكم بأن (أسيافنا) في حكم الصلة للمصدر، ونصبُ (الاسياف) لا يمنع من تقدير الاتصال : لان الواو فيها بمعنى مع كقولهم : (لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها)(٢) ؛ ومما ينبه على ذلك أن قوله : (تهاوى كواكبه) جملة وقعت صفة الليل ، فان الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدةً بشأنها لقال : ليل وكواكب ؛

وأما قولُ امرىء القيس(٣) :

---

(١) وعبارة الاسرار (ص ١٧١): كذلك اللون المقصود في بيت بشار (ص ٣٧ من هذا الجزء) بتشبيه النقع بالليل من جانب ،والسيوف بالكواكب من جانب،ولذلك وجب الحكم بأن الكلام الى قوله (واسيافنا) في حكم الصلة للمصدر وجار مجرى الاسم الواحد لئلا يقع في التشبيه تفريق ، ويتوهم أنه كقولنا : كأن مثار النقع ليل ، وكأن السيوف كواكب.

(٢) فان هذا القول كما في الاسرار (ص ١٧١): « لا يكون بمنزلة أن تقول: لو تركت الناقة ، ولو ترك فصيلها ، فتجعل الكلام جملتين ، ... كما يجوز في قولك (زيد وعمرو كريمان) أن تقول : زيد كريم وعمرو كريم »

(٣) هو في الديوان (ص ١١٢ سندوبي)، وفي معاهد التنصيص ٢/٧٠ بتحقيق صديقنا المنذري .

كأنّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي

فهو على خلاف هذا(١) : لأنّ أحدَ الشيئين فيه في الطرفين معطوف على الآخر ، أمّا في طرف المشبه به فبيّنٌ ، وأمّا في طرف المشبه : فلأن الجمع في المتفق كالعطف في المختلف ، فاجتماع شيئين أو أشياء في لفظ تثنية أو جمع لا يوجب أن أحدَهما أو أحدَها في حكم التابع للآخر ، كما يكون ذلك إذا جرى الثاني صفةً للأول ، أو حالاً منه ، أو ما أشبهَ ذلك ، وقد صرح بالعطف فيما أجراه بياناً له من قوله : (رطباً ويابساً) ، وهذا القسم ضربان :

أحدهما : ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقوله (٢) :

غدا ، والصبحُ تحتَ الليل بادٍ كطرفِ أشهبٍ مُلقَى الجلالِ

---

(١) لأنه يؤتى - على طريق العطف أو غيره - بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها ، وليس لاجتماعها هيئة مخصوصة يقصد تشبيهها ، ولذا قال صاحب الاسرار (ص ١٦٩) : « فاعلم ان ما كان من التركيب في صورة بيت امرىء القيس فانما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا لأن للجمع فائدة في عين التشبيه . »

(٢) ليس هذا الشاهد معزوّاً في اسرار البلاغة (١٤٧) والطرف بكسر الطاء : الفرس الكريم ، والشهبة لون بياض يصدعه سواد في خلاله ، وجلال الدابة معروف ، وقال صاحب الاسرار : « اراد ان يأتي بنظير للهيئة المشاهدة من مقارنة احدهما الآخر ، ولم يرد ان يشبه الصبح على الانفراد والليل على الانفراد » ، وبقية كلام الامام تزيل ما بقي من ابهام .

فان (الجلال) فيـه في مقابلة (الليل) ، ولو شبه به لم يكن شيئاً ، وكقول الآخر(١) :

كأنما المرّيخُ والمشتري قدامَه في شامخِ الرفعهْ
منصرفٌ بالليل عن دعوةٍ قد أسرجت قدامه شمعهْ

فان (المريخ) في مقابلة (المنصرف عن الدعوة) ؛ ولو قيل : كأن المريخ منصرفٌ عن دعوةٍ ، كان خَلَفاً(٢) من القول ؛

و (**الثاني** : ما يصحّ تشبيه كل جزءٍ من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحال تتغيّر ، ومثاله قوله(٣) :

وكأن أجرامَ النجومِ لوامعاً درٌّ نُثرن على بساطٍ أزرقِ

فانه لو قيل : كأن النجومَ درٌّ ، وكأن السماءَ بساطٌ أزرق كان تشبيها صحيحاً ؛ لكن أين يقع من التشبيه الذي يريك الهيئـة التي تملأ القلوب سروراً وعجبـاً من طلوع النجوم مؤتلقـةً متفرّقة في أديم السماء ، وهي زرقاء زرقتها الصافية ؛

---

(١) وهو القاضي التنوخي (انظر ص٢٢ من هذا الجزء) ، والشاهد في اليتيمـة (٢ ـ ٣٣٧ المنذري) .

(٢) الخَلَف بفتح الخاء واسكان اللام : الرديء من القول ، وفي المثل : (سكت الفا ونطق خلفاً) اي سكت عن الف كلمة ثم تكلم بخطأ .

(٣) البيت لأبي طالب الرقي وقد مر بنـا ص ٣٧ ، وهو في الاسرار ص ١٣٧ و ١٥٠ و ١٦٩ فارجع اليها وعول في اكتناه الاسرار عليها .

﴿ الثالث ﴾ (١) : تشبيه المفرد بالمركب : كما مرّ من تشبيه الشاة الجبلي والشقيق والنيلوفر (٢) .

﴿ الرابع ﴾ : تشبيه المركب بالمفرد (٣) : كقول ابي تمام (٤) :

يا صاحبيَّ تقصّيا نظريكما ... تريا وجوهَ الأرض كيف تصوَّرُ

تريا نهاراً مشمساً قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر

يعني : أن النباتَ من شدة خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه الى الاسوداد ، فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر :

تقسيم التشبيه الى ملفوف ومفروق (٥) . — وأيضاً إن تعدد طرفاه (٦) فهو إمّا ملفوف أو مفروق . **فالملفوف** : ما أتي فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما كقول امرىء القيس (٧) :

---

(١) اما الاول فهو تشبيه المفرد بالمفرد ، والثاني تشبيه المركب بالمركب ، وهذا ثالث الأقسام .

(٢) ص ٣٧ من هذا الجزء

(٣) هذا ويجب في تشبيه المركب بالمركب والمركب بالمفرد والمفرد بالمركب ان يكون وجه الشبه مركباً اي هيئة وصورة جامعة .

(٤) في ديوانه ص١٥٧ (ط بيروت) وفي المعاهد بتحقيق المنذري ٢ ـ ٧٨ وبعده:

دنيا معاش للورى حتى اذا ... جاء الربيع فانما هي منظر !

(٥) وهذا تقسيم آخر باعتبار التعدّد في الطرفين أو في احدهما .

(٦) فصار التشبيه بالتعدد تشبيهين لاتشبيهاً واحداً .

(٧) الديوان (١١٢ سندوبي) اي : كأن قلوب الطير رطبا العناب ، ويابسا الحشف البالي وهو يابس التمر .

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

وغير الملفوف : بخلاف ذلك كقول المرقش(١) :

النشر مسكٌ ، والوجوه دنا نيرٌ ، وأطراف الأكف عنم

ومنه قول ابي الطيب(٢) :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنت غزالا

وان تعدّد طرفُه الأول أعني المشبه دون الثاني سمي : **تشبيه المسوية** كقول الآخر(٣) :

صُدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

وان تعدد طرفه الثاني أعني المشبه به دون الأول سمي : **تشبيه الجمع** كقول البحتري (٤) :

---

(١) من كلمة مفضلية للمرقش الأكبر تجدها في المفضليات (٢/١٩ ط التقدم)

(٢) من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، وهي في الديوان (١٢٩ عزّام) ، والرواية فيه (خوط بان) .

(٣) قال صاحب المعاهد (٢/٨٨ المنذري) : هو من المحدث ولا أعرف قائله ، وفيه تعدّد طرف المشبه ، وهو الصدغ والحال ، دون طرف المشبه به ، والبيت الثاني شاهد على (التشبيه المفصل) الآتي بيانه .

(٤) ديوان الجوائب ٢/١٦٥ ، وفيه يروى الصدر (كأنما يضحك عن لؤلؤ * منظم...) وقبله وهو المطلع :

بات نديماً لي حتى الصباح اغيدُ مجدول مكان الوشاح

كأنما يبسم عن لؤلؤٍ منضدٍ أو بردٍ أو أقاحْ

ومثله قول امرىء القيس(١) :

كأنّ المدامَ وصوبَ الغمام وريحَ الخزامى ونشرَ القُطرْ

يُعلّ به بَردُ أنيابها إذا طرّبَ الطائرُ المستحرْ

الى أن فيه شوباً من القصد الى هيئة الاجتماع .

تقسيم التشبيه الى تمثيل وغير تمثيل . — وأمّا باعتبار وجهه فله ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ، ومجمل ومفصل ، وقريب وبعيد .

التمثيل : ما وجهه وصفٌ منتزعٌ من متعدّدٍ أمرين أو أمورٍ (٢) ، وقيده السكاكيّ(٣) بكونه غيرَ حقيقي ، ومثّل بصُورٍ مثّل بها غيرُه

---

(١) الديوان (٥٢ سندوبي) قال البهاء السبكي في عروسه (٣/٤٣٢ شروح): وفيه نظر ، لأن المدام وماعطف عليه مشبه به في المعنى لا في اللفظ ، وهو انما يتكلم في التشبيه اللفظي ، وانما قلنا ليس مشبهاً به لفظاً : لان المدام وماعطف عليه هو اسم (كأن) وهو المشبه لا المشبه به ، والمعنى : المدام وماعطف عليه يشبه حال مايعل به برد أنيابها ، فهو كقولك : (كأن زيداً يقوم) في ان حال زيد يشبه حال من يقوم؛ وان كانت (كأن) للشك فليس من التشبيه اللفظي في شيء .

(٢) كما مرّ من تشبيه الثريا بعنقود الملاحية ، وتشبيه مثار النقع مع الاسياف بالليل مع الكواكب ، وتشبيه الشمس بالمرآة في كف الاشل وغير ذلك .

(٣) في مفتاحه (١٨٥ ط الادبية الاولى) وذلك بقوله : واعلم ان التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي ، وكان منتزعاً من عدة امور خصّ باسم التمثيل ، ويريد بالوصف غير الحقيقي : ما كان غير متحقق حساً ولا عقلا بل كان اعتبارياً وهمياً كما

أيضاً منها(١) قول ابن المعتز :

اصبرْ على مَضض الحسو د فانّ صبركَ قاتلُه
فالنار تأكل نفسَها إن لم تجدْ ما تأكله

فانّ تشبيهَ الحسودِ ـ المتروكِ مقاولتُه مع تطلّبه إياها لينالَ بها نفثةَ مصدورٍ ـ بالنارِ التي لا تمدُّ بالحطب في أمرٍ حقيقيّ ، منتزعٌ من متعدّدٍ ، وهو إسراعُ الفناء لانقطاع ما فيه مددُ البقاء ؛

ومنها قول صالح بن عبد القدوس(٢) :

وإنّ من أدبتـه في الصّبا كالعودُ يُسقى الماءَ في غرسه
حتى تراه مونقـاً ناضراً بعد الذى أبصرت من يُبسه

في تشبيه حال المنافقين بحال من استوقد ناراً فلما اضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم، في قوله تعالى : مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً الآية .

هذا مذهب السكاكي، واما مذهب الجمهور فالتشبيه التمثيلي فيه اعم مما كان الوجه فيه حقيقياً بان يكون حسياً كما في تشبيه (مثار النقع) ، ومما كان غير حقيقي بأن يكون اعتبارياً وهمياً .

(١) اي من هذه الصور التي مثل بها السكاكي قول ابن المعتز .

(٢) هو من حكماء الشعراء (— ١٦٧ هـ) ، وترى اخباره في فوات الوفيات ١٩١/١ ، والدميري ٢٦/١ وهذان البيتان من قصيدة حكيمة تجد منها ١٥ بيتاً في السمط ١٠٥ ومنها قوله :

يا ايها الدارس علما الا تلتمس العون على درسه
لن تبلغ الفرع الذى رمته الا ببحث منك عن أسه
لايقبسنّ العلم الا امرؤ يُعين باللب على قبسه

فان تشبيهَ المؤدَّب في صباه بالعودِ المستقيِّ أوانَ غرسه فيما يلزم كل واحد من كون المؤدَّب في صباه مهذَّبَ الاخلاق حميدَ الفعال لتأديبه المصادفِ وقتَه ، وكونِ العود المستقيِّ أوانَ غرسه مُونقاً بأوراقه ونُضرته لسقيه المصادفِ وقتَه من تمام الميل وكمال الاستحسان بعد خلاف ذلك ؛

ومنها قوله تعالى(١) : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون » ، فان تشبيه(٢) حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمرٍ حقيقيٍّ منتزَعٍ(٣) من متعددٍ ، وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب(٤) الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب ؛

و **غير التمثيل** : ما كان بخلاف ذلك كما سبق في الأمثلة المذكورة .

---

(١) البقرة (١٧) .

(٢) وعبارة المفتاح (١٨٦ ادبية) : فان وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية .

(٣) خبر ان من (فان تشبيه) ، فوجه الشبه في هذه الآية غير حقيقي اي توهمي ، وهو منتزع من امور جمة .

(٤) التعقب المجيء على عقب الشيء : أي مع مجيء الحرمان على عقب الطمع في حصول المطلوب .

تدريبات

على التشبيه وأنواعه وأغراضه

١ — جاء في القرآن العربيّ : «مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل، فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطلّ ، والله بما تعملون بصير . » البقرة ٢٦٥ .

٢ — وفي الحديث النبويّ : مثل المؤمن كالنحلة لا تأكل الا طيباً ، ولا تطعم الا طيباً .

٣ — وقال ابو نواس الحسن بن هاني :

قامت تريني ، وأمر الليل مجتمعٌ صبحاً تولد بين الماء واللهبِ
كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

---

(١) شبه في هذه الآية حال من ينفق ماله في مرضاة الله فيزيد الانفاق في نمائه ورخائه (وهو المشبه) بحال من له جنة تعهدها الغيث بوابله تارة وطله اخرى ، فتضاعفت غلاته (المشبه به) ، وبما ان وجه الشبه منتزع من متعدد كان هذا التشبيه تمثيلا ، والغرض منه بيان حال المشبه .

(٢) المشبه مفرد مطلق من حيث اللفظ وهو المؤمن ، والمشبه به النحلة وهو مقيد بالصفة ، فالطرفان مختلفان، ووجه الشبه اجتناء الطيب واطعامه ، والغرض من التشبيه قد يراد به التبيين لحال المشبه او تزيينه .

(٣) في البيت الاول تشبيه ضمني : لانه لم يصرح فيه باحدى صور التشبيه بل اتى به ضمناً وتلميحا ، اذ شبه كأس الخمرة المتلألئة ليلا بالصبح ، والتشبيه التمثيلي صريح =

٤ — وقال ابن المعتز يصف السماء خلال نجومها صباحاً :

كأن سماءنا لما تجلت ... خلال نجومها عند الصباح

رياض بنفسج خضل نداه ... تفتح بينه نور الاقاحي

٥ — وقال ابن سكرة الهاشمي :

في وجه انسانة كلفت بها ... أربعة ما اجتمعن في أحد

الخد ورد ، والصدغ غالية ... والريق خمر ، والثغر من برد

٦ — وقال أبو الطيب المتنبي يخاطب سيفه :

أرى كل ذي ملك الياك مصيره ... كأنك بحر ، والملوكُ جداولُ

اذا مطرت منهم ومنك سحائب ... فوابلهم طلّ ، وطلك وابلُ

= في البيت الثاني ، والطرفان فيه مركبان باعتبار مرجع ضمير (فواقعها) ، وفي هذا الضرب من التشبيه المركب الطرفين يصح تشبيه كل جزء منهما بما يقابله في الطرف الآخر بأن نشبه الفوافع بحصى الدر ، والحمرة تحتها بأرض من الذهب ، وهيهات ليس للتشبيه المجزأ المصدوع جمال ذلك التشبيه المصور المجموع !

(٤) — التشبيه تمثيلي فان (المشبه) صورة السماء والنجوم فيها صباحاً ، و(المشبه به) صورة رياض من البنفسج انتشرت فيها انوار الاقاحي ، و (وجه الشبه) هو هيئة شيء ازرق تبدو فيه صور بيض صغيرة ، وغرض التشبيه هنا هو التزيين لا التبيين .

(٥) التشابيه الاربعة في البيت الثاني بليغة ، والتشبيه باعتبار تعداد الطرفين (مفروق) فقد فرق بين كل من هذه التشابيه باجتماع الطرفين في كل منها ، وفي الشعر بالنظر الى فن البديع الجمع مع التقسيم .

(٦) المشبه هو الضمير في (كأنك) العائد الى سيف الدولة ، والمشبه به البحر ووجه الشبه العظمة ، والغرض من هذا التشبيه بيان حال المشبه ، و (الملوك جداول) تشبيه بليغ .

٧ — وقال السريّ الرفاء :

لي منزلٌ كوجار الضب أنزله ضنكٌ تقارب قُطراه فقد ضاقا
أراهُ قالبَ جسمي حين أدخله فما أمدَّ به رجلاً ولا ساقا

٨ — ولابن الرومي يمدح اسماعيل بن بلبل :

وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرا شرفٍ كما علا برسول الله عدنانُ

٩ — وقال آخر :

كأن شعاعَ الشمس في كل غدوةٍ على ورق الأشجار أولَ طالعِ
دنانيرُ في كف الأشل يضمها لقبض فتهوي من فروج الأصابعِ

١٠ — ولمجير الدين بن تميم :

كأنما النار في تلهبها والفحمُ من فوقها يُغطيها
زنجيةٌ شبكت أناملها من فوق نارنجةٍ لتخفيها

---

(٧) المشبه : المنزل ، والمشبه به : وجار الضب ، والوجه : الضيق ،وغرض الرفاء من التشبيه هو التقبيح والتشويه .

(٨) الغرض من التشبيه في هذا البيت (بيان امكان وجود المشبه) ، لان ابن الرومي اراد تفضيل الابن على ابيه،وهو امر غريب كالممتنع في الظاهر ،فبين امكان ذلك بعلو عدنان برسول الله فهو افضل من آبائه .

(٩) التشبيه تمثيلي:لان وجه الشبه فيه صورة مركبة من عدة امور، طرفاه مقيدان والمشبه فيه شعاع الشمس ، والمشبه به الدنانير ، والغرض من التشبيه بيان حال المشبه .

(١٠) التشبيه تمثيلي ، والطرفان فيه مقيدان ومركبان،المشبه : هو النار عليها فحم، والمشبه به زنجية يداها على نارنجة ، و (وجه الشبه) : صورة مركبة من شيء احمر تحت اسود ، وغرض الشاعر بيان حال المشبه ايضاً .

تمرينات

١ — جاء في الكتاب المبين: «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء: ذلك هو الضلال البعيد».

٢ — ويقول مجنون بني عامر:

كأن القلب ليلة قيل يُغدى ... بليلى العامرية أو يراحُ
قطاةٌ عزّها شرَكٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناحُ

٣ — وما أحسن قوله:

اني واياكَ كالصادي رأى نهلاً ... ودونه هوة يخشى بها التلفا
رأى بعينيه ماءً عزّ مورده ... وليس يملك دون الماء منصرفا

٤ — وللبحتري:

ذات حسن لو استزادت من الحسن اليه لما أصابت مزيداً
فهي كالشمس بهجة، والقضيب اللدن قداً، والريم طرفاً وجيدا

٥ — ولابن الرومي في الشيبة الأولى:

أول بدء المشيب واحدةٌ ... تُشعل ما جاورت من الشعر
مثلُ الحريق العظيم تبدؤه ... أولَ صول صغيرةُ الشرر

٦ — وللوأواء الدمشقي:

والبدر أولَ ما بدا متلثما ... يبدي الضياءَ لنا بخدٍّ مسفر

فكأنما هو خوذة من فضة قد ركبت في هامة من عنبر

٧ ــ ولابن لنكك البصري :

وروض عبقريّ الوشي غضّ يشاكل حين زُخرف بالشقيقِ
سماءَ زبرجد خضراء فيها نجوم طالعات من عقيق

٨ ــ وللشيخ عبد الغني النابلسي يصف المشمش :

ومشمش روض بدّدته يد الصبا لنا بين أشجارٍ له وغصونِ
كرى عسجد قامت له من زبرجد صوالج في أيدي خرائد عينِ

٩ ــ وللعز التنوخي (١) يصف الدفلى وزهرها الأحمر البهيج :

وبعضُ الناس مخبرهم قبيح ومنظرهم - كما تهوى - بهيجُ
كدفلى راع منظرها ،ولكن لها لونٌ وليس لها أريجُ

١٠ ــ وقال صاحب كليلة ودمنة :فضل ذي العلم واز أخفاه كالمسك يُستر ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح .

١١ وقال شوقي : هل دولة الحسن الا كدولة الزهر ، وهل عمر الصبا الا أصيل او سحر .

---

(١) وهو شارح هذا الكتاب ، وما كنا نريد عزو شيء من الشعر لنا في الجزأين الاول والثالث فاوردناه باسم (الغواص التنوخي) أو اللخمي ،وكل ماقلنا انه من مروياتنا فهو لنا ، ولولا ملامة الاصدقاء ماعدلنا في هذا الجزء عن التلويح الى التصريح .

الاعراب البياني

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ مجداً فشأناكَ انخفاضٌ وارتفاعُ
كذاكَ الشمسُ تبعدُ أن تُسامى ويدنو الضوءُ منها والشعاعُ

—البحتري—

دنوت: الفعل مسند وتاء الفاعل مسند اليه، والاسناد خبري والضرب ابتدائي ، و (تواضعاً) قيد ، ومثله في الاعراب علوت مجداً .

شأناك : مسند اليه (وانخفاض وارتفاع) مسند ، والجملة الاسمية تدل على الثبوت .

كذاك الشمس : (المشبه) حال الممدوح في دنوه وعلوه ، و (المشبه به) حال الشمس في بعدها ودنوها و (الوجه) الدنو والعلو فيهما ،

والغرض من هذا التشبيه بيان امكان المشبه : ذلك أن البحتري لما وصف ممدوحه بالدنو ثم بالعلو، خشي أن يظن السامع ان في هذا الوصف تناقضاً مستحيلاً فجاء بتشبيه هذا ليثبت له ان هذا ممكن وقوعه.

وللتمرين

أعرب بيت المتنبي التالي اعراباً بيانياً ذاكراً بعد بيان الاسناد أركان التشبيه ونوعه والغرض منه :

واذا أشار محدثاً فكأنه قردٌ يقهقه أو عجوزٌ تلطمُ

و المجمل(١) : ما لم يذكر وجهه ، فمنه ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة كقولنا : (زيد أسد) : اذ لا يخفى على أحد ان المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها ؛ ومنه ما هو خفي لا يدركه الا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة كقول من وصف بني المهلب للحجاج(٢) لما سأله عنهم ، وأن أيهم أنجد ؟ كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها؟ أي لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً ، وبعضهم أفضل منه ، كما ان الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطا ، هكذا نسبه الشيخ عبد القاهر الى من وصف بني المهلب ، ونسبه الشيخ جار الله العلامة الى الأنمارية ، قيل هي فاطمة بنت الخُرشُب سئلت عن بنيها أيُّهم أفضل ؟ فقالت : عمارة ، لا بل فلان ، لا بل فلان ، ثم قالت : ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل ؟ هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها !

---

(١) الوجه الثاني من وجوه اعتبار وجه الشبه

(٢) قال الشيخ الامام عبدالقاهر في اسراره (٧٤ الطبعة الرابعة) : انه كعب الاشقري ، ونسبة الشيخ جارالله هذا المثل الى الانمارية أصح وأقوى ، وهي فاطمة بنت الخرشب (بضم فسكون فضم) احدى المنجبات في الجاهلية ، وهي ام الكملة من بني عبس : الربيع بن زياد وعمارة وانس الفوارس ، سألها ابو سفيان في مكة حين حجت في الجاهلية : اي بنيك افضل ؟ فقالت : الربيع ، لابل عمارة ، لابل انس الفوارس ، ثكلتهم ان كنت ادرى ايهم افضل؟هم كالحلقة المفرغة الخ ، فلعل كعبا الاشقري تمثل بمثلها في وصف بني المهلب .

❀ وأيضاً منه(١) مالم يُذكر فيه وصفُ المشبه ، ولا وصفُ المشبه به كالمثال الأول :

❀ ومنه ماذُكر فيه وصفُ المشبه به وحده(٢) كالمثال الثاني ، ونحوه قولُ زياد الاعجم (٣) :

وإنّا ، وما تلقي لنا ، أن هجوتنا لكالبحر مهما تُلق في البحر يغرقِ

وكذا قولُ النابغة الذبياني(٤) :

فانك شمسٌ ، والملوكُ كواكب اذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ

❀ ومنه ما ذُكر فيه وصفُ كل واحدٍ منهما كقول أبي تمام(٥) :

صَدفتُ عنه ، ولم تصدف مواهبه عني ، وعاوده ظني فلم يَخبِ

كالغيثِ إن جئتَه وافاكَ رَيّقهُ وان تَرحّلتَ عنه عنه لجّ في الطلبِ

---

(١) اي ومن المجمل ، والمثال الاول (زيد اسد) فان طرفيه مجردان من الوصف .

(٢) أي الوصف المشعر بوجه الشبه كقولنا : هم كالحلقة المفرغة . . .

(٣) زياد بن سليمان مولى عبدالقيس نزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه ، وكان جزل الشعر بليغاً ، ورواية المخطوطة الظاهرية : (لكالبحر مهما يلق) ، وقوله (أن هجوتنا) أن فيه مصدرية ، والواو من (وما تلقي) بمعنى مع .

(٤) هو في الديوان (٢٢ هلال) .

(٥) في مديح الحسن بن سهل (الديوان ١٦) ، والمشبه موصوف في البيت الاول والمشبه به كذلك في البيت الثاني ، ومعنى (صدفت) اعرضت ، وريق الغيث : اول شؤبوبه . وصف الممدوح بأن عطاءه لا يفارقه أعرض أو لم يعرض ، ووصف المشبه به (الغيث) بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه ، والوصفان مشعران بوجه الشبه اعني الافاضة في حالتي الطلب وعدمه ، والاقبال عليه والاعراض عنه .

﴿والمفصَّل﴾ (١) : ما ذُكر وجهه كقول ابن الرومي (٢) :

يا شبيهَ البدر في الحسـ ـن وفي بُعد المنالِ
جُدْ فقد تنفجرُ الصخـ ـرةُ بالماء الزلالِ

وقول أبي بكر الخالدي (٣) :

يا شبيهَ البدرِ حسناً وضيـاءً ومنـالا
وشبيهَ الغصنِ ليناً وقواماً واعتدالا
أنتَ مثلُ الوردِ لوناً ونسيماً ومَـلالا
زارنا حتى إذا ما سرّنا بالقرب زالا

وقد يُتسامَح بذكر ما يستتبعه مكانه (٤) كقولهم في وصف الألفاظ،

---

(١) عطف على المجمل ، وهو قسمان : احدهما ان يكون المذكور حقيقة وجه الشبه، والثاني ان يكون أمراً مستتراً ، وأشار اليه بقوله : (وقد يتسامح) .

(٢) هو في ديوانه المختار (٣٣٢ كيلاني) وفي الاسرار (٢٥٤ رابعة)، ووجه التشبيه في البيت الاول : في الحسن وبعد المنال وفي الثاني شبه الحبيب بالصخرة في القساوة، ووصله بالماء الزلال

(٣) هو ابو بكر محمد شقيق ابي عثمان سعيد ، وهما المعروفان بالخالديين ، وترجمتهما في اليتيمة (٢/١٨٣) والابيات في الصفحة ١٩٣ ، ويروى فيها عجز البيت الاول (وضياءً ومثالا) ؛ وقوله (ومنالا) أرق غزلاً ، يؤيده قول ابن الرومي : (ياشبيه البدر في الحسن وفي بعد المنال).

(٤) أي : وقد يتساهل بالاستغناء عن وجه الشبه الحقيقي بأن يذكر في مكان مايستتبعه الوجه ويستلزمه ، وقد مثله المصنف بقولهم للكلام الفصيح : (هو كالعسل في الحلاوة) ، فان وجه الشبه (في الحلاوة) يستلزم (ميل الطبع) وهو الجامع في الحقيقة لا الحلاوة ، لانه المشترك بين العسل والكلام لا الحلاوة .

وقال البهاء السبكي في عروسه (٣/٤٤٢ شروح) : ان قولهم (ان الحلاوة ليست وجه شبه) فيه نظر : فان الحلاوة ان لم تكن موجودة بالحقيقة في الكلام ، فهي =

اذا وجدوها لا تثقل على اللسان لتنافي حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبةً وحشية تُستكره لكونها غير مألوفة ، ولا مما تبعد دلالتها على معانيها : (هي كالعسل في الحلاوة ، وكالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة) ؛ وقولهم في الحجة ، إذا كانت معلومة الاجزاء ، يقينية التأليف ، بيّنة الاستلزام للمطلوب : (هي كالشمس في الظهور) .

والجامع في الحقيقة لازمُ الحلاوة ، وهو (ميل الطبع) ، ولازمُ السلاسة والرقة ، وهو (إفادةُ النفس نشاطاً ورَوحاً) ، ولازمُ الظهور ، وهو (ازالةُ الحجاب) : فان شأنَ النفس مع الالفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذي يلذُّ طعمه فتهشّ النفس له ، ويميل الطبع اليه ، ويُحب وروده عليه .

أو كشأنها مع الماء الذي يسوغ في الحلق ، ومع النسيم الذي يسري في البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه[1] ، فيفيدان النفس نشاطاً ورَوحاً ؛ وشأنها مع الشبهة التي تمنع القلبَ ادراكَ ماهي شبهةٌ فيه ،

=موجودة بالتخيل ، فهو من الجامع الخيالي كما تقدم في (السنن والابتداع) وان القلب ليميل الى قول شيخنا السبكي ، فان هذا التشبيه طبيعيٌ تستعمله العامة ، وهم يريدون الحلاوة المجازية الخيالية التي يشعر كل صحيح الطبع بلذتها .

(١) لعله اراد بها القصيبات الدقيقة في الرئتين فهي مسالك للنسيم النقي الذي يفيد النفس نشاطاً ، والقلب روحاً وانعاشاً ، وبعض هذه العبارات مقتبسة من اسرار البلاغة (٧٤ منار الرابعة) .

❀ أحدهما : كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل . فان ما ذكرناه من الهيئة(١) لا يقوم في نفس الرائي للمرآة الدائمة الاضطراب الا أن يستأنف تأملا(٢) ، ويكون في نظره متمهلا ؛

❀ والثاني : ندور حضور المشبه به في الذهن(٣) ، إمّا عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كما تقدم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت ؛ وإمّا مطلقاً(٤) لكونه وهمياً ، أو مركباً خيالياً ، أو مركباً عقلياً كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال ، وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد ، وتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارا ، فان كلاً سببٌ لندرة حضور المشبه به في الذهن ، أو لقلة تكرره على الحس كما مرّ من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل ، فانه ربما يقضي الرجل دهره ، ولا يتفق له أن يرى مرآة في يد الأشل ، فالغرابة

---

(١) اي المعتبر فيها التفصيل ، ويريد بالهيئة الصفة وهي وجه الشبه .

(٢) وعبارة الشيخ الامام في الاسرار (٦١/ رابعة المنار) : وهذه صفة لاتقوم في نفس الرائي المرآة الدائمة الاضطراب الا ان يستأنف تأملا ، وينظر متثبتاً في نظره متمهلا » وقد اقتبس الخطيب الدمشقي في ايضاحه ، والسعد في مختصره ومطوله هذه العبارة من كلام الامام الذي هو امام الكلام .

(٣) وانما كان ندرة حضور المشبه به سبباً لعدم ظهور وجه الشبه لانه فرع الطرفين ومنهما ينتقل اليه لكونه المشترك والجامع بينهما ، فلا بد ان يحضر الطرفان اولا ، ثم يطلب مايشتركان فيه به .

(٤) معطوف على قوله : (اما عند حضور المشبه) اي : واما ان تحصل ندرة حضور المشبه به في الذهن على وجه الاطلاق من غير تقييد بوقت حضور المشبه ، وضمير لكونه يعود الى المشبه به .

في هذا التشبيه من وجهين(١) . والمراد بالتفصيل(٢) أن ينظر في أكثر من وصف واحد لشيء واحد(٣) أو أكثر(٤) ؛

وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلب الأعرف(٥) منها وجهان:

* أحدهما : أن تأخذ بعضاً(٦) وتدع بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله(٧) :

حملت ردينياً كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

ففصل السنا عن الدخان ، واثبته مفردا ؛

---

(١) احدهما كثرة التفصيل في وجه الشبه ، والثاني قلة تكرر رؤيته .

(٢) الذي يوجب حسن التشبيه ونفي الابتذال .

(٣) كوجه التشبيه في الثريا المشبهة في العنقود فانه اشياء كما مر اعتبر تضامّها من شكل أجزائها ولونها ومقدار مجموعها ، وهو شيء واحد .

(٤) اي اكثر من واحد ، كأن يكون اثنين كالوجه في (مثار النقع مع الاسياف) او ثلاثة فصاعداً كالوجه في قوله تعالى : « كماء انزلناه من السماء ...» الآية .

(٥) وعبارة الشيخ الامام في الاسرار (١٤٦ رابعة) : « واعلم ان هذه القسمة في التفصيل موضوعة على الاغلب الاعرف ، والا فدقائقه لاتكاد تضبط ... » ، وانما كان التفصيل اعرف تلك الوجوه لمكانه من الحسن والقبول لدى من اخذ البلاغة بحق ، وجرى فيها على عرق .

(٦) أي بعض الاوصاف .

(٧) ليس هذا الشاهد في ديوانه ، وفي معاهد التنصيص (٢/٩٢ السعادة) أنه لامرىء القيس من قصيدته التي مطلعها : « لمن طلل أبصرته فشجاني » ، وقد اخذ (السنا) وعزله عن الدخان فزاد السنا بهذا الاحتراز تألقاً وسناءً ، وانظر الاسرار (١٤٢ رابعة) ففيه مزيد احسان وبيان .

* والثاني: أن يعتبر الجميع(١) كما فعل الآخر في قوله:

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود مُلاّحية حين نوّرا

فانه اعتبر من الأنجم الشكلَ والمقدارَ واللون، واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب، ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنوّر من الملاحية؛

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعدَ وأبلغَ كقوله تعالى(٢): «انما مَثَل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكل الناسُ والأنعامُ حتى اذا أخذتِ الأرضُ زخرفها وازّينت، وظنّ أهلها انهم قادرون عليها اتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً، فجعلناها حَصيداً كأن لم تغن بالأمس» فانها عشر جملٍ اذا فصلت(٣)؛ وهي، وان دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة، فان ذلك لا يمنع من أن تشيرَ اليها واحدة واحدةً؛

ثم ان الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، حتى لو حذف منها جملةٌ أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه؛

ومن تمام القول في هذه الآية ونحوها ان الجملة اذا وقعت في جانب المشبه به تكون على وجوه:

---

(١) أي جميع الاوصاف، وقد مرّ بنا الشاهد ص ٣٦.

(٢) يونس(٢٤)، وتتمة الآية «... كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون».

(٣) قال البهاء السبكي في عروسه (٣/٤٥٦): وكأن المصنف أراد بالعشرة: (١) أنزلناه (٢) فاختلط (٣) مما يأكل (٤) حتى اذا اخذت (٥) وازينت (٦) وظن (٧) انهم قادرون (٨) اتاها (٩) فجعلناها (١٠) كأن لم تغن.

❀ أحدها : أن تلي نكرةً(١) فتكون صفةً لها كما في هذه الآية ، وعليه قول النبيّ (ص م) : (الناس كابلٍ مائةٍ لا تجد فيها راحلة) ؛

❀ والثاني: أن تلي معرفةً هي اسم موصول(٢) فتكون صلة له كقوله تعالى : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً . . . » الآية .

والثالث : أن تلي معرفة ليست باسم موصول فتقع استئنافاً كقوله تعالى(٣) :«مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياءَ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » : « ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل وعجيبه قول بن المعتز: (٤)

كأنا وضوءُ الصبحِ يستعجل الدجى نُطيرُ غراباً ذا قوادمَ جونِ

---

(١) أي ان تلي الجملة مشبهاً به نكرة فتكون صفةلها : لأن الجمل بعد النكرات صفات ، ولو حذف المشبه به لأخلّ الحذف بالمغزى من التشبيه ، قال الشيخ عبد القاهر في الاسرار (٩١ رابعة) : بيان هذا ان قول النبي (ص) : « الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » لا بد فيه من المحافظة على ذكر المشبه به الذي هو (الابل) ، فلو قلت : (الناس لا تجد فيهم راحلة) كان ظاهر التعسف .

(٢) وعبارة الشيخ الامام : أن يكون المشبه به معبراً عنه بلفظ موصول ، وتكون الجملة صلة كقولك : انت كالذي من شأنه كيت وكيت كقوله تعالى : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ... » .

(٣) وتمام الآية « ... وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » العنكبوت (٤١) .

(٤) الديوان(٢/٦٦ط المحروسة)القوادم:ريش الجناح الأمامية.والجون بضم الجيم: جمع جون بفتحها ،وهو الابيض والاسود (ضد) ، والمراد بها هنا القوادم البيض: شبه الليل الذي فيه تباشير الصبح بغراب له قوادم بيض.

شبه ظلامَ الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرطَ ان يكونَ قوادمُ ريشها بيضاً : لأن تلك الفِرق(١) من الظلمة تقع في حواشيها ، من حيث تلي معظمَ الصبح وعمودَه ، لُمَعُ نورٍ يتخيل منها في العين كشكل قوادم بيض؛ **وتمام الترفيق** في هذا التشبيه أن جعلَ ضوءَ الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل ، كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ، ولا يرضى بها بأن تتمهل في حركتها ، ثم لما راعى ذلك في التشبيه ابتداءً راعاه آخراً حيث قال : (نطير غراباً) ولم يقل : غراب يطير ونحوه : لأن الطائر اذا كان واقعاً في مكان فأزعج وأطير منه ، او كان قد حبس في يدٍ أو قفصٍ فأرسل ، كان ذلك ـ لا محالة ـ أسرعَ لطيرانه ، ، وأدعي له أن يستمر على الطيران حتى يصير الى حيث لا تراه العيون ، بخلاف ما اذا طار عن اختيار ، فانه حينئذ يجوز أن لا يسرع في طيرانه ، وأن يصير الى مكان قريب من مكانه الأول ، وكذا قول أبي نواس في صفة منقار البازي(٢) :

❀ كعطفة الجيم بكفٍ أعسرا ❀

---

(١) الفرق جمع فرقة ، واللمع الآتية جمع لمعة وهي كل بقعة مختلفة من اللون تكون بيضاء أو سوداء أو حمراء ، ولمع النور تكون بيضاء وهي فاعل (تقع) قبلها .

(٢) وهذا الرجز في اسرار البلاغة (١٥٥ الطبعة الرابعة) معزو الى ابن فارس ، ورواية المصنف هي الصواب فالشعر في ديوان ابي نواس (٢٢٤ هندية) ، وفي ديوان المعاني للعسكري (٢/١٤٠) لأبي نواس أيضاً ، وقبله في صفة المنسر اي المنقار : (في هامة غلباء تهدي منسراً) ، وفيه : كان جعفراً ، بدل (صارت جعفراً) .

غير خافٍ أن الجيم خطان : أولهما الذي هو مبدؤه وهو الأعلى ، والثاني الذي يذهب الى اليسار . واذا لم يوصل بها فلها تعريق(١) . والمنقار انما يشبه الخط الأعلى فقط . فلهذا قال : (كعطفة الجيم) . ولم يقل : كالجيم ، ثم دقّق بأن جعلها بكف أعسر . لأن جيم الأعسر يقال : إنه اشبه بالمنقار من جيم الايمن ، ثم أراد ان يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الاعلى من الجيم(٢) فقال :

يقول من فيها بعقلٍ فكرا لو زادها عيناً الى فاءٍ ورا

❀ فاتصلت بالجيم صارت جعفرا ❀

فأبان أنه لم يدخل التعريق(٣) في التشبيه ، لأن الوصل يُسقطه أصلاً

---

(١) تعريق الجيم : الخط الأسفل الى اليمين على هيئة قوس كما هو الشأن في الجيم المفردة أبدا .

(٢) في المخطوطة الدمشقية : من شكل الجيم . ولو ان ابا نواس اقتصر في صفة المنقار على قوله (كعطفة الجيم بكف اعسرا) لأبدع واجاد فهو تشبيه طريف دقيق ، وباقي قوله خال من الطرافة والجمال ، وأيّ طرافة وابداع لمن يفكر بعقل ثم يكتشف أنه لو زيد الى عطفة الجيم العليا عين وفاء وراء لصارت جعفر ؟ ولم كان ذلك العقل المفكر لا يكتشف انه ، (لو زادها حاء الى دال وراء) لكانت القافية (جحدرا) وهو الرجل الجعد القصير ، ولو زادها : عينا الى باء وراء لكانت (جعبرا) وهو القصير المتداخل ، أو زادها : هاء الى باء ورا لكانت (جهبرا) !

(٣) أي التعريق الأسفل : وهو بطن الجيم مع سجبته السفلى ، وهما يسقطان بوصل الجيم بالحرف الذي يليه ، ولم يدخل في التشبيه (الخط الاسفل) من رأس

ولا الخط الأسفل ، وإن كان لابدّ منه مع الوصل ، لأنه قال : فاتصلت بالجيم أي بالعطفة المذكورة ، ولم يقتصر على قوله : (لوزادها عينا الى فاء ودا) ولأجل هذا التدقيق قال : (يقول من فيها بعقل فكرا) فنبّه على أن بالمشبّه حاجةً الى فضل فكرٍ ، وأن يكون فكرُه فكرَ من يراجع عقله(١) ، وإذ قد تحققتَ ما ذكرنا من التفصيل علمتَ أن قول امرىء القيس في وصف السنان(٢) أعلى طبقةً(٣) من قول الآخر(٤) .

الجيم (ج) وهو الذي لابد منه مع الوصل ، لان منقار البازي والصقر والنسر وسائر الجوارح معقوف وهو انما يشبه مبدأ الخط الاعلى المعقوف فقط .

(١) وتمام عبارة الاسرار (١٥٦ طبعة المنار الرابعة) : من يراجع عقله ويستعينه على تمام البيان . هذا ، وجميع ماتراه بين الاقواس الصغيرة من قوله (ومن أبلغ الاستقصاء) حتى (فكر من يراجع عقله) هو مقتبس من اسرار البلاغة .

(٢) في قوله ص٩٣: (حملت ردينيا كان سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان)

(٣) مع ان المشبه به في البيتين واحد وهو شعلة النار (انظر الاسرار ١٤١ رابعة)

(٤) وهو عنترة العبسي (الديوان ١٨ ط العربية) . والرواية فيه (تتابع لايبتغي غيرها) ، والشاهد من ابيات قالها في قتل ورد بن حابس لفضلة الاسدي ، وضمير (يتابع) يعود لورد ، وفي (غيره) يعود لفضلة ، وكان ورد طلب فضلة بوتر له ، وموضع (لايبتغي) نصب على الحال ، وباء (بأبيض) متعلق بـ (يتابع) او بـ (يبتغي) والقبس شعلة النار . و (المعنى) : يتابع ورد بن حابس فضلة الاسدي غير مبتغ غيره بسيف ابيض كالنار الملتهبة : وفي البيت معنى آخر وهو : انه يجوز ان يريد بأبيض رجلا كريماً ، فيكون ضمير (يتابع) عائداً الى فرسه ، وشبه الرجل بالنار لذكائه ونفاذه ، واستعمال البياض في الكرم ونقاء العرض كثير معروف ، والمعنى على ذلك : يتابع فرس ورد فضلة برجل ابيض كريم كالنار في ذكائه ونفاذه في الامور .

يتابع لا يبتغي غيره بأبيضَ كالقبسِ الملتهبْ

لخلوّ الثاني من التفصيل الذي تضمنه الأول ، وهو قصر التشبيه على مجرّد السنا ، وتصويره مقطوعاً عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لا يقع في الخاطر أولَ وهلة ؛ بل لا بدَّ فيه من أن يتثبت وينظر في حال كلٍ من الفرع والأصل حتى يقع في النفس أن في الأصل شيئاً يقدح في حقيقة التشبيه ، وهو الدخان الذي يعلو رأس الشعلة ، وكذا قوله(١) :

وكأنّ أجرامَ النجومِ لوامعاً درٌّ نُثرنَ على بساطٍ أزرقِ

أفضلُ من قول ذي الرّمة(٢) :

❀ كأنها فضةٌ قد مسَّها ذهبُ ❀

لأن الأولَ مما يندرُ وجودُه دونَ الثاني ، فان الناس أبداً يرونَ في الصياغات فضةً قد مُوّهت بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجدَ درٌّ قد نُثرنَ على بساطٍ أزرقَ ؛ وكذا بيت بشار أعلى طبقةً من قول أبي الطيب(٣) .

---

(١) اي قول ابي طالب الرقي ، وقد مرّ بنا (ص٣٧و٧٤) ، وتجده في الاسرار (ص ١٣٧ و ١٤٩ رابعة).

(٢) وصدر بيت ذي الرمة (كحلاء في برج صفراء في نعج) والبرج : نجل العين وسعتها ، والنعج : البياض الخالص : اي هي ذات بياض خالص يشوب صفرتها كالفضة قد مسها ذهب .

(٣) ديوان عزام (ص ٦٧) والشاهد من قصيدة يرثي بها محمد بن اسحاق التنوخي وبعده :

يزور الأعادي في سماء عجاجة أسنتُه في جانبيها الكواكبُ

وكذا من قول الآخر (١) :

تبني سنابكُها من فوق أرؤسهم سَقفاً كواكبه البيضُ المباتيرُ

لأن كلّ واحد منهما (٢)، وإن راعى التفصيل في التشبيه ، فانه اقتصر على أنْ أراكَ لمعانَ الأسنة والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فانه لم يقتصر على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف ، وقد سُلّت من أغمادها ، وهي تعلو وترسب ، وتجيء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيلَ تفصيلاً (٣) : لانها لاتقعُ في النفس إلا بالنظر الى اكثرَ من

فتسفر عنه ، والسيوف كأنما مضاربها مما انفللن ضرائب

طلعن شموساً ، والغمود مشارق لهن ، وهامات الرجال مغارب

وجعل ابو الطيب العجاجة المرتفعة سماءً ، والاسنة اللامعة فيها كواكب ، والمصراع الثاني صفة لقوله (سماء عجاجة) .

(١) وهو في الاسرار (١٥١ رابعة المنار) معزّو لعمرو بن كلثوم . وقوله (سنابكها) اي حوافر الخيل جمع سنبك ، وقوله (سقفا) اي غباراً مرتفعاً كالسقف المرفوع وهو السماء ، وكواكب هذا السقف السماوي هي (البيض المباتير) اي السيوف البتارة المشرقة ببريقها اشراق الكواكب .

(٢) وعبارة الاسرار (١٥١ و١٥٢ رابعة) : « لأن كل واحد يشبه لمعان السيوف في الغبار بالكواكب في الليل الا انك تجد لبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف التأثير في النفس مالايقل مقداره ، ولايمكن انكاره ... » ويمتد كلام الامام حتى عبارة (وذلك اصدق للتشبيه) .

جهة واحدة ، وذلك أن للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الايدي بها في الضرب ، اضطراباً شديداً ، وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة ، والارتفاع والانخفاض ، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتلاقى و يصدم بعضها بعضاً ، ثم أشكالها مستطيلة ، فنبّه على هذه الدقائق بكلمة واحدة ، وهي قوله : (تهاوى) لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركتها ، ثم كان لها في التهاوي تواقع وتداخل ، ثم استطالت أشكالها .

وكذا قول الآخر(١) في الآذريون :

مداهنٌ من ذهب فيها بقايا غاليه

أعلى وأفضلُ من قوله فيه(٢) :

---

(١) هو ابن المعتز ، والآذريون ورد أحمر وقد يكون اصفر في وسطه سواد له نبو وارتفاع ، ولاختلاف لونه يشبّه بكأس من عقيق فيها مسك ، وبمدهن من ذهب فيه شيء من الغالية ، وهي اخلاط من الطيب ، وقبله :

سقياً لروضات لنا من كل نور حاليه
عيون آذريونها للشمس فيها كاليه

وأصل (كاليه) كالئة أي حافظة للشمس لأنها تستقبلها وتدور حولها حيث دارت .

(٢) وهو لابن المعتز أيضاً وصدره كما في الاسرار (١٥٣ رابعة) : وحمل آذريونة فوق اذنه ، وفي هامش المخطوطة الدمشقية : (وحوّل) بدل (وحمل) وشرح معناه بقوله : أي حوّل هذا الحبيب واداره هذا الورد وهو الآذريونة فوق اذنه ، ثم شبهه بكأس متخذ من عقيق في قعره ذهب ، وقبله في الساقي :

وطاف بها ساقٍ أديبٌ بمبزل كخنجر عيّار صناعته الفتك

❀ كـكأسِ عقيقٍ في قرارتها مسكُ ❀

لأن السواد الذي في باطن الآذريونةِ الموضوع بازائه الغاليةُ والمسكُ فيه أمران :

❀ أحدهما : أنه ليس بشامل .

❀ والثاني : أنه لم يستدر في قعرها . بل ارتفعَ منه حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات . وله في منقطعه هيئةٌ تشبه آثارَ الغاليةِ في جوانب المُدهن . إذا كانت بقيةٌ بقيت عن الاصابع . وقوله :(في قرارتها مسكُ) يبين الامر الأول . ويؤمن من دخول النقص عليه . كما كان يدخل لو قال : (فيها مسك) . ولم يشترط أن يكون في القرارة ؛ وأما الثاني فلا يدل عليه كما يدل قوله : (بقايا غاليه) : لأن من شأن المسك والشيء اليابسِ اذا حصل في شيء مستدير له قعرٌ ان يستدير في القعر ، ولا يرتفع في الجوانب الارتفاعَ الذي في سواد الآذريونة . بخلاف الغالية فانها رطبةٌ . ثم تؤخذ بالاصابع . فلا بد في البقية منها ان ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاعَ . ثم هي لنعومتها ترقُ فتكون كالصبغ الذي لا يظهر له جِرمٌ . وذلك أصدق للشبه(١) .

والبليغُ من التشبيه ما كان من هذا النوع ، أعني البعيد لغرابته . ولان الشيء اذا نيل بعد الطلب له والاشتياق اليه كان نيلُه أحلى . وموقعُه من

(١) وعبارة الاسرار (ص ١٥٤) : وذلك أصدق للتشبيه .

النفس الطف ، وبالمسرة أولى ، ولهذا ضُرب المثلُ لكلّ مالطُف موقعُه ببرد الماء على الظمأ كما قال(١) :

وهنّ ينبذنَ من قولٍ يُصبنَ به ... مواقع الماء من ذي الغُلة الصادي

لايقال : عدمُ الظهور ضربٌ من التعقيد ، والتعقيدُ مذمومٌ ، لأنا نقول : التعقيدُ -كما سبق- له سببان : سوءُ ترتيب الالفاظ(٢) ، واختلالُ الانتقال من المعنى الاول الى المعنى الثاني الذي هو المراد باللفظ(٣) ؛ والمراد بعدم الظهور في التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته(٤) ، أو ترتيبُ بعض المعاني على بعض(٥) كما يُشعر بذلك قولُنا في بادىء الرأي ، فان المعاني الشريفة لابدّ فيها في غالب الأمر من بناءِ ثانٍ على اولٍ وردّ

---

(١) القطامي : ديوانه ٨ ، الشعراء ٤٥٣ ، العيون ٤ - ٨٢ ، المعاهد ١ - ٦٤ وأساس البلاغة (نبذ) وهذا الشاهد مقتبس مع العبارة التي تقدمته من الاسرار (١١٨ رابعة) ، وادخال (من) التبعيضية للايذان بأنهن لا يسرفن في القول ، وقلة الكلام مما يمتدح ولا سيما في النساء .

(٢) كقول الفرزدق :

(وما مثله في الناس الا مملكا ... أبو أمه حيّ أبوه يقاربه)

(٣) كما في قوله :

(سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناي الدموع لتجمدا)

(٤) كما في تشبيه ابن المعتز للبنفسج بأوائل النار في أطراف كبريت (ص ٦١) .

(٥) كالترتيب في آية : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ... » فان خضرة النبات مرتبة على الماء ، واليبس مرتب على الخضرة .

تالٍ الى سابقٍ كما في قول البحتري : (دانٍ على أيدي العفاة وشاسع ...) البيتين(١) ، فانك تحتاج في تعريف معنى البيت الاول الى معرفة وجه المجاز في كونه دانياً وشاسعاً ، ثم تعود الى ما يعرض البيت الثاني عليك من حال البدر ، ثم تقابل احدى الصورتين بالاخرى وتنظر كيف شرط في العلوّ الافراط ليشاكل قوله : (شاسع) ، لأن الشسوع هو الشديد من البعد ، ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهي في القرب فقال : (جدّ قريب) ، فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة الى الفكر ، وهل شيء أحلى من الفكر اذا صادف نهجاً قويماً الى المراد .

قال الجاحظ في أثناء فصل يذكر فيه مافي الفكر من الفضيلة : «وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ، ولذة السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالاعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه(٢) »؟!

التشبيه المشروط — وقد يتصرف في القريب المبتذل بما يخرجه من الابتذال الى الغرابة ، وهو على وجوه :

❀ منها : ان يكون كقوله(٣) :

---

(١) والبيتان مرا بنا (ص ٩) وهما في الاسرار (٩٨ رابعة) .

(٢) وهو حلّ لعقد :

(أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب ان يلجا)

(٣) أي المتنبي (ديوان عزام ١١٩) من قصيدة يمدح بها هارون الأورجي ، والشاهد في تشبيه الوجه بالشمس ، وهو قريب مبتذل ، غير أن حديث الحياء عنه

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا الا بوجه ليس فيه حياء !

وقوله(١) :

فردّت علينا الشمس ، والليل راغم

بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

فوالله ما أدري ، أأحلام نائم

ألمّت بنا ، أم كان في الركب يوشع !

فان تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد من حديث الحياء في الأول ، والتشكيك مع ذكر يوشع في الثاني اخرجه من الابتذال الى الغرابة ، وشبيه بالاول قول الآخر(٢) :

أخرجه من الابتذال الى الغرابة لاشتماله على زيادة في الدقة والخفاء ، فهو يقول : ان الشمس لم تقابل وجه الممدوح الا بوجه ليس فيه حياء ، ولو كان في وجهها حياء لما قابلته .

(١) القول لابي تمام من قصيدة متوكلية مطلعها : (اما انه لولا الخليط الموذع) وبين بيتي الشاهد :

نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى لبهجتها ثوب الظلام الممزع

وقوله (والليل راغم) أي ذليل لانه يزول بطلوعها ، ويوشع بن نون هو فتى موسى في سورة الكهف ، وهو في التوراة (يشوع بن نون) من سبط إفرايم كان فتى موسى أي خادمه ثم خليفته ، وفي وقوف الشمس وردّها يقول يشوع في سفره : (يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون ، فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعداءه) وهو يطلب ان يطول القتال الى أن تهزم الاعداء وهزم الله اعداءه بعد قتال طويل ، ثم استغل ادبنا العربي هذه الحادثة الكونية الرائعة.

(٢) وهو ابو نواس (الديوان هندية ص ٩٥) ويروى العجز فيه (الى نداه ...)

إن السحاب لتستحي إذا نظرت الى نـدالك فقاسـه بما فيها

❀ ومنها : أن يكون كقوله(١) :

عزماتُه مثل النجومِ ثواقباً لو لم يكن للثاقبات أفولُ

وقوله(٢) :

مها الوحشِ إلا أنّ هاتا أوانسٌ قنا الخطُ إلا أن تلك ذوابلُ

وقوله(٣) :

يكاد يحكيك صوبُ الغيث منسكباً

لو كان طلق المحيّا يُمطر الذهبا

والبدرُ لولم يغب، والشمس لو نطقت

والأُسدلولم تُصد، والبحرُ لو عذبا!

---

(١) هو رشيد الدين الوطواط المنتمي لعمر بن الخطاب (ـ ٥٧٣ هـ) ، كان شاعراً ناثراً في العربية والفارسية : ومن تصانيفه (حدائق السحر) ، ترجم له ياقوت في الادباء (١٩ ـ ٢٩) ، وعنه نقل السيوطي في البلغة ، وصاحب المعاهد (٢ ـ ٣٠٣ السعادة) ، و (ثواقباً) في الشاهد حال .

(٢) هو لابي تمام ، وعليه شرح في تهذيب الايضاح (١ ـ ٢٣) وقوله (مها الوحش) خبر مبتدأ محذوف ، (وقنا الخط) خبر بعد خبر .

(٣) أي البديع الهمذاني ، وهو من شواهد التفريق في البديع (التهذيب ١ ـ ١٢٧) اخذه بعضهم فقال :

من قاس جدواك يوماً بالسحب اخطأ مدحك

السحب تعطي وتبكي وأنت تعطي وتضحك

وهذا يسمى **التشبيه المشروط** :

❀ ومنها : أن يكون كقوله(١) :

في طلعة البدر شيءٌ من محاسنها ... وللقضيب نصيبٌ من تثنيها

وقول ابن بابك(٢) :

ألا يا رياض الحزن من أبرق الحمى ... نسيمك مسروقٌ ووصفك منتحلْ

حكيت أبا سعدٍ فنشركَ نشرهُ ... ولكن له صدقُ الهوى ولك الملل

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله(٣) :

كأنما تبسم عن لؤلؤٍ ... منضدٍ أو بَردٍ أو أقاحْ

كما يزداد في ذلك لطفاً وغرابة كقوله(٤) :

له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تتفلُ

التشبيه مؤكد اومرسل . — وأما باعتبار أداته، فامامؤكد أومرسل :

---

(١) أي البحتري . ورواية الديوان (١ ـ ٢٣ جوائب) للصدر :

(في جمرة الوشي شيء من تلهبها)

(٢) عبد القاسم بن عبد الصمد مرّ ذكره في هذا الجزء (ص ٢٥) ، ومعنى (نسيمك مسروق) عارض غير ذاتي . مثل قوله (ووصفك منتحل) ، واراد بالنسيم (نسيمك) رائحة الرياض الطيبة . وبالوصف (ووصفك) ماتوصف به الرياض من نضرة وبهجة ، و (صدق الهوى) الثبات عليه وعكس ذلك (الملل) .

(٣) هو للبحتري وقد مر بنا (ص٧٧)

(٤) هو لامرىء القيس (الديوان ١٠٢ سندوبي) ، وأيطلا ظبي : خاصرتاه ، وساقا نعامة : طويل الساقين ، وارخاء سرحان : سرعة الذئب في لين ، والتتفل : ولد الثعلب .

﴿ المؤكّد ﴾ : ما حُذفت أداته كقوله تعالى(١) : « وهي تمرُّ مرَّ السحاب » ، وقوله(٢) : « يا أيها النبيُّ إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ۞ وداعياً الى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ۞ » ، وقول الحماسيّ(٣) :

هم البحورُ عطاءً حين تسألهم ... وفي اللقاء إذا تلقى بهم بُهَمُ

الى غير ذلك كما سبق ، ومنه نحو قول الشاعر(٤) :

والريحُ تعبثُ بالغصون وقد جرى ... ذهبُ الأصيلِ على لُجينِ الماءِ

وقول الآخر يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار(٥) :

---

(١) من الآية « وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمرُّ مرَّ السحاب ، صنعَ الله الذي أتقن كل شيء ، انه خبير بما تفعلون » سورة النمل ٨٨

(٢) هاتان الآيتان من سورة الاحزاب (٤٥ و ٤٦) .

(٣) هو زياد بن حمل ، أو ابن منقذ احد بلعدوية التميمي (شرح ديوان الحماسة ٣ ـ ٣٢٦ المنذري) وبعده :

وهم اذا الخيل حالوا في كوانبها ... فوارس الخيل لا ميل ولا قزم

قال المرزوقي : انتصب (عطاءً) على التمييز ، أو مفعول له ، ومفعول (تلقى) محذوف اي الاعداء ، والضمائر في البيت لفتيان تقدم ذكرهم ، واللقاء الحرب ، والبهم جمع بهمة بضم الباء ، وهو الشجاع لا يدرى كيف يؤتى له ، لاستبهام شأنه .

(٤) قال صاحب المعاهد (٢ ـ ٩٥ سعادة) : ولا أعرف قائله ، وهو لابن خفاجة الاندلسي (٤٥٠ ـ ٥٣٣ هـ) ، ونجده في ديوانه (ص ١٧) مطبعة جمعية المعارف ، و (ذهب الاصيل) من اضافة الصفة للموصوف اي : الاصيل ذهب ، وهو تشبيه محذوف الاداة ، ومثله (لجين الماء) اي الماء لجين ، كالفضة صفاء .

كأنما أدهمُ الاظلامِ حين نجا من أشهب الصبح ألقى نعلَ حافره (١)

وقول الشريف الرضيّ (٢) :

أرسى النسيمُ بواديكم ولا برحت حوامل المُزن في اجداثكم تضع

ولا يزال جنينُ النبت تُرضعه على قبوركم العَرّاصةُ الهُمُع

﴿ والمرسَل (٣) ﴾ : ما ذُكرت أداته كقوله تعالى (٤) : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » وقوله عزوجلّ : « عرضها كعرض السماء

---

(١) هو لابن حمديس الصقلي ، وقبله :

ورب صبح رقيناه وقد طلعت بقية البدر في اولى بشائره

يقول الشاعر : كأنما الليل المظلم الذي هو كالفرس الأدهم حين نجا (من اشهب الصبح) اي من الصبح الذي هو كالفرس الاشهب اي الابيض ، والشهبة بياض الفرس ، وأثبت لليل حافراً ، وشبه القمر آخر الشهر قبل السرار بنعله في الدقة والانعطاف ، والمعنى ان القمر الذي يرى آخر الشهر دقيقاً منعطفاً هو نعل حافر الليل ، ألقاه حين أمكنه الخلاص من فرس الصبح الاشهب .

(٢) في ديوانه (ص ٢٧٨ ط بغداد) ، والعراصة : السحابة يضطرب فيها البرق والرعد ، والهمع : بضم الميم من همع الماء والدمع سال ، وهي جمع هموع ، وان روى الهمع (بضم الهاء وفتح الميم) فهي جمع هُمعة اسم لما يهمع كدفعة ودفع .

(٣) أي المطلق من قيد حذف الاداة الموجب للتأكيد .

(٤) وبقية الآية (البقرة ١٧) : « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون » .

والأرض » وقول امرىء القيس(١) :

وتعطو برخصٍ غيرِ شثنٍ كأنه أساريعُ ظبيٍ، أو مساويكُ إسحلِ

وقول البحتري(٢) :

واذا الأسنةُ خالطتها خلتها فيها خيالَ كواكبٍ في الماء

الى غير ذلك كما تقدم .

التشبيه اما مقبول او مردود . — وأما باعتبار الغرض فإمّا مقبولٌ أو مردود :

﴿ المقبولُ ﴾ : الوافي بافادة الغرض، كأن يكون المشبهُ به أعرفَ شيء(٣) بوجه الشبه ، إذا كان الغرضُ بيانَ حال المشبه من جهة وجه الشبه ، او بيانَ المقدار ؛ ثم الطرفان في الثاني إن تساويا في وجه الشبه فالتشبيه كاملٌ في القبول .

---

(١) كما في ديوانه (ص ١٠٠ سندوبي) ، وضمير تعطو أي تتناول يعود الى الحبيبة ، ورخص لين ، وشثن خشن ، وأساريع جمع أسروع ، وهو دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد بطول الاصبع ، والظبي هنا واد بتهامة ، والاسحل من شجر السواك ، شبه أنامله بأساريع أو مساويك للينها .

(٢) هو في الديوان (٢/٢٢٨ جوائب) يصف الدروع البيض ببريقها ، وقبله :

بيض تسيل على الكماة فضولها سيل السراب بقفرة بيداء

ورواية الشاهد في الديوان : (فاذا الاسنة ... في ماء) وهي الصحيحة ، والضمير من خالطتها للدروع ، ومن (خلتها) للأسنة ، ومن (فيها) للدروع ايضاً : أي خلت الأسنة في الدروع خيال الكواكب في الماء .

(٣) أي أعرف الطرفين .

وإلاّ فكلما كان المشبهُ به أسلمَ من الزيادة والنقصان كان اقربَ الى الكمال ، او كأن يكون المشبهُ به أتمّ شيء(١) في وجه الشبه اذا قُصد الحاقُ الناقص بالكامل ، أو كأن يكون المشبهُ به مسلَّمَ الحكم معروفه عند المخاطب في وجه الشبه ، إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود .

﴿ والمردودُ ﴾ : بخلاف ذلك(٢) ، اي القاصرُ عن إفادة الغرض.

خاتمة

تقسيم التشبيه الى القوة والضعف باعتبار ذكر الأركان وتركها .

قد سبق أن أركان التشبيه أربعةٌ : المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ، ووجهه ، فالحاصلُ من مراتب التشبيه في القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلِها أو بعضِها ثمانٍ(٣) :

---

(١) في الاطول ص ١٠٧ استنبول : (أو أتم شيء) ، الاولى : أتمها أي أتمّ الطرفين .

(٢) أي بخلاف المقبول بأن لا يكون على شرطه الذي هو افادة الغرض المطلوب بتمامه ، والتسميةُ بالمردود والمقبول بالنظر الى وجه الشبه فقط مجردُ اصطلاح كما في الأطول .

(٣) هي المشهورة المستعملة ، والبهاء السبكي في عروسه (٣/٤٧١ شروح) قد أوصل صيغ التشبيه الى ١٨ صيغة باعتبار حذف المشبه به وباقامة القرائن الدالة .

❀ إحداها : ذكر الأربعة كقولك : (زيدٌ كالأسد في الشجاعة) ولا قوة لهذه المرتبة .

❀ وثانيتها : تركُ المشبه كقولك : (كالأسد في الشجاعة) أي زيد ، وهي كالأولى في عدم القوة .

❀ وثالثتها : تركُ كلمة التشبيه كقولك : (زيد أسدٌ في الشجاعة) ، وفيها نوع قوة .

❀ ورابعتها : تركُ المشبه وكلمة التشبيه كقولك : (أسد في الشجاعة) أي زيد ، وهي كالثالثة في القوة .

وخامستها : تركُ وجه الشبه كقولك : (زيد كالاسد) ، وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر .

❀ وسادستها : تركُ المشبه ووجه التشبيه كقولك : (كالأسد) أي زيد ، وهي كالخامسة .

❀ وسابعتها : تركُ كلمة التشبيه ووجه كقولك : (زيد اسدٌ) ، وهي أقوى الجميع .

❀ وثامنتها : إفرادُ المشبه به بالذكر كقولك : (أسد) أي زيد ، وهي كالسابعة .

تنبيه النضار . — وأعلم أن الشبه(١) قد ينتزع من نفس

---

(١) أي التشابه ، والمراد به ما يقوم به التشابه وهو وجه التشبيه .

التضادّ(١) لاشتراك الضدين فيه(٢) . ثم يُنزّل منزلة التناسب بوساطة تمليح أو تهكم(٣) فيقال للجبان : ما أشبهه بالأسد ! وللبخيل : هو حاتم !

❀❀❀

(١) أي الكائن بين شيئين متنافيين ، ومعنى (الانتزاع من نفس التضاد) أن يجعل التضاد وسيلة لوجه الشبه .

(٢) أي في التضاد لكون كل منهما مضاداً للآخر ، والمراد بالضدين هنا المتنافيان في الجملة ، فيصح أن يتخيل التضاد كالتناسب فينزل منزلته .

(٣) التمليح الاتيان بما فيه ملاحة وظرافة يقال (ملّح الشاعر) : إذا أتى بشيء من الشعر مليح ، والتهكم السخرية والاستهزاء ، والمثالان التاليان يصلحان للتمليح والاستهزاء ، ولقصدهما معاً ، فاذا دلت القرينة على عدم قصد التهكم بالمشبه لصداقة بين المتكلم والمخاطب كان التعبير تمليحاً ، وان كان بينهما غضب وعداوة كان تهكماً ، فالتفريق إذن بين القصدين يكون بحسب المقام .

تدريبات

على تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين والوجه والأداة والغرض

١ ــ « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد». ابراهيم ١٨ .

٢ ــ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائر أعضائه بالسهر والحمى » حديث

٣ ــ ومما ينسب لعنترة من الشعر :

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها ذئب ترعرع في نواحي المنزل

الساق منها مثل ساق نعامة والشعر منها مثل حب الفلفل

---

(١) هذه الآية في تمثيل حال اعمال الكافرين التي يحبطها الكفر (المشبه) بحال الرماد الذي تعصف الريح به (المشبه به) ووجه الشبه منتزع من متعدد وهو صورة شيء متجمع يبدّده شيء مفسد يتغلب عليه . والغرض من التشبيه بيان مقدار حال المشبه .

(٢) التشبيه تمثيلي . والغرض منه بيان حال المشبه .

(٣) المشبه محسوس مفرد مقيد ، ومثله المشبه به في البيت الأول . والطرفان محسوسان ومفردان مطلقان في كل من التشبيهين في البيت الثاني . وغرض المتماثلين من التشابيه الثلاثة في البيتين تقبيح المشبه .

٤ — ولأبي تمام يرثي محمد بن حميد الطوسي :

وقد كان فوت الموت سهلا فردّه ... اليه الحفاظ المرّ والخلق الوعرُ
ونفس تعاف العار حتى كأنما ... هو الكفر يوم الروع او دونه الكفر
كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خرّ من بينها البدرُ

٥ — ولأبي الطيب في وصف الأسد :

وردٌ اذا ورد البحيرة شاربا ... وردَ الفرات زئيرُه والنيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا ... تحت الدجى نار الفريق حلولا
يطأ الثرى متر فقاً من تيهه ... فكأنه آس يجس عليلا

٦ — وقال ابن خفاجة الاندلسي :

لله نهرٌ سال في بطحاء ... احلى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه ... والزهر يكنفه مجرّ سماء

---

(٤) الطرفان في البيت الثاني (العار والكفر) معقولان ، والمشبه في البيت الثالث (بنو نبهان) محسوس مفرد مقيد ، والمشبه به محسوس مركب ، والوجه فقد الاحسن من الطرفين ، والتشبيه مجمل غير تمثيل ، والغرض منه بيان حال المشبه .

(٥) في البيت الثاني : الطرفان محسوسان مفردان ، والمشبه به مقيد والوجه اللمعان ، والتشبيه مجمل غير تمثيل ، والغرض بيان مقدار حال المشبه : واما البيت الثالث : فتشبيه مجمل وتمثيل : فقد شبه المتنبي هيئة الاسد وهو يطأ الارض برفق من فرط تيهه (المشبه) بهيئة الطبيب الذي يجس العليل برفق (المشبه به) ، و (وجه الشبه) : صورة شيء يمس آخر بترفق وتلطف ، والغرض من التشبيه بيان حاله .

(٦) ليس في تشبيه النهر بالسوار تمثيل : لان وجه الشبه مفرد وهو التقوس والتشبيه

٧ ـــ وقال البحتري يمدح الفتح بن خاقان :

ألمعُ برق سرى ام ضوء مصباح ... ام ابتسامتها بالمنظر الضاحي
تهتز مثل اهتزاز الغصن أتعبه ... مرورُ غيث من الوسمي سحاح
وجدت نفسك من نفسي بمنزلة ... هي المصافاة بين الماء والراح

٨ ـــ وقال الصاحب بن عباد :

اتتني بالأمس اياته ... تعلل روحي بروح الجنان
كبرُ دالشباب وبرد الشراب ... وظل الأمان ونيل الأماني
وعهد الصبا ونسيم الصبا ... وصفو الدنان ورجع القيان

فيه مرسل ومجمل . وأما تشبيه هيئة النهر في بياضه والتوائه والزهر محيط بجانبيه بالمجرة البيضاء الملتوية والنجوم بجانبيها ، فتشبيه تمثيل لان وجه الشبه منتزع من متعدد فهو صورة شيء ابيض ملتو تحيط به اجسام بيض صغيرة .

(٧) التشبيه في البيت الثالث تمثيلي لان وجه الشبه متعدد وهو الصورة الحاصلة من تمازج شيئين متآلفين ، وقد شبه البحتري فيه حال نفسه ممتزجة بنفس صديقه الفتح بحال امتزاج الماء والراح ؛ اما البيت الثاني فعلى الطالب ان يعرف بعد التحليل : أتشبيه تمثيل أم غير تمثيل ؟

(٨) التشبيه مجمل غير تمثيل ، وهو مرسل ، وقد تعدد فيه الطرف الثاني دون الاول فالتشبيه فيه تشبيه الجمع .

تمرينات

١ — « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً : كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون . » آية كريمة .

٢ — وفي الحديث : العلم الذي لاينفق منه صاحبه كالكنز الذي لاينفق منه ، وفيه ايضاً : مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين .

٣ — ومن كلام الامام علي في صفة الفتنة : تمتد في مدارج خفية ، وتؤول الى فظاعة جلية ، شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام ، يهرب منها الاكياس ، ويدبرها الارجاس .

٤ — وللنابغة الذبياني :

تجلو بقادمتي حمامة ايكة ... بَرَداً أسف لثاته بالأثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه ... جفت أعاليه وأسفله ندي

٥ — وللفرزدق :

وتقول كيف يميل مثلك للصبا ... وعليك من سمة الحليم عذارُ
والشيب ينهض في السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

٦ — وقال مجنون بني عامر :

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراحُ
قطاة عزّها شرك فباتت ... تجاذبه ، وقد علق الجناح

٧ — وقال ابن المعتز :

انظر الى حسن هلال بدا ... يهتك من انواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من فضة ... يحصد من زهر الدجى نرجسا

٨ — وقال ابن الرومي :

دهر علا قدر الوضيع به ... وغدا الشريف يحمله شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه ... سفلا ، وتعلو فوقه جيفه

٩ — ولأبي هلال العسكري صاحب الصناعتين :

تلوح الثريا والظلام مقطب ... فيضحك منها عن اغر مفلج
تسير وراء والهلال امامها ... كما أومأت كف الى نصف دملج

١٠ — وقال آخر في صفة النرجس :

وشادن اهيف حيا بنرجسة ... كأنها اذ بدت في غاية العجب
كف من الفضة البيضاء ساعدها ... زبرجد حملت كأساً من الذهب

١١ — ولابن رشيق القيرواني :

لو اورقت من دم الابطال سمر قنا ... لأورقت عنده سمر القنا الذبل
اذا توجه في اولى كتائبه ... لم تفرق العين بين السهل والجبل
فالجيش ينفض حوليه أسنته ... نفض الغراب جناحيه من البلل

١٢ — وقال الثعالبي يمدح الميكالي :

لك في المحاسن معجزات جمة ... ابداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه ... شعر الوليد وحسن لفظ الاصمعي
كالنور أو كالسحر ، أو كالدر ، أو ... كالوشي في برد عليه موشع

١٣ — وقال ابو العلاء المعري :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا ... زجاج ، ولكن لا يعاد له سبك

١٤ — وقال البارودي :

انا فارس انا شاعر ... في كل ملحمة ونادي
فاذا ركبت فانني ... زيد الفوارس في الجلاد
واذا نطقت فانني ... قس بن ساعدة الايادي

١٥ — وقال شوقي :

المستبد يطاق في ناووسه ... لا تحت تاجيه وفوق ثيابه
والفرد يؤمن شره في قبره ... كالسيف نام الشر خلف قرابه

١٦ — ولمعروف الرصافي يصف ليلة طرب بدمشق :

صوتٌ كأن الغانيا ... ت أعرنه هيف الخصور
ملأ الظلام توقداً ... كالكهرباءة في الأثير
يحكي الزلال لدى العطا ... ش ، أو الثراء لدى الفقير

١٧ — ومن تشابه كلية ودمنة :

ومن بذل وده ونصيحته لمن لا يشكره كان كمن يبذر في السباخ ، ومن يشير على المعجب فهو كمن يشاور الميت أو يسارّ الاصم » (ص ٢١٩ المرصفي)
اخذ المثل الاول صاحب الصناعتين فقال :

الا انما النعمي بجازى بمثلها ... اذا كان مسداها الى ماجدحر
اذا المرء القى في السباخ بذوره ... اضاع فلم ترجع بزرع ولا بذر

❀❀❀

القول

في الحقيقة والمجاز

الحقيقة والمجاز وتعريف الحقيقة . — وقد يقيد أن بالاغويين(١) ؛ (الحقيقة) : الكلمة المستعملة فيما وُضعت له في اصطلاح به التخاطب(٢) فقولنا (المستعملة) : احتراز عما لم يُستعمل ، فان الكلمة قبل الاستعمال لا تُسمى حقيقة(٣) ؛ وقولنا (فيما وضعت له) : احتراز عن شيئين :

❀ أحدهما : ما استعملت في غير ما وضعت له **غلطاً**(٤) ، كما اذا أردت أن تقول لصاحبك : خذ هذا الكتاب ، مشيراً الى كتاب بين يديك ، فغلطت فقلت : خذ هذا الفرس ؛

❀ والثاني : أحد قسمي المجاز ، وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً

---

(١) ان المقصود الاصلي في علم البيان هو المجاز لا الحقيقة ، ولكن الكلام عليه لا يتم الا بمعرفتها . لذلك جرت عادة علماء البيان بالبحث عنها أولاً تمهيداً للبحث عن المجاز .

(٢) اي المستعملة في المعنى المصطلح على التعبير بها عند التخاطب .

(٣) ولا مجازاً أيضاً .

(٤) لأن اللفظ في الغلط مستعمل في غير ما وضع له ، وما كان كذلك لا يكون حقيقة ولا مجازاً ؛ ذلك ان القصد شرط في الوضع ، والغلط ليس بمقصود

له : لا في اصطلاح به التخاطبُ ، ولا في غيره كلفظة الأسد في الرجل الشجاع(١) ،

وقولنا (في اصطلاح به التخاطبُ) : احترازٌ عن القسم الآخر من المجاز ، وهو ما استُعمل فيما وضع له ، لا في اصطلاح به التخاطب كلفظ الصلاة يستعمله المخاطِب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً(٢) ؛

تعريف الوضع ـ والوضع (٣) تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه(٤) ؛ فقولنا (بنفسه) احتراز عن تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة ، أعني المجاز ؛ فان ذلك التعيين لا يُسمى وضعاً ، ودخل (المشترك) في الحدّ : لان عدم دلالته على أحد معنيه بلا قرينة لعارضٍ ـ اعني الاشتراكَ ـ لاينافي تعيينه للدلالة عليه بنفسه(٥) ...

---

(١) لأن الاستعارة ، وان كانت موضوعة ، غير أن وضعها (تأويلي) لاحتياج الدلالة فيه الى قرينة ، لا (تحقيقي) وهو ما كانت الدلالة فيه بنفسه لا بقرينته ؛ وقوله (في اصطلاح به) متعلق ب (موضوعاً) .

(٢) لأن العرف الشرعي يطلق الصلاة على إقامة الأركان المخصوصة .

(٣) انما عرّف الوضع لتوقف معرفة الحقيقة والمجاز على معرفته .

(٤) أي لا بقرينة تنضم اليه ومعنى هذه الدلالة الذاتية ان يكون العلم بوضع ذلك اللفظ وتعيينه كافياً في فهم معناه عند إطلاقه .

(٥) أي على أحد معنييه بنفسه ، لا بقرينته ، فان الدلالة بواسطتها هي وضع المجاز : هذا وعدم فهم أحد المعنيين من المشترك اللفظي لعارض الاشتراك لاينافي تعيين اللفظ للدلالة على المعنى بنفسه ، فان لفظ القرء ـ وزان قفل ـ مثلا قد عين مرة للدلالة

تقسيم المجاز وتعريف المفرد منه . — والمجاز مفرد ومركب :

* أمّا (المفرد) ، فهو الكلمة المستعملة في غير ماوضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصحّ مع قرينة عدم ارادته :

فقولنا (المستعملة) : احتراز عمّا لم يستعمل ، لأن الكلمة قبل الاستعمال لاتسمى مجازا ، كما لاتسمى حقيقة :

وقولنا (في اصطلاح به التخاطب) : ليدخل فيه نحو لفظ **الصلاة**(١) اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا فانه ، وان كان مستعملا فيما وُضع له في الجملة ، فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب :

وقولنا (على وجه يصحّ) : احتراز عن الخطأ كما سبق(٢) :

وقولنا (مع قرينة عدم إرادته) : احتراز عن الكناية(٣) كما تقدم .

بنفسه على الطهر ، ومرة للدلالة على الحيض ، ولكن غير مجموع بينهما ، فاذا ما استعمل في احدهما ، واحتيج الى قرينة مخصصة لم يضر ذلك في كونه حقيقة .

(١) ومثلها (الزكاة) اذا استعملها الشرعي في (الماء) فانها تكون مجازاً : لأنها لفظ استعمل في غير ما وضع له في اصطلاح الشرع ، وهو الجزء المعلوم من المال يعطى للسائل والمحروم .

(٢) اي في تعريف الحقيقة .

(٣) فان قرينتها لا تمنع من ارادة المعنى الموضوع له ، أما السكاكي فان الكناية (حقيقة) عنده ؛ لأنها لفظ استعمل أولاً في معناه وان اريد لازم ذلك المعنى ، قال في المفتاح (ص ٢٢٠ أدبية) : « والحقيقة في المفرد والكناية تشتركان في كونهما

والحقيقة لغويةٌ وشرعية وعُرفية خاصة أو عامة : لأن واضعها إن كان واضع اللغة فلغويةٌ ، وان كان الشارع (١) فشرعيةٌ ، وإلاّ فعرفيةٌ ؛ والعرفيةُ إن تعيّن (٢) صاحبها نُسبت اليه ، كقولنا : كلاميّة ونحوية ، وإلاّ بقيت مطلقة (٣) ؛

مثال اللغويّة : لفظ (أسد) إذا استعمله المخاطِبُ بعرف اللغة في السبع المخصوص ؛

ومثال الشرعية : لفظ (صلاة) اذا استعمله المخاطِبُ بعرف الشرع في العبادة المخصوصة ؛

ومثال العرفية الخاصة (٤) : لفظ (فعل) اذا استعمله المخاطِبُ بعرف النحو في الكلمة المخصوصة ؛

حقيقتين ، ويختلفان في التصريح وعدم التصريح . » ومنهم من يرى — كالامام الخطيبي — أن الكناية (لا حقيقة ولا مجاز) ، وهي عند شيخنا المصنف (واسطة بين الحقيقة والمجاز) لانها لم تستعمل فيما وضع له ، بل في لازمه مع جواز ارادة الملزوم .

(١) أي وان كان واضع تلك الحقيقة الشارع فان الحقيقة شرعية .

(٢) ان لم يعين صاحبها لتنسب اليه ، فهي مطلقة من التعيين .

(٣) قال المحقق المغربي (٤ — ٢٧ شروح) والمراد من (التعيين) ان يكون غير خارج عن طائفة خاصة كأهل الكلام واهل النحو ، وليس شرطه أن يعلم الشخص الناقل ، وبه يعلم أن ليس المراد اتفاق جميع أهل العرف أولاً ، لا في العام ولا في الخاص ، وظاهر هذا أن النقل — أي عن المعنى اللغوي — لا بد منه ، وان كثرة الاستعمال دليل عليه ، لا أنه نفسه .

(٤) العرفية الخاصة : ما وضعها أهل عرف خاص كالنحويين في لفظ مخصوص .

ومثال العرفية العامة(١) : لفظ (دابة) اذا استعمله المخاطِب بالعرف العام في ذي الأربع ؛

وكذلك المجاز المفرد لغويّ وشرعيّ وعرفيّ(٢) :

مثال اللغويّ : لفظ (أسد) اذا استعمله المخاطِب بعرف اللغة في الرجل الشجاع ؛

ومثال الشرعيّ : لفظ (صلاة) اذا استعمله المخاطِب بعرف الشرع في الدعاء ؛

ومثال العرفي الخاص : لفظ (فعل) اذا استعمله المخاطِب بعرف النحو في الحدث ؛

ومثال العرفي العام : لفظ (دابة) اذا استعمله المخاطِب بالعرف العام في الشاة :

والحقيقة : إمّا فعيل بمعنى مفعول من قولك : حققت الشيء أحقه اذا أثبته(٣) ، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك : حقّ الشيءُ يحِقّ اذا

---

(١) العرفية العامة : ما وضعها أهل العرف العام أي العرف الذي لم يختص بطائفة مخصوصة من الناس .

(٢) والعرفي : إما خاص واما عام ، فأقسام المجاز المفرد على ذلك اربعة كالحقيقة.

(٣) جاء في اللسان : وحق الامر يحق — بكسر الحاء وضمها — صار حقاً وثبت ، وفي التنزيل (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) : أي وجبت وثبتت.

ثبت، أي المثبتة، أو الثابتة في موضعها الأصلي : فأما التاء ... قيل هي لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية الصرفة كما قيل في أكيلة ونطيحة : إنّ التاء فيهما لنقلهما من الوصفية الى الاسمية(١). فلذلك لا يوصف بهما، فلا يقال : شاة أكيلة أو نطيحة.

والمجاز، قيل : مفعل، من جاز المكان يجوزه اذا تعدّاه : أي تعدّت موضعها الاصلي(٢) ...

والمجاز ضربان : مرسل واستعارة. لأن العلاقة المصححة ان كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة. والا فهو مرسل(٣). وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعارا(٤)، وعلى

---

(١) لأن كلاً من (أكيلة ونطيحة) بلا تاء، هي في الاصل لكل مأكول ومنطوح من الابل والبقر والغنم، ثم كثر استعمالها في الغنم. فاعتبر نقلها اسماً لها، فجعلت التاء فيهما للنقل من الوصفية المذكورة للاسمية.

(٢) وقد سمي به المجاز لانهم جازوا به موضعه الحقيقي الاول الى موضعه الخيالي الثاني. والمجاز ايضاً في اللغة المسلك والطريق من جاز المكان سلكه. فكأنه مسلك ووسيلة الى الانتقال من المعنى الحقيقي الى الخيالي.

(٣) سمي (مرسلاً) : لأن المجاز الاستعاري مقيد بأن المشبه في جنس المشبه به، والمرسل مطلق عن هذا القيد، أو لاطلاقه من قيد علاقة المشابهة.

(٤) اسم مفعول من استعار اذا طلب العارية، وهي الشيء يُتداول للانتفاع به، والتعاور والتداول واحد. والمستعار المجازي بمنزلة الثوب الذي يستعار من صاحبه =

الاول(١) لايشتق منه لكونه اسما للفظ لا للحدث .

المرسل . — الضرب الاول : المرسل : وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وماوضع له ، ملابسة غير التشبيه كاليد اذا استعملت في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ، ومنها تصل الى المقصود بها ، ويُشترط أن يكون في الكلام إشارةٌ الى المولي لها(٢) . فلا يقال :

= لغيره ، ولفظ الاسد مستعار من الاسد الضاري ، وهو المستعار منه ، للرجل الشجاع وهو المستعار له .

(١) أي وعلى اطلاق الاستعارة على اسم المشبه به لا يشتق منه لكونه اسماً يدل على اللفظ لا على الحدث والمعنى ، وانما يشتق من الاستعارة (أي الحدث) المستعار له والمستعار منه والمستعار .

(٢) تعريف المرسل ملخص من المفتاح (١٩٤ ادبية) ، والكلام من قوله (ويشترط ....) حتى العبارة الآتية (وكالراوية المزادة ....) مقتبس بتصرف من أسرار البلاغة (٣٠٥ — ٣٠٩ رابعة المنار) ، وبذلك ترى أن جميع من الف في البيان والمعاني هو حليف فاقة الى الامام الجرجاني ، الذي يفرق بين الحقيقة والمجاز بقوله : « لو تكلف متكلف فزعم أن (وضع اليد للنعمة) وضع مستأنف ، أو في حكم لغة مفردة ، لم يمكن دفعه الا برفق واعتبار خفي » . وهو ما قدمنا من أنا رأيناهم لا يوقعون هذه اللفظة على ما ليس بينه وبين هذه الجارحة التباس واختصاص : ودليل آخر : وهو أن (اليد) لا تكاد تقع للنعمة ، الا وفي الكلام اشارة الى مصدر تلك النعمة ، والى المولي لها ، ولا تصلح حيث تراد النعمة مجرّدة من اضافة لها الى المنعم أو تلويح به ... » ثم يفصل ما اقتبسه شيخنا المصنف تفصيلاً جميلاً ، فلعلك ايها الطالب لاسرار البلاغة راجع اليها ، ومعوّل في اكتساب حر البيان عليها .

(اتسعت اليد في البلد) أو (اقتنيت يدا) كما يقال : اتسعت النعمة في البلد او اقتنيت نعمة ، وانما يقال : (جلّت يده عندي) و (كثرت أياديه لديّ)(١) ونحو ذلك :

ونظير هذا قولهم في صفة راعي الابل : (إن له عليها إصبعا)(٢) . أرادوا ان يقولوا : له عليها أثرُ حذقٍ ، فدلوا عليه بالاصبع ، لأنه مامن حذقٍ في عملِ يدٍ إلا وهو مستفادٌ من حسن تصريف الاصابع ، واللطف في رفعها ووضعها كما في الخطّ والنقش . وعلى ذلك قيل في تفسير

---

(١) قال البهاء السبكي في عروسه (٤ - ٣٥) : « وتمثيل المصنف بقوله : (جلت يده عندي) فيه نظر ، لأن ذلك ليس فيه ما يعين المجاز اذ لا مانع ان تقول : جلت يده عندي ، مريداً الجارحة ؛ وأما (كثرت أياديه لديّ) ففيه قرينة تصرفه الى المجاز ، وهي (كثرت) لأن الجارحة لا تكثر ، وكذلك لفظ (الايادي) اذا قلنا أن اليد بمعنى النعمة تجمع على أياد ، وبمعنى الجارحة على أيد . »

(٢) وفي أساس البلاغة : « ان له على ماله اصبعاً » ، واستشهد صاحب الاسرار بقول الشاعر في حسن رعيته للابل :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها ، إذا ما أجدب الناس ، إصبعا

واراد بقوله (ضعيف العصا) انه رفيق بابله لا يوجعها بعصاه من غير فائدة فهو حسن الرعية والأثر عليها ؛ وفي لسان العرب تعليل تفسير الاصبع بالأثر الحسن اذ يقول : « والاصبع الأثر الحسن يقال : فلان من الله عليه اصبع حسنة : أي اثر نعمة حسنة ، وانما قيل للاثر الحسن اصبع لاشارة الناس اليه بالاصبع » وهذا الشرح للاصبع هو تفسير أهل اللسان ، واما شرح الجرجاني فهو تفسير أرباب البيان .

قوله تعالى(١) : « بلى قادرين على أن نُسوي بنانه » : أي نجعلها كخفّ البعير ، فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة. فأرادوا بالاصبع الأثر الحسن حيث يقصد الاشارة الى حذقٍ في الصنعة ، لامطلقاً حتى يقالَ : رأيت أصابعَ الدار ، وله إصبع حسنةٌ ، وإصبع قبيحة ، على معنى ، أثر حسن ، وأثر قبيح ، ونحو ذلك ؛ وينظر الى هذا قولهم : (ضربته سوطاً) : لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثرَ السوط سوطا ؛ وتفسيرُهم له بقولهم : (المعنى ضربته ضربةً بالسوط) بيانٌ لما كان الكلام عليه في أصله(٢) .

ونظير قولنا : (له عليَّ يدٌ) قول النبيّ (ص م) لأزواجه(٣) :

---

(١) الآية الرابعة من سورة القيامة ، وقبلها : « أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ؟ » وهنالك تفسير حديث لتسوية البنان وهي احكام صنعه فان لكل إصبع منا من الدوائر والمنحنيات ما ليس لغيرنا ، ، ولذلك اتخذت طوابع الاباهيم من حلى الانسان وعلاماته الفارقة ، ومثل تلك الصناعة الدقيقة العجيبة لا يقدر عليها الا المبدع القدير .

(٢) اي أصل (ضربته سوطاً) : ضربته ضربة بالسوط فأطلقوا السوط وأرادوا أثره ، فهو من قبيل اطلاق السبب وارادة المسبب .

(٣) وعبارة اسرار البلاغة (ص ٣٠٨ رابعة المنار) في صراحة دلالة اليد على القدرة هي : « فمن الصريح قولهم : (فلان طويل اليد) يراد فضل القوة ، فانك لو وضعت القدرة ههنا في موضع اليد احلت — اي اتيت بمحال — كما انك لو حاولت — في قول النبي ص م ، وقد قالت له نساؤه : ايتنا اسرعُ لحاقاً بك=

«أسرعكن لحوقاً -ويروى لحاقاً- بي أطولكن يدا». وقوله: (اطولكن) نظير ترشيح الاستعارة، ولا بأس أن يسمى ترشيح المجاز، والمعنى: بسط اليد بالعطاء؛ وقيل قوله: (أطولكن) من الطول بمعنى الفضل، يقال: (لفلان على فلان طَولٌ) أي فضل، فاليد على هذين الوجهين بمعنى النعمة؛ ويحتمل أن يريد أطولكن يداً بالعطاء، أي: أمدكن، فحذف قوله (بالعطاء) للعلم به؛

وكاليد أيضا اذا استعملت في **القدرة**: لان اكثرما يظهر(١) سلطانها في اليد، وبها يكون البطش والضرب والقطع، والاخذ والدفع، والوضع والرفع، وغير ذلك من الافعال التي تنبيء عن وجوه القدرة ومكانها؛

وأما اليد في قول النبي (صلعم): «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم» فهو استعارة(٢)، والمعنى:

=يارسول الله؟ فقال: اطولكن يداً، يريد السخاء والجود وبسط اليد بالبذل أن تضع موضع اليد شيئاً مما اريد بهذا الكلام، خرجت عن المعقول، وذلك أن الشبه مأخوذ من مجموع (الطول واليد) مضافاً ذلك الى هذه، وطلبه من اليد وحدها طلب الشيء على غير وجهه.

(١) كلمة (ما) مصدرية: أي أكثر ظهور سلطانها في اليد.

(٢) هذا الكلام فيه نظر لأن في قوله: (وهم يد) ذكراً للطرفين بدون أداة ولا وجه شبه، فهو تشبيه بليغ لا استعارة، والمصنف على هذا المذهب، ولذلك قال البهاء السبكي في عروسه (٤/٣٥) معلقاً على قول المصنف (فهو استعارة): =

إن مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً ، وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم(١) .

وكالراوية للمزادة(٢) ، مع كونها للبعير الحامل لها لحمله إياها وكالحفض(٣) للبعير مع كونه لمتاع البيت لحمله إياه . وكالسماء في الغيث(٤) كقولهم :

= « وما قاله هو الصواب على ما نختاره ، الا انه لا يحسن منه : لأنه يرى أن مثل ذلك تشبيه لا استعارة . » ، ومن البيانيين من يرى أن التشبيه البليغ استعارة لأنه مضمر الأداة ، والتشبيه لا يكون الا بها ، وهو مذهب العسكري والآمدي والخفاجي وغيرهم . وفي الطراز (٢٠٦/١) حجج من يثبت استعارة التشبيه البليغ ومن ينفيها .

(١) وهنا تنتهي العبارة المقتبسة بتصرف من اسرار البلاغة

(٢) قال ابن سيده : والراوية المزادة فيها الماء ، ويسمى البعير راوية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه ؛ وقوله (وكالراوية للمزادة) معطوف على قوله (وكاليد إذا استعملت في القدرة) أي : وكالراوية اذا استعملت في المزادة المحمولة مع كونها للبعير الحامل لها ؛ و (المزادة) مشتقة من الزيادة قال في الاساس : وهي الراوية تقام بجلد ثالث يزاد بين جلدين .

(٣) وزان مرض ، أي : وكالحفض اذا استعمل في البعير ، قال يونس : ربيعة كلها تجعل الحفض البعير ، وقيس تجعل الحفض المتاع .

(٤) أي : وكالسماء اذا استعملت في الغيث لكونه من جهة المظلة ، أي السماء التي تظل الارض ، قال في اللسان : وسمي المطر سماءً لأنه ينزل من السماء ، وقالوا : (هاجت بهم سماءُ جود) فأنثوه — أي الفعل المسند الى السماء — لتعلقه بالسماء التي تظل الارض .

أصابتنا السماء لكونه من جهة المُظِلَّة ، و **كالوكاف** في قول الشاعر (١) :

❀ يأكلن كلَّ ليلةٍ إكافا ❀

أي علفاً بثمن الأكاف :

وهذا الضرب من المجاز(٢) يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا منها:

❀ **تسمية الشيء باسم جزئه** : كالعين في الربيئة(٣) ، لكون الجارحة المخصوصة هي المقصود في كون الرجل ربيئة ، اذ ماعداها لايغني شيئاً مع فقدها ، فصارت كأنها الشخص كله ، وعليه قوله تعالى(٤) : « قم الليلَ إلاّ قليلا » أي صلِّ ، ونحوه(٥) : « لاتقم فيه أبداً » أي : لاتصلِّ ،

---

(١) الاكاف بردعة الحمار ويجمع على أكف مثل إزار وأزر ، وانشدوا الشاهد لراجز :

❀ إن لنا أحمرةً عجافا ❀
❀ يأكلن كل ليلة إكافا ❀

قال في اللسان : أي ثمن إكاف ، أي يباع إكاف ويطعم بثمنه ، ومنه المثل (تجوع الحرة ولا تأكل ثديها) أي أجرة ثديها .

(٢) أي المجاز المرسل

(٣) وهي كما في التهذيب عين القوم الذي يربأ لهم فوق مربأ من الارض ولا يكون الا على جبل أو شرف ينظر منه . والجمع ربايا .

(٤) سورة المزمل : الآية الثانية ، وبعدها : « نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . »

(٥) وتتمة الآية : « ... لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه رجال يحبون ان يتطهروا ، والله يحب المتطهرين . » التوبة ١٠٨ .

وقول النبيّ (ع م) : (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه) أي : من صلى ؛

❀ ومنها عكس ذلك نحو(١) : (يجعلون أصابعهم في آذانهم) أي : أناملهم ، وعليه قولهم : قطعت السارق ، وانما قطعت يده ؛ ومنها :

❀ تسمية المسبب باسم السبب : كقولهم (رعينا الغيث) أي النبات الذي سببه الغيث ، وعليه قوله عزوجل(٢) : «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» سمي جزاء الاعتداء اعتداء ، لأنه مسبب عن الاعتداء ، وقوله تعالى(٣) : «ونبلو أخباركم» تجوز بالبلاء عن العرفان لانه مسبّب عنه ، كأنه قيل : ونعرف اخباركم ، وعليه قول عمرو بن كلثوم:

ألا لايجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

الجهل الأول حقيقة ، والثاني مجاز : عبر به عن مكافأة الجهل(٤) .

---

(١) اي تسمية الشيء باسم كله ، والعلاقة فيه الكلية .

(٢) من الآية : « الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا ان الله مع المتقين» البقرة ١٩٤.

(٣) من الآية . « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم » سورة محمد ٣١ .

(٤) قال البهاء السبكي في عروسه (٤/٣٨ شروح) ثم تقول : (فنجهل فوق جهل الجاهلين) حقيقة قطعاً : لان الجهل فوق جهل الجاهلين ليس مكافأة ، لأنه ليس مثله بل زائد عليه ، والزيادة على مقدار القصاص جهل ، بخلاف (مثل ما اعتدى عليكم) : وقد يجاب عنه بان مقابلة التأديب باكثر منه عند الجاهلية كان ممدوحاً يمتدحون به ، فليس جهلا حقيقة ، فصح ان تسميته جهلا مجاز .

وكذا قوله تعالى(١) : «وجزاء سيئة سيئة مثلها» تجوز بلفظ (السيئة) عن الاقتصاص : لأنه مسبَّب عنها ؛ قيل : وان عبر بها عما ساء أي أحزن لم يكن مجازاً ، إلا أن الاقتصاص محزن في الحقيقة كالجناية ؛ وكذا قوله تعالى(٢) : «ومكروا ومكر الله» تجوز بلفظ (المكر) عن (عقوبته) : لأنه سببها ؛ قيل : ويحتمل ان يكون مكر الله حقيقة ، لأن المكر هو التدبير(٣) فيما يضر الخصم ، وهذا محقق من الله تعالى باستدراجه اياهم بنعمه ، مع ما اعدّ لهم من نقمه ؛

❀ ومنها تسمية السبب باسم المسبب : كقولهم (امطرت السماء

---

(١) وبقية الآية : « ... فمن عفا وأصلح فأجره على الله ان الله لا يحب الظالمين . » الشورى ٤٠ : وقد مرت بنا هذه الآية في فن البديع (التهذيب ١ ـ ٦٠) شاهداً على المشاكلة ، فاقرأ ما علقناه من الشرح عليها .

(٢) وبقيتها : « والله خير الماكرين . » آل عمران ٥٤ .

(٣) التدبير ـ كما قال الغزالي ـ جودة الروية في استنباط الاصلح ، وهو تعبير لا يليق بالله ، على ان ابن سيده يقول : المكر الخديعة والاحتيال : سمي المكر وهو المسبب باسم العقوبة وهي السبب ، وقد جاء في لسان العرب : قال اهل العلم بالتأويل : (المكر) من الله جزاء باسم مكر المجازى ـ بفتح الزاي ـ كما قال : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة ، ولكنها سميت سيئة لازدواج الكلام (المشاكلة) ، وكذلك قوله : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه .

نباتاً)(١) . وعليه قولهم(٢) : (كما تدين تدان) أي كما تفعل تجازى ؛

وكذا لفظ (الأسنمة) في قوله(٣) يصف غيثاً :

أقبل في المستنّ من ربابه أسنمة الآبال في سحابه

وكذا تفسير انزال أزواج الانعام في قوله تعالى(٤) : « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » بانزال الماء على وجه لأنها لا تعيش الا بالنبات، والنبات لا يقوم الا بالماء . وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها . ويؤيده ماورد: إن كل مافي الأرض من السماء ينزله الله تعالى الى الصخرة ثم يقسمه .

---

(١) فقد سموا الغيث بالنبات الذي هو اسم مسببه . فهذا معنى تسمية السبب (الغيث) بالمسبب (النبات) . قال السعد في مختصره : واورد في الايضاح في أمثلة تسمية السبب باسم المسبب قولهم (فلان أكل الدم) اي الدية المسببة عن الدم ، وهو سهو، بل هو من (تسمية المسبب باسم السبب) لأنهم سموا الدية (المسبب) بالدم وهو (اسم السبب)

(٢) وهو مثل سمي فيه الفعل الذي (هو السبب باسم المسبب) وهو الدين .

(٣) اي الراجز ، والمستن السريع العدو ، والمراد باستنان الغيث انصبابه ، والرباب جمع ربابة كسحاب وسحابة لفظاً ومعنى . والمجاز في (الاسنمة) جمع سنام: سمي غيث السحاب باسنمة الابل لأنه سبب النبات الذي تسمن به الابل ، وتمتلىء به اسنمتها شحماً . والمعنى : اقبل الغيث الذي هو سبب سنام الابل في غاية انصبابه من ربابه .

(٤) من الآية : « خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها . وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج . يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث. ذلكم الله ربكم له الملك . لا إله إلا هو ، فانى تصرفون . » الزمر٦ .

قيل : وهذا معنى قوله تعالى(١) :«ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض . . . :

وكذا قوله تعالى(٢) : « وينزل لكم من السماء رزقاً » أي مطراً هو سبب الرزق ؛ وقوله تعالى(٣) : « إنما يأكلون في بطونهم ناراً » وقولهم: (فلان أكل الدم) أي الدية التي هي مسببة عن الدم قال(٤) :

---

(١) وبقية الآية : « . . . ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يجعله حطاماً ، إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب . » الزمر ٢١ .

(٢) من الآية : «هو الذي يريكم آياته ... وما يتذكر الا من ينيب . » غافر ١٣

(٣) من الآية : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ... وسيصلون سعيرا . » النساء ١٠ .

(٤) القائل اعرابي كان تزوج امرأة يقال لها : صعبة ، فلم يوافقها وطالت عشرتها السيئة فقيل له : إن حمّى دمشق سريعة في موت النساء ، فحملها الى دمشق وقال :

دمشق خذيها واعلمي أن ليلة ثمرّ بعودي نعشها ليلة القدر

اكلت دما ...

قال التبريزي في شرح ديوان الحماسة (٤ / ٣٥٨ نمع) : « اكلت دماً يجري مجرى اليمين ، وان كان لفظه لفظ دعاء ، والمعنى : ان لم افزعك بامرأة حسنة طيبة الرائحة فابتلاني الله بما يحل معه أكل الدم » . وجوز ابو العلاء ان يكون اراد الدعاء على نفسه بشرب الدم حقيقة سنة الجدب والحاجة ، لأن عرب الجاهلية كانوا اذا اشتد الزمان عليهم فصدوا النوق وشربوا دماءها ، أو الدعاء عليها بشرب دم الحية لانه عندهم كالسم ، وعلى ذلك لا مجاز في الشاهد .

قال التبريزي : « وأجود الوجوه أن يكون الغرض بقوله (شربت دما) :

أكلتُ دماً ان لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القُرط ، طيبة النشر

وقوله تعالى (١) : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » أي أردت القراءة، بقرينة الفاء ، مع استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة؛ وقوله تعالى (٢) : « ونادى نوح ربه » أي أراد بقرينة (فقال رب) ؛ وقوله تعالى (٣) : « وكم من قرية أهلكناها » أي أردنا إهلاكها، بقرينة : (فجاءها بأسنا) . وكذا قوله تعالى (٤) : « ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها » بقرينة (أفهم يؤمنون) . وفيه دلالة واضحة (٥) على الوعيد بالاهلاك، إذ لا يقع الانكار في (أفهم يؤمنون) في المحز (٦) إلاّ بتقدير : ونحن على أن نهلكهم :

أي قتل لي قتيل فأخذت الابل في ديته فشربت ألبانها ، فكأني أشرب دم القتيل قال الشاعر :

اذا صبّ ما في الوطب فاعلم بأنه دم الشيخ ، فاشرب من دم الشيخ أو دعا

(١) وبقيتها : « ... من الشيطان الرجيم » النحل ٩٨ .

(٢) وبقيتها : « ... فقال رب ان ابني من أهلي ، وان وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين . » هود ٤٥ .

(٣) وبقيتها « ... فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون . » الاعراف ٤ .

(٤) الآية كاملة بقرينتها : « ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها ، أفهم يؤمنون؟ » الأنبياء ٦ .

(٥) وفي المخطوطة الدمشقية : دلالة ظاهرة ، والمعنى واحد

(٦) المحز موضع الحزّ ، وهو المفصل ، والسكين لا تقطع العظم الا ان وقعت فيه ، وفي الاساس : تكلم أو أشار فأصاب المحزّ .

❀ ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه: كقوله عز وجل(١): «وآتوا اليتامى أموالهم» أي الذين كانوا يتامى: إذ لا يُتم بعد البلوغ. وقوله(٢): «إنه من يأت ربه مجرماً» سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الاجرام

❀ ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه(٣): كقوله تعالى(٤): إني أراني أعصر خمراً»:

❀ ومنها تسمية الحال باسم محله: كقوله تعالى(٥): «فليدع ناديه» أي أهل ناديه:

❀ ومنها عكس ذلك(٦): نحو «وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله» أي في الجنة:

---

(١) وتتمة الآية: «... ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا اموالهم الى أموالكم، انه كان حوباً كبيراً.» النساء ٢.

(٢) وبقيتها: «... فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا.» طه ٧٤.

(٣) ويسمى أيضاً للاختصار مجازاً بالأول، لأنه إنما يعصر عنباً يؤول أي يرجع ويصير خمراً، وعلاقته الاولية.

(٤) من الآية: «ودخل معه السجن فتيان، قال أحدهما... وقال الآخر: اني أراني احمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين. يوسف ٣٦.

(٥) الآية ١٧ من سورة العلق.

(٦) أي تسمية المحل باسم الحال، وبتعبير آخر: اطلاق اسم الحال على المحل كالرحمة على الجنة. وتتمة الآية: «... هم فيها خالدون» آل عمران ١٠٧.

* ومنها تسمية الشيء باسم آلته(١) : كقوله تعالى(٢) : «وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه» أي : بلغة قومه . وقوله تعالى(٣) : «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» أي ذكراً جميلاً وثناء حسناً . وكذا غير ذلك(٤) مما بين معنى اللفظ . وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه . ..

---

(١) كتسمية اللغة باسم اللسان آلتها . والعلاقة الآلية، وهي كون المعنى الحقيقي آلة للمعنى المجازي كاللسان مستعملاً في اللغة : ولك ان تجعله من اطلاق المحل على الحال لأن الذكر الجميل حال في اللسان .

(٢) وبقيتها : « ... ليبين لهم . فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وهو العزيز الحكيم . » ابراهيم ٤ .

(٣) الآية ٨٤ من سورة الشعراء .

(٤) من وجوه المجاز المرسل التي يكون التعلق فيها بين معنى اللفظ وما هو موضوع له بعلاقة غير المشابهة . وقد ذكر المصنف من هذه الوجوه المجازية تسعة ، وذكر قبلها (الراوية للمزادة) وهي من مجاز المجاورة ، وكأنما استغنى عن ذكره بمثاله ، فجملة ما ذكر من وجوه المجاز المرسل وانواعه عشرة ، وغيره أبلغها مع ما ذكره الى نحو ثلاثين نوعاً ، واذا تأملنا بعضها رأيناه يرجع الى بعض كالسببية على ماسنبينه ، فمن أنواع هذا المجاز التي اغفلها : (اطلاق الملزوم على اللازم) كما في قولك : (ينبغي زجر الصبيان في بعض الاحيان) اي تأديبهم ، اذ يلزم من الزجر التأديب ، فالزجر ملزوم والتأديب لازم ، وباطلاق الملزوم على لازمه تكون العلاقة الملزومية : على انا اذا ما تأملنا قليلاً رأينا أن لهذا المثال دخلاً في «اطلاق السبب على المسبب» .

ومنها (اطلاق اللازم على ملزومه) نحو (طلع الضوء) أي الشمس ، فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية ، وبالامكان اعتباره من (اطلاق المسبب على سببه) =

....

= لان الشمس سبب للضوء ومنها (اطلاق المطلق على المقيد) : كقوله تعالى : « فتحرير رقبة » والمراد مؤمنة . وعلاقته (الاطلاق) . وهو يرجع الى التعبير بالجزء عن الكل .

ومنها (اطلاق المقيد على المطلق) كما في قولك : (مشفرك مجروح) أي شفتك . فان المشفر مقيد بكونه للبعير ثم اويد به هنا مطلق شفة وعلاقته (التقيد) . ثم نقل هذا المثل من مطلق شفة الى شفة الانسان فكان مجازاً مرسلاً بمرتبتين ، اي مجازاً على مجاز . والعلاقة (التقييد والاطلاق) .

ومنها (اطلاق العام على الخاص) كقوله تعالى : « أم يحسدون الناس » أي النبي العربي . ومنها عكسه كما في اطلاق الفرس على الدابة في قولك : اذا ركبت فرسك فقل : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) : أي اذا ركبت دابتك .

* فوائد لضبط العلاقات * : ان العلاقة تكسب الى اللفظ المصرّح به والمعبر به عن غيره . ففي : (رعينا الغيث) اللفظ المصرح به هو الغيث وهو السبب . فالعلاقة السببية . وفي (امطرت السماء نباتاً) المصرح به هو المسبب فالعلاقة المسببية . وقس على هذا .

* فائدة ثانية : وقد يذكر المسبب ويراد به سبب السبب . ومنه قوله تعالى : « يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم » اي انزلنا المطر الذي هو سبب النبات الذي هو سبب مادي للباس .

* الفائدة الثالثة : وقد يتردد المجاز بين كونه مرسلاً واستعارة كما في قولك : (نطق الدنيا بما فيها من اتعاب زهد أولي الالباب) فالنطق هنا مستعمل في معنى الدلالة . فان اعتبرت العلاقة مشابهة الدلالة للنطق في فهم المراد في كل ، كان استعارة . وان اعتبرت العلاقة كون النطق سبباً للدلالة كان مجازاً مرسلاً علاقته السببية . فالعبرة بالاعتبار .

وقسم الشيخ صاحب المفتاح(١) المجاز المرسل الى : خال عن الفائدة ومفيد ، وجعل **الخالي عن الفائدة** : ما استعمل في أعم مما هو موضوع له كالمرسن في قول العجاج(٢) :

❀ وفاحماً و مرسناً مسرجا ❀

فانه مستعمل في الأنف . لا بقيد كونه لمرسن مع كونه موضوعاً له بهذا القيد لا مطلقاً . وكالمشفر في نحو قولنا : (فلان غليظ المشافر) اذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير ؛ وقال : سمي هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو ليث وأسد ، وحبس ومنع ، عند المصير الى المراد منه .

وأراد **بالمفيد** : ما عدا الخالي عن الفائدة والاستعارة كما مر ، والشيخ عبد القاهر رحمه الله جعل (الخالي عن الفائدة) ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعاً لذلك الشيء بقيدٍ آخر من غير قصد التشبيه(٣) .

---

(١) في الصفحة ١٩٤ (المطبعة الادبية) وعرّف المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة (غير المفيد) بقوله : هو ان تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد ، فتستعملها لامع ذلك القيد بمعونة القرينة مثل ان تستعمل المرسن الخ ..

(٢) مر ذكره في الجزء الاول من تهذيب الايضاح (١ / ١٠) قال الجوهري : المرسن بكسر السين موضع الرسن من أنف الفرس . ثم كثر حتى قيل : مرسن الانسان . في (كونه لمرسن) يعود الى الانف مطلقاً ، أكان مرسوناً ام لا .

(٣) في الأسرار (٢٢ رابعة المنار) تقسيم لهذا المجاز الى غير مفيد والى مفيد ، والبحث فيه طريف فارجع اليه ، وقوله (من غير قصد التشبيه) اي هو كذلك مجاز

ومثله(١) ببعض مامثله الشيخ صاحب المفتاح ونحوه مُصرحاً بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الانسان. فان قصد التشبيه صار اللفظ استعارة كقولهم في مواضع الذم: (غليظ المشفر) فانه بمنزلة أن يقال: كأن شفته في الغلظ مشفر البعير. وعليه قول الفرزدق(٢):

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكن زنجيٌ غليظُ المشافر

أي: ولكنك زنجيٌ كأنه جمل لا يهتدي لشرفي.

وكذا قول الحطيئة يخاطب الزبرقان(٣):

قَرَوا جارك العيمان لما جفوته وقلّص عن بَرد الشراب مشافرُه

فانه، وان عنى نفسه بالجار، جاز أن يقصد الى وصف نفسه بنوع من

مرسل، فان قصد التشبيه كتشبيه الشفة بمشفر الابل في الغلظ فهو استعارة كما في قول الفرزدق الآتي.

(١) اى الشيخ الامام صاحب الاسرار (ص ٢٧) وضمير (مثله) يعود الى المجاز الخالي عن الفائدة.

(٢) هو في الديوان بيت يتيم (ص ٤٨١ صاوي)، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب (١/٢٨٢).

(٣) الديوان (ص ١٢ التقدم)، وجعله صاحب الموشح (٩١) من الأبيات المستكرهة الالفاظ القلقة القوافي الرديئة النسج، وذكر انه اراد بـ (مشافره) شفتيه، والواو من (وقلص) للحال، ومشافره فاعل (قلص)، والعيمان من به شهوة اللبن.

سوء الحال ليزيد في التهكم بالزبرقان . ويؤكد ما قصده من رميه باضاعة الضيف واسلامه للضرّ والبؤس ، وكذا قول الآخر (١) :

سأمنعها أوسوف أجعل أمرَها الى ملكٍ أظلافُه لم تشقق

❀

(١) استشهد به الشيخ الامام في الاسرار (٢٩ رابعة المنار) ولم يعزه ، وقال : هو في حد التشبيه والاستعارة ، لان المعنى على ان الاظلاف لمن تزيا بالملك عن مشابهة كأنه قال : اجعل امرها الى ملك لا الى عبد جاف متشقق الاظلاف ، وانشد ابن دريد هذا البيت في اول الباب الذي وضعه للاستعارة ، واصل (تشقق) تتشقق حذفت احدى التاءين تخفيفا .

نصوص وشواهد

على المجاز المرسل وعلاقاته

تدريبات

(١) جاء في سورة التوبة : « كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة . يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون ».

(٢) ومن بليغ الحديث : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم .

(٣) وقال عنترة العبسي :

ومدجّج كره الكماة نزاله ... لا ممعنٍ هرباً ولا مستسلم
جادت له كفي بعاجل طعنة ... بمثقف صدق الكعوب مقوّم
فشككت بالرمح الاصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

---

(١) الافواه جمع فوه على الاصل وهو الفم ، وحقيقة الفم الجويف الواقع بين الفكين وفيه اللسان ، والافواه هنا مجاز مرسل اريد بها الالسنة ، والعلاقة المحلية ، و (القلوب) كذلك مراداً بها العقول .

(٢) حقيقة اليد معروفة ، وهي في هذا الحديث مجاز مرسل اريد بها القدرة لظهور سلطانها ، ويدل على تضمين اليد غاية الشدة تعديتها بعلى ، وافرادها وهي جارية على الجماعة ، والعلاقة المظهرية : لان اليد مظهر القدرة او السببية .

(٣) حقيقة (الكف) في البيت الثاني معروفة ، ويراد بها اليد كلها ، من اطلاق

(٤) ومما ينسب للسموأل :

وانا لقوم ما نرى الموت سبة ... اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظُبات تسيل

(٥) ولمعوّد الحكماء معاوية بن مالك :

وكنت اذا العظيمة أفظعتهم ... نهضت ولا أدبّ لها دبابا

بحمد الله ثم عطاء قوم ... يفكون الغنائم والرقابا

اذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وان كانوا غضابا

(٦) ولأبي تمام الطائي:

الجزء وارادة الكل . فالعلاقة الجزئية . وحقيقة (الثياب) في البيت الثالث معروفة . والشاعر يريد قلبه لمجاورة الثياب للقلب فكانها محله وهو حال فيها . فالمجاز مرسل علاقته المجاورة او المحلية حسب الاعتبار .

(٤) الظباة جمع ظبة بضم الظاء وهي حد السيف ، والمراد بها السيوف تامة . فهي مجاز مرسل علاقته الجزئية . كذلك (النفوس) مرادا بها (الدماء) : لانها هي التي تسيل على السيوف . وبما ان وجود النفس في الجسد سبب في وجود الدم فيه ، فالعلاقة السببية .

(٥) ويروى البيت الثالث (اذا نزل السحاب) والمراد ماؤه من اطلاق المحل وارادة الحال ، فالعلاقة المحلية .

(٦) الشباة بفتح الشين حد السيف الذي شبه به القلم ، ويراد بها ما تكتبه لانها آلته ، فالعلاقة الآلية .

لك القلم الأعلى الذي بشباته تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب واعجم ان خاطبته وهو راجل

(٧) ولأبي الطيب المتنبي يمدح طاهراً العلوي :

اذا علوي لم يكن مثل طاهر فما هو إلا حجة للنواصب
يدٌ للزمان الجمع بيني وبينه لتفريقه بيني وبين النوائب
حملت اليه من لساني حديقة سقاها الحجى سقي الرياض السحائب

(٨) ولحميد بن ثور :

قصائد يستحلي الرواةُ نشيدها ويلهو بها من لاعبي الحيّ سامرُ
يعض عليها الشيخُ إبهام كفه ويخزى بها أحياؤكم والمقابرُ

(٩) ولاسماعيل صبري يتغزل بلواء الحسن :

أقبلي نستقبل الدنيا وما ضمنته من معدات الهنـاء
واسفري تلك حلى ماخلقت لتوارى بلثام او خبـاء
واخطري بين الندامى يحلفوا أن روضا راح في النادي وجاء

(٧) يد للزمان في البيت الثاني مجاز مرسل بمعنى النعمة لانها مصدر لها ، فالعلاقة المصدرية او السببية ، و (لساني) في البيت الثالث بمعنى بياني ، واللسان آلة البيان فالعلاقة الآلية .

(٨) في البيت الاول جاء (السامر) وهو مجلس السمار ، وهو لايلهو فقد اطلق المحل واراد السمار الحالين فيه ، فالمجاز مرسل علاقته المحلية ، وفي البيت الثاني (المقابر) وأراد بها أهلها الاموات ، فالمجاز كذلك مرسل علاقته المحلية .

(٩) حقيقة النادي مجلس القوم ، وقد اريد به اهله فهو مجاز مرسل علاقته المحلية .

(١٠) ويقول شوقي :

يمدّ الدجى في لوعتي ويزيد ... ويبدئ بثي في الهوى ويعيد
أرقت وعادتني لذكرى أحبتي ... شجون قيامٌ بالضلوع قعود

(١١) اعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

(١٢) كأن خزاً تحته وقزا ... وفرشاً محشوةً إوزا

(١٣) ومن أنشودة للاطفال :

أنتم جنود الوطن ... حين تحل المحن
ان لم تكونوا له ... غداً فأنتم لمن ؟

❀❀❀

---

(١٠) والمراد بالضلوع في البيت الثاني القلب الذي تضمنته من اطلاق المحل وارادة الحال فيه ، فالعلاقة المحلية .

(١١) الشاهد في البيت الثاني ، فان القافية هي الجزء الاخير من البيت بحسب الاصطلاح المعروف ، ففي اطلاقها على البيت او القصيدة مجاز مرسل علاقته الجزئية .

(١٢) الشاهد في أنه أطلق (إوزا) وهو كل ، وأراد الريش وهو جزء منه فالمجاز مرسل علاقته الكلية .

(١٣) أطلق الجنود على الاطفال باعتبار مايؤولون اليه ، فالعلاقة الأولية ، او اعتبار ما سيكون .

تمرينات

بين ما في الشواهد التالية من المجازات مع علاقاتها وقرائنها

(١) هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون .

(٢) وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ، ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة .

(٣) ويقول عنترة .

قل للجبان اذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناجي؟

(٤) ولمهلهل يرثي كليباً :

نُبئت أن النار بعدك أوقدت ... واستب بعدك يا كليب المجلس

وتنازعوا في أمر كل عظيمة ... لو كنت شاهد أمرهم لم يئبسوا

(٥) ولمعن بن أوس المزني :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلمُ

وأسعى لكي أبني ويهدم صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم

(٦) وللحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة :

ألمّا على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(٧) كم بعثنا الجيش جرّاراً وأذ كينا العيونا

(٨) لا أركب البحر أخشى عليّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

(٩) خير ما ينقضي من العمر ما مرّ بارض الحمى مع الأحباب
كم لأيدي الركاب خبت اليها من أيادٍ مشكورة في الرقاب

(١٠) كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسان

(١١) وللأخطل الصغير :

الصبا والجمال ملك يديكِ أيّ تاج أعزّ من تاجيكِ ؟
نصب الحسن عرشه فسألنا من تراها له ؟ فدلّ عليك
ماتغنّى الهزار الا ليلقي زفرات الغرام في اذنيك
قتل الورد نفسه حسدا منك والقى دماه في وجنتيك
والفراشات ملّت الزهر لما حدّثتها الانسام عن شفتيك
رفعوا منكِ للجمال مثالاً وانحنوا خشعاً على قدميكِ !

***

الاعراب البياني

اذا العينُ راحت، وهي عينٌ على الجوى فليس بسرٍ ما تسرُ الاضالعُ

العين راحت : (العين) مسند اليه ، و (راحت) الفعل مسند، والاسناد خبري ، والضرب ابتدائي

هي عين : (هي) مسند اليه ، و (عين) مسند ، الاسناد خبري والضرب ابتدائي ، (عين) الثانية مجاز مرسل من اطلاق الجزء وارادة الكل ، فالعلاقه الجزئية ، و (على الجوى):قيد

ليس بسرٍ ما : (بسر) مسند مقدم ، و (ما) اسم الموصول مسند اليه : اي الذي تسرُ الاضالع ليس بسر ، الاسناد خبري وضربه طلبي لتأكيده بمؤكد واحد ، وهو الباء الزائدة .

تسر الأضالع : (تسرّ) مسند و (الاضالع) مسند اليه ، والاسناد خبري والضرب ابتدائي، والجملة المضارعية (تسر) تدل على التجدد والاستمرار ، وهذا الاسناد مجاز عقلي ، ويحتمل ان نشبه (الاضالع) برجال استعرناها لها ثم حذفناها ورمزنا لها بشيء من لوازمها وهو (تسر) على طريق الاستعارة بالكناية بجامع الكتمان في كل .

تدريب

أعرب البيت التالي مع تعيين مجازه المرسل وعلاقته

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بأظلمِ

الاستعارة(١) . — الضرب الثاني من المجاز الاستعارة، وهي: ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له ، وقد تُقيد بالتحقيقية : لتحقق معناها(٢) حساً او عقلاً ، أي التي تتناول أمراً معلوماً(٣) يمكن أن ينص عليه، ويشار

---

(١) وهي الضرب الثاني من المجاز المفيد لتضمنه التشبيه ، واجتمع لما يقوله الشيخ الامام عنها في اسراره (٣٢ رابعة) : « اعلم ان الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الاول ، وهي امد ميدانا ، واشد افتنانا ، واكثر جريانا، واعجب حسنا واحسانا، واوسع سعة وأبعد غورا ، واذهب نجدا في الصناعة وغورا ، من أن تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها ، نعم واسحر سحرا ، واملأ — اي اكفل — بكل مايملأ صدرا ، ويمتع عقلا ، ويؤنس نفسا ، ويوفر أنسا ...

ومن الفضيلة الجامعة فيها : انها تبرز هذا البيان ابدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا ، وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد ، وشرف منفرد ، وفضيلة مرموقة ، وحلاوة موموقة : ومن خصائصها التي تذكر بها ، وهي عنوان مناقبها ، انها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجني من الغصن الواحد انواعاً من الثمر ... » وانا موصيك ايها الطالب لاسرار البلاغة ان ترجع الى هذا الفصل ، فانه لقول فصل في بيان خصائص الاستعارة المفيدة .

(٢) اي معنى الاستعارة المجازي لا الحقيقي كما يتبادر الى الفهم ، وقوله : (حسا او عقلا) منصوبان على نزع الخافض ، والمراد بتحقق معناها بالحس ان يدرك باحدى الحواس الخمس ، وبتحقق معناها بالعقل ان لا يدرك معناه بالحواس بل بالعقل ؛ وانما تقيد بالتحقيقية لتتميز عن التخييلية والمكنى عنها .

(٣) وهو المعنى المجازي .

اليه اشارة حسية او عقلية ، فيقال : إن اللفظ نُقل من مسماه الأصلي فجُعل اسماً له على سبيل الاعارة للمبالغة في التشبيه ؛

أما الحسي فكقولك : (رأيت أسداً) وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، وعليه قول زهير(١) :

❀ لدى أَسدٍ شاكي السلاحِ مقذَّفٍ ❀

أي لدى رجل شجاعٍ ؛

ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه في الحركات كقول أبي دُلامة يصف بغلته الشهباء :

أرى الشهباءَ تعجن اذ غدونا برجليها و تَخبز باليدينِ

شبه حركة رجليها حيث لم تثبتا على موضعٍ تعتمدبهما عليه، وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يد العاجنِ ، فانهما لا تثبتان في موضعٍ ، بل تزلان الى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يد الخابز ، فانه يثني يده نحو بطنه . و يُحدث فيها ضرباً من التقويس ، كما تجد في يد

---

(١) في الديوان (ص ٢٣ طبع الدار) وعجزه : (له لبد اظفاره لم تقلم) و (شاكي السلاح) اي شائكة فهو ذو شوكة ، (ومقذف) : مقذوف باللحم من سمنه ، او مقذوف به الى الحروب والغارات ، و (لبد) جمع لبدة،وهي الشعر بين كتفي الاسد ، و (اظفاره لم تقلم) اي تام السلاح حديده .

وهذا البيت شاهد على المتحقق حسا ، فان لفظ (اسد) هنا قد اريد به الرجل الشجاع،وهو مما يدرك بحاسة البصر ؛ فهذه الاستعارة لتحققها تسمى (تحقيقية) .

الدابة اذا اضطربت في سيرها ، ولم تقوَ على ضبط يديها ، وأن ترمي بها الى قدام، وان تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه. فلا تزول عنه ولا تنثني .

وأمّا **العقلي**(١) نقولك : (أبديت نوراً) وأنت تريد حجةً . فان الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حسن : إذ المفهوم من الألفاظ هو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق ، لا الألفاظ أنفسها، وعليه(٢) قوله تعالى: إهدنا الصراط المستقيم ؛

وأما قوله تعالى(٣) : « فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف » فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة استعارة **عقلية**(٤) ، لأنه قال : شبه باللباس، لاشتماله على اللابس ، ما غشي الانسان(٥) والتبس به من بعض الحوادث

---

(١) اي التحقق العقلي ، وهو ما كان له ثبوت في نفسه بحيث لايصح للعقل نفيه فتصح الاشارة اليه اشارة عقلية ، بأن يقال : هذا الشيء المدرك الثابت عقلاً هو الذي نقل اليه اللفظ .

(٢) اي وعلى الاستعارة العقلية ، واستعير (الصراط المستقيم) للدين الحق بعد تشبيهه به استعارة تحقيقية ، ووجه الشبه التوصل الى الغاية في كل، والدين الحق المشتمل على الاحكام الشرعية معنى متحقق عقلا .

(٣) من الآية (وضرب الله مثلاً قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله ... بما كانوا يصنعون .) النحل ١١٢ .

(٤) يراد بالعقلي ماهو اعم من الواجداني فدخل فيه الجوع والخوف وهما وجدانيان.

(٥) لا يمكن ان يقال : المراد بـ (ماغشي الانسان) الجوع والخوف ، واضافة

وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح سمية : لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الانسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون(١) ورثاثة الهيئة ، فالاستعارة : **ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له**(٢)، والمراد بـ (معناه) ما عُني به ، أي ما استُعمل فيه ، فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له(٣)، وإن تضمن التشبيه به نحو : زيد أسد ، ورأيته أسداً ، ونحو : رأيت به

اللباس اليهما بمعنى (من) اي لباساً من الخوف والجوع ، لأن الآية بهذا القول تخرج عن الاستعارة : إذ الطرفان أعني المشبه والمشبه به مذكوران ، وهما اللباس الغاشي (المشبه به) والجوع والخوف (المشبه) فيكون تعبير (لباس الجوع) من قبيل (ذهب الاصيل)،وذلك يوجب الدخول في التشبيه ، فلا يصح قول خطيبنا الدمشقي : (فعلى ظاهر قول الشيخ جارالله استعارة عقلية) : بل يجب ان يقال : المراد بـ (ما غشى الانسان) الضرر الذى ينشأ من الجوع والخوف ، والاضافة بمعنى اللام ، لانه المشبه يكون حينئذ محذوفاً وهو الضرر ، و (اللباس) المشبه به ، فيكون استعارة تصريحية ، وهي (عقلية) لأن الضرر متحقق عقلاً .

(١) جاء في اللسان : يقال امتقع لونه ، اذا تغير من حزن او فزع ، وكذلك انتقع بالنون ، وابتقع بالباء ، والميم اجود .

(٢) اي : الاستعارة لفظ تضمن تشبيه معناه المراد منه عند اطلاقه ، وهو المعنى المجازي،بمعناه الحقيقي الذي وضع له ، وذلك نحو (أسد) من قولك (رأيت أسداً يرمي) ، فانه لفظ تضمن تشبيه معناه المجازي الذي استعمل فيه وهو (الرجل الشجاع) بالمعنى الحقيقي الذي وضع له وهو (الحيوان المفترس) ، والمراد بتضمن التشبيه به افادة التشبيه بواسطة القرينة .

(٣) كلفظ (الاسد) في الامثلة التالية فانه مستعمل فيما وضع له ، وان تضمن

سداً : لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه(١) ؛ على أن المراد بقولنا (ما تضمن): مجازٌ تضمنَ ، بقرينة تقسيم المجاز الى الاستعارة وغيرها، والمجاز لا يكون مستعملاً فيما وضع له .

وههنا شيء لا بدّ من التنبيه عليه ، وهو أنه اذا أجري في الكلام لفظ دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه ، فيكون ذلك على وجهين :

أحدهما : أن لا يكون المشبه مذكوراً ولا مقدراً كقولك : (عنّت لنا ظبية) وأنت تريد امرأة ، و (لقيت أسداً) وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه ، وأن الاسم فيه استعارة ؛

والثاني(٢) : أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً ، فاسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر — كخبر كان وانّ ، والمفعول الثاني لباب

تشبيه شيء (زيد) به ؛ لكن هذا الشيء ليس معنياً بذلك اللفظ (الاسد) : أي أنه اذا اطلق الاسد لم يرد به زيد ، فلا يكون مجازاً ، وبالتالي لا يكون استعارة ؛ ثم ان الضمير في (رأيته أسداً ، ورأيت به أسداً) يعود الى زيد.

(١) قال المحقق المغربي في مواهبه(٤/٥٠ شروح) : وحاصله، ان قولنا :(تضمن هذا اللفظ تشبيه معناه بما وضع له) يقتضي — اذا حمل على الصحة التي هي أصل العبارة — أن هنا معنى استعمل فيه اللفظ ، وآخر وضع له ، ليصح تشبيه أحدهما بالآخر ، فاذا كان ما استعمل فيه هو معناه الذي وضع له ، اتحد المشبه والمشبه به ، وهو فاسد .

(٢) أي الوجه الثاني او الحالة الثانية .

علمت(١) والحال – فالأصح أنه يسمى تشبيهاً، وان الاسم فيه لا يسمى استعارة : لأن الاسم – اذا وقع هذه المواقع – فالكلام موضوع لاثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه(٢)، فاذا قلت : زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لاثبات معنى الأسد لزيد ، واذا امتنع اثبات ذلك له على الحقيقة كان لاثبات شبه من الأسد له، فيكون اجتلابه لاثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً : إذ كان إنما جاء ليفيده بخلاف الحالة الأولى(٣) . فان الاسم فيها لم يجتلب لاثبات معناه للشيء كما اذا قلت : جاءني أسد ، ورأيت أسداً . فان الكلام في ذلك موضوع لاثبات المجيء واقعاً من الأسد ، والرؤية واقعةً منك عليه ، لا لاثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لاثبات التشبيه، وصار قصد التشبيه مكنوناً في الضمير ، لا يعلم(٤) إلا بعد الرجوع الى شيء من النظر .

---

(١) والمفعول الثالث لباب أعلمت نحو : زيد أسد ، وكان زيد أسداً ، وعلمت زيداً أسداً ، وأعلمته زيداً أسداً ، وجاء زيد أسداً : وانما جاز كونه حالاً : لأن الحال عندهم زيادة في الخبر فحكمها حكم الخبر ، والتشبيه في هذه الامثلة مذكور الطرفين ، فالاسم فيه وهو (الاسد) لا يكون استعارة .

(٢) أي لاثبات معنى هذا الاسم وهو المشبه به للمشبه الذي يعتمد عليه . وهو اما المبتدأ أو اسم كان وإن أو المفعول الاول لباب علمت ، والثاني لباب اعلمت، أو ذو الحال .

(٣) أي الوجه الاول حيث لا يكون المشبه مذكوراً ولا مقدراً كما مر .

(٤) وفي المخطوطة الدمشقية : ولا يعلم ....

ووجه آخر في كون التشبيه مكنوناً في الضمير ، وهو : انه اذالم يكن المشبه مذكوراً ، جاز أن يتوهم السامع في ظاهر الحال أن المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له ، فلا يعلم قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ، فانه يمتنع ذلك فيه ، مع كون المشبه مذكوراً أو مقدراً .

ومن الناس(١) من ذهب الى ان الاسم في الحالة الثانية استعارة: لاجرائه على المشبه، مع حذف كلمة التشبيه، وهذا الخلاف لفظي راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه في الاصطلاح ، وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحنا من المناسبة ، وهو اختيار المحققين كالقاضي أبي الحسن الجرجاني والشيخ عبد القاهر ، والشيخ جار الله العلامة، والشيخ صاحب المفتاح؛ غير أن الشيخ عبد القاهر قال(٢) بعد تقرير ما ذكرنا : فان أبيتَ إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم(٣) ،فان حُسن دخول أدوات

---

(١) وقد قال به ابو هلال العسكري والغانمي وابو الحسن الآمدي وأبو محمد الخفاجي وغيرهم من علماء البيان ، فقد ذهبوا الى أن المشبه ان كان مذكوراً كما في الحالة الثانية (زيد أسد) فهو استعارة .

(٢) في أسراره (ص ٢٨٥ رابعة المنار)

(٣) اي الثاني الذي يكون فيه المشبه مذكورا ، وعبارة الامام بعد لفظ (الثاني): « فينبغي أن تعلم أن اطلاقها لا يجوز في كل موضع يحسن دخول حروف التشبيه عليه بسهولة ، وذلك نحو قولك : هو الاسد ، وهو شمس النهار ، وهو البدر حسناً وبهجة،

التشبيه لا يحسّن اطلاقه. وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة كقولك: زيد الأسد، وهو شمس النهار، فانه يحسن أن يقال: زيد كالأسد، وخلته شمس النهار؛ وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في اطلاقه، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة كقولك: زيد أسد، فانه لا يحسن أن يقال: زيد كأسد(١)، ويحسن أن يقال: كأن زيداً أسد، ووجدته أسداً؛ وإن لم يحسن دخول شيء منها إلاّ بتغيير لصورة الكلام، كان إطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه، وذلك بان يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به كقولك: فلان بدر يسكن الأرض،

والقضيب عطفاً، وهكذا كل موضع ذكر فيه المشبه به بلفظ التعريف ...»
وانا انصح للطالب المفتون بالبيان والتبيين ان يرجع هنا الى اسرار البلاغة لاتمام كلام الامام الذي ينتهي بقول الشاعر الآتي في المتن:

(ياخير من يركب المطيّ ولا يشرب كأساً بكف من بخلا)

ذلك لأن ايجاز الخطيب الدمشقي في التلخيص، قد يكون أحياناً أقرب الى الغموض والتنغيص.

(١) وعبارة الاسرار: فان قلت: هو بحر، وهو ليث، ووجدته بحراً، وأردت ان تقول: إنه استعارة كنت أعذرَ وأشبهَ بان تكون على جانب من القياس، وتشبثاً بطرف من الصواب، وذلك أن الاسم ـ بحر أو ليث ـ قد خرج بالتنكير عن أن يحسن إدخال حرف التشبيه عليه، فلو قلت (هو كأسد) وهو كبحر، كان كلاماً نازلاً غير مقبول ...

وهو شمس لا تغيب وكقوله(١):

شمس تألّق ، والفراق غروبها عنا ، وبدر ، والصدود كسوفهُ

فانه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الامثلة ونحوها، الا بتغيير صورته كقولك: هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض، وكالشمس إلا أنه لا تغيب ، وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها، وكالبدر إلا أن الصدود كسوفه ؛

وقد يكون في الصفات والصلات التي تجيء في هذا النحو ما يُحيل(٢) تقدير أداة التشبيه فيه ، فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبي الطيب(٣)

أسدٌ دمُ الأسد الهزبر خضابُه موتٌ فريصُ الموتِ منه يُرعدُ

فانه لا سبيل إلى ان يقال : المعنى (هو كالاسد وكالموت) لما في ذلك

---

(١) اي البحتري من قصيدة في الفتح ابن خاقان (الديوان ١/٤١ جوائب) وقبله:

وأبي الظعائن يوم رحن لقد مضى فيهن مجدولُ القوام قضيفه

(٢) وعبارة الاسرار (ص ٢٨٦) : وقد يكون في الصفات التي تجيء في هذا النحو والصلات التي توصل بها ما يحتل به تقدير التشبيه فيقرب حينئذ من القبيل الذي تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه

(٣) من قصيدة (الديوان ٤٣ عزام) يمدح بها شجاع بن محمد الطائي المنبجي ، ورواية القافية (ترعد) بضم التاء وفي نسخة ابن جني بفتحها ، و (أسد) خبر لمبتدأ محذوف ، و (فريص) جمع فريصة وتجمع على فرائص ، وهي اللحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع .

من التناقض : لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله، وجعل دم الهزبر(١) الذي هو أقوى الجنس خضاب يده دليلٌ أنه فوقه، وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف، ثم يجعل الموت يخاف منه، وكذا قول البحتري(٢) :

وبدرٌ أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلي منه أسود مظلمُ

إن رُجع فيه الى التشبيه الساذج حتى يكون المعنى : (هو كالبدر)(٣) لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه، فظهر أنه انما أراد أن يثبت من الممدوح بدراً له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف للبدر، فهو مبني على تخييل أنه زاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة، فالكلام موضوعٌ، لا لأثبات الشبه بينهما ؛ ولكن لاثبات تلك الصفة

---

(١) الهزبر من الاسود أقوى جنسها، وفي دواوين اللغة : هو الشديد الصلب من الاسود .

(٢) في مدح الفتح وعتابه (الديوان ١/٤٣ جوائب) ورواية اسرار البلاغة (٢٨٦ رابعة) للعجز : وموضع رحلي ، بالحاء المهملة وقبله :

وما منع الفتح بن خاقان نيله ولكنها الاقدار تعطي وتحرم
سحاب خطاني جوده ، وهو منسبل وبحر عداني فيضه وهو مفعم

(٣) وبعد هذا المثال في الاسرار (٢٨٧) : ثم جئت تقول أضاء الارض شرقاً ومغربا وموضع رحلي مظلم لم يضىء به ، كنت كأنك تجعل البدر المعروف يلبس الارض الضياء ويمنه رحلك ، وذلك محال .

فهو كقولك(١) : (زيد رجل كيتَ وكيتَ)لم تقصد اثبات كونه رجلاً ؛ ولكن اثباتَ كونه متصفاً بما ذكرت.فاذا لم يكن اسم المشبه به في البيت مجتلباً لاثبات الشبه تبين أنه خارج عن الأصل الذي تقدم من كون الاسم مجتلباً لاثبات الشبه ، فالكلام فيه مبنيّ على أن كون الممدوح بدراً أمر قد استقرّ وثبت ، وإنما العمل في اثبات الصفة الغريبة ؛

وكما يمتنع دخول الكاف في هذا ونحوه يمتنع دخول (كأن)ونحوه(٢) وبحسب لاقتضائهما أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة ، إلا أن كونه متعلقاً بالاسم(٣) والمفعول الأول مشكوك فيه كقولنا : كأن زيد منطلق ، او خلاف الظاهر كقولنا كأن زيداً أسدٌ ، والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة ، فدخول (كأن وتحسب) عليها كالقياس على المجهول، وأيضاً هذا النحو إذا فُليتَ عن سرّه وجدتَ محصوله أنك تدعي حدوث شيء هو من الجنس المذكور،إلا أنه اختصّ بصفة عجيبة لم يتوهم جوازُها

---

(١) ومثال الاسرار : زيد رجل يقري الضيف ويفعل كيت وكيت .

(٢) كتحسب وتخال ، وتظن ، قال الشيخ الامام: فلو قلت : « كأن بدراً اضاء الارض شرقا وغرباً وموضع رحلي منه مظلم» كان خلفا من القول ، وكذلك ان قلت: « تحسبه بدرا اضاء الارض ورحلي منه مظلم » كان كالاول في الضعف ، ووجه بعده من القبول بينّ : وهو أن (كأن ، وحسبت وخلت وظننت) تدخل اذا كان الخبر والمفعول الثاني امرا معقولا ثابتاً في الجملة ...

(٣) اي متعلقا باسم (كأن) والمفعول الاول من (حسبت) .

على ذلك الجنس فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى ؛

وإن لم يكن اسم المشبه به خبراً للمشبه ولا في حكم الخبر كقولهم : رأيت بفلان اسداً ، ولقيني منه أسدٌ ، سُمي تجريداً(١) كما سيأتي إن شاء الله تعالى ولم يسمَّ استعارة : لأنه إنما يُتصور الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجهٍ على ما يدَّعى أنه مستعار له(٢) ، إما باستعماله فيه ، أو باثبات معناه له ، والاسم في مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولأنه يجيء على هذه الطريقة مالا يُتصور فيه التشبيه ، فيظن أنه استعارة كقوله تعالى(٣) : «لهم فيها دار الخلد» : إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد ، اذ هي نفسها دار الخلد(٤) . وكقول الشاعر(٥) :

---

(١) راجع بحثك عن التجريد في البديع من تهذيب الايضاح (١ / ١٤٨) .

(٢) بأن يكون خبراً عنه او صفة له او حالاً كما مر بنا .

(٣) من الآية : « ذلك جزاءُ اعداء الله النار لهم فيها دارُ الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون » فصلت ٢٨ .

(٤) اي لايصح ان تقول : جهنم كدار الخلد ، ثم تقول هي دار الخلد ، كما تقول في زيد : انه مثل الاسد ثم تقول هو الاسد ؛ وانما جاءت الآية على التجريد بأن انتزع من جهنم مثلها تهويلا .

(٥) هو الاعشى ، وقد مرّ الكلام على هذا الشاهد في فن البديع من تهذيب الايضاح (١ / ١٥٠) ، وعبّر الاعشى عنه باسلوب التجريد منتزعاً من الممدوح شخصاً جواداً يشرب من كف نفسه مبالغة في جوده ؛ وأمّا الطيبي في تبيانه في بحث التجريد فانه قال : وقوله (ياخير من ركب المطيّ ...) ليس من التجريد في شيء ، وانما هو كناية عن ان الممدوح ليس ببخيل ، لانه لايشرب الكأس بكف البخيل ، لكن يشربها بكفه ، فأفاد انه ليس ببخيل .

ياخيرَ من يركب المطيَّ ولا يشرب كأساً بكف من بخلا

فانه لا يُتصور فيه التشبيه ، وانما المعنى انه ليس ببخيل ، ولا يسمى تشبيهاً ايضاً : لأن اسم المشبه به لم يجتلب فيه لاثبات التشبيه كما سبق ، وعدّه الشيخ صاحب المفتاح تشبيهاً(١) ، والخلاف ايضاً لفظيّ .

هل **الاستعارة مجاز لغوي ام عقلي** ؟ — والدليل على ان الاستعارة مجاز لغويّ(٢) كونها موضوعة للمشبّه به(٣) لا للمشبه ، ولا لأمرٍ أعم منهما(٤) : كالأسد ، فانه موضوع للسبع المخصوص(٥) ، لا للرجل الشجاع ، ولا للشجاع مطلقاً : لأنه لو كان موضوعاً لأحدهما(٦) لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق ، لا من جهة التشبيه ، وأيضا لو كان

---

(١) اي عد هذا البيت تشبيها ، إذ من التجريد ما بني على التشبيه نحو (لقيني منه أسد) ، واما نحو (لي من فلان صديق حميم) فليس من التشبيه كما مر في تعريفه ومصنفنا الدمشقي يجعله تجريدا ، فالخلاف لفظي .

(٢) يريد بالاستعارة المصرحة ، وهي لفظ مستعمل في غير ماوضع له لعلاقة وقرينة ، وكل ما كان كذلك مجاز لغوي ، فالاستعارة مجاز لغوي .

(٣) كالاسد في قولك : (رأيت أسداً يلعب بالسيف والترس) وقوله (لا المشبه) وهو الرجل الشجاع .

(٤) اي اعم من المشبه به (الاسد) والمشبه (الرجل الشجاع) ،

(٥) والقرينة (يلعب بالسيف) لا تمنع كون الاسد موضوعاً للحيوان المفترس ، وانما تمنع من ارادة معناه الحقيقي .

(٦) اي لو كان (الاسد) موضوعاً بالاصل للرجل الشجاع ، لكان استعماله فيه حقيقياً لا مجازياً .

موضوعاً للشجاع مطلقاً لـكان وصفاً لا اسم جنس(١)؛

وقيل الاستعارة مجاز عقليّ (٢) : بمعنى ان التصرف فيها في أمر عقلي لا لغويّ ، لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به(٣) ،لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لـكانت الاعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة : لأنه لا بلاغة في اطلاق الاسم المجرَّد عارياً عن معناه(٤) ،ولما صح ان يقال(٥)

(١) هو وصف بحسب الادعاء ، واسم جنس بحسب التحقيق : لان موضوع اسم الجنس (حيوان شجاع) لاشجاع مطلقاً ؛ وقال السبكي في عروسه(٤/٥٩) : ولعمري لقد كان ـ اي المصنف ـ مستغنياً عن الاستدلال على هذا ، فانه لاينازع احد ان الاستعارة موضوعة في الاصل لمعناها الاصلي لا للأعم .

(٢) هذا مجاز في المفرد،وهو غير المجاز الاسنادي الذي لايكون الا في الكلام المركب المحتوي على اسناد ، بل المقصود بالمجاز العقلي هنا التصرف في امر يدرك بالعقل،وعلى ذلك يطلق (المجاز العقلي) على اسناد الشيء لغير من هو له ، وعلى التصرف في المعاني العقلية على خلاف ما في الواقع .

(٣) بحيث تكون حقيقة المشبه به شاملة للمشبه بادخاله في جملة افراده بالادعاء العقلي المبني على المشابهة ، فان (الاسد) مثلا لم يطلق على الرجل الشجاع حتى اعتبر فرداً من افراد جنس الاسد بالادعاء .

(٤) اي في اطلاق الاسم المجرد عن الادعاء عارياً عن معناه الحقيقي ،لان الاعلام المنقولة التي لاعلاقة للتشابه فيها لاتكون استعارة : اذ حقيقة الاستعارة ان ينقل اللفظ بمعناه المجازي للمستعار لانقل اللفظ مجرداً عن معناه .

(٥) يعني انه يلزم من نفي ادعاء دخول المشبه في افراد المشبه به في الاستعارة ان من قال : (رأيت اسداً يلعب بالسيف) واراد بالاسد زيدا،لايقال فيه انه جعله اسداً حقيقياً الخ ...

لمن قال (رأيت أسداً) يعني زيداً : أنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسداً : أنه جعله أسداً(١) ، لأن جعل اذا تعدّى الى مفعولين كان بمعنى صيرَّ ، فأفاد إثباتَ صفة للشيء، فلا تقول : (جعلته أميراً) الا على معنى أنك أثبتَّ له صفة الامارة ؛

وعليه قوله تعالى(٢) : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » المعنى أنهم أثبتوا للملائكة صفة الانوثة ، واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم اطلاق اسم الاناث عليهم ، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم بدليل قوله تعالى : « أشهدوا خلقهم ؟ »(٣) ؛

واذا كان نقل الاسم(٤) تبعاً لنقل المعنى كان الاسم مستعملا فيما وضع

---

(١) وذلك لاستواء الاطلاقين في عدم ادعاء دخول ما اطلق عليه اللفظ في جنس صاحب الاسم .

(٢) وبقيتها « ... أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ويسألون » الزخرف ١٩.

(٣) قال جار الله في كشافه (٣/٤١٥) : وهذا تهكم بهم ، بمعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم ، فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ، ولاتطرقوا اليه بالاستدلال ، ولاأحاطوا به عن خبر يوجب العلم ، فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن هذه المشاهدة .

(٤) اي (الاسد) وهو المشبه به ، ان كان نقله الى المشبه تبعاً لنقل معناه الحقيقي اليه بعد ادعاء دخول المشبه في افراد المشبه به كان الاسم المستعار وهو الاسد مستعملا فيما وضع له .

له ، ولهذا(١) صحّ التعجب في قول ابن العميد(٢) :

قامت تظللني من الشمس نفس أعزّ علي من نفسي

قامت تظللني ، ومن عجب شمسٌ(٣) تظللني من الشمس!

والنهي عنه في قول الآخر (٤)

---

(١) اي ولاجل اطلاق (الاسد) على الرجل الشجاع بعد ادعاء دخول الرجل الشجاع في جنسه صح التعجب من قول ابن العميد .

(٢) هو ابو الفضل محمد بن الحسين وله ترجمة مفصلة في اليتيمة (٣/١٥٤ ط حجازي) والرواية فيها (ظلت تظللني ...) وصدر البيت الثاني (فأقول واعجبا ، ومن عجب..) وجملة (تظللني) نصب على الحال ، وازاد بقوله (نفس) نفس الحبيبة ، و (شمس) في البيت الثاني مبتدأ ، خبره (من عجب) وجملة (تظللني) الثالثة صفة .

(٣) اي فتاة كالشمس في السناء والبهاء ، ولولا ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لما كان وجه للتعجب : اذ لاغرابة في تظليل انسان كالشمس جمالا لانسان آخر ، وانما وجه الغرابة من الشمس الارضية المجازية التي ادعي انها شمس حقيقية كيف تظلل من الشمس السماوية مع ان النور لايحجب النور !

(٤) هو ابو الحسن محمد بن احمد بن ابراهيم طباطبا العلوي الخراساني شاعر مفلق وعالم محقق ولد باصبهان ومات بها (سنة ٣٢٢هـ) ، والبيت من المنسرح وقبله :

يامن حكى الماء فرط رقته وقلبه في قساوة الحجر

ياليت حظي كحظ ثوبك من جسمك يا واحداً من البشر

والبلى بكسر الباء مصدر بلي والثوب يبلى اذا فسد ، والغلالة شعار يلبس على البدن : ولو أن الشاعر أراد بـ (القمر) محبوبه من البشر لما كان ابلاؤه غلالة الكتان موضع النهي عن التعجب ، ولكنه ادعى دخول المشبه في جنس المشبه به : أي

لا تعجبوا من بِلى غلالته قد زَرَّ أزرارَه على القمرِ

وقوله(١):

ترى الثياب من الكتان يلمحها نورٌ من البدر أحياناً فيبليها

فكيف تُنكر أن تبلى معاجرُها والبدرُ في كل وقتٍ طالعٌ فيها

والجواب عنه: أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له؛ وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر، فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاءً لحق المبالغة. فان قيل: إصرارُ المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل ينافي نصبه قرينةً مانعة من أن يرادبه السبع المخصوص، قلنا: لا منافاة؛

ووجه التوفيق ما ذكره السكاكي(٢)، وهو أن تُبنى دعوى الاسدية

دخول القمر المجازي في افراد القمر الحقيقي، وتناسى التشبيه فنهى عن التعجب: لان قمر السماء كما يزعمون يؤثر بطبيعته في الكتان.

(١) هو لأبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة الحمداني في جارية كانت معاجرها تبلى بسرعة (اليتيمة) ١/٩٢ اخذه من ابن طباطبا العلوي؛ والمعاجر ج معجر كمنبر ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها، ومنه الاعتجار بمعنى الاعتمام، واراد بالبدر حبيته التي توهم بما غشاه من الهوى على بصره انها قمر السماء متناسياً للتشبيه كله، وكيف ينكر تأثير البدر في معاجرها الكتانية والبدر طالع فيها!

(٢) في مفتاحه (ص ١٩٨ أدبية)، والعبارات التالية من كلام السكاكي.

للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الاسد قسمان بطريق التأويل(١): **متعارف**، وهو الذي له غاية الجراءة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة؛ **وغير متعارف** وهو الذي له تلك الجراءة وتلك القوة، لا مع تلك الصورة، بل مع صورة أخرى على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء في عدّ نفسه وجماعته من جنس الجن، وعدّ جماله من جنس الطير حين قال(٢):

نحن قوم مِلجنّ في زيّ ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوصُ الجمالِ

مستشهدا لدعواه هاتيك بالمخيلات العرفية(٣)؛ وأن تخصص القرينةُ بنفيها المتعارف الذي يسبق الى الفهم ليتعين الآخر(٤)، ومن البناء على

---

(١) قد يقال: ان الذي وضع له (الاسد) بطريق التأويل هو غير المتعارف. وهو الفرد الآخر من جنس الاسد الذي له تلك الجراء والقوة في جثة الآدميّ، وأما المتعارف وهو الذى وضع له الاسد في الاصل فهو بطريق التحقيق، والجواب على ذلك: ان الامام السكاكي جعل افراد الاسد قسمين بناء على كون الاسد موضوعاً للقدر المشترك بينهما الصادق على كل منهما، وكونه كذلك ليس الا بطريق التأويل.

(٢) هو في ديوانه (ص ١١٢ عزام). (وملجن) جار ومجرور: اي من الجن. وفي الشطر الاول تشبيه، وفي الثاني استعارة تصريحية أصلية

(٣) وعبارة المفتاح: بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو حكمهم اذا رأوا أسداً هرب من ذئب: (انه ليس بأسد)؛ واذا رأوا انساناً لا يقاومه احد: (انه ليس بانسان، وانما هو اسد) أو (هو أسد في صورة انسان)؛ وقوله (مستشهداً) حال من (تبني) في أول كلام السكاكي، وقوله (وان تخصص) عطف على (ان تبني). (٤) وهو ما أنت تستعمل الاسد فيه.

هذا التنويع(١) قوله(٢):

❀ تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعُ ❀

وقولهم: عتابُك السيفُ(٣)، وقوله تعالى(٤): «يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم» ومنه قوله(٥):

---

(١) وهو جعل الشيء نوعين أي قسمين أو أكثر؛

(٢) قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وصدر البيت: (وخيل قد دلفت لها بخيل) والمراد بالخيل الاول خيل الاعداء، وبالثاني خيله، و(دلفت) نهضت، والضمير في (بينهم) للخيلين، ومعنى الشاهد: ورب خيل للعدو نهضت لهم بخيل آخر، وكانت التحية بين الخيلين الضرب الوجيع، فقد ادعى بذلك ان التحية نوعان: (المتعارف) وهو المتبادل بين الناس للاكرام نحو حياك الله، والثاني (غير المتعارف) مما ليس بالكلام كالضرب ونحوه.

(٣) يدل قولهم هذا على أن العتاب نوعان: (متعارف) وهو لوم الرجل لاساءة كانت منه، و (غير متعارف) وهو لومه بما هو غير كلام كالسيف، وفي هذا القول تشبيه بليغ، والجامع ظهور الأثر في كل واحد من الشدة.

(٤) سورة الشعراء ٨٨ و ٨٩: وتدل الآيتان على أن (المال والبنين) نوعان المتعارف: وهو ما ينتفع به الناس من مال وبنين، وغير المتعارف: وهو ما ينتفع به، ولا يكون من المال كسلامة القلوب:

(٥) من ارجوزة لعامر بن الحارث النميري المعروف بجران العود، والشاهد على رواية النحاة، واما رواية الديوان (ص٥٢ ط الدار) فهي:

بسابساً ليس بها انيس إلا اليعافير وإلا العيسُ

و (بسابساً) مفعول ثان لفعل (ندع) من بيت متقدم (قد ندع المنزل باليس)، والشاهد انه جعل الانيس نوعين: الانسان وهو المتعارف، و (اليعافير والعيس) غير المتعارف.

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلاّ اليعافيرُ وإلا العيسُ

الفرق بين الاستعارة والكذب. — وإذ قد عرفتَ معنى الاستعارة وأنها مجاز لغويّ، فاعلم أن الاستعارة تفارق الكذب من وجهين: بناء الدعوى فيها على التأويل(١)، ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها، فان الكاذب يتبرّأ من التأويل، ولا ينصب دليلاً خلافَ زعمه، وأنها(٢) لا تدخل في الاعلام لما سبق من أنها تعتمد ادخالَ المشبه في جنس المشبه به: والعلمية تنافي الجنسية(٣)؛ وأيضاً لأن العلمَ لا يدلّ إلاّ على تعين شيء من غير اشعار بأنه انسان أو فرس أو غيرهما، فلا اشتراكَ بين معناه وغيره إلا في مجرّد التعيين ونحوه من العوارض العامة(٤) التي

---

(١) بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، وذلك بجعل أفراد المشبه به قسمين متعارفاً وغير متعارف، فقولك: (جاءني اسد) يشتبه بالكلام الكاذب، ولا تفارق فيه الاستعارة الكذب الا بالوجهين المذكورين.

(٢) اي الاستعارة لا تدخل في الاعلام الشخصية لأنها تقتضي دخول المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين: متعارفاً وغير متعارف، وذلك لا يصح في العلم الشخصي، فلا يصح لك تشبيه زيد بعمر في الشكل والهيئة مثلاً ثم تطلق اسمه عليه؛ واما علم الجنس الذي يقتضي العموم فتدخل فيه الاستعارة فتقول (رأيت أسامة) وأنت تعني زيداً الشجاع.

(٣) لانها تقتضي التشخص ومنع الاشتراك، والجنسية تقتضي العموم وتناول الافراد.

(٤) كالحصول والوجود، فلا يجوز ان تقول (زيد) وانت تريد عمراً، ويكون الجامع الوجود: لأن كل واحد منهما مشترك فيه من غير ترجيح، فينبغي ان يكون الجامع اي وجه الشبه في الاستعارة اعمّ، وليس كذلك.

لا يكفي شيء منها جامعاً في الاستعارة ، أللهم إلا اذا تضمن نوعَ وصفية لسبب خارج كتضمن اسم حاتم الجواد وما در البخيل وماجرى مجراهما ؛

قرينة الاستعارة . — وقرينة الاستعارة ، امّا معنى واحدٌ كقولك رأيت أسداً يرمي ، أو أكثرُ كقول بعض العرب(٣) :

فان تعافوا العدل والايمانا فان في أيماننا نيرانا

أي سيوفاً تلمع كأنها شعل نيران كما قال الآخر(٤) :

ناهضتهم والبارقاتُ كأنها شعلٌ على أيديهم تتلهبُ

---

(١) من ملائمات المشبه في الاستعارة التصريحية مثل (يرمي) من قولك (رأيت أسداً يرمي) أى بالسهام ، أو من ملائمات المشبه به في المكنية كالاظفار من قولك : انشبت اظفار المنية بفلان .

(٢) أي اكثر من معنى واحد يكون كل منها قرينة ، وهذا الذي ذكره المصنف مبنيّ على جواز تعدّد القرينة ، فان منهم من لايجوّز تعدّدها ، ويجعل ماعدا القرينة الاولى ترشيحاً او تجريداً .

(٣) وجاء في المعاهد أيضاً (١٣١/١ ط السعادة) أنه لبعض العرب أيضاً ، والشاهد فيه (تعافوا) بمعنى تكرهوا ، فان تعلق هذا الفعل بالعدل يدل على أن المراد بالنيران السيوف ، وكذا تعلقه بالايمان اي الايدي جمع يمين يدل على هذا المراد ، وكل منهما كاف في الدلالة عليه ، ولو اقتصر على أحدهما لم يحتج الى الآخر .

(٤) هو البحتري يمدح اسحاق بن ابراهيم بن الحسين (الديوان ١٨٩/٢ جوائب) والضمير في (ناهضتهم) للاعداء ، وهم قوم من الخوارج ، وقوله (على ايديهم) أى أيدي رجال الممدوح : شبه السيوف البارقات بالشعل الملتهبة ، وبعده :

ووقفت مشهور المقام كريمه والبيض تطفو في الغبار وترسب

فقوله : (تعافوا) باعتبار كل واحدٍ من تعلقه بالعدل وتعلقه بالايمان قرينةً لذلك لدلالته على أن جوابه : أنهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف ؛

أو معانٍ مربوط بعضها ببعض(١) كما في قول البحتري(٢) :

وصاعقةٍ من نصله تنكفي بها على أرؤس الأقران خمس سحائب

عنى بـ (خمس سحائب) أناملَ الممدوح ، فذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال (من نصله) فبين انها من نصل سيفه ، ثم قال (على أرؤس الاقران) ثم قال (خمس) فذكر عدد اصابع اليد ، فبان من مجموع ذلك غرضه(٣) ؛

---

(١) يريد المصنف ان القرينة مركبة من معان مترابطة بحيث يكون المجموع قرينة لا كل معنى منها على حدة .

(٢) في ديوانه (٢/٢١١ جوائب) ، وهو في المعاهد (١/١٣١ سعادة) ، وقوله (وصاعقةٍ) يروى بالجر على إضمار ربَّ ، وبالرفع على انه مبتدأ ، والخبر على الروايتين جملة (تنكفي) أي تنقلب ، والباء للتعدية ، و (من نصله) صفة لصاعقة و (خمس سحائب) من اضافة الصفة لموصوفها .

وقد شبه سيف الممدوح بالصاعقة النارية في البريق والاهلاك ، والمعنى : ورب نار من حر سيفه تقلبها انامله الخمس التي هي سحائب في افاضة الخير والجود ، وتصبها على أقرانه في الحروب فيهلكهم بها ، وبعد هذا البيت :

يكاد الندى منها يفيض على العدى لدى الحرب في ثنيي قنا وقواضب

(٣) اي جعل ذلك كله قرينةً لما أراد من استعارة السحائب للأنامل .

ثم الاستعارة تنقسم : باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار امر خارج عن ذلك كله ؛

الاستعارة باعتبار الطرفين . — أما باعتبار الطرفين فهي قسمان : لان اجتماعهما في شيء اما ممكن او ممتنع ، ولتسمّ الأولى وفاقية(١) ، والثانية عنادية(٢) :

اما **الوفاقية** فكقوله تعالى(٣) :(أحييناه) في قوله «اومن كان ميتاً فأحييناه» ، فان المراد بأحييناه : هديناه ، اي: اومن كان ضالاً فهديناه، والهداية والحياة لاشك في جواز اجتماعهما في شيء(٤) ،

واما **العنادية** ،فمنها :ما كان وضعُ التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة (٥)

---

(١) وفي نسخه:(واسم الاولى وفاقية)، وذلك لما بين طرفيها من الوفاق لموافقة كلٍ من الطرفين صاحبه في الاجتماع به في موصوف واحد .

(٢) لما في طرفيها من العناد وامتناع الاجتماع .

(٣) وتتمة الآية : « ... وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زُين للكافرين ما كانوا يعملون .» أنعام ١٢٢ ،

(٤) والاستعارة في قولنا (ميتاً) اي ضالاً عنادية لأن طرفي التشبيه لا يمكن اجتماعهما:اذ الميت لا يوصف بالضلال والكفر الذي شرطه الحياة،فقد اجتمع بذلك في هذه الآية الاستعارتان الوفاقية والعنادية ، وكان الأولى أن يستشهد المصنف بهذه الآية لاجتماع هاتين الاستعارتين معا .

(٥) أي كاستعارة الميت للضالّ ، اذ لايجتمع الموت والضلال في شخص واحد.

وإن كانت موجودةً لخلوّها ممّا هو ثمرتها والمقصود منها ، وما إذا خلت منه لم تستحقّ الشرف كاستعارة اسم المعدوم للموجود(١) ، إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركاً للمعدوم في ذلك ، أو اسم الموجود للمعدوم(٢) إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودةً حالَ عدمه ، فيكون مشاركاً للموجود في ذلك ، أو اسم الميت للحيّ الجاهل(٣) ، لأنه عدم فائدةَ الحياة والمقصودَ بها ، أعني العلمَ ، فيكون مشاركاً للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً : لأن النائم لا يشعر بما بحضرته ، كما لا يشعر الميت او الحي العاجز ، لأن العجز كالجهل يحطّ من قدر الحيّ ؛

ثم الضدّان إن كانا قابلين للشدة والضعف كان استعارةُ اسم الأشد للأضعف أولى ، وكل من كان أقل علماً وأضعف قوةً كان أولى بأن يستعار له اسم الميت ، ولما كان الادراك أقدم من العقل في كونه خاصةً للحيوان

---

(١) وذلك كتشبيه الحي الضال بالميت ، فقد بني وضع هذا التشبيه على ترك الاعتداد بمثل هذه الحياة لخلوها من ثمرتها المقصودة ، وهي التي اذا خلت منها لم تستحق الشرف والتقدير .

(٢) أي وكاستعارة اسم الموجود للمعدوم المفقود لوجود آثاره المطلوبة ومنافعه الباقية كقولك مثلاً بعد زيارة قبر ابن مالك بدمشق : (زرت اليوم حياً في قبره)

(٣) اي وكاستعارة الميت للحي الجاهل .

كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوةً ؛ وكذا في جانب الأشد. فكلّ من كان اكثر علماً كان أولى بأن يقال له: إنه حيّ ، وكذا من كان أشرف علماً ، وعليه قوله تعالى : « أو من كان ميتاً فأحييناه » فان العلم بوحدة الله تعالى وما أنزله على نبيه (ع . م) أشرف العلوم؛

من العنادية الاستعارة التهكمية والتمليحية . — ومنها ما استُعمل في ضدّ معناه أو نقيضه بتنزيل التضادّ أو التناقض منزلةَ التناسب بوساطة تهكم(١) أو تمليح على ما سبق من التشبيه(٢) كقوله تعالى(٣) :« فبشرهم بعذاب أليم » . ويخصّ هذا النوع(٤) باسم التهكمية أو التمليحية ؛

الاستعارة باعتبار الجامع . — وأمّا باعتبار الجامع(٥) فهي قسمان :

---

(١) أي استهزاء يكون غرض المتكلم ، فان كان غرضه بسط السامع بايراد القبيح بصورة مستملحة سمي ذلك تمليحاً .

(٢) في تشبيه التضاد ص ١١٢

(٣) من الآية « ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم .» آل عمران ٢١ ، وقداستعيرت البشارة وهي الخبر بما يسر للانذار الذي هو ضدها بادخاله في جنس البشارة تهكما وهزواً ، ونظيره ما مر معنا من قولهم : (ما عتابه الا السيف) وقول الزبيدي :

* تحية بينهم ضرب وجيعُ *

(٤) أي من الاستعارة العنادية ، اذ لا يجمع بين البشارة والانذار ولا بين التحية والضرب والعتاب والقتل .

(٥) وهو ماقصد فيه اجتماع الطرفين المستعار له والمستعار منه ، وهو وجه الشبه في باب التشبيه .

﴿أحدهما﴾ : ما يكون الجامع فيه داخلاً في مفهوم الطرفين(١) كاستعارة الطيران للعدو (٢) كما في قول امرأة من بني الحارث(٣) ترثي قتيلاً :

لو يشا طاربه ذو مَيعةٍ لا حقُ الاطالِ نَهدٌ ذو خُصلْ

وكما جاء في الخبر(٤) : (كلما سمع هيعةً طار اليها) : لأن(٥) الطيران والعدو يشتركان في أمر داخل في مفهومهما ، وهو قطع المسافة بسرعةٍ ؛

---

(١) بأن يكون الجامع أمراً أعم مما في كل من الطرفين فهو داخل في مفهومهما وحقيقتهما .

(٢) العدو بسكون الدال الجريُ السريع . ومنه : (والعاديات ضبحا) .

(٣) وهي حماسية (شرح الحماسة ٣/١٢٢ ط حجازي) وعزاه العينيّ في الشواهد الكبرى لعلقمة ، قال التبريزي : (لويشا) حكت الحال ، والمراد لوشاء لانجاه فرس له ذو نشاط ، و (يشا) على هذه الرواية مقصور ، ومهموز مجزوم على لغة من زعم ان الجزم بلو مطرد ، واجازه جماعة منهم ابن الشجري في الشعر خاصة (انظر لو في المغني ١/٢٠٩)،و (ميعة) اول العدو وحدته ، و (لاحق الآطال) جمع اطل ضامر الجنبين ، و (نهد) حسن الجسم مع ارتفاع و (ذو خصل) من الشعر ،والبيت من الرمل قافية المتدارك ، وبعده :

غير أن البأس منه شيمة وصروف الدهر تجري بالأجل

(٤) من الحديث « خير الناس ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار اليها » والذي في صحيح مسلم في الغازي : (كلما سمع هيعة او قرعة طار عليه) اي على فرسه،و(الهيعة) صيحة الفزع ، وفي الحديث حث على الجهاد .

(٥) وفي نسخة (فان)

ولكن الطيران أسرعُ من العدْو ،ونحوه قول بعض العرب(١) :

فطرتُ بمنصلي في يَعملاتٍ دوامي الأيد يَخبطن السريحا

يقول : إنه قام بسيفه مسرعاً إلى نوقٍ فعقرهنّ ودميت أيديهنّ فخبطن السيور المشدودة على أرجلهن ؛

وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر في قوله(٢) :

❀ كالفجر فاضَ على نجوم الغيهبِ ❀

فان الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص، وذلك أن يفارق مكانه دفعةً فينبسط ، وللفجر انبساطٌ شبيه بذلك ؛

وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض في قوله تعالى(٣) : « وقطّعناهم في الأرض أمماً » فان القطع موضوع لازالة الاتصال بين الأجسام التي بعضها ملتصقٌ ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التي هي داخلة في مفهومهما ، وهي في القطع أشد ؛

---

(١) جمع سريحة ، وتجمع على سرائح وهي نعال الابل او سيور نعالها كما في اللسان ، و (المنصل) بضمتين السيف ، (واليعملات) جمع يعملة وهي الناقة النجيبة المطبوعة على العمل . وقد تكفل المصنف بشرح الشاهد .

(٢) اي البحتري (الديوان ٢ / ١٣٥ جوائب) من قصيدة يمدح بها مالك ابن طوق التغلبي ، وصدر هذا البيت : (يترا كمون على الأسنة في الوغى) شبه الأسنة بالنجوم ، وشبههم وعليهم الدروع بالفجر فاض على النجم ، وقبله :

قوم اذا قيل النجاءُ فما لهم غير الحفائظ والردى من مهرب

(٣) وبقية الآية « ... منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » الأعراف ١٦٨ .

وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع في قول القُطامي (١) :

لم تلقَ قوماً هم شرٌ لأخوتهم مناعشيةَ يجري بالدم الوادي

تقريهم لهذميّاتٍ نقدُ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زرّاد

فان الخياطة تضم خرق القميص، والسرد يضم حلق الدرع. فالجامع بينهما الضم الذي هو داخل في مفهومهما، وهو في الأول أشدُّ ؛

وكاستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب (٢) :

نثرتهم فوق الأحيدب نثرةً كما نثرت فوق العروس الدراهمُ

---

(١) وهو عمير بن شيم التغلبي كان نصرانياً وشاعراً اسلامياً فحلاً، عاصر الاخطل وهو من اصحاب المشوبات، واخباره مبثوثة في الاغاني والشعراء والجمهرة وغيرها، وديوانه مطبوع بليدن ١٩٠٢ ؛ والبيتان من قصيدة يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي واسناد الجرى الى الوادي مجاز، والعامل في عشية (لم تلق)، ويقال : سنان اوسيف لهذم اي حاد قاطع، و (تقريهم) نطعمهم من القرى، والقدّ القطع بالطول، وهو يناسب السيف لا السنان الذي يثقب بالطعنة، وانظر ما كتبه على هذا البيت صاحب الاسرار (ص ٤٥ رابعة المنار).

والمعنى : مارأيت عشية جرى الدم في الوادي لكثرته قوماً هم شر لاخوتهم منا، ثم بين ذلك بقوله : تقريهم طعنات او ضربات لهذميات نقدّ بها ما خاطه عليهم الزرادون من الدروع ؛

والشاهد : ان مدار قرينة الاستعارة التبعية على الفاعل او المفعول، فللهذميات وهي المفعول الثاني قرينة على ان (تقريهم) استعارة.

(٢) المتنبي (الديوان ٣٧٨ عزام) وروى (... الأحيدب كله) وهو جبل الحدث والمعنى ظاهر.

لأن النثر أن يجمع أشياء في كف أو وعاء ، ثم يقع فعل يتفرق معه دفعة من غير ترتيب ونظام . وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ، ونسبه الى الممدوح لانه سببه(١) :

و ﴿ الثاني ﴾ ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين كقولك : (رأيت شمساً) وتريد إنساناً يتهلل وجهه ، فالجامع بينهما التلألؤ وهو غير داخل في مفهومهما ؛

الاستعارة اما عامية او خاصية . — وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً الى عامية وخاصية : فالعامية(٢) (المبتذلة) لظهور الجامع فيها كقولك : رأيت أسداً ، ووردت بحراً .

والخاصية (الغريبة)(٣) التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة كما سيأتي في(٤) الاستعارات الواردة في التنزيل ، وكقول طفيل الغنوي(٥) :

---

(١) فالمجاز عقلي علاقته السببية ، او استعارة مكنية على مذهب السكاكي .

(٢) التي يدركها عامة الناس ويستعملونها في لغتهم الدارجة .

(٣) اي والاستعارة الخاصية الغريبة لغرابة الجامع فيها وخفائه بين الطرفين .

(٤) وفي نسخة من الاستعارات ...

(٥) هو طفيل بن عوف بن ضبيس الغنوي ، شاعر جاهلي ، كان يسمى محبّرا لتحسينه شعره ، وهو انعت الناس للخيل والابل . و (الناجية) الناقة السريعة تنجو راكبها ، وعجز البيت صفة لها .

وجعلتُ كوري فوق ناجيةٍ يقتات شحمَ سنامها الرحلُ

وموضع اللطف والغرابة منه أنه استعار الاقتيات لاذهاب الرحل شحم السنام . مع أن الشحم مما يُقتات(١) . وقول ابن المعتز :

حتى إذا ما عرف الصيدَ الضارُ(٢)

وأذنَ الصبحُ لنا في الأبصار

لما كان تعذرُ الابصارِ منعاً من الليل . جعل امكانه عند ظهور الصبح إذناً منه . وقول الآخر(٣) :

وعرضٍ تنوفةٍ للريح فيه نسيمٌ لا يروع الترب وانٍ

---

(١) اي به . يقال تقوت بالشيء واقتات به واقتاته جعله قوته . قال ابو منصور الازهري في تفسيره : اى يأخذ الرحل . وانا راكبه . شحم سنام الناقة قليلا قليلا حتى لايبقى منه شيء لانه يضنيها .

(٢) وهنا (الصيد) بمعنى المصيد مفعول مقدم ، (والضاري) فاعل وهو من جوارح الطير ، او الكلب المعوّد بالصيد ، يقال : ضري الكلب ، واضراه صاحبه اي عوّده واغراه بالصيد ؛ والمعنى: حتى اذا ما امكن الضاري ان يعرف الصيد بتبدد الظلام ..

(٣) هو لسوّار بن المضرّب السعدي شاعر اسلامي بصري له في ديوان الحماسة ابيات من البحر والقافية ، و (الشاهد) في وصف اليمامة ونعيمها وطيب نسيمها ، وقبله وبعده :

سقى الله اليمامةَ من بلادٍ نوافحها كأرواح الغواني

بها سقت الشباب الى مشيبٍ يفتح عنده حسن الزمان

وقوله(١):

يناجيني الأخلافُ من تحت مطله فتختصم الآمالُ واليأس في صدري

ثم الغرابة قد تكون في الشبه نفسه(٢) كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبي في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدب(٣):

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم الى انصراف الزائر

والعرض بكسر العين كل واد فيه شجر، وواد معروف باليمامة، و(تنوفة) الفلاة لاماء فيها ولا أنيس، وان كانت معشبة، وللريح نسيمان: جارف للتراب بشدته، وغير جارف له بونائه ورخائه، وهو نسيم وادي اليمامة.

و(الشاهد): فعل (يروع) لانه استعار الجرف الشديد للروعة بجامع التأثير في كل، لان احدهما يؤثر في الترب، والآخر في القلب.

(١) المناجاة المسارّة استعارها للخطور بالبال، واراد باختصام الآمال ازدحامها وتجاذبها للتحقيق، وبالمطل الشعور بالاخلاف، والمعنى: يتراءى لي ويخطر بقلبي اخلافه بالمواعيد من وراء مطله وتأخيره، فتختصم الآمال والخيبات في صدري.

(٢) بان يكون التشبيه فيه نوع غرابة لخفاء الجامع بين الطرفين بحيث لا يدركه الا ثاقب النظر!

(٣) وان صاحبه اذا نزل عنه، والقى عنانه في قربوس سرجه وقف الفرس مكانه كالمنتظر الى ان يعود صاحبه من زيارته؛ و(القربوس) بفتح القاف والراء حنو السرج الامامي يشبه اعلاه الرأس وفي عنقه موقع العنان، و(الشكيم) والشكيمة حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.

ويجوز في المعنى ان يكون القربوس فاعل (احتبى) بمعنى ضم وجمع، فيكون

التصرف الحسن يجعل العامية غريبة. — وقد تحصل بتصرف في العامية كما في قول الآخر (١) :

❀ وسالت بأعناق المطيِّ الأباطحُ ❀

أراد أنها سارت سيرا حثيثاً في غاية السرعة ، وكانت سرعةً في لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها (٢) ، ومثلها في الحسن وعلو الطبقة بعينها قول ابن المعتز :

قد ضم بالعنان اليه فم الفرس بانحنائه نحوه كما يضم الرجل ثوبه ركبتيه الى ظهره ؛ ويجوز ان تجعل فاعل احتبى ضميرا يعود الى الفرس والقربوس مفعولا باحتبى، والمعنى عليه : واذا ضم الفرس بعنانه قربوسه اليه كما يضم المحتبي بحزامه ركبتيه الى ظهره ، والاحتمال الثاني الى تحقيق التشابه أقرب ، وبوجه الشبه اغرب ؛ ووجه الغرابة انتقال الذهن من القاء العنان على القربوس (وهو المشبه) الى الاحتباء (وهو المشبه به)، وبذلك كانت الاستعارة غريبة بغرابة الشبه نفسه كما ذكر المصنف .

(١) هو كثير عزة ، وصدر بيته : (اخذنا باطراف الاحاديث بيننا) ، وقبله :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسحُ

وشُدت على دهم المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذى هو رائح

والشاهد : أن تشبيه السير السريع بالسيل مما تستعمله العامة كثيراً ، وإنما افاد الغرابة حسن التصرف فيه بادخال (اعناق المطي) في السير: لأن سرعة سير الابل اكثر ما تظهر في اعناقها ، وان أردت التفصيل الجميل لهذه الابيات فانظر ما كتبه الشيخ الامام في الاسرار (١٦ رابعة المنار) .

(٢) الشعب بكسر الشين الطريق في الجبل ومسيل الماء ، وهو من شواهد الاسرار (٧٨ منار)

سالت عليه شعاب الحيّ حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

أراد أنه مطاع في الحيّ ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه ، حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا المسيل وذاك حتى يغصّ بها الوادي ، ويطفح منها ، وهذا شبه معروف ظاهر ؛

ولكن حسن التصرّف فيه أفاد اللطف والغرابة ، وذلك أنه أسند الفعل (١) الى الأباطح والشعاب دون المطيّ أو أعناقها (٢) ، والأنصار أو وجوههم حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل ، والشعاب من الرجال على ما تقدم في قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيباً » ، وفي كل واحد منهما شيء غير الذي في الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة ؛

أما الذي في (الأول) فهو أنه أدخل الأعناق في السير ، فان السرعة والبطء في سير الابل يظهران غالباً في أعناقها على مامرّ ؛

وأما الذي في (الثاني) ، فهو انه قال (عليه) فعدّى الفعل الى ضمير

---

(١) قوله (وذلك) اي وانما افاد حسن التصرف في الاستعارة العامية اللطف والغرابة : لأنه أسند الفعل المجازي (سالت) المستعار لسارت ، الى الاباطح دون المطيّ ، وحقه ان يسند اليها .

(٢) لان سرعة الابل اكثر ماتظهر في أعناقها ، وسائر اعضائها تستند اليها في الحركة ، وتتبعها في الثقل والخفة .

الممدوح بعلى. فأكد مقصوده من كونه مطاعاً في الحي ، وكما في قوله(١) :

فرعاء إن نهضت لحاجتها عجل القضيب وأبطأ الدعص

إذ وصف القضيب بالعجلة والدعص بالبطء ؛

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لاحاق الشكل بالشكل كقول امرىء القيس(٢) :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به : إذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيء ، وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره ، والضغط لمكابده(٣) ، فاستعار له كلكلا ينوء به : أي يثقل به ؛

---

(١) في اللسان : فرع المرأة شعرها ، وامرأة فارعة وفرعاء طويلة الشعر ، والافرع من الرجال ضد الاصلع ، و (القضيب) هنا الغصن ، و (الدعص) كثيب الرمل المستدير يشبه به الكفل ، واستعارة الغصن للقد والدعص للكفل معروفة عامية ، لكن وصفها بالعجلة والابطاء كساها غرابة وحسنا .

(٢) التمطي التمدد ، امّا من المط ، واصله التمطط كالتظني والتظنن ، او من المطا ، وهو الظهر اي مد الظهر ، و (ناء) الرجل بالحمل نهض به متثاقلا ، وناء به الحمل اذا سقط به لثقله ، والزوزني يجعله مقلوب (نأى) كراء ورأى ، والكلكل الصدر .

(٣) اي اراد ان يصفه بالثقل الضاغط على قلب ساهره المكابد لاحزانه وطوله.

وقال الشيخ عبد القاهر (١) : لما جعل للّيل صلباً قد تمطّى به ثنيّ ذلك ، فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلّث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده (٢) إذا نظر قدامه ، وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجو .

الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع . — وأما باعتبار الثلاثة ، أعني الطرفين والجامع فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس : بوجه حسي أو بوجه عقلي أو بما بعضه حسي وبعضه عقليّ ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كلّ ذلك بوجه (٣) عقليّ لما مرّ ؛

أما (استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسيّ) فكقوله تعالى (٤) : فأخرج لهم عجلاً جسدا له خوار» ، فان المستعار منه : ولد البقرة ، والمستعار له : الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حليّ القبط التي سبكتها نار السامريّ عند القائه فيها التربة التي أخذها من موطىء حيزوم فرس جبريل ،

---

(١) في دلائل الاعجاز (ص ٦٢ منار) .

(٢) الضمير يعود الى الليل .

(٣) لأنه كما مرّ في التشبيه متى كان الطرفان او احدهما عقلياً لم يكن الجامع الا عقلياً لاستحالة قيام الحسيّ بالعقلي .

(٤) وبقية الآية : « ... فقالوا هذا إلهكم وآله موسى فنسي » سورة طه ٨٨ ، وضمير (اخرج) يعود الى السامريّ ، وضمير (لهم) الى بني اسرائيل .

والجامع لهما الشكل ، والجميع حسيّ(١) :

وكقوله تعالى(٢) : « وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض » فان المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص(٣) ، والمستعار له حركة الانس والجن ، أو يأجوج ومأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما : مايشاهد من شدة الحركة والاضطراب ؛ وأما قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيباً » فليس مما نحن فيه(٤) ، وان عُدّ منه : لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشُواظ النار في بياضه وانارته ، وتشبيه انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعة الانبساط(٥) مع تعذّر تلافيه ، والأول استعارة بالكناية ، والجامع في الثاني عقليّ ، وكلامنا في غيرهما ؛

وأما (استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي) فكقوله تعالى(٦) « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » فان المستعار منه كشط الجلد وازالته عن

---

(١) قال البهاء السبكي (٤/٩٢ شروح) : وفيه نظر لان الجامع ليس مجرد الشكل ، بل الشكل والحوار : إمّا كل منهما على انفراده او مجموع الامرين .

(٢) وبقيه الآية « ... ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا » الكهف ٩٩ .

(٣) وهو المسمى موجا .

(٤) والمصنف يعرض بذلك على السكاكي الذي يرى ان (الشيب) هنا استعارة مكنية : لانه استعار لفظ الشيب والمراد النار ، بعد ادعاء ان الشيب من جنس النار ، ثم ذكر (اشتعل) استعارة تخييلية لانها تقترن بالمكنية .

(٥) اي باشتعال النار في سرعة الانتشار والمقدار .

(٦) وبقية الآية « ... فاذا هم مظلمون » يس ٣٧ .

الشاة ونحوها . والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل (١) وملقى ظله ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يُعقل من ترتب أمرٍ على آخر (٢) ، وقيل (٣) : المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ، وليس بسديد : لأنه لو كان ذلك لقال : « فاذا هم مبصرون » ونحوه ، ولم يقل : فاذا هم مظلمون : أي داخلون في الظلام .

قيل : ومنه قوله تعالى (٤) : « إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » فان المستعار منه : المرأة ، والمستعار له الريح ، والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر ، فالطرفان حسيان ، والجامع عقلي . . .

---

(١) اي الظلام ، والمراد به الجو الواقع بين الارض والسماء ، و(ملقى ظله) موضع القائه وهو سطح الارض وبيان ذلك : ان الظلمة اصل ، والنور طارىء عليها ، فاذا غربت الشمس فقد سلخ النهار اي كشف وازيل عن الشيء الطارىء عليه وهو الظلمة ، فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضياء النهار بمنزلة ظهور لحم المسلوخ بعد ذهاب جلده فصح قوله (فاذا هم مظلمون) .

(٢) اي حصوله عقيب حصوله دائماً او غالباً كترتب ظهور اللحم على السلخ ، والظلمة على ازالة الضوء عن مكان الليل ، وقد يقال : الجامع خروج شيء من شيء .

(٣) والقائل هو السكاكي في المفتاح (ص ٢٠٧ ادبية) وعبارته هذه هي عبارة الفخر الرازي والزنجاني ، ومراد السكاكي من الظهور : انكشاف النهار عن الظلام كما ينكشف الجلد عن اللحم ، لازوال الظلمة ، فالمستعار له ظهور الظلمة عند انكشاف النهار عن وجه الليل ، والمستعار منه ظهور اللحم عند انكشاف الجلد المسلوخ عنه ، غاية مافي الامر انه ارتكب في التعبير مجازا .

(٤) اي ومن استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ، والشاهد من الآية « وفي عاد اذ ارسلنا . . » الذاريات ٤١ .

وأما ﴿ استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي ﴾ فكقولك : رأيت شمساً ، وأنت تريد انساناً شبيهاً بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن(١) ، وأهمل السكاكي هذا القسم(٢) .

وأما ﴿ استعارة معقول لمعقول ﴾ فكقوله تعالى(٣) « من بعثنا من مرقدنا ؟ » فان المستعار منه الرقاد(٤) ، والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الافعال(٥) ، والجميع عقلي .

وأما ﴿ استعارة محسوس لمعقول ﴾ فكقوله تعالى(٦) : « فاصدع بما تؤمر » فان المستعار منه صدع الزجاجة وهو كسرها ، وهو حسي ، والمستعار له تبليغ الرسالة ، والجامع لهما التأثير ، وهما عقليان ، كأنه قيل : أبن الأمر إباتة لا تتسمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة .

---

(١) والانسان والشمس وحسن الطلعة حسيات ، ونباهة الشأن عقلي فالجامع مختلف .

(٢) وقد يقال ان السكاكي لم يهمله لان قوله : (استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي او عقلي) يجيز صدق احد الجزأين وصدقهما معاً .

(٣) من الآية « قالوا ياويلنا ... هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون » يس ٥٢ .

(٤) على ان يكون (المرقد) في الآية مصدراً .

(٥) يرد عليه ان عدم ظهور الافعال في الموت الذي هو المستعار له اقوى ، ومن شرط الجامع ان يكون في المستعار منه اقوى واظهر ، فمن الحق والاقوى ان نجعل البعث هو الجامع لانه القدر المشترك بين الايقاظ والاحياء ، وهو في النوم أظهر واشهر لكونه مما لاشبهة فيه لاحد ، وقرينة الاستعارة : هي كون هذا الكلام كلام الموتى في قوله تعالى (هذا ماوعدنا الرحمن وصدق المرسلون)

(٥) وبقية الآية « ... واعرض عن المشركين » الحجر ٩٤ .

وكقوله تعالى(١) : « ضربت عليهم الذلة » جُعلت الذلةُ محيطة بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه ، أو ملصقةً بهم حتى لزمتهم ضربةَ لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه . فالمستعار منه : إمّا ضرب القبة على الشخص ، وإما ضرب الطين على الحائط ، وكلاهما حسيّ . والمستعار له : حالهم مع الذلة . والجامع الاحاطة او اللزوم ، وهما عقليان ؛

وأما ﴿ استعارة معقول لمحسوس ﴾ فكقوله تعالى(٢) : « إنا لما طغى الماء » ، فان المستعار له كثرة الماء وهو حسيّ ، والمستعار منه التكبر(٣) ، والجامع(٤) الاستعلاء المفرط وهما عقليان ؛

تقسيم الاستعارة الى أصلية وتبعية . — وأما باعتبار اللفظ فقسمان : لأنه(٥) إن كان اسم جنس فأصلية كأسد وقتل ، وإلا فتبعية كالأفعال

---

(١) من الآية « ... اين ماثقفوا الاّ بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » آل عمران ١١٢ . وقد استعارت الآية ضرب القبة والخيمة للتثبيت والشمول .

(٢) وبقية الآية « .. حملناكم في الجارية » الحاقة ١١ .

(٣) الناشيء عن الطغيان ، فقد عبر عنه بلازمه وهو التكبر ؛ وقوله : (وهما عقليان) أي التكبر والاستعلاء إذا أريد به العلو المفرط الذي به يعظم الشيء في النفس فانه أمر عقليّ ؛ أما لو اريد به الارتفاع الجويّ فيكون حينئذ حسيا .

(٤) بين الطرفين وهما التكبر والطغيان الذي هو (الاستعلاء) المفرط .

(٥) اي اللفظ المستعار ان كان اسم جنس فالاستعارة (أصلية) ؛ والمراد بالجنس هنا ما يشمل الاعيان المادية كأسد وبدر وبحر ، والمعاني كالشجاعة والجمال والعلم .

والصفات المشتقة منها(١)، والحروف : لأن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً(٢). وانما يصلح للموصوفية الحقائق(٣) كما في قولك : جسم أبيض وبياض صاف، دون معاني الافعال والصفات المشتقة منها(٤) والحروف.

فان قلت، فقد قيل في نحو شجاع باسل وجواد فياض، وعالم نحرير: إن (باسلاً) وصف لشجاع، و(فياضاً) وصف لجواد، و(نحريراً) وصف لعالم(٥). قلت : ذلك متأوّل بأن الثواني لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفاً بالأول. فالتشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها لمعاني

---

(١) كاسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ونحوها.

(٢) بوجه الشبه اي بكونه مشاركا للمشبه به في وجه الشبه بحيث يصلح الحكم به عليه.

(٣) اي وانما يصلح لكونه موصوفاً بوجه الشبه أو بغيره ؛ و (الحقائق) هي الذوات الثابتة المتقررة كالجسم والبياض والطول (راجع المفتاح ص ٢٠٢).

(٤) لكونها متجددة غير متقررة وذلك لدخول الزمان في مفهومها.

(٥) قال البهاء السبكي (٤/ ١١٠ شروح) وأما قولهم في (جواد فياض) : إن فياضاً صفة لجواد، فالجواب عنه صحيح : إنما القول بأن فياضاً صفة لجواد هو احد القولين، وقيل : انهما صفتان للجامد قبلهما. وعلى القولين فليس مما نحن فيه : لأن ذلك في الصفة النحوية، وكلامنا في الصفة المعنوية. وقول المصنف: نحرير وباسل لا يصح أن يكون مثالا للمشتق من الاستعارة : لأن (باسلا) معناه شجاع وليس حقيقة في الاسد حتى يستعار لغيره، والظاهر ان (نحريراً) حقيقة، قال الجوهري : النحرير العالم.

مصادرها(١)، وفي الحروف لمتعلقات معانيها(٢) كالمجرور في قولنا: زيد في نعمة ورفاهية(٣)، فبقدر التشبيه في قولنا: نطقت الحال بكذا، والحال ناطقة بكذا(٤)، للدلالة بمعنى النطق؛

---

(١) قال السكاكي (ص ٢٠٢) فلا تستعير الفعل الا بعد استعارة مصدره، فلا تقول (نطقت الحال) بدل دلت الا بعد تقرير استعارة نطق الناطق لدلالة الحال لقصد المبالغة في التشبيه.

(٢) وقال السكاكي في مفتاحه (ص ٢٠٢ ادبية): «وأعني بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر عنها عند تفسيرها مثل قولنا (من) معناها ابتداء الغاية، و (الى) معناها انتهاء الغاية، و (كي) معناها الغرض أي العلة الباعثة، فابتداء الغاية وانتهاء الغاية والغرض ليست معانيها — وإلا لما كانت حروفاً بل اسماء، لان الاسمية والحرفية انما هي باعتبار المعنى — وانما هي متعلقات معانيها: أي اذا افادت هذه الحروف معاني رجعت هذه المعاني الى هذه المتعلقات بنوع استلزام نوعي: وهو استلزام الخاص للعام مثال ذلك (من) الموضوعة للابتداء الخاص، في قولك مثلا (سافرت من دمشق الى القاهرة) فانه يرد هذا الخاص الى العام بأن يقال: هو لمطلق الابتداء، لأن ذلك الأخص يستلزم هذا الأعم.

(٣) قول المصنف (كالمجرور) غير صحيح: لأن المجرور ليس هو المتعلق، بل المعلق هو المعنى الكلي الذي استلزمه معنى الحرف كما سبق، فمتعلق معنى الحرف (في) من قولك (زيد في نعمة ورفاهية) هو الظرفية المطلقة لا النعمة ولا الرفاهية، ولذلك نقول: شبه النعمة بظرف كاليت في الملابسة لان النعمة تلابس المنعم كما ان الظرف يلابس المظروف (الدسوقي).

(٤) فهي استعارة تصريحية تبعية، وقد يكون مجازاً مرسلا لا باعتبار السببية، بل باعتبار أن الدلالة لازم النطق، ولا امتناع في ان يكون اللفظ الواحد استعارة ومجازاً مرسلا باعتبار العلاقتين، احداها المشابهة والاخرى غيرها.

وعليه في (التهكمية[١]) قوله تعالى[٢]: «فبشرهم بعذاب أليم» بدل فأنذرهم. وقوله تعالى[٣]: «انك لأنت الحليمُ الرشيد» بدل السفيه الغوي. وفي (لام التعليل[٤]) كقوله تعالى[٥]: «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً» للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية

---

(١) اي الاستعارة التهكمية، قال صاحب المفتاح (١٩٩ ادبية) استعارة اسم احد الضدين او النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد، والحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم او التمليح على ماسبق في باب التشبيه، ثم ادعاء احدهما من جنس الآخر والافراد بالذكر، ونصب القرينة كقولك: (ان فلانا تواترت عليه البشارات بقتله ونهب اموالة وسبي أولاده!) ويخص هذا النوع باسم (الاستعارة التهكمية او التمليحية)

(٢) من الآية «ان الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم.» آل عمران ٢١.

(٣) من الآية «قالوا ياشعيب: أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا، أو ان نفعل في اموالنا مانشاء، إنك لأنت الحليم الرشيد!» هود ٨٧.

(٤) ويسميها السكاكي في مفتاحه (٢٠٣) لام الغرض قال: واذا اردت استعارة لام الغرض قدّرت الاستعارة في معنى الغرض ثم استعملت لام الغرض هناك مثل أن يكون عندك ترتب وجود امر على أمر، من غير أن يكون الثاني مطلوباً بالاول، ويكون الاول غرضاً في الثاني، فتشبهه بترتب وجود بين امرين مطلوب بالاول منهما الثاني، ثم تستعير للترتب (المشبه) كلمة الترتيب (المشبه به) في ضمن قرينة مانعة عن حملها على ماهي موضوعة له، فتقول اذا رأيت عاقلا قد أحسن الى انسان ثم آذاه (ذلك أنه قد أحسن اليه ليؤذيه)، ومن ذلك قوله علت كلمته: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا».

(٥) من الآية «.. إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين» القصص ٨.

للالتقاط ؛ (١)

ومما يتصل (٢) بهذا أن يا حرف وُضع في أصله لنداء البعيد ، ثم استعمل في مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع اليه ، أو الى المنادى :

أمّا (الأول) فكقولك لمن سها وغفل ، وإن قرب : يافلان ! ،

وأمّا (الثاني) فكقول الداعي في جؤاره (٣) : يا أَلله ! وهو أقرب اليه من حبل الوريد : فانه استقصار منه لنفسه ، واستبعاد لها من مظانّ الزُّلفى ، وما يقربه الى رضوان الله تعالى ومنازل المقرّبين ، هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله تعالى ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته ، والاذن لندائه وابتهاله ؛

قرينة التبعية . — واعلم أن مَدار قرينة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها الى الفاعل (٤) كما مرّ في قولك : نطقت الحال ،

---

(١) وهي النصرة والسرور .

(٢) وسبب هذا الاتصال هو أن في (يا) خلافاً في أنه حرف او اسم فعل .

(٣) الجؤار بضم الجيم صوت التضرع والابتهال ، وهو على وزن فعال الذي يكون للاصوات كصراخ ونهاق وفي التنزيل (اذا هم يجأرون) قال ثعلب : هو رفع الصوت اليه بالدعاء .

(٤) قوله (مدار قرينة التبعية) المدار بمعنى الدوران ، والمراد بدوران القرينة على نسبتها الى الفاعل رجوعها الى نفس الفاعل مثل (الحال) من قولك (نطقت الحال) ،

أو الى المفعول (١) كقول ابن المعتز (٢) :

جمع الحق لنا في إمام ... قتل البخل وأحيا السماحا

وقول كعب بن زهير (٣) :

صبحنا الخزرجية مرهفات ... أباد ذوي أرومتها ذووها

والفرق بينهما (٤) : أن الثاني مفعول ثان دون الأول . ونظير الثاني قوله (٥) :

فانه فاعل (نطق) وهو قرينة على صرف الفعل للمجاز : لأن الحال لا تنطق ، وهو مثال للفعل ، ومثال الصفة المشتقة منه قولك (الحال ناطق بكذا) فان الفاعل هو الضمير ، وهو قرينة على الاستعارة .

(١) بأن يكون تسليط الفعل أو ما يشتق منه على المفعول غير مناسب لأن (البخل والسماح) في بيت ابن المعتز من المعاني ولا روح لها ، فلا يصح تسليط القتل والاحياء عليها ، فكل من المفعولين قرينة على صرف الفعل للمجاز .

(٢) في ديوانه ص ١١٠ .

(٣) معنى (صبحنا) سقينا الصبوح ، وفاعل (أباد) ذووها أي أصحابها ، و (الخزرجية) مفعول أول و (مرهفات) مفعول ثان ، وجملة المصراع الثاني صفة لمرهفات ، ومعنى البيت : أهلك اصحاب المرهفات ذوي أرومتها .

(٤) أي بين قول ابن المعتز وقول كعب بن زهير .

(٥) قائله التطامي ، وقد مرّ بنا آنفا ، والشاهد فيه ان المفعول الثاني (لهذميات) قرينة على أن (تقريهم) استعارة ، وذلك لأن للهذميات لا تكون قرى للضيفان .

نقريهم لهذميّات نقدّ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زرّاد

أو إلى المفعولين (١) الأول والثاني كقول الحريري (٢):

وأقري المسامعَ إمّا نطقتُ بياناً يقود الحرون الشّموسا

أو الى المجرور (٣) كقوله تعالى: « فبشرهم بعذاب أليم »

قال السكاكيّ: أو إلى الجميع (٤) كقول الآخر (٥):

---

(١) بأن يكون تسليط الفعل او مشتقاته على المفعولين غير مقبول ولا معقول، فلا يصح تسليط القرى على المسامع ولا على البيان، وانما يقرى الجياع قصاعاً.

(٢) من شعر له في المقامة الطيبية، وقبله:

وطوراً بوعظي أسيل الدموعَ وطوراً بلهوي أسرَ النفوسا

(٣) فيكون المجرور قرينة في صرف الفعل الى الاستعارة نحو (فبشرهم...): فان ذكر (العذاب) قرينة في صرف (فبشرهم) الى الاستعارة التهكمية: قال البهاء السبكي (١٢٦/٤ شروح): وكان المصنف مستغنياً عن ذكر هذا فان المجرور هنا مفعول في المعنى.

(٤) قال الشيرازي: يعني الفاعل والمفعول الاول والثاني والمجرور.

(٥) المفعول الاول (رياض) والثاني (ايقاظا)، و(في الاجفان) متعلق بالفعل (سرى)، والمعنى: تقرى الرياح الرياض ايقاظاً اي: تهزها عند الهبوب عليها، كقول الشاعر:

والريح أيقظت الرياض، وللحيا منها إذا رقد العرارُ شهيقُ

وان اريد بهذه (الاجفان) أجفان الرياض، كان سير النوم فيها عبارة عن ذبولها: وأما ان اريد بها أجفان الناس كان المعنى: تهز الرياح الرياض لتنبهها اذا نامت اجفان الناس أي: تهب عليها الرياح ليلاً

تهري الرياح رُياضَ الحزن مزهرةً
اذا سرى النوم في الاجفان ، إيقاظا

وفيه نظر (١) :

❀❀❀

(١) ولعل وجه النظر ان النسبة الى الجميع في البيت ليس قرينة استعارة واحدة ، يعني ان القرينة هي المجموع ، وليس الامر كذلك ، لأن كل واحد منهن هي قرينة مستقلة عن الاخرى ، واجيب بان السكاكي مراده كل واحد منهن أيضاً .

نصوص وشواهد

على أنواع الاستعارة

تدريبات

(١) جاء في الكتاب المعجز : « وضرب الله مثلا قريةً كانت آمنة مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مكان . فكفرت بأنعم الله . فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » النحل ١١٢ .

---

(١) قرية آمنة : أسند الأمن الى القرية ، والآمن هو المقيم في القرية ، فيكون قد أسند الفعل الى مكان حصوله ، فالكلام على ذلك مجاز عقلي علاقته المكانية .

وأما قوله (فأذاقها الله ...) ففيه مجاز مزدوج أي استعارتان : الاولى (تصريحية) وطريقة اجرائها واعرابها ، أو سر تركيبها أن يقال : شبه ما يغشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر ضررهما كالهزال واصفرار اللون (المشبه) باللباس (المشبه به) بجامع الاشتمال في كل ، واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية : والثانية (مكنية) ، وتقول في إجرائها : شبه لباس الجوع والخوف (المشبه) ، وهوما يغشى الانسان بتأثيرهما من الهزال وصفرة اللون ، بالطعم المرّ أو الحنظل مثلاً (المشبه به) ، ويكون اصل التعبير : (فاذاقها الله طعم لباس الجوع والخوف) وهو مرّ ، وذلك بجامع الكراهة في كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو (الاذاقة) على سبيل الاستعارة المكنية .

(٢) ويقول النابغة الذبياني :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل
وكيف تصابي المرء ، والشيب شامل
وقفت بربع الدار قد غير البلى
معارفها والساريات الهواطل
أسائل عن سُعدى ، وقد مرّ بعدنا
على عرصات الدار سبع كوامل

(٣) وقال قُريط بن أنيف العنبري :

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

---

(٢) الهوى لا يدعو ، والمنازل لا تستجهل ، فالعبارتان استعارتان ، تقول في اجراء الاولى ، شبه الهوى بانسان بجامع الاستهالة في كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حذف واثبت له شيء من لوازمه وهو (الدعاء) على طريق الاستعارة المكنية ، ومثل ذلك يقال في الاستعارة الثانية وفي قوله : (غير البلى معارفها) مجاز عقلي علاقته السببية .

(٣) أصل التعبير (أبدى الشر لهم ناجذيه) شبه الشر بالسبع المفترس ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو (الناجذان) على سبيل الاستعارة المكنية و (ابدى) ترشيح ، فالاستعارة مكنية مرشحة

وفي (طاروا) استعارة تصريحية تبعية . شبه عدو الخيل بالطيران بجامع السرعة في كل ، وادعينا أن العدو من جنس الطيران مبالغة فاستعرنا الطيران للعدو استعارة تصريحية أصلية ، وبواسطة هذه الاستعارة اشتققنا من الطيران (طاروا) بمعنى عدوا ، وهي استعارة تصريحية تبعية.

(٤) ومن استعارات المحدثين قول ابي تمام في خالد بن يزيد الشيباني :

لقد أخذت من دار ماوِيّة الحقبُ
أنحل المغاني للبلى هي أم نهبُ ؟
وعهدي بها اذ ناقض العهد بدرُها
مراحُ الهوى فيها ومسرحها الخصبُ

(٥) ويقول شوقي في رثاء مصطفى كامل :

وأحبّ من طول الحياة بذلةٍ قصر يريك تقاصرَ الاقران
دقات قلب المرء قائلةٌ له إن الحياة دقائق وثوان

---

(٤) النحلُ في البيت الاول العطاء بلا عوض . يقول : أدار ماوية هي عطاء المغاني للبلى فتظل دارسة أبداً ، ام نهب بين يدي الحقب والايام تمحو آثارها . والواو من (وعهدي) في البيت الثاني للحال . و (ناقض) بمعنى نقض أي نقض حبل العهد ففيه استعارة مكنية قرينتها النقضُ ، أو استعارة تصريحية تبعية على ما بيناه . وفي (بدرها) استعارة تصريحية أصلية إذ استعار (البدر) للمحبوب استعارة اصلية لانه اسم جنس لذات ، والجامع الاشراق ونباهة الشأن ، والقرينة (ناقض العهد) لأن البدر الحقيقي لا يوصف بهذه الصفة . والغرض المبالغة في تشبيه المحبوب بالبدر من حيث الاشراق والنباهة .

(٥) وفي البيت الثاني الاستعارة في (قائلة) ، ونقول في اجرائها : شبه الدلالة بالقول بجامع الافادة في كلٍ ، وادعينا أن الدلالة من جنس القول مبالغةً ، فاستعرنا القول للدلالة استعارة مصرحة أصلية ، وبواسطة هذه الاستعارة اشتققنا من القول (قائلة) بمعنى دالة على سبيل الاستعارة المصرحة التبعية .

تمرينات

بيّن نوع الاستعارة العنادية أو الوفاقية مع التوجيه . ونوعها من جهة كون طرفيها حسيين أو عقليين أو مختلفين .

(١) جاء في الكتاب المبين : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » وقوله : « انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية »

(٢) ويقول امرؤ القيس يصف الليل الطويل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصباح منك بأمثلِ

(٣) ومن المنسوب للسموأل :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل

(٤) ويقول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الداعيات الى الصبا وقد فاجأتها العين والستر واقعُ
فغطت بأيديها ثمار نحورها كأيدي الاسارى اثقلتها الجوامع

(٥) وللعباس بن الاحنف ، وقيل للخليع :

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

الاعراب البياني

قال المتنبي وقد قابله سيف الدولة وعانقه :

فلم أَر قبلي من مشى البحر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الاسدُ

فلم أَر : (أرى) الفعل هو المسند وضمير المتكلم المسند اليه .

الاسناد خبري والضرب ابتدائي

قبلي : قيد

مشى البحر : (مشى) مسند ، و (البحر) مسند اليه ، والاسناد خبري ، مجاز عقلي ، والضرب ابتدائي .

نحوه : قيد

قامت الاسد : (قامت) مسند ، و (الاسد) مسند اليه ، والاسناد خبري ، مجاز عقلي ، والضرب ابتدائي .

تعانقه : الفعل مسند ، والضمير العائد الى الاسد مسند اليه ، والضمير المفعول قيد ، مجاز عقلي ، والضرب ابتدائي .

وفي كل من الشطرين استعارة تصريحية اصلية للتصريح فيهما بالمشبه به ، ولأن اللفظ المستعار فيهما اسم جامد لذات وهما البحر والاسد ، ويقال في اجراء الاستعارة (١) في (مشى البحر) : شبه الرجل الكريم بالبحر

---

(١) ان الاجراء في الاستعارات يقوم مقام الاعراب في علم النحو ، وهو في علم البيان قوام الاعراب البياني ونظامه .

بجامع الفيض في كل . واستعير اللفظ الدال على المشبه به ، وهو (البحر) للمشبه وهو الرجل الكريم على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ؛ ومثل هذا يقال في (تعانقه الاسد) . والقرينة (مشى) لان البحر لايمشي . وفي الاستعارة الثانية (تعانق) لان الاسد لاتعانق .

تدريبات

وأعرب بيت حافظ ابراهيم اعراباً بيانياً مع بيان نوع الاستعارة واجرائها .

فيا قلب لا تجزع اذا عضك الاسى فانك بعد اليوم لن تتألما

❀❀❀

الاستعارة : مرشحة ومجردة ومطلقة. — وأما باعتبار الخارج (١) فثلاثة أقسام :

❀ أحدها ﴿ المطلقة ﴾ (٢) وهي التي لم تُقرن بصفةٍ ولا تفريع كلام (٣) ، والمراد المعنوية لا النعت (٤) ؛

❀ وثانيها ﴿ المجرَّدة ﴾ (٥) : وهي التي قُرنت بما يلائم المستعار له كقول كثير (٦) :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقابُ المالِ

فانه استعار الرداء للمعروف (٦) لأنه يصون عرض صاحبه كما

---

(١) أي باعتبار أمر خارج عن اعتبار الطرفين والجامع واللفظ المستعار ، وذلك باعتبار وجود الملائم وعدمه .

(٢) أي الاستعارة التي تسمى (مطلقة) : لاطلاقها عن وجود قيد الملائم .

(٣) أي تفريع كلام مما يلائم المستعار له والمستعار منه .

(٤) اي الصفة المعنوية وهي التي دلت على معنى قائم بالغير (لا النعت) أي النحوي فقط .

(٥) لتجرّدها عما يقوّيها من اطلاق او ترشيح .

(٦) اي شبه المعروف بالرداء بجامع الستر والصون في كل : لأن المعروف يستر عرض صاحبه ستر الرداء لمن يلبسه ، و (الصفة) هي قوله (غمر) لانها صفة للمعروف، وهي في الحقيقة وصف للبحر المستعار اولا ، و (التفريع) عليه قوله (اذا تبسم ضاحكا) فانه صفة صاحب الرداء ، لا الرداء نفسه .

يصون الرداء ما يلقى عليه . ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف (١) لا الرداء ، فنظر الى المستعار له ، وعليه قوله تعالى (٢) : « فاذاقها الله لباس الجوع والخوف » حيث قال (أذاقها) ولم يقل كساها ، فان المراد بالاذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس كأنه قال : فأصابها الله بلباس الجوع والخوف؛

قال الزمخشري (٣) : الأذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب ، شبّه مايدرك من أثر الضر والالم بما يدرك من طعم المرّ والبشع (٤) ، فإن قيل : **الترشيح أبلغ من التجريد** (٥) ، فهلاّ قيل : فكساها الله لباس الجوع والخوف ؟ قلنا :

- لأن الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس من غير عكس (٦) ، فكان في الاذاقة إشعار بشدة الاصابة ، بخلاف الكسوة ؛

---

(١) وهو في الاصل وفي الحقيقة وصف للبحر المستعار اولا .

(٢) راجع الكلام على هذه الآية في التدريبات التي مرت بك ص ١٩٦ .

(٣) في كشافه (٢/٣٤٦) .

(٤) جاء في لسان العرب : وطعام بشيع وبشع (بكسر الشين) من البشع (بفتحها) كريه يأخذ بالحلق ، بيّن البشاعة ، فيه حفوف ومرارة كالاهليلج ونحوه .

(٥) قال الطيبي في تبيانه (المخطوطة الدمشقية البيطارية ص ١٨٣) : لاشتماله على تحقق الاستعارة بأبلغ وجه وتناسي التشبيه .

(٦) أي أن الادراك باللمس لا يستلزم الادراك بالذوق .

فإن قيل : لم لم يقل : فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قلنا :
لأن الطعم ، وإن لاءم الاذاقة ، فهو مفوّت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمّ أثرهما جميعَ البدن عمومَ الملابس .

* وثالثها * المرشحة * (١) : وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله (٢) :

ينازعني ردائي عبدُ عمروٍ رويدَك يا أخا عمرو بن بكرِ

---

(١) بفتح الشين من الترشيح بمعنى التقوية . جاء في اللسان : ورشحت الأم ولدها باللبن القليل اذا جعلته في فيه شيئاً بعد شيء حتى يقوى على المص ، وقد سميت هذه الاستعارة مرشحة : لانها مبنية على تناسي التشبيه حتى كأن الموجود في الواقع هو المشبه به دون المشبه ، فاذا (قرنت بما يلائم المستعار منه) كان ذلك موجباً لقوة التعبير وترشيحه .

(٢) لم يعزه صاحب الكشاف (٢/٣٤٦) ولا شارح شواهده (تنزيل الآيات ١٢٨) ، ومعنى (رويدك) أمهل ، و (دونك) خذ ، ومفعوله محذوف أي دونك المتنازع ، والاعتجار الاعتمام ، و (الشطر) الذي ملكت يمينه قائم السيف و (الشطر) الثاني صدره ، وتفسير البيت : ينازعني عبد عمرو سيفي الذي اصون به نفسي ، فقلت له : مهلاً ، فاني مقاسمك هذا السيف ، ان لي (قائمه) الذي في يميني ولك (صدره) فخذه واعتجر به اي اشتر به رأسك ، ودع المنازعة ، وهو شبيه بقول الحماسي :

لهم صدر سيفي يوم بطحاء سجسل ولي منه ما ضمت عليه الانامل

وقول الشاعر :

منابرهن بطون الاكف وأغمادهن رؤوس الملوك

لي الشطرُ الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر

فانه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق . ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف الرداء . فنظر الى المستعار منه . وعليه قوله تعالى (١) « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » فانه استعار (الاشتراء) للاختيار ، وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء ، فنظر الى المستعار منه ؛

وقد يجتمع التجريد والترشيح كما في قول زهير (٢) :

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذّفٍ له لبدٌ أظفاره لم تُقلَّمِ

والترشيح أبلغ من التجريد : لاشتماله على تحقيق المبالغة (٣) . ولهذا

---

(١) وبقية الآية « ... وما كانوا مهتدين » البقرة ١٦ .

(٢) في الديوان (ص ٢٣ ط الدار) ، فان قوله (شاكي السلاح) تجريد : لانه وصف يلائم المشبه أي المستعار له ، وعجز البيت ترشيح : لأنه وصف يلائم المشبه به أي المستعار منه وهو الاسد الحقيقي ، قال ثعلب في شرحه : (شاكي السلاح) أي سلاحه ذو شوكة يريد شائك فألغى الياء . و (المقذف) الغليظ اللحم ـ كأنما رمي به رمياً ، أو أنه يقذف به كثيراً الى الوقائع والغارات ـ و (اللبد) الشعر بين كتفي الاسد و (اظفاره لم تقلم) أي هو تام السلاح جديده ، يريد الجيش واللفظ على الاسد ، ومثله قول النابغة :

وبنو قُعين لا محالة أنهم آنوك غير مقلمي الاظفار

(٣) وعبارة الطيبي في تبيانه (مخطوطة آل البيطار الدمشقية ص ١٨٣) : لاشتماله على تحقق الاستعارة بأبلغ وجه وتناسي التشبيه ، واقرأ ص (٢٦٢ رابعة) من اسرار البلاغة فصل (في تخييل بغير تعليل) فان فيه شفاء للعليل .

كان مبناه على تناسي التشبيه ، حتى إنه يوضع الكلام في علوّ المنزلة وضعه في علوّ المكان كما قال أبو تمام (١) :

ويصعد حتى يظنّ الجهولُ بأن له حاجةً في السماءِ

فلولا أن قصده (٢) أن يتناسى التشبيه ويصمّم على انكاره فيجعله صاعداً في السماء ، من حيث المسافةُ المكانيةُ ، لما كان لهذا الكلام وجه. وكما قال ابن الرومي (٣)

يا آل نوبخت ، لا عدمتكمُ ولا تبدّلتُ بعدكم بدلا

---

(١) يرثي خالد بن يزيد الشيباني ، الديوان (ص ٣٤٧) ، وقبله :

فقد مات جدك جدّ الملوك ونجم أبيك حديث الضياء
فما زال يقرع تلك العلا مع النجم مرتدياً بالعماء

ورواية الديوان للصدر (ويصعد حتى لظن الجهول) بلام الابتداء الداخلة على الماضي .

(٢) من كلام الامام في أسراره (٢٦٣ رابعة المنار)

(٣) من المنسرح في مدح ابي سهل النوبختي ، والنوبختيون اشتهروا في العصر العباسي بالحكمة والفلك ، وكان جدهم نوبخت منجماً للمنصور . ويقال : (انتحل) الشيء الذي لغيره ادعاه لنفسه ، و (ليس بأن قاس) أي ليس علمه بالنجوم بالقياس والاستدلال ، (ولكن بأن رقى) بفتح القاف على لغة طيء ، (فعلا) من علا في في المكان علوّاً ، لا من علي كرضي في الشرف يعلى علاء ، فان الكلام في العلو الحسّي ، وقوله : (بالسؤال عن الأمر) أي العلوي والسفليّ وتأثير الكواكب ؛ وانما خص (زحل) لأنه ابعد الكواكب واعلاها ؛ والشاهد في قوله (شافهم البدر ...) .

إن صحّ علمُ النجوم كان لكم حقاً، إذا ما سواكمُ انتحلا
كم عالمٍ فيكمُ، وليس بأن قاس، ولكن بأن رقى فعلا
أعلاكمُ في السماء مجدكمُ فلستم تجهلونَ ما جهلا
شافهتمُ البدر بالسؤالِ عن الأمر الى أن بلغتمُ زُحلا

وكما قال بشار (١) :

أتتني الشمس زائرةً ولم تكُ تبرحُ الفلكا

وكما قال أبو الطيب (٢) :

كأنّ تُ حول ديارهم لما بدت منها الشموس، وليس فيها المشرق

كما قال غيره (٣) :

---

(١) ادعى ان حبيبته الشمس نفسها، ولذلك عجب من زيارتها، والشاهد في قوله : (ولم تك تبرح الفلكا) يريك انه ادعى الشمس نفسها، وقبله :

بعثت بذكرها شعري وقدمت الهوى شركا
فلما شاقها قولي وشب الحب فاحتنكا

(٢) في صباه يمدح شجاع بن محمد بن اوس بن معن الازدي (ديوان عزام ص ٢١) وقبله :

أما بنو أوس بن معن بن الرضا فأعز من تحدى اليه الايتق

وبعده :

وعجبت من أرض سحاب أكفهم من فوقها وصخورُها لا تورق!

(٣) وهذا الشاهد لأبي الطيب المتنبي أيضاً لا لغيره (ديوان عزام ١٨٦) ويروي فيه الصدر (... من مشى البحر) بدل (البدر)، وقبله :

فلما رآني مقبلاً هز نفسه اليّ حسامٌ كل صفح له حدّ

ولم أرَ قبلي من مشى البدرُ نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسدُ

ومن هذا الفن ما سبق من التعجب والنهي عنه : غير أن مذهب التعجب على عكس مذهب النهي عنه . فان مذهبه(١) إثبات وصف ممتنع ثبوته للمستعار منه . ومذهب النهي عنه(٢) إثبات خاصة من خواص المستعار منه ؛ واذا جاز البناء(٣) على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه كما في قول العباس بن الاحنف(٤) :

هي الشمس مسكنها في السماء فعزّ الفؤاد عزاءً جميلا

---

(١) اي مذهب التعجب ، كما في اثبات التظليل للشمس في قول ابن العميد الذي مرّ بنا ، فهو وصف ممتنع ثبوته للمستعار منه .

(٢) اي مذهب النهي عن التعجب كما في إثبات بلى الغلالة للقمر وهو خاصة من خواصه في قول ابن طباطبا :

(لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر)

(٣) في بناء الكلام على المشبه به بذكر ما يناسبه .

(٤) في ديوان (ص ١٩٣ ط بغداد) وقبله :

لعمري لقد جلبت نظرتي اليك عليّ بلاءً طويلا

فياويح من كلفت نفسه بمن لا يطيق اليه سبيلا

وبعده : فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا

واقرأ ما كتبه امام البلاغة في اثرارها (٢٦٧ رابعة المنار) في شرح شعر ابن الاحنف .

وقول سعيد بن حُميد(١) :

قلت : زوري فأرسلت أنا آتيك سُحرهْ
قلت : فالليل كان أخ فمى وأدنى مسرَّه
فأجابت بحجـــــة زادت القلب حسره
أنا شمسٌ وانمـــــا تطلع الشمس بكره

فلأن يجوز مع جحده في الاستعارة أولى ، ومن هذا الباب(٢) قول الفرزدق(٣) :

---

(١) هو ابو عثمان وأصله من الزهروان كاتب شاعر ، أخباره في غ ١٧/٢ والمروج (المستعين) ، وشعره باسكان هاء القوافي من خامس الخفيف المخبون المقصور ، و (السحرة) تكون آخر الليل قبل الصباح ، و (البكرة) أول النهار ، وقوله (أنا شمس) بالتنكير اعتراف بشمس ثانية أو كالاعتراف ، وانظر ما كتبه الامام على هذا الشعر في الاسرار ص ٢٧٣

(٢) اي ومن باب البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه .

(٣) وهو في ديوانه ط الصاوي (ص ٤٧٧) ويروى فيه : (أبي أحد الغيثين ... والنجم يمطر) ، وعجز البيت الثاني (... على الفقر يعلم ...) ، ورواية الاغاني (يُعلم) بالبناء للمفعول . والمراد بقوله (أبي) جده صعصعة المشهور في الجاهلية بشراء البنات اللاتي يراد وأدهن لتخليصهن من الموت ، وفي قوله (ومن يجر على الموت ...) التفات ، والجوزاء والدلو من بروج السماء ، وكان عرب الجاهلية اذا وافق سقوط النجم المطر نسبوه اليه وقالوا (سقينا بالنجم) ، واذا اخطأهم المطر قالوا : (اخلفنا النجم) و (المخفر) بصيغة اسم الفاعل مزيل الخفارة ، يقال : خفر العهد رعاه وحفظه ، وأخفره نقضه بهمزة السلب والازالة .

أَبي أَحمد الغيثين صعصعةُ الذي متى تُخلفِ الجوزاءُ والدلوُ يُمطرِ
أَجار بناتِ الوائدين ومن يُجرْ على الموت فاعلم أَنه غير مُحقر

إدّعى لأبيه اسم الغيث ادعاء من سُلم له ذلك، ومن لا يخطر بباله (١) أَنه تناول له من طريق التشبيه. وكذا قول عديّ بن الرقاع يصف حمارين وحشيين (٢):

يتعاوران من الغبار ملاءةً بيضاءَ محكمةً هما نسجاها
تُطوى إذا وردا مكاناً محزناً وإذا السنابك أَسهلت نشراها

***

(١) وأصل عبارة الاسرار (٢٧٥ رابعة): ومن لا يخطر بباله أنه مجاز فيه، ومتناول له من طريق التشبيه، وحتى كأن الامر في هذه الشهرة بحيث يقال: أيّ الغيثين أجود؟ فيقال: صعصعة، وحتى بلغ تمكن ذلك في العرف الى أن يتوقف السامع عند اطلاق الاسم، فاذا قيل: أتاك الغيث، لم تعلم أيراد صعصعة أم المطر؟

(٢) يتعاوران: يتداولان، و (محزنا) غليظاً وعرا، أي ان هذين الحمارين ينقطع غبارهما في الارض الصلبة الوعرة، ويثيران ملاءته في الارض الترابية السهلة، ويروى صدر البيت الثاني (تطوى اذا علوا مكانا جاسيا) والمعنى واحد.

نصوص وشواهد

على الترشيح والتجريد والاطلاق

تدريبات

(١) « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذابَ بالمغفرة فما أصبرهم على النار ! » البقرة ١٧٥ .

(٢) وقال قُريط بن أنيف :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا اليه زَرافات ووحدانا

---

(١) ان في (اشتروا) : استعارة تصريحية تبعية مطلقة ، واذا شبهنا الضلالة بالبضاعة المزجاة كانت مكنية ، وتقول في اجراء التصريحية : شبهنا اختيارهم للضلالة والعذاب بدل الهدى والمغفرة ، بالاشتراء بجامع الحصول على الشيء في كلٍ ، وادعينا ان الاختيار من جنس الاشراء مبالغة ، فاستعرنا الاشتراء للاختيار استعارة مصرحة اصلية ، وبواسطة هذه الاستعارة اشتققنا من الاشتراء (اشتروا) بمعنى اختاروا على سبيل التصريحية التبعية ، وهي (مطلقة) لخلوها من ملائم المشبه والمشبه به .

(٢) في صدر البيت الثاني مكنية مرشحة : شبه الشر بوحش مفترس بجامع الاغتيال في كل ، والقرينة المانعة (ناجذيه) لأن الشر لا نواجذ له ، و (أبدى) ترشيح لأنه يلائم المشبه به ؛ وفي الشطر الثاني شبه عدوهم على الخيل بالطيران بجامع الاسراع الشديد في كلٍ ، واشتق من الطيران بمعنى العدو (طاروا) بمعنى عدوا على سبيل التصريحية التبعية .

(٣) ولابي تمام في أحمد بن أبي دُواد ،

لما انتضيتك للخطوب كفيتها والسيف لا يكفيك حتى يُنتضى
ما زلت ارقب تحت أفياء المنى يوما بوجه مثل وجهك أبيضا

(٤) وقال ابن الرومي:

حيّتك عنا شَمال طاف طائفها بجنة نفحت روحاً وريحانا
هبّت سُحيراً فناجى الغصن صاحبه سراً بها ، وتداعى الطير اعلانا

(٥) لأبي نواس في وصف الرياض :

أيا حسنها من رياض غدا جنوني فنوناً بأفنانها
مشى الماء فيها على رأسه لتقبيل أقدام أغصانها

---

(٣) في (انتضيتك) مكنية أصلية ، فقد شبه (ك) الخطاب ، وهو الممدوح بالسيف بجامع النفاذ في كل ، وحذف المشبه به رامزاً له بلازمه وهو (الانتضاء) على طريق المكنية .

وفي قوله (تحت أفياء المنى) من البيت الثاني مكنية ايضاً : شبه (المنى) بالجنة بجامع التنعم في كل ، وحذف المشبه به رامزاً له بلازمه (الافياء) .

(٤) في قوله (شمال) استعارة مكنية أصلية : حيث شبه ابن الرومي الشمال بانسان ، ثم حذف المشبه به ورمز له بقوله (حيتك) ، والقرينة اثبات التحية للشمال؛ وفي البيت الثاني نجد في (الغصن) استعارة مكنية أصلية أيضاً لتشبيهه بانسان حذفه ورمز له بالمناجاة ؛ والقرينة اثبات المناجاة للغصن .

(٥) في البيت الثاني (مشى الماء) مكنية أصلية مرشحة : شبه الماء بانسان وحذفه رامزاً له بالمشي ؛ والقرينة اثبات المشي له ، و (على رأسه) ترشيح لملاءمته المشبه به ؛ وفي عجز البيت ايضاً : مكنية مرشحة ، لحذف المشبه به ، و (اقدام) اللازم والقرينة ، وفي (التقبيل) ترشيح صريح .

تمرينات

(١)

بيّن ما في النصوص التالية من استعارات أصلية وتبعية ، وما فيها من ترشيح وتجريد واطلاق .

(١) « إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية . لنجعلها لكم تذكرةً وتعيها أذنٌ واعية » . الحاقة ١١ ، ١٢

(٢) ولزهير بن أبي سلمى في قوم هرم بن سنان المرّي

إذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم ... طوالَ الرماح لاقصارٌ ولا عُزلُ
بخيل عليهـــا جنة عبقرية ... جديرون يوماً أن ينالوا ويستعلوا
عليها اسود ضاريات لبوسهم ... سوابغ بيض لا يخرقهـــا النبل
اذا لقحت حرب عوان مضرة ... ضروس تهرُّ الناسَ أنيابها عُصلُ

(٣) وقال البحتري يصف الجعفري قصر المتوكل :

ملأت جوانبه الفضاءَ وعانقت ... شرفاته قطعَ السحاب الممطرِ
وتسير دجلة تحته ففناؤه ... من لجة غمرٍ وروضٍ أخضر
شجر تلاعبه الرياحُ فتثني ... أعطافه في سائح متفجّرِ

(٤) وقال امام البلغاء عليّ بن أبي طالب : الدنيا من أمسى فيها على جناح أمن ، أصبح فيها على قوادم خوف .

(٥) ومن خطبة للحجاج في مسجد الكوفة : ياأهل الكوفة، إني لأرى

رءوساً قد أينعت وحان قطافها واني لصاحبها . . . إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مكسرا ، فرماكم بي ، لانكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضطجعتم في مراقد الضلال .

(٦) وكتب أبو بكر الخوارزمي الى تلميذ له :

ومن لم يحاسب نفسه سراً حاسبه غيره جهراً ، ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه يد التأمل ولسان التبين جمحا به الى غاية أولها ندامة ، وآخرها ملامة ، جعلنا الله ممن اذا تكلم لم يضع زمام كلامه في يد هواه ، واذا واذا شهد لم يُلقِ رقّ شهادته في عنق سخطه ورضاه .

(٧) وقال اعرابي تفاخرا : جعلنا رماحنا أرشية الموت فاستقينا بها أرواح العدى .

(٢)

اصنع من التشبيهات التالية استعارات تصريحية ومكنية مع الترشيح او التجريد او الاطلاق :

١ ـــ النجوم كالزهر
٢ ـــ الفرس كالبحر
٣ ـــ الطيارة ليلاً كالكوكب
٤ ـــ الكريم كالغيث
٥ ـــ الشعر الاسود كالليل
٦ ـــ السيف كالبرق
٧ ـــ العين كالنرجس
٨ ـــ الثغر كاللؤلؤ
٩ ـــ القلم كالسيف
١٠ ـــ الهلال كمنجل الفضة

(٣)

وحوّل الاستعارات التالية الى تشبيهات :

١ — لما غدا مظلم الاحشاء من اشر أسكنت جانحتيه كوكباً يقدُ

٢ — سُل سيف الفجر من غمد الدجى وتعرّى الصبح من ثوب الغلس

٣ — وللسرىّ الرفّاء في القلم :

وأهيف ان زعزعته البنا ن امطر في الطرس ليلاً احم

٤ — وله في وصف حلاّق :

اذا لمع البرقُ في كفه أفاض على الوجه ماء النعيم

له راحة سيرها راحة تمرّ على الوجه مرّ النسيم

٥ — وترى أناملها على مزمارها كخنافس دبّت على ثعبانِ

٦ — عضنا الدهر بنابه ليت ما حلّ بنابه

٧ — ولمحمد عبد المطلب في ام كلثوم :

وقفت فكان على الدجى ان يخشعا وعلى الحمام الورق ان يتسمّعا

وترنحت فكأن اغصان الربا سُقيت سُلافا بالنسيم مشعشعا

تشدو وقد ملك الوفاء فؤداها أفديه ان حفظ الهوى اوضيّعا

الاعراب البياني

من سيفيات أبي الطيب:

سَقاكِ ، وحيّانا بك الله إنما على العيس نورٌ والخدورُ كمائمه

العيس: الابل البيض، والنور بفتح النون الزهر الأبيض، والكمائم جمع كمامة وهي غلاف الزهر وكأسه؛ والمعنى: دعا لهن بالسقيا وجعلهن ممايحيّا به، على عادة الناس أن يحيي بعضهم بعضا بالازهار والرياحين، وكشف السري الرفاء عن المعنى بقوله:

حيّا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا

سقاك : (سقى) مسند، والمسند اليه الضمير العائد الى الله. والاسناد انشائي.

حيّانا بك الله : (حيّا) مسند، و (نا) و (بك) قيدان، و (الله) مسند اليه، والاسناد انشائي، وفي تقديم (بك) تخصيص اهتماماً بشأن المحبوبة.

على العيس نور : (على العيس) مسند، (نور) مسند اليه، والاسناد خبري وضربه ابتدائي.

الخدور كمائمه : الخدور مسند اليه وكمائم مسند، والاسناد خبري وضربه ابتدائي.

وأما من جهة البيان ، ففي قوله (على العيس نور) استعارة مصرحة أصلية والطرفان حسيان ، وهي (وفاقية) باعتبار طرفيها لامكان اتفاقهما؛ إجراء الاستعارة . — وتقول في اجرائها : شبهنا النساء في الهوادج بالنور بجامع الحسن والنضرة في كلٍ ، وادعينا أنهن من جنس (النور) مبالغةً ، فاستعير له لفظه ، وقوله (على العيس) هو القرينة المانعة من ارادة النور الحقيقي لأنه لا يكون عليها، فهي على ذلك استعارة تصريحية للتصريح فيها بلفظ المستعار وهو (النور)، وهي كذلك أصلية : لجريان الاستعارة في هذا اللفظ بدون تبعية لشيء آخر .

للتمرين

والبيت التالي لأبي الطيب من القصيدة نفسها ، أعربه اعراباً بيانياً ببيان مافيه من الاسناد والاستعارات .

حبيب كأن الحسن كان يحبه فآثره ، أو جار في الحسن قاسمهْ

***

المجاز المركب . — وأمّا المجاز المركب(١) فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبه بمعناه الأصلي(٢) تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه : أي تشبيه احدى صورتين منتزعتين من أمرين أوأمور بالأخرى ، ثم تُدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغةً في التشبيه(٣) ، فتُذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه كما كتب به الوليد بن يزيد لما بويع الى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له :

« أمّا بعدُ فاني أراكَ تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فاذا أتاكَ كتابي فاعتمد على أيّهما شئتَ والسلام » ، شبّه صورةَ تردده في المبايعة بصورة تردّد من قام ليذهب في أمرٍ ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارةً لا يريد فيؤخر أخرى (٤) ؛

---

(١) معطوف على قوله (ص ١٢٢) : أما المفرد ؛ ولما أتمّ المصنف البحث عن المجاز المفرد شرع في المركب المسمى بالتمثيل .

(٢) يحترز عن الحقيقة ، فهي مستعملة (لا فيما شبه بمعناها) ، وقوله (تشبيه التمثيل) اي تشبيهاً على سبيل التمثيل بالشيء لغيره ، وهو ما كان وجه منتزعاً من متعدد ، فخرج بذلك مجاز الافراد كالاسد للشجاع ، فليس وجه (الشجاعة) منتزعاً من متعدد .

(٣) اي ولاجل المبالغة في التشبيه تدخل الصورة او الحالة المشبهة في جنس الصورة المشبه بها .

(٤) وطالع ما كتبه الامام في أسراره (٩٠رابعة المنار) .

وكما يقال لمن يعمل في غير معمل : (أراك تنفخ في غير فحم(١) ، وتخطّ على الماء) . والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك ؛

وكما يقال لمن يُعمل الحيلة حتى يُميل صاحبه الى مكان يمتنع منه:(مازال يفتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد)(٢) . والمعنى : أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال من يجيء الى البعير الصّعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس ، وهذا في المعنى نظير قولهم:(فلان يُقرّد فلاناً) : أي يتلطف به فعلَ من ينزع القُراد(٣)

---

(١) مأخوذ من المثل : (نفحت لو تنفخ في فحم) يضرب للحاجة تطلب في غير موضعها ، أو ممن لا يرى لك قضاءها قال الراجز : ✲ قد نفخوا لو ينفخون في فحم ✲ والفحم بالتحريك لايجوز اسكانه كما في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري — في هامش أمثال الميداني ٢/٢٧٤ — وقد اقتبس الشاعر هذا المثل فقال :

ونارٍ لو نفخت بها أضاءت ولكن انت تنفخ في رماد

(٢) الذروة أعلى كل شيء والجمع الذرى بالضم ، وهي أعلى سنام البعير ، وفي اللسان (ذرا) : وحديث الزبير : سأل عائشة الخروج الى البصرة فأبت عليه،فما زال يفتل في الذروة والغارب حتى اجابته ؛ جعل وبر ذروة البعير وغاربه مثلاً لازالتها عن رأيها كما يفعل بالجمل النفور اذا أريد تأنيسه وازالة نفاره ، قال الاصمعيّ : (فتل في ذروته) أي خادعه حتى أزاله عن رأيه يضرب في الخداع والمكرة — الميداني(٢/١١) —

(٣) بضم القاف دويّبة تعض الابل وتجمع على قردان ، وفي اللسان : وانما قيل لمن يذلّ : (قد أقرد) لانه شبه بالبعير يقرد اي ينزع منه القراد،فيقرد لحاطمه ولا يستصعب عليه .

من البعير ليلتذّ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه. وكذا قوله تعالى(١) : « يا أيها الذين آمنوا لا تُقدّموا بين يَدي الله ورسوله » فانه لما كان التقدم بين يدي الرجل خارجاً عن صفة المتابع له، صار النهيُ عن التقدم مطلقاً باليدين مثلا للنهي عن تَرك الاتباع ؛

وكذا قوله تعالى(٢) : « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة »، اذ المعنى والله أعلم : أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته مثلُ الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا والجامع يده عليه؛ وكذا قوله تعالى: «والسموات مطويات بيمينه» : أي يخلق فيها صفة بالطيّ حتى تُرى كالكتاب المطويّ بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثل، لانها أشرف اليدين وأقواهما، والتي لا غَناء للاخرى دونها، فلا يهش انسان لشيء إلا بدأ بيمينه فهيأها لنيله ؛ ومتى قُصد جَعل الشيء في جهة العناية جُعل في اليد اليمنى، ومتى قُصد خلافُ ذلك جُعل في اليد اليسرى كما قال ابن ميّادة(٣) :

---

(١) وبقية الآية : « . . . واتقوا الله ان الله سميع عليم . » الحجرات ١ .

(٢) من الآية « وما قدروا الله حق قدره . . . والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » الزمر ٦٧ . وانظر الاسرار (١٩١ ط الترقي)

(٣) بل هو من قصيدة كافية في ديوان ابن الدمينة الخثعمي ر ص ١٦ ط المنار) وروايته :

أيبني : أفي يمنى يديك جعلتني ... فأفرحَ أم صيّرتني في شمالك ؟
لئن ساءني أن نلتني بمساءة ... لقد سرني أني خطرت ببالك

كذلك نسبه صاحب المعاهد لابن الدمينة (١/٥٧) ، ولم يعزه ابو تمام في حماسته

أَلم تك في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلنّي بعدها في شمالكِ

أي كنت مكرماً عندك فلا تجعلني مهاناً، وكنت في المكان الشريف منك، فلا تحطّني في المنزل الوضيع؛

وكذا اذا قلت للمخلوق: (الأمر بيدك) أردتَ المثل، أي الأمر كالشيء يحصل في يدك فلا يمتنع عليك،

وكذا قوله تعالى(١): «ولما سكت عن موسى الغضب» قال الزمخشري: كأن الغضب كان يعزيه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجرّ برأس أخيك اليك، وترك(٢) النطق بذلك، وقطع الاغراء، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كلّ ذي طبع سليم

ولا الشارح التبريزي (٣/٢٦٣ ط حجازي)، وقال أبو علي في أماليه (٢/٣٣): وقرأت على أبي بكر بن دريد لابن الدمينة: (قفي يا أميم القلب ...)؛ وأما بيت (تمارضت كي أشجى ...) فقد عزاه القالي في الأمالي (١/٣٠) الى مرة بن عبد الله الهلالي، واختلاط القصائد المتماثلة في البحر والروي كثير في أدبنا العربي؛ وانظر الحاشية التي كتبناها على هذا البيت في فن المعاني من الايضاح (٣/١٩٣).

(١) وبقية الآية «... أخذ الالواح، وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون.» الأعراف ١٥٤.

(٢) وفي الكشاف (١/٩٥ ط مصطفى محمد): فترك النطق بذلك؛ وبعد أن يقرأ الطالب جميع ما كتبه الزمخشري في الكشاف، أحبّ له أن يعزز قراءته هذه بالاطلاع على ما كتبه صاحب الانتصاف الاسكندري فقد أجاد وأفاد.

وذوقٍ صحيح إلا لذلك (١)، ولانه من قبيل شُعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قُرّة: «ولما سكن عن موسى الغضب» لاتجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزّة، وطرفا من تلك الروعة؟

وأمّا قولهم: (اعتصمت بحبله) فقال الزمخشري: يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلّي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه، وأن يكون الحبل استعارة لعهده، والاعتصام لوثوقه بالعهد؛ أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه، وكذا قول الشماخ (٢):

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ تلقاها عرابة باليمينِ

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقي واليمين، على حد قولهم: تلقيته بكلتا اليدين، وهذا لايصلح حين يُقصد التجوّز فيها وحدها، فلا يقال: (هو عظيم اليمين) بمعنى عظيم القدرة، ولا (عرفت يمينك على هذا) بمعنى قدرتك عليه؛ ومثله قول الآخر (٣):

---

(١) أي لما في هذه القراءة من التمثيل الجميل لأنه من الاستعارة التي هي ابلغ من الحقيقة، ولا تمثيل في قراءة ابن قرّة، ولذلك لم تجد عندها النفس شيئاً من هزة الطرب والاريحية.

(٢) انظر ما كتبناه على هذا الشاهد في الجزء الثالث من تهذيب الايضاح (٣/٤٤٧)، وما كتبه صاحب الاسرار على هذا الشاهد (٣٠٩ رابعة المنار)

(٣) هو الأعور الشنّي، واسمه بشر بن منقذ بن عبد القيس، وشنّ منهم، وهو شاعر اسلامي مجيد، وبعده:

هوّن عليك فان الأمور بكف الآله مقاديرها

وكذا ما روى أبو هريرة عن النبي (ص م) انه قال: إن أحدكم اذا تصدّق بالتمرة من الطيب، ولا يقبل الله الا الطيب، جعل الله ذلك في كفه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه[1] حتى يبلغ بالتمرة مثل أحُد.» والمعنى فيهما على انتزاع الشبه من المجموع؛

الفرق بين التمثيل والمثل. - وكلّ هذا[2] يسمى (التمثيل على سبيل الاستعارة)، وقد يسمى (التمثيل) مطلقاً[3]، ومتى فشا استعماله

فليس بآتيك منهيّها ولا قاصر عنك مأمورها

وفي (هوّن عليك) المفعول محذوف أي كل صعب، و (المقادير) جمع مقدار بمعنى تقدير، وفي هذا الشعر تسهيل للشدائد على النفس؛ والشاهد في قوله: (... فان الأمور بكف الاله مقاديرها). وانظر الاسرار (٣١٤ رابعة المنار).

(١) الفلوّ وزان عدو المهر الصغير، قال ابو زيد: اذا فتحت الفاء شددت اي الواو، واذا كسرت خففت فقلت فلو مثل جرو، والجمع أفلاء مثل عدو واعداء.

(٢) اي المجاز المركب.

(٣) اي التمثيل وحده بدون قيد، او الاستعارة التمثيلية، والاصطلاح جار على أنه اذا اطلق التمثيل انصرف الى هذا التمثيل المجازي، فاذا ما اريد التشبيه قيل: تشبيه التمثيل او التشبيه التمثيلي: كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الاشل على ما مر بنا (ص٣٨)، وتحقيق الكلام في هذا: ان المجاز المركب اذا استعمل في غير ما وضع له، فان كانت علاقته المشابهة فهو استعارة، والا - أي ان كانت علاقته غير المشابهة كاللزوم - لم يكن هذا المجاز المركب استعارة، وهو شائع في كلام العرب كالجمل الخبرية التي لم تستعمل في الاخبار كقول جعفر بن علبة الحارثي:

كذلك سمي (مَثلا)(١)، ولذلك لا تغيرّ الامثال(٢)؛

ومما يبنى على التمثيل نحو قوله تعالى(٣): « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ » معناه: لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر فيه، واعٍ

هواي مع الركب اليمانين مصعدٌ جنيب وجثماني بمكة موثقُ

فان الغرض منه اظهار التحسر على فراق حبيبته اللازم للاخبار به، والاخبار بوقوع شيء مكروه يلزمه اظهار التحسر، كالعلاقة اللازمية، فهو على ذلك مجاز مركب مرسل لا حقيقة ولا استعارة تمثيلية، فاعرفه جيداً.

(١) لانه للتمثيل اي للتشبيه، ولذلك فشا استعماله على سبيل الاستعارة المبنية على التشبيه.

(٢) كقولهم (الصيفَ ضيعتِ اللبن)، فسره ابو هلال العسكري في جمهرة الأمثال المطبوع على هامش أمثال الميداني (٢/٢٩) بقوله: « بكسر التاء، وان خاطبت به مذكراً، لأن الامثال تحكى، ومعنى ذلك ان المثل يتمثل به اول مرة؛ ولا يغير عن صيغته في سائر الاحوال، ويضرب هذا مثلا للرجل يضيع الأمر ثم يريد استدراكه » وخلاصة المثل: أن عمرو بن عدس تزوج بنت عمه دختنوس بنت لقيط بن زرارة بعد ما أسنّ، وكان اكثر قومه مالاً، ففركته وتزوجها فتى ذو شباب وجمال من آل زرارة، وكان فقيراً، فأصابت القوم سنة قحط، فمرت بدختنوس ابل عمرو فقالت لخادمتها: قولي له ليسقنا، فقال قولي لها، (الصيفَ ضيعتِ اللبن)!

واعلم ان كل مثل استعارة، وليس كل استعارة مثلا، لانها لا تكون مثلا الا بعد فشوّها في الكلام نثرا كان ام شعراً، ومن الشعر قولهم:

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذامِ

(٣) وبقية الآية: « ... أو ألقى السمع وهو شهيد. » ق ٣٧، والمراد بالقلب هنا العقل لا الجسم الصنوبري المعروف.

لما يجب وعيه ؛ ولكن عُدل عن هذه العبارة ونحوها الى ما عليه التلاوة بقصد البناء على التمثيل لينيد ضرباً من التخييل، وذلك أنه: لما كان الانسان حين لا ينتفع بقلبه ، فلا ينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه، ولا يفهم ولا يعي، جُعل كأنه قد عدم القلبَ جملةً ، كما جعل من لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤديان اليه بمنزلة العادم لهما . ولزم على هذا أن لا يقال : (فلانٌ له قلب) الا اذا كان ينتفع بقلبه ، فينظر فيما ينبغي ان ينظر فيه، ويعي ما يجب وعيه ، فكان في قوله : (لمن كان له قلب) تخييل ان من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملةً ، بخلاف نحو قولنا لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي ان ينظر فيه ، واعٍ لما يجب وعيه ؛

وفي نظم الآية فائدة أخرى شريفة، وهي تقليل اللفظ مع تكثير المعنى، ونقل الشيخ عبد القاهر عن بعض المفسرين أنه قال: المراد بالقلب العقل، ثم شدّد عليه النكير في هذا التفسير، وقال: وإن كان المرجع فيما ذكرناه عند التحصيل الى ما ذكره(١) ؛ ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنيٌّ على تخييل أن من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعي بمنزلة من عدم قلبه جملةً(٢) ، كما تقول في قول الرجل إذا قال : (قد غاب عني قلبي) أو (ليس يحضرني قلبي)

---

(١) وان كان الحاصل من تفسيرنا وتفسيره راجع عند التحقيق الى ما ذكره .

(٢) اي من عدم عقله وآلته وهي القلب المراد به الدماغ ، بخلاف حمله على العقل ، فانه لا يفيد إلا نفيه وحده دون آلته الصنوبرية المعروفة .

أنه يريد أن يخيل الى السامع أنه غاب عنه قلبه بجملته دون ان يريد الاخبار أن عقله(١) لم يكن هناك، وان كان المرجع عند التحصيل الى ذلك، وكذا اذا قال : (لم أكن هاهنا) يريد غفلته عن الشيء، فهو يضع كلامه على التخييل .

هذا معنى كلام الشيخ وهو حق : لأن المراد بالآية الحث على النظر والتقريع على تركه ؛ فان أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى : لمن كان له عقل مطلقاً . فهو ظاهر الفساد ؛ وان أراد أن المعنى:لمن كان له عقل ينتفع به ويعمله فيما خلق له من النظر(٢) . فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيده عَرِيٌّ(٣) عن الفائدة لصحة وصف القلب بذلك بدليل قوله تعالى(٤) : « لهم قلوبٌ لا يفقهون بها » .

وأعلم أن (المثل السائر) لما كان فيه غرابة ،استعير لفظة (المثل) للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة ، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى(٥) : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا » : أي حالهم

---

(١) وعلمه لم يكن حينئذ موجوداً

(٢) في الأمور وقياس بعضها على بعض والاعتبار

(٣) على وزن فعيل بمعنى الفاعل أي عارٍ كما يقال : زندك وريٌ أي وار .

(٤) من الآية « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس ... ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضلّ ، أولئك هم الغافلون . » الأعراف ١٧٩ ،

(٥) وبقية الآية « ... فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم ،وتركهم في ظلمات

العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً ، وكقوله تعالى(١) : « ولله المثل الاعلى » أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة، وقوله تعالى(٢) : « مثلهم في التوراة » أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ، وقوله تعالى(٣) : « مثل الجنة التي وعد المتقون » أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ(٤) في بيان عجائبها الى غير ذلك .

=لا يبصرون ،» البقرة ١٧ . فقد استعير لفظ المثل في هذه الآية للحال. وفي الثانية والثالثة للصفة . وفي الرابعة الاخيرة للقصة .

(١) من الآية « للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ، ولله المثل الاعلى، وهو العزيز الحكيم . » النحل ٦٠ .

(٢) من الآية « محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ... ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما . » الفتح ٢٩

(٣) وبقية الآية : « ... تجري من تحتها الانهار ، أكلها دائم وظلها ، تلك عقبى الذين اتقوا ، وعقبى الكافرين النار . » الرعد ٣٧ .

(٤) أي شرع في بيان عجائبها الى غير ذلك من النظائر .

فصل

في بيان الاستعارتين المكنية والتخييلية

قد يضمر التشبيه في النفس(١) فلا يُصرّح بشيء من أركانه سوى

---

(١) اي في نفس المتكلم ، وذلك بان يستحضر فيها تشبيه شيء بشيء على وجه المبالغة ، ويدّعي أن المشبه داخل في جنس المشبه به ، ثم لا يصرح من اركان التشبيه بغير المشبه ، وبشيء من لوازم المشبه به للدلالة على ذلك التشبيه المضمر في النفس : فالاستعارة المكنية عنده في مثل (اظفار المنية نشبت بفلان) هي تشبيه المنية بالسبع تشبيهاً مضمراً في النفس ، فهي ليست عنده من نوع اللفظ ، وعلى ذلك يكون في تسميتها وفي تسمية التخييلية استعارة تسامح : لأن المجاز من نوع اللفظ ، وهذا (الاضمار النفسي للتشبيه) هو مذهب خطيبنا الدمشقي المصنف في الاستعارتين المكنية والتخيلية ، قال السعد التفتازاني في مختصره (٤/١٥٨ شروح) ما نصه : « ولكن تفسير الاستعارة بالكناية بما ذكره المصنف شيء لامستند له في كلام السلف ، ولاهو مبني على مناسبة لغوية . »

والذي يفهم من كلام (القدماء) أن المكنية هي لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه ، وان اثبات لازمه للمشبه استعارة تخييلية ، ومن ذلك نستنتج أن مذهب المصنف يوافق مذهب القدماء في التخييلية .

وأما مذهب السكاكي فقد لخصناه لك في الجدول البياني الآتي بعد فصل (المجاز بالحذف والزيادة) وقد تركنا المناقشات الجدلية العقيمة مما لا يكسب ملكة البيان ، ونحن نرى أن مذهب الجمهور المألوف أيسر فهماً على الطالب من مذهب السكاكي في تقسيم السبع الى ادعائي وحقيقي ، ولم لا نشبه (المنية) بالسبع الحقيقي وهو أشد مبالغة ؟ وهو أيسر كذلك من مذهب المصنف واضماره النفسي يا فتى !

لفظ المشبه، ويُدَل عليه بأن يُثبت للمشبه به أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً او عقلا(١) أجري عليه اسمُ ذلك الأمر فيسمى التشبيه **استعارة بالكناية** اومكنياً عنها ، واثبات ذلك الامر(٢) للمشبه **استعارة تخييلية** ' والعَلم في ذلك قولُ لبيد (٣) :

وغداةِ ريح قد كشفت وقِرّةٍ إذ اصبحت يد الشمال زُمامها

فانه جعل للشمال يداً(٤) ، ومعلوم ان ليس هناك امر ثابت حساً او

---

(١) اي للمشبه كما في (أظفار المنية) فانه ليس للمشبه أي (المنية) أظفار محققة حساً ولا عقلاً حتى نطلق عليها لفظ (الاظفار) .

(٢) أي واثبات ذلك الأمر المختص بالمشبه به (اي اللازم) هو استعارة تخييلية : لانه يخيل به للسامع ان المشبه من جنس المشبه به ، ولا يخفى ان في قوله (اثبات ذلك الأمر ...) اشارة الى ان هذه الاستعارة هي معنى لا لفظ ، وإلاّ لقال : (ويسمى اثبات ذلك اللازم استعارة) .

(٣) اي والمثال الذي هو في شهرة العلم لذلك هو قول لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر الفارس المخضرم ، وهو من معلقته المشهورة . وقوله : (وغداة ريح) بجرّ الغداة معطوف على (ليلة) في قوله قبله :

بل أنت لا تدرين كم من ليلةٍ طلقٍ لذيذٍ لهوها وندامُها

والقرة بالكسر والقر بالضم البرد ، ومعنى الشاهد : وكم من غداة ريح شمالية ، وهي ابرد الرياح ، وكم من برد قد ملكت الشمال زمامه قد كشفت عاديتها عن الناس بايقاد النيران وقرى الضيفان !

(٤) واثبات هذه اليد للشمال قد جعله الشيخ عبد القاهر في أسراره (ص ٣٤ رابعة) تخييلاً ، ولم يسم التشبيه الذي تدل عليه اليد استعارة لا بالكناية ولا بغيرها فاراح طالب البيان من بلاء الجدال .

عقلا تجري اليد عليه كاجراء **الأسد** على الرجل الشجاع ، **والصراط** على على ملة الاسلام فيما سبق(١) ؛

ولكن لما شبه الشمال(٢) لتصريفها(٣) القرّة على حكم طبيعتها في التصريف بالانسان المصرف لما زمامه بيده ، اثبت لها يداً على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهها به ، وحكم الزمام في استعارته للقرة حكم اليد في استعارتها للشمال ، فجعل للقرة زماماً ليكون اتم في اثباتها(٤) **مصرفة** كما جعل للشمال يداً ليكون ابلغ في تصييرها **متصرفة** ، فوفى المبالغة حقها من الطرفين ، فالضمير في (اصبحت) و (زمامها) للقرة ، وهو قول الزمخشري ، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة(٥) . والأول اظهر .

---

(١) في الصفحة ١٥٢ من هذا الجزء من تهذيب الايضاح .

(٢) الشمال هو المشبه ، والمشبه به الانسان المصرف لما زمامه بيده وهو محذوف ، وقد رمز له بشيء من لوازمه وهي (اليد) .

(٣) من اضافة المصدر الى فاعله و (القرّة) مفعول به .

(٤) أي ليكون أتم في (اثباتها) اي في اثبات القرة مصرفة للزمام ، فالضمير عائد اليها ، وبذلك يكون الشاعر قد شبه القرة — على قول الزمخشري — بمطية ، وهي المشبه به ، ثم حذفه ورمز له بشيء من لوازمه وهو الزمام ، واثبات (اليد) المختص بالمشبه به للمشبه (استعارة تخييلية) وكذلك الامر في اثبات الزمام للقرة كما بيناه وهو ظاهر .

(٥) في أسرار البلاغة (ص ٣٥ رابعة المنار) ، وذلك بقوله : وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال ،

واعلم ان الامر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه ، منه(١) ما لا يكمل وجه الشبه في المشبه به بدونه ، كما في قول ابي ذؤيب الهذلي(٢) :

واذا المنية انشبت اظفارها ألفيتَ كل تميمة لا تنفعُ

فانه شبه (المنية) بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر(٣) والغلبة من غير تفرقة بين نفّاعٍ وضرار ، ولا رقةٍ لمرحوم، ولا بقيا(٤) على ذي فضيلة، فأثبت للمنية (الأظفار) التي لا يكمل ذلك في السبع بدونها تحقيقاً(٥) للمبالغة في التشبيه ؛

( ) وهو القسم الأول (الذي به كمال وجه الشبه) ، والقسم الثاني (الذي به قوامه) ؛

(٢) من مرثيته المشهورة (ديوان الهذليين ط الدار ص٣) قالها وقد هلك له خمسة من البنين في عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر الى مصر ، فرثاهم بهذه القصيدة الخالدة، وقبله:

ولقد حرصت بان أدافع عنهمُ واذا المنية اقبلت لا تدفع

ومنها وتجلدي للشامتين أريهم اني لريب الدهر لا أتضعضع

واسم أبي ذؤيب خويلد بن خالد ينتهي نسبه الى نزار ، وهو شاعر مخضرم فحل . و (التميمة) الخرزة التي تتخذ تعويذة تعلق في عنق الصبي حجاباً له من العين او الجن كما يزعمون .

والمعنى : اذا انفذ الموت مخالبه في شيء ليهلكه بطلت الوقايات والحيل واسباب النجاة

(٣) الباء للملابسة اي في اغتيال النفوس اغتيالاً ملتبساً بالقهر والغلبة ، وقوله (من غير تفرقة) اي في الناس .

(٤) على وزن فعلى بضم الفاء ، وهو اسم من ابقيت على فلان اذا رحمته ، اي ولا رحمة لذي فضيلة بعلمه أو اخلاقه ، وذلك شأن السبع الضاري عند افتراسه .

(٥) مفعول لاجله اي : أثبت للمنية الأظفار لاجل تحقيق المبالغة في التشبيه ادعاء بان المشبه فرد من افراد المشبه به

ومنه(١) ما به يكون قوامُ وجه الشبه في المشبه به كما في قول الآخر(٢):

ولئن نطقتُ بشكر برّك مفصحاً فلسان حالي بالشكاية انطقُ

فانه شبه الحال(٣) الدالة على المقصود بانسان متكلم في الدلالة. فأثبت لها (اللسان) الذي به قوام الدلالة في الانسان ؛

وأما قول زهير(٤):

---

(١) معطوف على (منه ما لا يكمل وجه الشبه ...) وهو القسم الثاني ، اي وفي الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه مايكون به قوام وجه الشبه في المشبه ، و (القوام) بالكسر عماد الشيء وملاكه ونظامه ؛

(٢) قال صاحب المعاهد (٢/١٧٠) البيت من الكامل ولا اعرف قائله ، وقبله :

لاتحسبن بشاشتي لك عن رضا فوحق جودك إنني أتملقُ

وقوله (بشكر برك) متعلق بـ (مفصحا) ، و (بالشكاية) متعلق بـ (أنطق) ومعنى الشاهد على ذلك : ولئن كنت قد نطقت مفصحا بشكر برك فان لسان حالي انطق بالشكاية منك لان ضرك اكثر من برك .

(٣) من قوله (فلسان حالي) أي : فلسان انسان حالي ، واثبات اللسان الذي به قوام الدلالة استعارة تخييلية ؛ ويجوز ان يكون من اضافة المشبه به للمشبه كقول الشاعر (لجين الماء) ونحوه .

(٤) ابن ابي سلمى (ديوان الدار ص١٢٤) وقد جعله السكاكي في مفتاحه (ص٢٠١ ادبية) قسما ثالثاً ، وهو الامر المختص بالمشبه به الذي احتمل ان يكون استعارة تحقيقية او تخييلية ؛ وقوله (صحا) من الصحو وهو في اللغة خلاف السكر وذهاب الغيم ، ومعنى (صحا القلب عن سلمى) اعرض عنها ، واقصر القلب عن باطله وامتنع

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعُرّيَ افراسُ الصبا ورواحله

فيحتمل ان يكون استعارة تخييلية ، وان يكون استعارة تحقيقية :

امّا (التخييلُ): فأن يكون اراد(١) انه ترك ما كان يرتكبه اوان المحبة من الجهل والغيّ ، واعرض عن معاودته ، فتعطلت آلاته كأيّ امرٍ(٢) وُطنت النفسُ على تركه ، فانه تهمل آلاتُه فتتعطّل ، فشبه (الصبا) بجهةٍ من جهات السير كالحج والتجارة تُقضي منها الوطرُ فأهملت آلاتها فتعطلت ، فأثبت له (الأفراس والرواحل)(٣) ، فالصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل والفُتوّة لا بمعنى الفتاء(٤) .

عنه هذا هو اصل التعبير ، فقوله (واقصر باطل القلب) من باب القلب ، و (افراس الصبا) نائب فاعل (لعري) لان لامات روي القصيدة كلها مضمومة ، وهو اولى من نصبها؛ على ان نائب فاعل عري ضمير يعود الى القلب ، (والرواحل) جمع راحلة وهي الناقة القوية على الاحمال والاسفار .

(١) اي زهير ، والضمير في (معاودته وآلاته) يعود الى (ما) من (ما كان يرتكبه) .

(٢) أي وذلك كأيّ أمر وطنت النفس على تركه ، وجملة (وطنت) صفة لأمر .

(٣) أي لما شبه (الصبا) بالغزو مثلا بجامع الاعتداء او استيفاء المراد في كلٍ ، حذف المشبه به وهو الغزو ، وأثبت له (الافراس والرواحل) على سبيل الاستعارة المكنية ، واثباتها تخييل او استعارة تخييلية .

(٤) الفتوة في الأصل اللغوي بمعنى المروءة والكرم ، واستعملت هنا بمعنى ما يرتكبه الشباب من الجهل والشهوات ، وأما (الفتاء) كسماء فهو الشباب .

وأما (التحقيق) فان يكون اراد دواعي النفوس وشهواتها(١)، والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات، او الاسباب(٢) التي قلما تتآخذ في اتباع الغيّ إلا أوانَ الصبا(٣) . . .

❀❀❀

---

(١) ان عطف (الشهوات) على (دواعي النفوس) من عطف المرادف .

(٢) اي الاسباب التي قلما تتوالى ويأخذ بعضها بعض الا في زمن الصبا ، واجراء الاستعارة التحقيقية بهذا المعنى كما يلي : شبه شهوات الصبا بالافراس بجامع ان كلا منها آلة لتحصيل الغرض ، واستعار اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التحقيقية .

(٣) وهذه النقط الثلاث . . . تشير الى حذف (فصل اعتراضات المصنف على السكاكي) في تعريف الحقيقة والمجاز والاستعارة، فانها من الجدل اللفظي الذي يورث الملل ، ويبغض بالبلاغة العربية ، ولا يكسب طالبها ملكة البيان .

فصل

في شروط حسن الاستعارة

واذ قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية ، والاستعارة التخييلية ، والاستعارة بالكناية ، والتمثيل على سبيل الاستعارة(١) ، فأعلم ان لحسنها شروطاً ان لم تصادفها عريت عن الحسن ، وربما تكتسب قبحاً ، وهي في كل من التحقيقية والتمثيل رعايةُ ماسبق ذكره من جهات حسن التشبيه(٢) ، وأن لا يشمّ من جهة اللفظ رائحته ؛ ولذلك يوصىّ فيه(٣) أن يكون الشبه بين طرفيها جلياً بنفسه ، أو عُرف(٤) ، أو غيره ، والا صار تعميةً

---

(١) لم يزد المصنف على التمثيل قوله (على سبيل الاستعارة) الا لمجرد الايضاح لا احترازاً من التشبيه التمثيلي لانه لايسمى (التمثيل) ، فهو عند اطلاقه ينصرف الى التمثيل المجازي او الاستعارة التمثيلية .

(٢) اي ان حسن الاستعارة يكون بمراعاة أمرين : حسن أصلها وهو التشبيه وأن لايشمّ من جهة اللفظ رائحة التشبيه : لان ذلك يبطل الغرض من الاستعارة وهو تناسي التشبيه بدخول المشبه في جنس المشبه به ، وذلك لما في التشبيه من الدلالة على ان المشبه به أقوى في وجه الشبه .

(٣) بالبناء للمفعول أي يوصي البيانيون طلاب البيان بعدّ تحقق حسن الاستعارة بأن يكون وجه الشبه جلياً بنفسه كما في تشبيه الثريا بالعنقود .

(٤) كما في تشبيه الرجل الشجاع بالاسد في الجراءة فانها ظاهرة عرفاً في الاسد ، وقوله : (او غيره) يريد به الاصطلاح الخاص كما في تشبيه نائب الفاعل بالفاعل في الرفع مثلا .

والغازاً(١) ، لا استعارة وتمثيلا: كما اذا قيل:(رأيت أسداً)وأريد:انسان أبخر(٢)؛ وكما اذا قيل : (رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة) وأريد الناس(٣)؛ أو قيل : (رأيت عوداً مستقيما أوان الغرس)(٤)، وأريد إنسان مؤدَّب في صباه . وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان في كل ما يجيء فيه التشبيه(٥)؛

---

(١) مصدر ألغز في كلامه اذا عمى مراده واخفاه ، وذلك اذا كان وجه الشبه خفياً ، مع خفاء التشبيه بعدم شم رائحته فيجتمع خفاء على خفاء ، فتصبح الاستعارة كالالغاز في الغموض .

(٢) اي منتن رائحة الفم ، اذ لاينتقل من الاسد مع القرينة المانعة الا الى انسان موصوف بلازم الاسد وهو الشجاعة ، واما انتقاله الى الانسان الموصوف بالبخر فغير معروف،وفيه خفاء لايخفى .

(٣) الراحلة والرحول والرحولة : الناقة او البعير الصالحان لأن يرحلا ،وهذا القول مأخوذ من حديث (الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة) ومعناه : ان النجيب المرضيّ من الناس نادر كالنجيبة المرضية من الابل لا تكاد توجد ؛ وانما كان هذا المثال الذي أورده المصنف خفياً لعدم ذكر القرينة المانعة ، لا لخفاء وجه الشبه .

(٤) وغموض هذا المثال ناشيء ايضاً من عدم ذكر القرينة ، فيصعب على سامعه الانتقال منه الى الانسان المؤدب في صباه .

(٥) أي الاستعارة التحقيقية والتمثيل على سبيل الاستعاره ، فانهما لا يجيئان في كل مايجيء التشبيه فيه : لان التشبيه أعم من الاستعارة ، فكل مايتأتى فيه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه ولا عكس ، لجواز ان يكون وجه الشبه خفياً مبهما في مثل (زيد كالاسد في البخر) ، وحينئذ تصبح الاستعارات من قبيل الالغاز والمعميات .

ومما يتصل بهذا(١) أنه اذا قوي الشبه بين الطرفين(٢) بحيث صار الفرع كأنه الاصل لم يحسن التشبيه(٣)، وتعينت الاستعارة، وذلك: كالنور إذا شبه العلمَ به، والظلمة اذا شبهت الشبهة بها(٤)، فانه لذلك يقول الرجل اذا فهم المسألة: (حصل في قلبي نور)(٥) ولا يقول:

---

(١) أي بهذا البحث من أنه اذا خفي وجه الشبه بين الطرفين لم تحسن الاستعارة، وتعين التشبيه، ولم يصرح المصنف بذلك فيما مرَّ بنا من هـذا الفصل، لكن ذلك يفهم من ضمن عبارته، فقوله (ومما يتصل بهذا) اي ضمناً لا تصريحا.

(٢) حتى اتحدا: أي صارا كأنهما شيء واحد، ولا تحسن الاستعارة لما بين الطرفين من مناسبة التقابل، وقد ذكر السبكي أنه اذا وصل الامر الى ذلك فانه يؤتى بالتشابه لا التشبيه كما في قوله:

تشابه دمعي اذ جرى ومدامتي فمن مثل مافي الكأس عيني تسكب

(٣) لئلا يصير كتشبيه الشيء بنفسه.

(٤) فقد كثر تشبيه العلم بالنور في الاهتداء، والشبهة بالظلمة في التحير حتى صار كل من المشبهين يتبادر من المعنى الموجود في المشبه بهما فصارا كالمتحدين في ذلك المعنى، فلا يحسن تشبيه احدهما بالآخر لئلا يصير كتشبيه الشيء بنفسه كما بيناه في الحاشية المتقدمة.

(٥) مستعيراً لفظ النور للعلم الحاصل في قلبه، ولا يقول (كأن نوراً حصل في قلبي) اي كأن العلم الذي حصل في قلبي نور، ومثال السعد أوضح في مختصره: « تقول (حصل في قلبي نور) ولا تقول: علم كالنور » مشبهاً العلم بالنور، فهو كتشبيه الشيء بنفسه لقوة المشابهة بظهور الاهتداء بالعلم كما في النور،

(كأن نوراً حصل في قلبي) ، ويقول لمن أوقعه في شبهة : (أوقعتني في ظلمة) ولا يقول : كأنك اوقعتني في ظلمة) (١) ؛

وكذا **المكني عنها** حسنها برعاية جهات حسن التشبيه ؛ وأما **التخييلية** فحسنها بحسب حسن المكنيّ عنها: لما بيناأنها(٢) لا تكون الا تابعة لها .

***

(١) واوضح منه مثال السعد : تقول : (قد وقمتُ في ظلمة) ولا تقول : في شبهة كالظلمة .

(٢) اي الاستعارة التخييلية لا تكون الا تابعة للمكنية ، وليست هي في نفسها تشبيه بل حقيقة ، ولذلك كان حسنها تابعاً لحسن متبوعها .

فصل

المجاز بالحذف والزيادة . — وأعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الاصلي كما مضى ، توصف به أيضاً لنقلها عن اعرابها الاصلي الى غيره لحذف لفظ ، أو زيادة لفظ ؛

أما (الحذفُ) فكقوله تعالى : « واسأل القريةَ » أي أهل القرية (١) ، فاعراب القرية في الأصل هو الجرّ ، فحذف المضاف واعطي المضافُ اليه إعرابَه (٢) ، ونحوه قوله تعالى : « وجاء ربك » أي أمر ربك (٣) ، وكذا قولهم : (بنو فلان يطؤهم الطريق) أي أهل الطريق (٤) .

---

(١) لأنهم الذين يتوجه السؤال اليهم ، فالمجاز على ذلك مرسل من اطلاق اسم المحل على الحال ، والعلاقة (المحلية) .

(٢) فالنصب للقرية ، وهي في أصل التعبير مجرورة ، هو المجاز : لأنه تجوز فيه بنقله لغير محله ، إذ (القرية) بحسب التقدير محل للجر ، وقد اوقع فيها النصب ، وظاهر عبارة المفتاح (ص٢٠٨) ان الموصوف بهذا النوع من المجاز هو نفس الاعراب كما بيناه الآن .

(٣) لاستحالة المجيء على الرب ، أما اسناد المجيء الى أمره فهو جائز .

(٤) قال الامام في أسراره (٣٦٢ رابعة) : الرفع في (الطريق) مجاز لأنه منقول اليه عن المضاف المحذوف الذي هو (الاهل) ، والذي يستحقه في اصله هو الجر .

وأمّا (الزيادة) فكقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » على القول بزيادة الكاف(١) ، أي ليس مثلَه شيءٌ ، فاعراب (مثله) في الأصل النصبُ ، فزيدت الكاف فصار جراً(٢) ؛

فان كان الحذفُ او الزيادة لا يوجب تغيير الاعراب كما في قوله تعالى : « او كصيّب من السماء » إذ أصله : او كمثل ذوي صيب ، فحذف (ذوي) لدلالة (يجعلون أصابعهم في آذانهم) عليه ، وحذف (مثل) لما دلّ عليه عطفه على قوله : « كمثل الذي استوقد ناراً » : إذ لا يخفى ان التشبيه ليس من(٣) صفة المنافقين العجيبة الشأن(٤) ، وذوات ذوي صيب ؛ وكقوله(٥) : « فبما رحمةٍ من الله لنتَ لهم » ، وقوله(٦) : « لئلا يعلمَ أهلُ

---

(١) وقيل : ليست الكاف بزائدة ، لانها بمعنى مثل ، ولفظ (مثل) قد يكنى به عن الشخص نفسه فقد قالوا : (مثلك لا يبخل) .

(٢) فالجر في (المثل) مجاز لان أصله النصب ، والجر حكم عرض من أجل زيادة الكاف . وانظر الاسرار (٣٦٤ رابعة) .

(٣) وفي المخطوطة الدمشقية (ليس بين) وهو الصحيح .

(٤) وانما التشبيه بين (مثل المنافقين ، ومثل ذوي الصيب) وتقدير الكلام : مثل المنافقين كمثل ذوي صيب من السماء : ذلك لأن معنى (المثل) هو الصفة العجيبة :

(٥) وبقية الآية : « ... ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين . » آل عمران ١٥٩ ، والشاهد في زيادة (ما) فانها لا توجب تغيير الاعراب فليست من المجاز .

(٦) وبقية الآية « ... ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله ، وان الفضل بيد

الكتاب» – فلا توصف الكلمة بالمجاز(١). وقد بالغ الشيخ عبد القاهر (٢) في النكير على من أطلق القول(٣) بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة.

❀❀❀

الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . » الحديد ٢٩ . والشاهد زيادة (لا) في (لئلا) لانها لا تفيد النفي فيما دخلت عليه ، وزيادتها لا توجب تغيير الاعراب فلا توصف بالمجاز (الاسرار ٣٦٥)

(١) جواب الشرط لقوله : « فاذا كان الحذف او الزيادة ... »

(٢) في اسراره (ص ٣٦٦ رابعة) حيث يقول : « واعلم أن من أصول هذا الباب ان من حق المحذوف او المزيد أن ينسب الى جملة الكلام لا الى (الكلمة) المجاورة له ، فانت تقول اذا سئلت عن القرية : في الكلام حذف ، والأصل اهل القرية ، ثم حذف (الأهل) : يعني حذف من بين الكلام ... » ويجمل بالمولع بالبيان ان يراجع في الاسرار بقية البحث ، واما السكاكي فيقول في مفتاحه (٢٠٨) رأيي ان يقال : هو (مشبه للمجاز) وملحق به لاشتراكهما في التعدي عن الاصل . ونحن في ذلك على رأي السكاكي فهو ثاقب معقول ، ورأي ابن الاثير في مثله السائر (ص ١٤٧) ان هذا القسم ليس من المجاز الا بمعنى التوسع في الكلام : لان المجاز هو دلالة اللفظ على غير ماوضع له في أصل اللغة ، وهذا غير موجود في الآية : (فبما رحمة .) .

(٣) وفي قوله (اطلق القول) يشير المصنف الى رأيه في تجويز وصف الكلمة بالمجاز للحذف او الزيادة اذا كانا يوجبان تغير الاعراب . لا مطلقاً .

اورده منهل الحق وان كان كارها .

(٤) ولمهلهل بن ربيعة (السمط ٣٤١) :

واغرّ من ولد الأراقم ماجد صلت الجبين معاود الاقدام

خلع الملوكَ وسار تحت لوائه شجر العُرى وعَراعر الاقوام

(٥) وللعلاء بن قرظة خال الفرزدق، ومنه اتاه الشعر (السمط ٣٩):

اذا ما الدهر جرّ على اناسٍ كلاكلَه اناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

نه من جنسه ، فاستعرنا له اسم البعير ، ثم حذفناه ورمزنا له بشيء من لوازمه وهو القود ، وكلمة (خزامة) تجريد لأنها تناسب البعير ، وأما قوله : (حتى اورده منهل الحق) ، فان المنهل هو المشرب ، أي حتى اورده مشرب سلسل الحق ، فقد استعار السلسل — اي الماء الصافي العذب — للحق بجامع النفع في كل ، وادعينا انه من جنسه مبالغة ، ثم حذفناه ورمزنا له بشيء من لوازمه ، وهو المنهل ، والقرينة اثبات الايراد لمنهل الحق ، وبما أن كلمة (أورده) تناسب المشبه به فهي ترشيح ، فصارت الاستعارة مكنية موشحة .

(٤) العرى في عجز البيت الثاني جمع عروة، وهي من الشجر ما لايسقط ورقه في الشتاء، ويكفي الابل والماشية في الجدب ، وأراد بها السادات الكرام يعتصم بهم الضعفاء ، و (عراعر) بفتح العين جمع عراعر بضمها ، وهم أيضاً السادات الاعلام مأخوذ من عُرعرة الجبل ، فقد شبه الكرام من السادات بشجر العرى بجامع النفع في كل ، وادعى أن السادات من جنس (العرى) فاطلقها عليهم على سبيل التصريحية الاصلية ، ومثل ذلك تقول في اجراء الاستعارة في (عراعر الاقوام)

(٥) الاستعارة مكنية مرشحة في (الدهر) ، وفي اجرائها تقول باختصار :

(٦) ولأبي الطيب المتنبي (الديوان ١٢٨ عزام) :

بقائي شاء ـ ليس هم ـ ارتحالا وحسن الصبر زموا لا الجمالا

وحجّبت النوى الظبيات عني فساعدت البراقع والحجالا

لبسن الوشيَ لا متجملاتٍ ولكن كي يصنّ به الجمالا

(٧) وقال كثير عزة (الأمالى ٢/١٠٩ ط الدار)

واني وتهيامي بعزّة بعدما تخلّيت مما بيننا وتخلتِ

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلتِ

كأني واياها سحابة ممحل رجاها فلما جاوزته استهلتِ

(٨) وقال أبو تمام يمدح ابا دُلف العجلي جدّ الجلال القزويني (الديوان ٤١) :

شبهنا الدهر بالجمل وحذفنا المشبه به ، ورمزنا له بشيء من لوازمه وهو (الكلاكل) ، واثباتها للدهر قرينة مانعة ، وفي ذكر (أناخ) ترشيح .

(٦) يقال : زمّ الجمال خطمها بالزمام : وعلى ذلك يكون قد شبه حسن الصبر بالجمال ، وحذف المشبه به او المستعار ، ورمز له بشيء من لوازمه وهو (زموا) على طريق الاستعارة المكنية الموشحة ،والقرينة اثبات الزم للصبر .

واما البيت الثاني ففي (الظبيات) استعارة تصريحية أصلية ، تقول في اجرائها : شبهنا النساء بالظبيات بجامع الحسن ، وادعينا أن المشبه من جنس المشبه به فاطلقنا عليه لفظ الظبيات على سبيل التصريحية الاصلية المجردة ، اذ في ذكر (البراقع والجمال) تجريد . ثم انظر هل في البيت الثالث شيء من المجاز ؟

اذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد تقطّع ما بيني وبين النوائبِ
تكاد عطاياهُ يجنّ جنونها اذا لم يعوذها بنغمة طالب
تكاد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوقٍ الى كل راكب

(٩) وقال البحتري يمدح هيثم بن المعمر (الديوان ٢ / ٢٥٠) :

كدأب بني المعمرّ حين زاروا بني عمر بمُصمية شعوبِ
وكانوا رقّعوا ايامَ سلم على تلك القوارح والندوبِ
اذا ما الجرح رُمّ على فساد تبيّن فيه تفريطُ الطبيبِ

(١٠) وقال ابو نواس يمدح ابراهيم الحجبي (الديوان ١١٩ هندية) :

---

(٩) المصمية في البيت الاول القاتلة : يقال رماه فأصماه اي انفذ الرمية فقتله ويريد بها الحملة الحربية القاتلة ، و (شعوب) اسم للمنية لانها تشعب وتفرق ، و (القوارح) في البيت الثاني بمعنى القروح يقال (قرح جلده) اذا ظهرت به بثور على فساد ، و (رم) الجرح بالبناء للمفعول من (الرّم) وهو اصلاح الشيء الذي فسد بعضه ، و (افراط) هنا بمعنى تفريط : (والشاهد) البيت الثالث فان فيه استعارة تمثيلية تقول في اجرائها :

شبهنا حال من يتكلف مصالحة عدوه والحقد كامن في قلبه (المشبه) بحال الجرح لا ينظفه الطبيب جيداً فيلتئم على فساد بجامع عدم الشفاء في كل ، ثم استعرنا التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية .

(١٠) الاستعارة مكنية في البيت الثاني فقد شبه المال بانسان او راحلة ، بجامع الضعف في كل ، وحذف المشبه به ورمز له بلازمه وهو الرجل ، واثبات الرجل للمال قرينة لفظية ، وهذه الاستعارة مستهجنة عابوها على ابي نواس لانه استعار للمال ما لا

يابا اسحق لو انصفت منك المال قالا
ما لرجل المال امست تشتكي منك الكلالا
اترى لاء حراماً وترى هاءً حلالا

(١١) وقال ابو تمام (الديوان ٢٤٥) :

محمد يابن المستهلّ تهلّلت عليك سماءٌ من ثنائي تهطلُ
بلوناكَ أمّا كعبِ عرضكَ في العلا فعالٍ ، وأمّا خدّ مالكَ اسفلُ

يليق به ولا يقرب منه ، قال صاحب العمدة (١/٢٤٠) : « ولو كان البعيد احسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس :

بحّ صوت المال مما منك يشكو ويصيحُ

فايّ شيء ابعد استعارة من صوت المال ، فكيف حتى بح من الشكوى والصياح ! على ان هذا البيت اقل قبحاً من شاهدنا ، ثم يقول صاحب العمدة : وكذلك قول بشار :

وجذّت رقاب الوصل أسيافُ هجرنا وقدّت لرجل البين نعلين من خدّي

فما أهجن (رجل البين) واقبح استعارتها ، ولو كانت الفصاحة باسرها فيها ! ، وكذلك (رقاب الوصل) اقول : وتمام القبح في بيت بشار ، بل الهجنة كلها ان يقدر لرجل البين نعلين ومن أين ؟ من خده !

(١١) قال ابن الاثير في المثل السائر (١٤٤) : فقوله : (كعب عرضك) و (خدّ مالك) مما يستقبح ويستنكر ، ومراده من ذلك : ان عرضك مصون ، ومالك مبتذل . الا انه عبر عنه أقبح تعبير ، وابو تمام يقع في مثل ذلك كثيرا .

ووجه القبح انه شبه العرض بالقدم وحذف المشبه به ورمز له بلازمه وهو الكعب على سبيل الاستعارة المكنية ، وكذلك الاستعارة في عجز البيت فعليك اجراؤها .

تمرينات عامة

(١) قال تعالى بيانه : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا . »

(٢) ومن بليغ الحديث : « ما جرع عبد قط جرعتين اعظم عند الله من جرعة غيظ يلقاها بحلم ، او جرعة مصيبة يلقاها بصبر جميل » .

(٣) وكتب الامام عليّ الى ابن عباس عامله بالبصرة : « ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان اليهم ، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم ، وان بني تميم لم يغب منهم نجم الا طلع لهم آخر » .

(٤) وقال حاتم طيء :

واني لعفّ الفقر مشترك الغنى ... وودّك شكل لا يوافقه شكلي
ولي مع بذل المال والبأس صولة ... اذا الحرب ابدت عن نواجذها العُصل
سيكفي بناء المجد سعدُ بن حشرج ... واحمل عنكم كل ما حل من ازلِ

(٥) وقال البحتري :

وقد نبه النوروز في غلس الدجى ... اوائل ورد كن بالامس نوّما
يفتحه برد الندى فكأنه ... يبث حديثاً كان قبل مكتما

(٦) وقال المتنبي ، والضمير للحبيبة أو العاذلة :

تخوّنني دون الذي أمرت به ... ولم تدر أن العار شر العواقبِ

اليك فاني لست ممن اذا اتقى عضاض الافاعي نام فوق العقاربِ

(٧) وقال ابو تمام:

تطل الطلول الدمع في كل منزل وتمثل بالصبر الديار المواثلُ
فقد سحبت فيها السحاب ذيولها وقد اخملت بالنور فيها الخمائل

(٨) ولابي العتاهية:

أتته الخلافة منقادةً اليه تجرّر اذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها

(٩) وقال كثير عزّة:

أمني صرمتِ الحبل لما رأيتني طريدَ خطوبٍ طوّحته الطوائحُ
رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلب جارحُ

(١٠) وقال الشريف الرضي:

ضوء تشعشع في سواد ذوائبي لا استضيء به ولا استصبحُ
بعت الشباب به على مقة له بيعَ العليم بأنه لا يربحُ

(١١) وقال السريّ الرفاء

وقد كتبت ايدي الربيع صحائفا كأن سطور السرو حسنا سطورُها
فمن روضةٍ سارٍ الينا نسيمُها ومن مُزنةٍ مُرخىً علينا ستورها

(١٢) وقال كشاجم في روضة:

أرتك يدُ الغيث آثارها واعلنت الارض اسرارها

اذا مزنة سكبت ماءها　　على بقعة اشعلت نارها

وارضع جناته دره　　فعمم بالنوّر أشجارها

(١٣) وقال ابو الطيب

أرى المتشاعرين غَروا بذمي　　ومن ذا يحمد الداء العُضالا

ومن يك ذا فم مر مريض　　يجد مرّا به الماء الزلالا.

(١٤) وقال آخر

بادر الى اللذات واركب لها　　سوابق اللهو ذوات المراح

من قبل أن ترشف شمس الضحى　　ريق الغوادي من ثغور الاقاح

(١٥) ومما كتبه ابو بكر الخوارزمي : « ما زال قلبي مقيلا لذكر لياليا تلك الطوال القصار، اللواتي كأن ظلماتها انوار ، وساعاتها كانها اسحار ، حاربنا فيها النعاس بجيش السمر ، ونفضنا عنا غبار الكسل ، وجلونا عن اعيننا بل انفسنا صدأ الفتور والملل، بحديث مطرّز بالأدب، مرصع بأخبار العجم والعرب » .

(١٦) وتعدّ الاستعارات دليلاً على رقي اللغات ، قال شلي الشاعر الانكليزي مترجمته :

وكنا بين خضر المروج نتنقل كاشاء الهوى ، وقد تنفس الفجر وأضاء بوجهه الصبيح آفاق السماء ، وعلى أسناد الجبال ركام من سحب بيض الاصواف كانت تتوالى قطعانا قطعانا ، وراعي الرياح يسوقها بين يديه كارها وانيا.

الاعراب البياني

قال البوصيري

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

تنكر العين : الفعل مسند و (العين) مسند اليه . وبقية الصدر قيد ؛

ينكر الفم : واعراب العجز كاعراب الصدر

وفي هذا البيت استعارة تمثيلية ، وطريقة اجرائها ان تقول : شبهنا حال من ينكر سحر الشعر بفساد ذوقه بحال من ينكر ضوء الشمس من رمده، ومن ينكر طعم الماء ويراه مرًا لمرارة فمه بالمرض ، بجامع الانكار في كلٍ ، ثم استعرنا التركيب الدال على المشبه به للمشبه ، وادعينا ان الحال الاولى من جنس الثانية مبالغة. فأطلقنا عليها اللفظ الدال على الحال الثانية على سبيل الاستعارة التمثيلية .

وللتمرين

واعرب البيت التالي اعراباً بيانياً مع اجراء استعارته :

اذا انتضل القومُ الاحاديث لم يكن ... عيّاً ولا ربّاً على من يقاعدُ

القول في الكناية

الفرق بين الكناية والمجاز . — الكناية لفظ أريد به لازم معناه(١)، مع جواز ارادة معناه حينئذ كقولك : (فلان طويل النجاد) اي طويل القامة ، و(فلانة نؤوم الضحى) اي مرفّهة مخدومة غير محتاجة الى السعي بنفسها في اصلاح المهمات ، وذلك ان وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في امر المعاش ، وكفاية اسبابه ، وتحصيل ما يحتاج اليه في تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها ، فلا تنام فيه من نسائهم الاّ من تكون لها خدمٌ ينوبون عنها في السعي لذلك ، ولا يمتنع ان يراد مع ذلك (طول النجاد) ، و (النوم في الضحى) من غير تأويل ؛

فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ، اي من جهة ارادة المعنى(٢) مع ارادة لازمه ، فان المجاز ينافي ذلك ، فلا يصحّ في نحو قولك :

---

(١) في اللغة مصدر كنيت بكذا عن كذا : تكلمت بما يستدل به عليه ، أو أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره (القاموس) ؛ وفي الاصطلاح : لفظ له معنى حقيقي أطلق ولم يرد ، بل أريد لازمه ، وهو المعنى المجازي المقصود ، كقولك (عماد طويل النجاد) أي طويل حمالة السيف : إذ يلزم من طول النجاد أن يكون طويل القامة ، فطول القامة لازم للمعنى الحقيقي للفظ طويل النجاد .

(٢) اي من جهة جواز ارادة المعنى الحقيقي فيها

(في الحمام اسداً) ان تريد معنى الاسد(١) من غير تأوّل(٢) ...

أقسام الكناية. - ثم الكناية ثلاثة اقسام : لأن المطلوب بها إمّا غير صفة ولا نسبة(٣)، او صفة ، او نسبة ، والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وامثالها لا النعت(٤).

﴿ الأولى ﴾ : **المطلوب بها غير صفة ولا نسبة**، فمنها (ما هو معنى واحد) كقولنا (المضياف) كناية عن زيد(٥)، ومنه قوله كناية عن القلب(٦):

---

(١) الحقيقي وهو الهيكل المخصوص ، كما يجوز لك أن تريد المعنى الحقيقي لطويل النجاد بان يكون عماد طويل النجاد بالفعل .

(٢) أي من غير تأويله برجل شجاع

(٣) أي المطلوب بها إمّا ذات موصوفة : لا صفة ولا نسبة ، وإمّا صفة ، وإمّا نسبة ، وبعبارة اخرى قد يقال : إما أن يكون المكنى عنه الصفة او الموصوف أواختصاص الصفة بالموصوف ،

(٤) اي لا الصفة النحوية ، وهي اللفظ التابع بشروط كالجواد والشجاع من قولك : سعد جواد بروحه لوطنه ، او شجاع في مناضلة اعدائه مثلاً .

(٥) في قولك : (جاء المضياف) وأنت تريد زيداً : لاختصاص (المضياف) بزيد ، او لاشتهار زيد بين قومه بالمضياف لكثرة صدور الضيافة منه ، فالمطلوب من لفظ (المضياف) نفس الموصوف وهو (زيد) لا صفة ولا نسبة ، والمضياف معنى واحد ، ومثله (المرزأ) أي الكثير الارزاء بالقيام بدواعي المروءة والكرم.

(٦) قال صاحب المعاهد (٢/١٧٢ ط السعادة) : هو من الكامل ولا اعرف قائله ؛ و (المخذم) بكسر الميم القاطع ، و (الأضغان) الاحقاد جمع ضغن ، والقلب

الضاربين بكل ابيض مخذم والطاعنين مجامع الاضغان

ونحوه قول البحتري في قصيدته التي يذكر فيها قتله للذئب(١) :

فأتبعتها اخرى فأضللتُ نصلها بحيث يكون اللبُّ والرعب والحقدُ

فقوله(بحيث يكون اللب والرعب والحقد)ثلاث كنايات(٢) لا كناية واحدة ، لاستقلال كل واحدة منها بافادة المقصود .

ومنها(٣) : **ما هو مجموع معان** ، كقولنا كناية عن الانسان : حيٌّ مستوي القامة عريض الاظافر ؛ وشرط كلّ واحد منهما ان تكون مختصة

هو مجمع الاضغان ، والقلوب مجامعها ، فالمراد : والطاعنين برماحهم القلوب ، وهي ذات موصوفة لا صفة ولا نسبة ، وهي هنا لمعنى واحد .

(١) والشاهد في ديوانه (١/١١ الجوائب) من قصيدة يصف بها الذئب حين لقيه ، وبعده :

فخرّ وقد أوردته منهل الردى على ظمأ ، لو أنه عذب الوردُ !

(٢) والمكنى عنه في الثلاثة واحداي(القلب) والتعبير بقوله (بحيث يكون...) تفسير يدفع توهم أن هذه الكناية من النوع الثاني أي (الصفة) لأن اللب والرعب والحقد صفات معنوية ، ومجموع معانيها كناية عن القلب ، وليس كذلك لاستقلال كل معنى فيها بأن يكون كناية عن القلب بغير انضمامه الى آخر ؛ وذلك بأن يقال : موضع اللب ، أو موضع الرعب ، او موضع الحقد كناية عن القلب .

(٣) عطف على قوله : (فمنها ما هو معنى واحد) ، ويريد بقوله : (مجموع معان) ان تؤخذ صفة مثل (حيّ) فتضم الى اخرى (مستوى القامة) ، او الى اكثر من صفة (عريض الأظفار) ، وبمجموع هذه المعاني او الصفات او اللوازم يتوصل الى الموصوف المطلوب لاختصاصها به .

بالمكني عنه لا تتعدّاه ليحصل الانتقال منها اليه ؛ وجعل السكاكي(١) الأولى قريبة والثانية بعيدة . . .

﴿ الثانية ﴾ **المطلوب بها صفة** ، وهي : ضربان : قريبة وبعيدة :

﴿ القريبة ﴾ ما ينتقل منها الى المطلوب بها لا بواسطة وهي :

❀ إما واضحة ، كقولهم كنايةً عن طويل القامة : (طويل نجاده وطويل النجاد) ، والفرق بينهما(٢) ان الاول : كناية ساذجة ، والثاني كناية مشتملة على تصريحٍ ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف(٣) بخلاف

---

(١) في المفتاح (ص ٢١٤ ادبية) : الأولى القريبة وهي ما كانت معنى واحداً ، والثانية البعيدة وهي ما كانت مجموع معان كما مر بنا الآن ؛ وانما جعلها السكاكي بعيدة لانك تضم فيها الى لازم آخرَ وآخر ، فتلفق مجموعاً وصفياً مانعاً من دخول كل ما عدا مقصودك فيه ، على نحو ما بينه المصنف ايضاً .

(٢) أي بين القريبة والبعيدة .

(٣) قال القطب الشيرازي في شرح المفتاح : والحقيقة ان الاصل في مثل قولك (فلانة حسنة الوجه) هو حسنٌ وجهُها ، ثم نقلوا الضمير الذي اضيف اليه الوجه (وجهها) الى الصفة ، كأن الحسن قد شاع في جميع اجزائها ، ثم لما اريد بيان الموضع الموسوم بالحسن اضيف اليه الصفة فقيل : (فلانة حسنة الوجه) ، وقس عليه ضرورة (طويل نجاده) الى طويل النجاد ، وانتقال ضمير (نجاده) الى الطويل ، باستلزام كون الطويل كان قد شاع في اجزاء فلان — اي الطويل نجاده — ؛ ثم لما اريد بيان ما هو موصوف بالطول اضيف الطول الى النجاد ليعلم من طريق الكناية طول قامته ، فلو لم يأت بالنجاد وقال : (فلان الطويل) لكان تصريحاً محضاً بطول قامته ، فلما جيء به صار كناية عنه « مشتملة على تصريح ما » .

الأول(١)، ومنها قول الحماسي(٢):

أبت الروادفُ والثديُّ لقمصها مسَّ البطونِ وأن تمس ظهورا

وإما خفية(٣) كقولهم كناية عن الأبله: (عريض القفا) فان عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة. ألا ترى الى قول

---

(١) وهو (طويل النجاد) فان فيه دقة وغموضاً، ذلك أن (الطويل) صفة مشبهة، وهي من الصفات اللازمة بفاعلها فلا تتعدى الى مفعول، فكيف يستقيم حديث الاضمار بعد ما اضيفت الى النجاد، وهو فاعلها؟ والجواب ان تقول: ان الضمير الذي في (طويل النجاد) فاعل الصفة، و (النجاد) بدل اشتمال منه مثل (سلب زيد ثوبه) كما اذا قلت: (طال زيد نجاده)، فنجاده بدل، وكذا هذا.

(٢) لم يعزه ابو تمام في حماسته، ولا الخطيب التبريزي في شرحه (٣/٢٤٦) بتحقيق صديقنا العلامه محي الدين عبد الحميد المنذري، و (الروادف) الارداف جمع رادفة، و (الثديّ) جمع ثدي كحلي بفتح الحاء وحليّ بضمها، قال التبريزي: وقوله (ان تمسّ) جاز انعطافه على (مس البطون) لكون العامل والمعمول فيه في موضعه، فالبطون في موضع المفعول: لأن المصدر يضاف الى المفعول كما يضاف الى الفاعل، فالبطون مع لفظة (مس) كـ (ظهوراً) مع (أن تمس)، وبعده

واذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا

(٣) عطف على (اما واضحة)، وخفاؤها بأن يتوقف الانتقال منها على التأمل والروية، ثم إن الكناية عن الابله بقولهم (عريض القفا) إنما هو بالاعتبار القديم، اما اليوم فهي واضحة لا تحتاج الى تأمل.

طرفة بن العبد(١):

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاشٌ كرأس الحية المتوقد

﴿ البعيدة ﴾ ما ينتقل منها الى المطلوب بها بواسطةٍ كقولهم كنايةً عن الأبله (عريض الوسادة) فانه ينتقل من عرض الوسادة الى عرض القفا ، ومنه الى المقصود ، وقد جعله السكاكي (٢) من القريبة على أنه كناية عن عرض القفا ، وفيه نظر .

وكقولهم: (كثير الرماد) كناية عن المضياف ، فانه ينتقل من كثرة الرماد الى كثرة احراق الحطب تحت القدور ، ومنها الى كثرة الطبائخ . ومنها

---

(١) في معلقته المشهورة و (الضرب) الخفيف اللحم ، قال ابن سيده : ورجل خشاش بالكسر والفتح : لطيف الرأس ضرب الجسم خفيف وقاد ، ثم استشهد بقول طرفة (انا الرجل) وقوله : (كرأس الحية) العرب تقول لكل متحرك نشيط : رأسه كرأس الحية ، و (المتوقد) الذكي ، وكل هذه الصفات من الضرب والخشاش ورأس الحية ، يستدل بها على ذكاء صاحبها فيكنى بها عنه .

(٢) في المفتاح (ص ٢١٤) ، وفي قوله (جعله ...) اشارة الى ان المصنف غير راض عن جعله هذا ، ولذا قال : (وفيه نظر) لان المقصود بكناية (عريض الوسادة) هو البلادة ، ولا يتوصل اليها بدون وساطة (عريض القفا) فتكون لذلك بعيدة ، ويقال في دفع هذا الاعتراض ان صاحب المفتاح جعل (عرض القفا) تصريحاً في البلادة لا كناية ، ولهذا كنى عن عرض القفا بعرض الوسادة ، فتوصل الى المقصود بدون واسطة فتكون لذلك (قريبة) .

الى كثرة الأكلة، ومنها الى كثرة الضيفان، ومنها الى المقصود، وكقوله(١) :

وما بك فيَّ من عيب فاني جبانُ الكلب مهزول الفصيلِ

فانه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعسّ دونها، مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعياً له، الى استمرار تأديبه(٢) : لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى، ومن ذلك الى استمرار موجب نباحه، وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه، ومن ذلك الى كونه مقصد أدانٍ وأقاصٍ، ومن ذلك الى أنه مقهور بحسن قرى الاضياف ؛

وكذلك ينتقل من هُزال الفصيل الى فقد الأم، ومنه الى قوة الداعي الى نحرها، لكمال عناية العرب بالنوق، لا سيما المتليات(٣)، ومنها الى الطبائخ، ومنها الى أنه مضياف، ومن هذا النوع قول نصيب(٤) :

---

(١) هذا البيت حماسي، ولم يبين صاحب الحماسة ولا الشارح صاحبه، و(الفصيل) ولد الناقة، وهزاله ناشيء عن ايثار الضيفان بلبن امه عليه، او بنحرها للقرى .

(٢) اي ينتقل من جبن الكلب الى استمرار تأديبه .

(٣) جمع متلية بصيغة اسم الفاعل وهي : الناقة التي يتلوها ولدها بعد ان يفطم ويسمى (تِلواً) بكسر التاء وجمعه أتلاء .

(٤) الاكبر وهو ابن رياح مولى عبدالعزيز بن مروان كان شاعراً فحلا مقدما في النسيب والمديح والرثاء وله شعر عذب كاللؤلؤ الرطب، وشعره هذا من شواهد المفتاح (ص ٢١٥)، وفيه شرح له مبين .

لعبد العزيز على قومه وغيرهم منن ظاهره
فبابك(١) أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالزائرين من الأم بالابنة الزائره

فانه ينتقل من وصف كلبه بماذكر الى ان الزائرين معارف عنده(٢)، ومن ذلك الى اتصال مشاهدته اياهم ليلا ونهارا، ومنه الى لزومهم سدته ومنه الى تسنيّ مباغيهم من غير انقطاع، ومنه الى وفور احسانه الى الخاص والعام، وهو المقصود(٣):

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر(٤):

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم

ومنه قوله(٥):

---

(١) التفات من الغيبة الى الخطاب.

(٢) والكلب لايأنس الا بمن يعرف.

(٣) ثم يقول السكاكي: «فانظر كيف لوّح من بعد المسافة بين انس الكلب بالزائرين وبين احسان عبدالعزيز الوافر!»

(٤) وهو ابو اسحاق ابراهيم بن هرمة من قيس عيلان من مخضرمي الدولتين مدح الوليد بن يزيد ثم المنصور، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بقولهم، قال الاصمعي ساقة الشعراء: ابن ميادة وابن هرمة ورؤبة، ورواية الشاهد في المفتاح: (تراه) بدل (يكاد)، و(مقبلا) حال، والشاهد انه كنى عن جوده بحب الكلب للضيف.

(٥) وهو ايضاً لابن هرمة، و(العُوذ) بالضم جع عائذ: النوق الحديثات النتاج ومعنى قوله (لاامتع) اني انحر الفصال اي اولاد النوق للاضياف فلا تتمتع امهاتها بها، وانحر امهاتها فلا تتمتع بها فصالها، (ولاابتاع) واشتري الاكل ناقة قرب اجلها: كنى عن جوده بعدم الامتاع وقرب الاجل.

لا أمتع العُوذَ بالفِصال ولا أبتاعُ إلا قريبةَ الأجلِ

فانه ينتقل من عدم امتاعها إلى أنه لا يبقي لها فصالَها لتأنس بها، ويحصل لها الفرح الطبيعيّ بالنظر اليها، ومن ذلك الى نحرها. أولا يبقي العوذَ ابقاءً على فصالها. وكذا (قرب الأجل) ينتقل منه الى نحرها، ومن نحرها الى انه مضياف؛

ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى(١): «ولما سُقط في أيديهم» أي ولما اشتدّ ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل: لأن من شأن من اشتدّ ندمه وحسرته أن يعضّ يده غماً، فتصير يده مسقوطاً فيها، لأن فاهُ قد وقع فيها، وكذا قول أبي الطيب كنايةً عن الكذب(٢):

---

(١) وتتمة الآية: «... ورأوا انهم قد ضلوا قالوا: لئن لم يرحمنا ربنا ويغفرلنا لنكونن من الخاسرين.» الأعراف ١٤٩ وضمير (ايديهم) يعود الى قوم موسى الذين اتخذوا من حليهم عجلا.

(٢) هو في (ديوان عزام ٤٢٧) ويروى (..من طرب الشوق) وضمير (تشتكي) لحبيته اي: انها تشتكي من الشوق اليّ مثل ما اشتكيت من الشوق اليها، والشاهد كنايته عن تكذيبها في هذه الشكوى، بقوله: (الشوق حيث النحول)؛ وذهب ابن الافليلي الى ان ضمير (تشتكي) للرسول المذكور في صدر القصيدة: (مالنا كلنا جو يارسول)، يقول له وهو يعاتبه. انت تظهر من شكوى الحب ماظهره، وليس كذلك، وانما الشوق في حقيقته النحول، وبعده:

واذا خامر الهوى قلب صبٍ فعليه لكل عين دليل

تشتكي ما اشتكيتُ من ألم الشو ق اليها ، والشوقُ حيث النحولُ

وكذا قوله(١) :

الى كم تردُّد الرسل عماً أتوا له كأنهمو فيما وهبت مَلامُ

فان أوّله كناية عن الشجاعة ، وآخره كناية عن السماحة ؛ وكذا قول أبي تمام(٢) :

فان أنا لم يحمدك عني صاغراً عدوّك ، فاعلم انني غيرُ حامد

يريد بحمده عنه حفظَه مدحَه فيه وانشاده ، أي : إن لم أكن أجيد القول في مدحك حتى يدعو حسنه عدوّك الى ان يحفظه ويلهج به صاغراً فلا تعدّني حامداً لك بما أقول فيك ؛ ووصفه بالصَّغار : لأن من يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذلّ نفسه ، فكفى بحفظ عدوّ الممدوح مدحه له عن اجادته القول في مدحه ؛

---

(١) ديوان عزام (ص ٣٨٠) ، وقوله : (فيما وهبت) صلة (ملام) والخطاب لسيف الدولة ، وقد رد رسل ملك الروم في طلب الهدنة كما رد لوم اللائمين له في الهبات والعطاء ، فكفى بردهم عن عدم مبالاته بهم وعن شجاعته .

(٢) في ديوانه (ص ١١٩) ، و (صاغرا) حال ، وهو الراضي بالمذلة ، ومصدره الصغار بفتح الصاد وبعده :

بسياحة تنساق من غير سائق وتنقاد في الافاق من غير قائد

جلامد تخطوها الليالي وان بدت لها موضحات في متون الجلامد

ويريد بالسيّاحة القصائد ، وبالجلامد الصخور ، فانظر هل المجاز في البيتين من الاستعارة أم الكناية ؟

وكذا قول من يصف راعي ابل أو غنم(١) :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما أجدب الناس اصبعا

وقول الآخر :

❀ صُلب العصا بالضرب قد دمّاها ❀

أي جعلها كالدُّمى(٢) في الحسن ، والغرض من القول الاول (ضعيف العصا) وقول الثاني (صلب العصا) ، وهما وان كانا في الظاهر متضادين، فانهما كنايتان عن شيء واحد(٣) ، وهو حسن الرعية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فأراد الأول(٤) أنه رفيق مشفق عليها ، لا يقصد من حمل العصا ان يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير ما لان من العصا؛ وأراد الثاني أنه جيد الضبط لها ، عارف بسياستها في الرعي ، يزجرها عن المراعي التي لا تُحمد ، ويتوخى بها ما تسمن عليه ، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشرد والتبدد ، وأنها لما عرفت من شدة شكيمته ، وقوة

---

(١) وهو الراعي عُبيد بن حصين ينتهي نسبه الى عامر بن صعصعة ، والراعي غلب عليه لكثرة وصف الابل ، وهو شاعر اسلامي من فحول الشعراء ، وهذا البيت من شواهد الاسرار (٣٠٦ رابعة) وكلام الخطيب الدمشقي مقتبس بتصرف قليل من كلام الامام فراجعه وانت موفق ان شاء الله .

(٢) جمع دمية كغنية وهي الصورة من العاج ، ويضرب بها المثل حسناً .

(٣) وعبارة الامام في اسراره : فانهما يرجعان الى غرض واحد .

(٤) اي الراعي ، والثاني هو الشاعر القائل (صلب العصا ...)

عزيمته تنساق في الجهة التي يريدها(١) ؛ وقوله : (بالضرب قد دمّاها) تورية حسنة(٢) ، ويؤكد أمرها قوله (صلب العصا) ؛

﴿ الثالثة ﴾(٣) المطلوب بها نسبة كقول زياد الاعجم(٤) :

ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فانه حين أراد أن لا يصرح باثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة تنبيهاً بذلك على أن محلها ذو قبة، وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين، فأفاد اثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية ؛

---

(١) ويعد هذه العبارة في الاسرار : من غير ان يجدد لها ضرباً .

(٢) لان (دماها) يحتمل معنى قريباً ، وهو انه يضربها ضربا يسيل دمها ، ويحتمل ان يكون انه جعلها كالدمى ؛ ولكن (دماها) قريب الى كونه بمعنى الدم بقرينة (صلب العصا) ، وقد اراد معناه البعيد فيكون تورية . ثم انظر المثل السائر (٢٥٩ تجارية)

(٣) وضابط التمييز بين هذه الاقسام الثلاثة : ان الكناية عن (الموصوف) تعرف بذكر الصفة في عبارتها ، والكناية عن (الصفة) تعرف بذكر الموصوف ملفوظاً او ملحوظاً من سياق الكلام ، والكناية عن النسبة تعرف بتخصيص مايلازم الموصوف بالصفة ، واقرأ في دلائل الاعجاز فصل الكناية والتعريض (ص ٢٣٦ رابعة) لتعلم رأي الامام .

(٤) هو زياد بن سليمان مولى عبد القيس ، كان ينزل اصطخر فغلبت عليه العجمة شاعر اسلامي اموي وهو على لكنته فصيح جزل الشعر ، والقبة تضرب فوق الخيمة كالظلة يتخذها الرؤساء قال ابو تمام :

لولا بنو جشم بن بكر فيكم ضربت خيامكم بغير قباب

وابن الحشرج هو عبد الله امير نيسابور .

ونظيره(١) قولهم:(المجد بين ثوبيه،والكرم بين برديه)،وقال السكاكي(٢): « وقد يُظن هذا من قسم (زيد طويل نجاده) وليس بذلك ، فطويل نجاده : باسناد الطويل الى النجاد تصريح باثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد ـ كما تعرف — قائم مقام طول القامة ، فاذا صُرح من بعد باثبات النجاد لزيد بالاضافة، كان ذلك تصريحاً باثبات الطول لزيد، فتأمل!(٣)».

وكقول الآخر(٤):

والمجدُ يدعو أن يدوم لجيده عقدٌ ، مساعي ابن العميد نظامهُ

فانه شبه المجد بانسان بديع الجمال في ميل النفوس اليه ، واثبت له جيداً على سبيل الاستعارة التخيلية، ثم أثبت لجيده عقداً ترشيحاً للاستعارة، ثم خصّ مساعيَ ابن العميد بأنها نظامه ، فنبه بذلك على اعتنائه خاصةً

(١) اي نظير البيت المذكور في كون الكناية لنسبة الصفة الى الموصوف بسبب جعل الصفة فيما يحيط بالموصوف ويشتمل عليه .

(٢) في مفتاحه (٢١٦) وقوله المحصور بين الاهلة لم يغير المصنف منه شيئاً .

(٣) وليس قولنا (الكرم بين برديه) مفيداً اثبات الكرم للبردين ، فضلاعن كونه تصريحاً باثباته لها حتى يقال: اذا اضيف البردان الى زيد واثبتا له انه تصريح باثبات الكرم الى من يعود اليه ضمير (برديه) كزيد مثلا . نعم لو صح ان يقال :(زيد كريم برده) كان مثل (زيد طويل نجاده) ؛ لكنه لا يصلح ولا يفيد اثبات الكرم للبرد كالطول للنجاد في (طويل نجاده) .

(٤) لم نجد عزواً في (شرح شواهد الايضاح والمفتاح) ان (نظامه) مبتدأ ، و (مساعي) الخبر ، والجملة صفة (عقد) ، اي : نظام عقد المجد وسلكه مساعي ابن العميد ، واقرأ ما كتبه صاحب المفتاح (٢١٦) على هذا الشاهد تفد فهما وعلما .

بتزيينه ، وبذلك على محبته وحسده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به ؛ وكقول أبي نواس (١) :

فما جازه جودٌ ولا حلّ دونه ولكن يصير الجود حيث يصيرُ

فانه كنى عن جميع الجود بأن نكرّه ، ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل دونه ، فيكون متوزعاً يقوم منه شيء بهذا ، وشيء بهذا ، وعن اثباته له بتخصيصه بجهته(٢) بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم ؛ ونظيره قولهم : (مجلس فلان مظنة الجود والكرم) .

هذا قول السكاكي(٣) ، وقيل : كنى بالشطر الاول عن اتصافه

---

(١) في ديوانه (ص ٩٩ هندية) من قصيدة يمدح بها الخصيب بن عبد الحميد المرادي أمير مصر وقبله : فتى يشتري حسن الثناء بماله ويعلم ان الدائرات تدور

(٢) اي بتخصيص الجود بجهة الممدوح .

(٣) في المفتاح (ص ٢١٧ ادبية) ، وقوله الاصليّ قبل التلخيص : « فانه أراد أن يجمع الجود لا على سبيل التصريح ويثبته للممدوح لا على سبيل التصريح أيضاً ، فعمد الى نفس الجود فنفى ان يكون متنوعاً يقوم منه جزء بهذا وجزء بذاك ، فنكّر الجود قصداً الى فرد من أفراد الحقيقة ، ونفى أن يجوز ممدوحه فقال: (فما جازه جود) بالتنكير كما ترى تنبيهاً بذلك على انه لو جاز لكان قائماً بمحل هناك : لامتناع قيامه بنفسه ؛ ثم لمثل هذا قال : (ولا حل دونه) كناية بذلك عن عدم توزعه وتقسمه ؛ ثم خصصه من بعد بجهة تلك الجهة لممدوحه بعدان عرفه باللام الاستغراقية فقال :ولكن يصير الجود حيث يصير) كناية عن ثبوته له .

بالجود ، وبالثاني عن لزوم الجود له ؛ ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون كلٌ منهما(١) كناية عن اختصاصه به، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرهما على الترتيب المذكور : لأن الأولى بواسطة(٢) بخلاف الثانية .

وكقولهم : (مثلك لا يبخل)(٣) ، قال الزمخشريّ : نفوا البخل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية : لأنهم اذا نفوه عمن يسدّ مسدّه ، وعمن هو على أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه ، نظيره(٤) قولك للعربي: (العرب لا تخفر الذمم) فانه أبلغ من قولك : (أنت لا تخفر) ؛

---

(١) اي من الشطرين الاول والثاني .

(٢) اي لان الكناية الاولى التي اشتمل الشطر الاول عليها أي قوله : (فما جازه جود . . .) تصريح بعدم جواز الجود الممدوح ، وبعدم حلول الجود بمحل دونه، فيلزم من انتقال الجود الى حيث ينتقل الممدوح ثم ينتقل منه الى المقصود ، اختصاص الجود به وهو المطلوب بالكناية ، فتكون الثانية واسطة الاولى .

(٣) مر بنا هذا المثال في علم المعاني(ص ١٨٢) من هذا الكتاب .

(٤) اي ونظير قولهم (مثلك لا يبخل) قولك للعربي : (العرب لاتخفر الذمم) : يقال خفره وخفر عهده او ذمته اذا نقضه وغدره ، وتجمع ذمة على ذمم كرمة ورمم .

ومنه قولهم : (أيفعت لِداته[١] ،وبلغت أترابه) يريدون ايفاعه وبلوغه، وعليه قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » على أحد الوجهين ، وهو ان لا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفي التشبيه ، اذ لو كان له مثل ، وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى ، لانه مثل مثله ؛ ويردّ بمنع أنه تعالى مثل مثله : لأن صدق ذلك موقوف . على ثبوت مثله . تعالى عن ذلك ؛

وكقول الشنفري الأزدي[٢] في وصف امرأة بالعفة :

يبيت بمنجاةٍ من اللوم بيتها اذا ما بيوتٌ بالملامة حُلتِ

فانه نبّه ، بنفي اللوم عن بيتها ، على انتفاء أنواع الفجور عنه ، وبه على براءتها منها ، وقال (يبيت) دون يظل : لمزيد اختصاص الليل بالفواحش، هذا على ما رواه الشيخ عبد القاهر[٣] والسكاكيّ[٤] ؛ وفي الأغاني الكبير (يحلّ بمنجاة) ؛

---

(١) يقال يفع الغلام راهق العشرين كايفع وهو يافع لا موفع و (اللدات) جمع « لدة » اصلها ولدة ، ولذلك تصغر على وليدة لالدّية، ومعناها من ولد معك و (الترب) بمعناها ويجمع على اتراب .

(٢) من بني الاوس بن الحجر بن الهنء بن الازد شاعر جاهلي يضرب فيه المثل في الحذق والدهاء وهو صاحب لامية العرب ، وقوله (يبيت بمنجاة) أي بموضع نجاة من اللؤم الذي هو سبب اللوم وهو مجاز مرسل من باب اطلاق السبب على المسبب، وكذا قوله : (بيوت بالملامة حلت) .

والمعنى : ينجو بيت هذه المرأة من الفجور أزمان بيوت سائر النساء بتواضع الفجور الذي هو سبب الملامة .

(٣) انظر ما كتبه في الدلائل (٢٣٩ رابعة) على بيت الشنفرى.

(٤) في المفتاح (ص ٢١٧) ، وشرح السكاكي أوضح فارجع اليه .

وقد يظن أن هنا قسما رابعاً، وهو أن يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معاً كما يقال : (يكثر الرماد في ساحة عمرو) في الكناية عن أن عمراً مضياف ، وليس بذاك(١) ، اذ ليس ما ذكر بكناية واحدة ، بل هو كنايتان: احداهما عن المضيافية ، والثانية عن اثباتها لعمرو، وقد ظهر بهذا ان طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً كما في هذا المثال(٢) ، ونحوه بيت الشنفرى المتقدم ، فان حلول البيت بمنجاة عن اللوم كناية عن نسبة العفة الى صاحبته، والمنجاة من اللوم : كناية عن العفة(٣) ؛

واعلم أن الموصوف في القسم الثاني والثالث قد يكون **مذكورا** كما مرّ ؛ وقد يكون **غير مذكور** كما تقول في عُرض(٤) من يؤذي المسلمين : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده(٥) : أي ليس المؤذي مسلماً،

(١) اي ليس بذاك الظن الصادق .

(٢) وهو (يكثر الرماد في ساحة عمرو) ، فان المطلوب بالكناية نسبة الجود الى عمرو ، وطرف النسبة التي تثبت بطريق الكناية هو الجود ، وذلك الجود في هذا المثال ليس بمصرّح ، بل مكنى عنه بخلاف (الكرم بين ثوبيه) فان المطلوب بها نسبة الكرم اليه ، وطرف النسبة المثبته ، وهو الكرم ، مصرّح هنا « و (المجد بين برديه) كذلك .

(٣) وهي طرف النسبة الثابتة بطريق الكناية في هذا المثال

(٤) بضم العين بمعنى الناحية والجانب ، والمراد هنا التعريض المشتق منه ، أي : في التعريض بمن يؤذي المسلمين .

(٥) هو حديث في صحيح البخاري .

وعليه قوله تعالى في عُرض المنافقين: «هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب» اذ فسّر الغيب بالغيبة: أي يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي (ص) أو أصحابه: أي هدى للمؤمنين عن اخلاص، لا للمؤمنين عن نفاق!

تقسيم آخر للكناية باعتبار الوسائط. — وقال السكاكي[1]: الكناية تتفاوت الى تعريض وتلويح ورمز وايماء وإشارة:

﴿**التعريض**﴾: فان كانت عُرضية[2]، فالمناسب ان تُسمى: تعريضاً؛

﴿**التلويح**﴾[3]: والاّ، فان كان بينها وبين المكنيّ عنه مسافة متباعدة

---

(١) في المفتاح (ص ٧١٨).

(٢) اي منسوبة الى العرض بمعنى الجانب: اي الكناية ان كانت (عرضية) مسوقة لموصوف غير مذكور، ويشار بها لنسبة لذلك الموصوف، تفهم من السياق والحالة التي أدت الى التعريض قال الثعالبي في كتابه النهاية في التعريض والكناية (ص ٤٥ الميرية المكية) ما نصه: العرب تستعمل التعريض في كلامها فتبلغ ارادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل اذا كان يكاشف في كل وجه، ولا يقولون: (فلان لا يحسن التعريض) الا ثلبا، وقد جعله الله في خطبة النساء جائزاً فقال: «ولاجناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء، او اكننتم في أنفسكم» ولم يجز التصريح، والتعريض في الخطبة ان يقول للمرأة: والله انك لجميلة، وانك لشابة، ولعل الله ان يرزقك بعلا صالحاً!

(٣) من قولهم: لوّح الرجل بسيفه لمع به، ومن التوسع قالوا: لوّح المودع للمسافر بمنديله اشار له به عن بعد، والتلويح البياني كذلك: لبعد المسافة بين الكناية والمكنى عنه بكثرة اللوازم المتوسطة بينهما.

لكثرة الوسائط كما في (كثير الرماد) وأشباهه ، فالمناسب ان تُسمى : تلويحاً ، لأن التلويح هو أن تشير الى غيرك عن بعدٍ ؛

﴿ **الرمز** ﴾ : وإلا ، فان كان فيها نوعُ خفاء ، فالمناسب ان تُسمى : رمزاً ، لأن الرمز هو أن تشير الى قريب منك . على سبيل الخفية(١) ، قال(٢) :

رَمزت اليّ مخافةً من بعلها من غير ان تُبدي هناك كلامها

﴿ **الايماء والاشارة** ﴾ : وإلا(٣) فالمناسبُ أن تسمى : ايماء واشارة كقول أبي تمام(٤) يصف ابلا :

أبينَ فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيدِ

فانه في افادة أن أبا سعيد كريم غير خافٍ ، وكقول البحتري(٥) :

---

(١) والرمز لغة كما في القاموس : الاشارة بالشفتين أوالعينين أوالحاجبين او الفم او اليد او اللسان ، وأكثر ما يفعل ذلك على سبيل الخفية .

(٢) قائل هذا البيت هو الشاعر المجهول .

(٣) اي وان قلت الوسائط ، ولم يكن نوع من الخفاء، فالمناسب ان تسمى ايماء واشارة ، لان أصل الاشارة في اللغة ان تكون حسية وهي ظاهرة ، ومثلها في اللغة الايماء .

(٤) في ديوانه (ص١٠٨) من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ، والضمير في (ابين وزرن): للابل اي ابت هذه الابل غير زيارة الكريم، وكافيك من كل كريم زيارتها لابي سعيد لانه أكرم من كل كريم ،

(٥) في ديوانه (٢/٢١٨ جوائب) ، وقوله (او ما رأيت) اي رأيت بمعنى

أو مارأيتَ المجد القى رحله في آل طلحةَ ثم لم يتحوّلِ

فانه في افادة أن آل طلحة أماجد ظاهر ، وكقول الآخر(١) :

إذا الله لم يسق الا الكرامَ فسقّى وجوهَ بني حنبلِ

وسقّى ديارهم باكراً من الغيث في الزمن الممحلِ

وقول الآخر(٢) :

متى تخلو تميمٌ من كريمٍ ومسلمةُ بن عمروٍ من تميمِ !

ثم قال: والتعريض كما يكون كنايةً قد يكون مجازاً كقولك: (آذيتني فستعرف !) ، وأنت لا تريد المخاطب ، بل تريد انساناً معه(٣) ،

علمت والقاء الرحل كناية عن الاقامة ، وأراد بالتحول الارتحال ، ومعنى الشاهد : أنك علمت ان المجد أقام في آل طلحة ولم يرتحل عن جنابهم ، ويجوز لنا ايضاً ان نرى فيه استعارة مكنية اذا شبهنا المجد بصاحب رحل ، وحذفناه ورمزنا له بشيء من لوازمه وهو (ألقى رحله) واثبات الرحل للمجد قرينة .

(١) عزاهما شارح شواهد الايضاح والمفتاح لبعض العرب ، والمقصود من الكناية هنا اثبات الكرم لوجوه بني حنبل .

(٢) لم نجد في شواهد الايضاح والمفتاح لهذا البيت عزواً ، وقوله : (متى تخلو) الاستفهام فيه للانكار ، والمعنى : لا تخلو قبيلة تميم من كريم ، وهذا الرجل منهم ، فهو كريم مثلهم . فأثبت بطريق الكناية الكرم لمسلمة بن عمرو .

(٣) أي وانت لا تريد المخاطب : ليكون اللفظ مستعملاً في غير ماوضع له فيكون مجازاً ، وانما (تريد انساناً معه) تعرّض به على حد المثل العامي (اسمعي ياجارة وافهمي ، ياكنة) ، والعلاقة في ذلك (اللزوم) : لانه يلزم من تهديد المخاطب المؤذي تهديد كل من كان مؤذياً مثله ، ولا بد مع ذلك من القرينة المانعة ليكون قولك هذا مجازاً لا كناية .

وإن أردتهما جميعاً كان كناية(١) :

قوة بلاغة المجاز والكناية . — تنبيه : أطبق البلغاء(٢) على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الافصاح بالذكر(٣) ؛

قال الشيخ عبد القاهر : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الامور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيداً لاثبات

---

(١) اي وان اردت المعنيين جميعاً : المعنى الاصلي مع التعريضي او الكنائي كان قولك : (آذيتني فستعرف) كناية لا مجازاً : لأن المجاز ينافي ارادة المعنى الاصلي .

والقول الفصل في ذلك : ان التعريض ليس مجازاً ولا كناية ولا حقيقة ، وانما هو معنى آخر لا يفهم من اللفظ ، بل من القرائن وسياق الكلام ، فهو من ملحقات الكناية كالتورية وبراعة الطلب والمشاكلة والايهام .

(٢) أي أجمع أهل فن البلاغة الشاملة للمعاني والبيان باستقراء كلام البلغاء الأبناء من العرب على أن ...

(٣) ثم يقول السكاكي (المفتاح ٢١٩) بعد هذه العبارات الملخصة منه مايأتي : « والسبب في ان المجاز أبلغ من الحقيقة هو ما عرفت : ان مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم ، فأنت في قولك : (رعينا الغيث) ـ ذاكراً الملزوم (النبت) مريداً به لازمه أي الغيث ـ بمنزلة مدعي الشيء ببينة : فان وجود الملزوم شاهد لوجود اللازم : لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم ، لأداء انفكاكه عنه الى كون الشيء ملزوماً وغير ملزوم باعتبار واحد ؛ وفي قولنا : (رعينا النبت) مدعٍ للشيء لا ببينة ، وكم بين ادعاء الشيء ببينة وبين ادعائه لا بها!

المعنى لا يفيده خلافه ، فليست فضيلة قولنا : (رأيت أَسداً) على قولنا : (رأيت رجلاً) هو والاسد سواء في الشجاعة: أن الأول أفاد زيادةً في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني؛ بل هي ان الاول أفاد تأكيدا لاثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني ؛

وليست فضيلة قولنا : (كثير الرماد) على قولنا : (كثير القرى) ان الأول افاد زيادةً لقراه لم يفدها الثاني ، بل هي ان الاول افاد تأكيداً لاثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني ، والسبب في ذلك : ان الانتقال

والسبب في أن الاستعارة اقوى من التصريح بالتشبيه أمران :

أحدهما ، أن في التصريح بالتشبيه اعترافاً بكون المشبه به اكمل من المشبه في وجه التشبيه ، على ماقرر في باب التشبيه .

والثاني : ان في ترك التصريح بالتشبيه دعوى الشيء ببينة ، والسبب في ان (الكناية) أوقع من الافصاح بذكره ، أن مبنى الكناية كما عرفت على الانتقال من اللازم الى ملزوم معين ، ومعلوم عندك ان الانتقال من اللازم الى ملزوم معين يعتمد مساواته اياه ، لكنهما عند التساوي يكونان متلازمين ، فيصير الانتقال من اللازم الى الملزوم اذ ذاك بمنزلة الانتقال من الملزوم الى اللازم ، فيصير حال (الكناية) كحال المجاز في كون الشيء معها مدّعى ببينة ، ومع الافصاح مدعى لا ببينة ، وبهذا الطريق ينخرط نحو (أمطرت السماء نباتا) في سلك نحو (رعينا الغيث) ، فافهم !

وعلى المولع بالبلاغة ان يتدبر ما كتبه صاحب المفتاح فيرى كيف امتزج منطق منطق الأغريق بمنطق العرب فلم يصلحه ،وحال بين طالب البيان العربي وبين تذوقه واكتناه اسراره وادراك مزاياه الفنية .

في الجميع من الملزوم الى اللازم ، فيكون اثبات المعنى به كدعوى الشيء ببينةٍ ، ولاشك ان دعوى الشيء ببينةٍ أبلغُ في اثباته من دعواه بلا بينة (١)

هذا آخر الكلام في الفن الثاني (٢) .

---

(١) ان هذا الاستدلال لتفضيل (كثير الرماد) على (كثير القرى) هو مزيج من دليلين : منطقي عقليّ بالانتقال من الملزوم الى اللازم ، وشرعيّ نقليّ بتأييد الدعوى ببيّنة ، وهو مع ذلك يفيد في تحديد مفهومه ظناً لا قطعاً : اذ يجوز اطلاق (كثير الرماد) على المضياف او الكريم مطلقاً ، وان لم يكن الى جانب بيته رماد بالفعل ، مع جواز ارادة هذا المعنى الاصليّ الحقيقي أيضاً ؛ على ان الاستدلال بجمال الاقوال ، وبما في النثر والشعر من السحر هو المقبول في فن البيان اذ يحدث للمطالع والسامع من هزة التعبير وقوة التأثير ما يستهوي قلبهما وعقلهما معاً .

الحوظة : — من الكنايات القديمة ما تحتفظ بقوتها وروعتها ، مثل (رفيع العماد) اذا أطلقت في عصرنا على رب القصور ذوات العماد ، فهي لعمري أعذب وأنسب من كناية (كثير الرماد) تطلق على الكريم المحسن لأمته بكثرة بقائه للمدارس والمعاهد ، لا بكثرة الرماد لاطعام الشرائد مثلاً !

(٢) وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

خاتمة البيان

بلاغة آية من الكتاب المبين . — وذكر السكاكيّ بعد الفراغ منه تفسير البلاغة(١) بما نقلناه عنه في صدر الكتاب ، ثم قسم الفصاحة الى معنوية ولفظية :

وفسر **المعنوية** بخلوص المعنى عن التعقيد ، وعنى بالتعقيد اللفظي على ما سبق تفسيره(٢)

وفسّر **اللفظية** بأن تكون الكلمة عربية اصلية ، وقال : وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادورَ ، واستعمالهم لها اكثر ، لا مما احدثه المولدون ولا مما اخطأت فيه العامة ، وان تكون اجرى على قوانين البلاغة ، وان تكون سليمة عن التنافر ، فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة(٣) : وحصر مرجع البلاغة في الفنين ، ولم يجعل الفصاحة مرجعاً لشيء منهما ؛

---

(١) قال السكاكي في تعريف البلاغة (المفتاح ٢٢١) ما نصه : البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدّاً له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها ، وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها .

(٢) وأما التعقيد المعنويّ فالاحتراز عنه داخل عند السكاكي في البلاغة كما سبق في تفسيره لها .

(٣) لأن صاحب المفتاح لم يشترط في البلاغة فصاحة الكلام كما اشترطها المصنف الخطيب ، ولكن لابد من مراعاة الفصاحة في الكلام البليغ عند السكاكي ، فالخطب في خلافهما يسير .

ثم قال(١): واذ قدوقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية، فأنا اذكر على سبيل الأنموذج(٢) آيةً اكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يستترها عنك، وذكر ما اورده الزمخشري(٣) في تفسير قوله تعالى(٤): «وقيل: يا ارضُ ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماءُ، وقضي الأمرُ، واستوت على الجوديّ، وقيل بعداً للقوم الظالمين». وزاد عليه نكتاً لا بأس بها(٥). فرأيت أن أورد تلخيص ماذكره جارياً على اصطلاحه في معنى البلاغة والفصاحة، قال:

أما النظر فيها من جهة علم البيان(٦) فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا ان نردّ ما انفجر من الارض الى بطنها فارتدّ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن يغيض الماء النازل من السماء فغاض، وان يُقضى أمر نوح، وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضي، وأن نسوّي السفينة على الجودي فاستوت، وأبقينا الظّلمة غرقى؛

---

(١) في الصفحة عينها من المفتاح (٢٢١).

(٢) أي على سبيل المثال كما يقال: كل ما كان في الجنة فله انموذج في الدنيا.

(٣) في كشافه (٢/٢١٧)

(٤) في سورة هود (الآية ٤٤).

(٥) أي لا تخلّ بما قاله الزمخشري، وقوله: (تلخيص ماذكره) اي السكاكي.

(٦) قوله (اما النظر فيها) اي في هذه الآية البليغة

بنى[١] الكلام على تشبيه المراد منه بالمأمور الذي لا يتأتّى منه لكمال هيبته العصيانُ ، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ في تكوّن المقصود تصويراً[٢] لاقتداره تعالى ، وأن السموات والارض ، وهذه الاجرام العظام تابعةٌ لارادته كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لامره ، وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ؛

ثم بنى على تشبيه هذا نظمَ الكلام فقال تعالى : (قيل) على سبيل المجاز عن الارادة[٣] الواقع بسببها قول القائل ، وجعل قرينة المجاز خطابَ الجماد ، وهو : يا أرض ويا سماء ؛ ثم قال : يا أرض ويا سماء مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة[٤] للشبه المذكور ؛ ثم استعار لغَور الماء في الأرض (البلع)[٥] الذي هو أعمال الجاذبة في المطعوم بجامع الذهاب الى مقرّ خفيّ[٦] ، واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية لتقوى الأرض بالماء في الانبات للزرع والاشجار ، وجعل قرينة الاستعارة

---

(١) الضمير يعود الى (الله) جل بيانه .

(٢) مفعول لأجله ، والعامل فيه (تشبيه المراد منه)

(٣) وهذا المجاز مرسل من اطلاق المسبب وارادة السبب . فالعلاقة المسببية .

(٤) وهي استعارة مكنية : شبهنا الارض وما معها بعقلاء .

(٥) وهي استعارة تصريحية تبعية كما لا يخفى .

(٦) اي الجامع بين الغور والبلع هو الذهاب الى مقر خفيّ في كل منهما .

لفظ (ابلعي) لكونه موضوعاً للاستعمال في الغذاء دون الماء، ثم أمر على سبيل الاستعارة(١) للشبه المقدّم ذكرُه ؛ ثم قال : (ماءك) باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك ، واستعار لحبس المطر (الاقلاع)(٢) الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ، وخاطب في الأمرين ترشيحاً للاستعارة(٣) ؛

ثم قال : (وغيض الماء ، وقضي الامر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم الظالمين) فلم يصرح بالغائض والقاضي والمسوّي والقائل ، كما لم يصرح بقائل (ياأرض وياسماء) سلوكاً في كل واحد من ذلك سبيل الكناية : ان تلك الامور العظام(٤) لا تتأتى الا من ذي قدرة لا تكتنه ، قهار لا يُغالبَ ، فلا مجال لذهاب الوهم الى ان يكون الفاعلُ لشيء من ذلك غيره ؛

ثم ختم الكلامَ بالتعريض لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لانفسهم ، ختمَ اظهارٍ لمكان السخط ، ولجهة استحقاقهم إياه(٥) ؛

---

(١) اي بالكناية .

(٢) اي استعار الاقلاع لحبس المطر في قوله : (ياسماء اقلعي) .

(٣) اي الخطاب في الامرين (ابلعي ، اقلعي) ترشيح لاستعارة النداء السابقة .

(٤) بدل من الكناية أو خبر لمبتدأ محذوف .

(٥) مفعول لمصدر (استحقاقهم) العامل عمل الفعل .

واما **النظر فيها من حيث علم المعاني** ، وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها ، وجهة كل تقديم وتأخير بين جملها فذلك : انه اختير (يا) دون سائر اخواتها : لكونها اكثر استعمالا ، ولدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة ، ويؤذن بالتهاون به ؛ ولم يقل : (ياأرض) بالكسر تجنباً لاضافة التشريف تأكيدا للتهاون ؛ ولم يقل : (ياأيتها الارض) للاختصار مع الاحتراز عما في (أيتها) من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام(١) لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة ؛

واختير لفظ (الارض) دون سائر اسمائها لكونه أخفّ وأدورَ ، واختير لفظ (السماء) لمثل ذلك ، مع قصد المطابقة ؛ واختير (ابلعي) على ابتلعي ، لكونه أخصرَ ، ولمجيء حظّ التجانس بينه وبين (أقلعي) أوفرَ(٢) ؛ وقيل : (ماءك) بالافراد دون الجمع لدلالة الجمع على الاستكثار الذي يأباه مقام اظهار الكبرياء(٣) ، وهو الوجه في افراد الارض والسماء ، ولم يحذف مفعول ابلعي ، لئلا يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال

---

(١) لأن الأرض والسماء ومافيهما مطيع لأمر الله بحيث لا مجال عليها للغفلة عند خطابه لها ، حتى تحتاج للتنبيه .

(٢) لتماثلهما في الوزن وفي عدد الحروف .

(٣) لأن مياه الارض كلها ، والعالم كله من العرش الى الفرش ليس بمقدار بعوضة عند اظهار كبرياء الله .

والتلال والبحار وغيرها ، نظراً الى مقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء ؛

ثم اذ بيَّن المراد اختصر الكلام على (أقلعي) ، فلم يقل : أقلعي عن ارسال الماء، احترازاً عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر (١)، وهو الوجه في أنه لم يقل : يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ، ويا سماء أقلعي فأقلعت؛ واختير (غيض الماء) على (غيَّض) المشدّدة ، لكونه أخصر وأخف وأوفق لقيل (٢) ، وقيل : (الماء) دون ان يقال : ماء طوفان السماء ، وكذا (الامر) دون ان يقال : امر نوحٍ ، للاختصار، ولم يقل : سُوّيت على الجودي (٣) بمعنى أقرت ، على نحو : قيل وغيض وقُضي في البناء للمفعول اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله : (وهي تجري بهم) مع قصد الاختصار، ثم قيل:(بعداً للقوم) دون أن يقال: ليبعد القوم،طلباً للتوكيد مع الاختصار وهو نزول (بعداً) منزلة : ليبعدوا بعداً ، مع افادة اخرى،وهي استعمال اللام مع (بعد) الدالّ على معنى ان البعد حقٌ لهم ، ثم اطلق (الظلم) ليتناول كلَّ نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لانفسهم بتكذيب الرسل :

---

(١) لا من حيث الحقيقة ، لانه هو المراد التعبير عنه ، فكيف يكون ذكره من الحشو والفضول .

(٢) لان غيض بوزن قيل ، وهي اعذب وأنسب .

(٣) بل قال : (استوت) لان همزة هذا الفعل التي هي للوصل تسقط في الدرج، فتكون أخف على اللسان .

هذا من حيث النظر الى الكلام، واما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فدلك: أنه قدم النداء علي الامر فقيل : (يا ارض ابلعي ويا سماء أقلعي)، دون ان يقال : ابلعي يا ارض ، واقلعي يا سماء ، جرياً على مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادى ، قصدا بذلك لمعنى الترشيح(٢). ثم قدّم امر الارض على امر السماء لابتداء الطوفان منها . ونزولها لذلك في القصة منزلةَ الاصل ، ثم اتبعهما قوله: (وغيض الماء) لاتصاله بقصة الماء ، ثم اتبعه ماهو المقصود من القصة وهو قوله : (وقضي الامر) أي أنجز الوعد من اهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة ، ثم أتبعه حديث السفينة، ثم ختمت القصة بما ختمت: هذا كله نظرٌ في الآية من جانب البلاغة .

واما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية ، فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف، وتأدية لها ملخصة مبينة، لاتعقيد يعثّر الفكر في طلب المراد، ولا التواءَ يشيك الطريقَ الى المرتاد(٢)؛ بل الفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق الفاظها .

واما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية، فألفاظها علي ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة ، سليمةٌ عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة،

(١) اي ترشيح الاستعارة .

(٢) المرتاد اسم فاعل من ارتاد على وزن افتعل من الرود وهو الطلب والذهاب والمجيء ، والرائد والمرتاد المرسل في طلب الكلأ ، والمراد بها هنا مرتاد البيان .

عذبة على العذَبات(١)، سلسةٌ على الأسلات(٢)، كلٌّ منها كالماء في السلاسةِ ، وكالعسل في الحلاوةِ ، وكالنسيم في الرقّةِ ، والله اعلم .

---

(١) العذبة بفتح العين والذال : طرف كل شيء والخيط يرفع به الميزان ، وعذبة العمامة من خلفها ، والمراد بها هنا طرف اللسان وجمعها عذب وعذبات .

(٢) الاسلات جمع أسلة بفتح السين ، وهي في اللغة : كل عود لا عوج فيه ، ومن اللسان طرفه ، ومن النصل مستدقه ، وهي هنا بمعنى طرف اللسان ، فالأسلات كالعذبات بمعنى واحد ، والله اعلم .

تكملة *

مزايا أخرى للكناية ٠ — قال امامنا الشيخ عبدالقاهر في دلائله (٢٣٦ رابعة المنار) منبهاً على موقع الكناية ورافعاً من ذكرها ما نصه :

« هذا الفصل من القول دقيق المسلك لطيف المأخذ ، وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض ، كذلك يذهبون في اثبات الصفة هذا المذهب ؛ واذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ، ودقائق تعجز الوصف ، ورأيت هناك شعراً شاعراً . وسحراً ساحراً ، وبلاغة لا يكمل لها الا الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، وكما ان الصفة اذا لم تك مصرّحاً بذكرها ، مكشوفاً عن وجهها ، ولكن مدلولاً عليها بغيرها ، كان ذلك أفخم لشأنها ، وألطف لمكانها ، كذلك اثباتك الصفة للشيء تثبتها له ، اذا لم تلقه الى السامع صريحاً — وجئت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة — كان له من الفضل والمزية ، ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه ... »

وقد ذكر خطيبنا الدمشقي المصنف رحمه الله في آخر بحث الكناية ان (المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه) واستدل على ذلك بكلام صاحب الأسرار الذي لخصه (ص٢٧٢) بقوله : « وليس معنى كون المجاز والكناية أبلغ ان شيئاً منهما يوجب ان يحصل في الواقع زيادة في المعنى لا توجد في الحقيقة والتصريح ، بل المراد ان يفيد زيادة تأكيد الاثبات ... » أي ان يفيد تأكيداً لاثبات المعنى لا يفيده خلافه ،

ومما يدل على أن الكناية تعرض عليك القضية في طيها برهانها ، وتعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها قول مسكين الدارميّ :

---

* هذه التكملة لمهذب الايضاح وشارحه .

ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدرُ(١)
ما ضرّ جاراً لي أجاوره ألاّ يكون لبابه ستر
أعمى اذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر!

فانه اراد أن يصف لك في البيت الاول جاره محفوفاً بعنايته وملحوظاً بعين رعايته، فكني عن ذلك بأن ناره ونار الجار واحدة ، فلا تنزل القدر عن ناره ، حتى يذهب طعامها الى جاره ، فهو ناعم في خفض العيش أبداً ، واراد بالبيتين الثاني والثالث ان يصف لك ان جارته بجواره محفورة ، وبفرط غيرته عليها مستورة ، فكني عن ذلك بانه لا يضر ان لا يكون لجأها ستر ، وانه اذا ما برزت غض من طرفه حتى يواريها الخدر ، فانت ترى كيف دعم دعواه فيما نسبه لنفسه في البيت الأول من كرم الجوار ، وكيف ايد في البيتين الثاني والثالث قضية غيرته على عرض جارته بالبراهين الحسية التي لا يستطاع جحدها ولا انكارها .

ومن مزايا الكناية ان المرء يستطيع ان يعبر بها عما يتحاشى من ذكره ، وعن التصريح بما يخدش وجه الادب ، ويفعل ذلك إما لاجل الابهام على السامعين ، او احتراماً للمخاطب واجلالا لقدره ، او لتنزيه الاذن عما لا يليق بها سماعه او لغير ذلك.

فمن الكنايات الرقيقة التي يلجأ اليها ذوو الفطنة والأدب من البلغاء ماجرى لعبد الملك بن صالح العباسي الذي أهدى اليه الرشيد يوماً فاكهة في أطباق خيزران ، فكتب اليه يشكره : بعث اليّ أمير المؤمنين أطباق قضبان تحمل من جنايا باكورة بستانه ما أرج وأينع ، فقال الرشيد لجلسائه، وكان اسم امه الخيزران : ما أحسن ما كنّى عن أسم أمنا !

ومنها أنه كان في يد الحسن بن سهل ضغث من أطراف الأراك التي تتخذ منها المساويك ، فسأله المأمون عنه : ماهذه ؟ فاجابه الحسن بن سهل :

— محاسنك يا أمير المؤمنين ! ولم يقل : مساويك !

---

(١) انظر امالي السيد المرتضى (٢/١٢٠ – ١٢٣) ، والادباء ٤/٢٠٦ وطراز المجالس ١٨٤ وكنايات الجرجاني ١٠ و ٥٧ .

ومن مزايا الكناية وخواصها الجمة انها تمكنك من ان تنال من خصمك دون أن تهيجه لتجعل له عليك سبيلاً ، ودون أن يندى له جبين الادب ، ومثل هـذا النوع من الكناية يسمى (التعريض) ، وهو الطف وارق من الكشف والتصريح ، فقد كانوا يعيبون الرجل اذا كان يكاشف في كل وجه ، ويقولون : فلان لايحسن التعريض الا ثلباً وسباً ، وقد جعله الله في خطبة النساء جائزا فقال: « ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم » ولم يجز التصريح بالخطبة .

ومن التعريض الدال على مبلغ فطانة العربي للرمزة اللطيفة واللمحة الضعيفة مايروى ان شريكا النمري لقي رجلا من تميم فقال له التميمي :

— يعجبني من الجوارح البازي ! فقال شريك :

— وخاصةً مايصيد القطا !

وقد اراد التميمي بقوله (البازي) قول جرير يهجو الراعي النميري :

انا البازي المدل على نمير أتحت من السماء لها انصبابا

وعنى شريك بذكر القطا قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت !

ومن أراد الاطلاع على محاسن الكنايات وسائر مزاياها فعليه بمطالعة كتاب (النهاية في التعريض والكناية) و كنايات الجرجاني وغيرها ، وهي كثيرة في كتب الادب واقوال بلغاء العرب ، وادراك مغازيها واغراضها لايصعب على الطالب الاريب الاديب .

نصوص وشواهد

على انواع الكناية

تدريبات

(١) جاء في الكتاب المبين : « أو من ينشأ في الحلية، وهو في الخصام غير مبين » .

(٢) ومن حديث أم زرع قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد ،طويل النجاد،عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد . اخرجه الشيخان

---

(١) في الآية كناية عن موصوف وهي (البنت) لأن أهلها ينشئونها في الحلية ويجملونها منذ نعومة اظفارها بضروب الزينة .

(٢) في هذا الحديث اربع كنايات عن صفات : الأولى (رفيع العماد) وصفت التاسعة زوجها بالشرف وسناء الذكر والرفعة في قومه ، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة الى الكناية عنها ، اذ يلزم من كونه رفيع العماد ان يكون عظيم القدر في عشيرته ، لأن عماد بيوت الوجوه في العشيرة عالية رفيعة ، وبيت شيخها ورئيسها ارفعها عمادا .

وبالكناية الثانية (طويل النجاد) تصف زوجها بطول القامة ، فانه يلزم من طول حمائل السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول القامة عادة شجاعة صاحبها .

وبالكناية الثالثة (عظيم الرماد) تصف زوجها بالجود وكثرة الضيافة من اللحوم والخبز : اذ يلزم من كثرة الرماد كثرة احراق الوقود ، ثم كثرة الطبخ

(٣) وقال امرؤ القيس :

الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما للاصباح منك بأمثلِ
فيالك من ليلٍ كأنّ نجومه بكلّ مُغار الفتل شدت بيذبل
كأنّ الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان الى صمّ جندلِ

(٤) وقال ذو الاصبع العدواني لابن عم له يسمى عمرا :

ثم كثرة الضيفان ومنها الى المطلوب وهو صفة الكرم ، وقد كثرت الوسائط في هذه الكناية فكانت تلويحاً .

وبالكناية الرابعة (قريب البيت من الناد) أي النادي وهو مجلس القوم،وصفت زوجها بالسؤدد والكرم : إذ لايقرّب البيت من النادي الا من هذه صفته ، لان الضيفان يقصدون النادي ، واصحاب النادي يأخذون مايحتاجون اليه في ناديهم من البيت المجاور له وهذه صفة الكرام والسادة ، واللئام بخلاف ذلك ، وبهذه الصفات النبيلة وصفت الخنساء اخاها صخرا بقولها :

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد اذا ماشتا

(٣) في البيت الثاني (يذبل) جبل في نجد ، (والمغار) الحبل المحكم الفتل ، وفي قوله : (يالك من ليل) معنى التعجب ، ومعناه : كان النجوم شدت بيذبل ، ويلزم من ذلك أنها لاتفارق الليل فالمكني عنه : طول الليل ، وهو صفة ، وكذلك الامر في البيت الثالث ، و (المصام) فيه موضع وقوف الثريا ، والمعنى : كان الثريا مشدودة بحبال الى صخور ، فيلزم من ذلك انها تثبت في مستقرها ولا تمضي ، وهو يستلزم طول الليل وهو (صفة) أيضا .

(٤) في البيت الاول يصف ذو الاصبع نفسه بالكرم وحب الخير : ذلك لأنه يلزم من فتح بابه أبداً للضيوف كثرة الداخلين منهم للقرى ، ويلزم من هذه الكثرة

إني لعمرك ما بابي بذي غَلقٍ ... عن الضيوف ولا خيري بممنونِ
ياعمرو إلاّ تدعْ شتمي ومنقصتي ... اضربْك حتى تقول الهامةُ اسقوني
لايخرج القسر مني غيرَ مأبية ... ولا الين لمن لم يبتغي ليني

(٥) ولسالم بن وابصة الأسدي :

أحبّ الفتى يَنفي الفواحش سمعَه ... كأنْ به عن كل فاحشة وقرا
سليمَ دواعي الصدر لا باسطا أذى ... ولا مانعاً خيراً، ولا ناطقاً هُجرا
غني النفس ما يكفيك من سدّ خلةٍ ... فان زاد شيئاً عاد ذلك الغنى فقرا

أنه مضياف ، فقد كنى عن فتحه الباب عن (صفة) الكرم وهي المطلوب من هذا البيت ، وقد عزّز هذه الكناية بثانية مثلها ، وهي قوله (ولا خيري بممنون) أي بمقطوع عن البائسين .

وفي البيت الثاني يريد ذو الاصبع نسبة القتل لنفسه ، وهو مبني على خرافة جاهلية لانهم كانوا يعتقدون ان القتيل اذا قتل طار من هامته أي رأسه هامة فلا تزال تقول : اسقوني اسقوني حتى يقتل قاتله ، والمعنى : ان لم تترك ياعمرو شتمي واهانتي اقتلك : اذ يلزم من قول الهامة (اسقوني) أن يكون قتله ، فالظاهر انه لم يرد (الموصوف) وهو عمرو المخاطب ، ولا (الصفة) وهي القتل ، وهما مذكوران في الكلام ، وانما اراد (نسبة) القتل لنفسه ، أي لذي الاصبع المتكلم ، وفي البيت الثالث كناية ثالثة عليك كشفها .

(٥) في البيت الاول كناية عن (صفة) لأنه يلزم من نفي الفتى الفواحش عن سمعه كأن به (وقراً) اي صمماً عن كل فاحشة ، أن يكون شريفاً يخجل من سماع الخنى ، فهو يصف نفسه بالتكرم والحياء ؛ وفي البيت الثاني يصف الأسدي نفسه بطيبة القلب وحب الخير للناس فلا يبسط يده لأحد بأذى ، ولا يقول فحشاً وهجراً ،

(٦) ومن خطبة لعتبة بن أبي سفيان :

ياحاملي ألأم أنوف ركبت بين أعين ، إنما قلمت ظفري عنكم ليلين مسّي إياكم ؛ فأما اذ أبيتم ، فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم ، فكم من عظة لنا قد صُمت عنها آذانكم ، وزجرة قد مجّتها قلوبكم ! .

(٧) وشكت امرأة الى بعض ولد سعد بن عبادة قلة الفأر في بيتها ، فقال : إملئوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً !

ولا يمنع أحداً خيراً ، وقد كنى عن ذلك كله بالبيت الثاني فالمكني عنه من نوع (الصفة)

(٦) كنى عتبة بقوله (أ لأم أنوف) عن اثبات اللؤم للمخاطبين ، فالمطلوب الكناية عن (النسبة) لاعن الصفة ولا الموصوف ، وفي (قلمت ظفري) نرى المكني عنه المطلوب (صفة) وهو كف الاذى ، وفي (ليلين مسي) كناية ايضاً عن (صفة) وهي رأفته بهم ، وفي (صمت عنها آذانكم) كنى عن (صفة) وهي عدم الاصغاء والاباء ، وفي (مجتها قلوبكم) كنى ايضاً عن (الصفة) وهي الرفض والبغض .

(٧) في قولها (قلة الفأر) كناية عن صفة هي الجوع والفقر : ذلك لأن قلة الفأر تستلزم أن يكون بيتها خالياً من الخبز والسمن واللحم وما أشبه ذلك مما يسبب كثرة الفأر والسنور فيه ، وذلك يستلزم جوعها وفقرها .

تمرينات

عين الكناية النالية وبين أنواعها

(١) قيل لأبي العيناء: ما تقول في ابني وهب؟ قال: «وما يستوي البحران: هذا عذب فراتٌ سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج» فلان أفضل، قيل: وكيف؟ قال: «أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى، أم من يمشي سوياً على سراط مستقيم؟».

(٢) وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأنجشة، وهو يحدو بالنساء: رفقاً بالقوارير!

(٣) وقال امرؤ القيس:

غدائره مستشزرات الى العلى ... تضل العقاص في مثنىً ومرسلِ
وكشح لطيف كالجديل مخصر ... وساق كأنبوب السقيّ المذلل
ويضحي فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل

(٤) وانشد الجرميُّ لرجل من تميم(١):

خلوّا عن الناقة الحمراء واقتعدوا العَود الذي في جنابي ظهره وَقَعُ
ان الذئاب قد اخضرّت براثنها ... والناس كلهم بكر اذا شبعوا

---

(١) هذان البيتان من أبيات المعاني، وتجد شرحها في كثير من كتب الادب، ولا سيما كتاب (معاني الشعر) لابي عثمان الاشناندانى برواية ابن دريد، وهو مطبوع بمطبعة الترقي بدمشق، ونشرته جمعية الرابطة الادبية.

(٥) وقال حسان بن ثابت

بيض الوجوه كريمة احسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأوّلِ
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

(٦) وللحزين الكناني في عبد العزيز بن مروان :

حييته بسلام وهو مرتفقٌ وضجة القوم عند الباب تزدحمُ
في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروعَ في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضَى من مهابته فما يُكلم الا حين يبتسم

(٧) وقال ابو الطيب المتنبي :

ولا بدّ من يوم أغرّ محجّل يطول استماعي بعده للنوادبِ
اليكِ فاني لست ممن اذا اتقى عِضاض الافاعي نام فوق العقارب

(٨) وقال ابو تمام :

تطلّ الطلولُ الدمع في كل منزلٍ وتمثل بالصبر الديار الموائلُ
فقد سحبت فيها السحاب ذيولها وقد أخملت بالنور فيها الخمائل

(٩) ويقول البحتري يمدح أبا الفتح بن خاقان :

يغضون فضل اللحظ من حيث ما بدا لهم عن مهيب في الصدور محببِ
غدا وهو طود للخلافه مائلٌ وحدٌّ حسام للخليفة مِقضب

(١٠) وقال ابو العلاء المعري :

يأمَّ دَفرٍ رعاك الله والدةً منك الاضاعةُ والتفريط والسرفُ
لو أنك العرس اوقعت الطلاق بها لكنك الأمّ ،هلاّ عنك منصرَف؟

(١١) وقال السريّ الرفاء يستهدي نبيذا :

أبا اسحق ياجبلي ألوذ به ومعتصمي
أرقت دمي وأعوزني سليل الكرم والكرم

(١٢) ومما قلته في مسحّر ينادي مع طبله النوّام قائلا : الذي عنده خبز يحميه (على النار) ، والذي عنده طبيخ يغليه ، والفجر يبدي ، أفلته ـ والله ان لم تقوموا ـ وأرميه !

وناداهم طبلي فما استيقظوا كرىً وأصحيتهم،لو كان يصحو الفتى الردِي
ألا أيها الصوّام قوموا تسحّروا والا فان الفجر تفلته يدي !

❀❀❀

الاعراب البياني

يقول أبو الطيب في وقيعة سيف الدولة بني كلاب :

فمَساهم ، وبسطهم حريرٌ وصبّحهم ، وبسطهم تُرابُ
ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضابُ

مساهم : (مسّى) مسند،والضمير العائد لسيف الاسلام مسند اليه ، والاسناد خبري والضرب ابتدائي ، و (هم) قيد.

بسطهم حرير : (بسط) مسند اليه ، و (حرير) مسند ، والاسناد خبري والضرب ابتدائي ، ومثله في الاعراب عجز البيت .

صدر البيت الثاني: (من) بمعنى الذي مسند اليه،و(في كفه)مسند للمسند اليه (قناة) ، وجملة (كمن) في الشطر الثاني مسند للموصول (من) في الشطر الاول؛واعراب (في كفه منهم خضاب) كاعراب (في كفه منهم قناة) و(منهم) قيد في الشطرين . هذا ، وقد كنى المتنبي بقوله : (بسطهم حرير) عن عزهم والهناء، وبقوله: (وبسطهم تراب) عن ذلهم والشقاء ، فالكنايتان في القولين يراد منهما (الصفة) . وكني بصدر البيت الثاني عن الرجل

وبعجزه عن المرأة ، والمعنى : ان الرجال والنساء سواء في الضعف والذلة لسطوة سيف الدولة وبطشه بهم ، فالمطلوب من هاتين الكنايتين (الموصوف) .

وللتمرين

أعرب قول جرير يهجو تيما اعراباً بيانياً ، ثم بين ما فيه من أنواع الكنايات :

ويُقضى الامر حين تغيب تيمٌ ولا يُستأمَرون وهم شهودُ !

وانك لو لقيتَ عبيد تيمٍ وتيما قلت : أيهم العبيد ؟

❀❀❀

١ — جدول بياني

في تقسيم اللفظ الموضوع المستعمل على مذهب الجمهور

- اللفظ الموضوع
  - ١ — حقيقة
    - ١ — لغوية : (الأسد) في الحيوان المفترس
    - ٢ — شرعية : (الصلاة) في العبادة المخصوصة
    - ٣ — عرفية عامة : (الدابة) في ذوات الاربع
    - ٤ — عرفية خاصة : مصطلحات الفنون
  - ٢ — كناية
    - ١ — عن صفة
      - ١ ـ قريبة (طويل النجاد)
      - ٢ ـ بعيدة (كثير الرماد)
    - ٢ — عن موصوف
      - ١ ـ معنى واحد (مجامع الاضغان) : القلب
      - ٢ ـ جملة معان (حي مستوي القامة عريض الاظفار) : الانسان .
    - ٣ — نسبة (المجد بين ثوبيه)
  - ٣ — مجاز
    - ١ — مفرد*
      - ١ ـ مرسل
      - ٢ ـ استعارة
        - ١ ـ مكنية
        - ٢ ـ تصريحية
          - ١ ـ اصلية
          - ٢ ـ تبعية
    - ٢ — مركب
      - ١ ـ مرسل
      - ٢ ـ استعارة تمثيلية .

---

* ومن تمام التقسيم ان يقال : لغوي وعقلي ، واللغوي مفرد ومركب ، وكل من الأصلية والتبعية : مرشحة ومجردة ومطلقة .

فهرس الموضوعات

(١)

الصفحة		الصفحة	
٣	فن البيان	٨٥	الاعراب البياني
٧	القول في التشبيه	٨٦	التشبيه المجمل
١٧	طرفا التشبيه	٨٨	التشبيه المفصل
٣١	وجه الشبه	٩٠	التشبيه القريب المبتذل
٤٦	وقوع الخطأ في الانتزاع	٩١	التشبيه البعيد الغريب
٤٩	اداة التشبيه	١٠٧	التشبيه المشروط
٥١	نصوص وشواهد على التشبيه وأركانه	١٠٨	التشبيه المؤكد
٥٦	الاعراب البياني	١٠٩	التشبيه المرسل
٥٨	اغراض التشبيه	١١٠	التشبيه إما مقبول أو مردود
٦٣	التشبيه المقلوب	١١١	تقسيم التشبيه باعتبار القوة والضعف
٦٧	الحكم بالتشابه	١١٤	نصوص وشواهد على التشبيه باعتبار الطرفين والوجه والاداة والغرض
٦٨	تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه	١٢٠	القول في الحقيقة والمجاز
٧٥	تقسيم التشبيه الى ملفوف ومفروق	١٢٢	المجاز المفرد وأقسامه
٧٧	تقسيم التشبيه الى تمثيل وغير تمثيل		
٨٠	نصوص وشواهد على التشبيه وأنواعه وأغراضه		

الصفحة	
١٢٩	المجاز المرسل وعلاقاته
١٤٣	نصوص وشواهد على المجاز المرسل وعلاقاته
١٤٩	الاعراب البياني
١٥٠	الاستعارة (التحقيقية)
١٥٢	الاستعارة العقلية
١٦٢	هل الاستعارة مجاز لغويّ ام عقليّ
١٦٩	الفرق بين الاستعارة والكذب
١٧٠	قرينة الاستعارة
١٧٢	الاستعارة الوفاقية والعنادية
١٧٤	الاستعارة باعتبار الجامع
١٧٨	الاستعارة إما عامية اوخاصية
١٨١	التصرف الحسن يجعل العامية غريبة
١٨٤	الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع معا
١٨٨	تقسيم الاستعارة الى أصليةوتبعية
١٩٢	قرينة التبعية
١٩٦	نصوص وشواهد على أنواع الاستعارة
٢٠٠	الاعراب البياني
٢٠٢	الاستعارة اما مرشحة او مجردة او مطلقة
٢١١	نصوص وشواهد على الترشيح والتجريد والاطلاق
٢١٦	الاعراب البياني
٢١٨	المجاز المركب
٢٢٣	الفرق بين التمثيل والمثل
٢٢٨	الاستعارتان المكنية والتخييلية
٢٣٥	شروط حسن الاستعارة
٢٣٩	المجاز بالحذف والزيادة
٢٤٢	جدول بياني في تقسيم الاستعارة على مذهب السكاكي
٢٤٣	نصوص وشواهد على انواع المجازات
٢٥١	الاعراب البياني
٢٥٢	الفرق بين الكناية والمجاز
٢٥٣	أقسام الكناية الثلاثة
٢٦٩	تقسيم الكناية باعتبار الوسائط
٢٧٢	قوة بلاغة المجاز والكناية
٢٧٥	خاتمة البيان (بلاغة آية)
٢٨٣	تكملة(مزايا أخرى للكناية)
٢٨٦	نصوص وشواهد على انواع الكناية
٢٩٣	الاعراب البياني
٢٩٥	جدول بياني
٢٩٦	فهرس الموضوعات
٢٩٨	مراجع البحث
٣٠١	فهرس الشعراء
٣١١	فهرس الاعلام
٣١٥	فهرس التصويب

مراجع البحث*

(٢)

اراجيز العرب للبكري
أساس البلاغة (ط الدار)
أسرار البلاغة (ط المنار الرابعة)
الاستيعاب والاصابة
أسد الغابة
الاطول للعصام الاسفراييني (ط الدار العامرة اسطنبول)
اعجاز القرآن للباقلاني (القاهرة)
الاغاني (الدار)
الاقصى القريب للتنوخي (ط القاهرة)
أمالي القالي (الدار ١٩٢٦)
أمالي المرتضى (القاهرة ١٣٢٥)
أمثال الميداني
البخاري (الصحيح)
البديع لابن المعتز (القاهرة)
بغية الوعاة للسيوطي (القاهرة ١٣٢٦)
البيان والتبيين للجاحظ (نشر البرقوقي)
التبيان للطيبي (المخطوطة البيطارية)
تقرير الانبابي على المختصر والتجريد
التلخيص للخطيب الدمشقي
جمهرة أمثال العرب للعسكري
حاشية الدسوقي على السعد
حاشية السيد الشريف على المطول
حماسة البحتري (ط اليسوعية ببيروت)
حماسة أبي تمام (ط القاهرة)
خزانة الادب البغدادية (ط السلفية)
خزانة الادب الحموية (القاهرة)
الدفاع عن البلاغة للزيات
دلائل الاعجاز للامام الجرجاني (ط المنار الثانية)

* معاني الرموز : (ط) الطبعة ، (هـ) هجرية ، (م) ميلادية.

ديوان الاعشي (ذكرى حبيب) ١٩٢٧م
» امرىء القيس (ط القاهرة ١٣٢٤هـ)
» البحتري (الجوائب)
» ابي تمام (ط بيروت) ١٨٨٩ م
» جرير (الصاوي)
» حاتم الطائي (الدواوين الخمسة)
» حافظ ابراهيم
» حسان (القاهرة ١٣٤٧)
» الحطيئة (القاهرة ١٣٢٥)
» ابن خفاجة الاندلسي
» ابن الدمينة
» الرضي
» ذي الرمة (كمبريج ١٣٣٧ هـ)
» زهير (ط الدار)
» السري الرفاء (القاهرة)
» الشماخ (القاهرة)
» الفرزدق (الصاوي)
» القطامي
» قيس ابن الخطيم (ط ليبسيك)
» المتنبي (ط عزام)
» المعاني لابي هلال العسكري (القاهرة)
» ابن المعتز (ط مصر)
» ابي نواس (ط هندية)
ديوان الهذليين (ط الدار)
» الوأواء الدمشقي (ط دمشق)
الروضيات للصنوبري (ط الطباخ)
سر الفصاحة للخفاجي (ط الرحمانية بمصر)
سمط اللالى للميمني
شروح التلخيص (ط بولاق)
شرح الحماسة للتبريزي (نشرة المنذري)
شرحا السيوطي والمرشدي على عقود الجمان
شرح الشواهد الكبرى للعيني
شرح شواهد المفتاح والايضاح
شرح شواهد المغني (القاهرة ١٣٢٢)
شرح المفتاح للقطب الشيرازي (مخطوطة)
الشعراء للقتبي (القاهرة ١٣٦٤)
صحيح مسلم
كتاب الصناعتين للعسكري (الاستانة)
الطراز للامام يحي بن حمزة العلوي (المقتطف)
عروس الافراح للبهاء السبكي (الشروح ١٣١٧)
العمدة لابن رشيق القيرواني (القاهرة ١٣٤٤)

فوات الوفيات
فيض الفتاح للشربيني (١٣٢٣)
الكشاف للزمخشري (١٣٥٤)
كليلة ودمنة
كنايات الجرجاني
لسان العرب لابن منظور الخزرجي
المثل السائر (ط القاهرة)
المحصول للفخر الرازي
المختصر للسعد التفتازاني
المخطوطة الظاهرية للايضاح
المصباح للبدر بن مالك (القاهرة)
المطول للسعد (ط الاستانة)
معاني الشعر لابي عثمان الاشنـاندانى (ط دمشق)
معاهد التنصيص (بتحقيق محي الدين عبد الحميد المنذري)
معجم الشعراء للمرزباني (القاهرة ١٣٥٤)
المعلقات وشرحها للتبريزي وللزوزني
معيار العلوم
المفتاح السكاكي (ط الادبية بمصر)
من غاب عنه المطرب للثعالبي
المؤتلف والمختلف للآمدي
الموشح للمرزباني (١٣٤٣ هـ)
مواهب المفتاح (للمحقق المغربي)
النتف (من شعر ابن رشيق وابن شرف) للميمني
نشوار المحاضرة للمحسن التنوخي (ط دمشق)
النهاية في التعريض والكناية للثعالبي
الوساطة (ط صيداء)
يتيمة الدهر للثعالبي بتحقيق (المنذري)

فهرس الشعراء

(٢)

يدل على الشعراء بذكر انسابهم أو القابهم او كناهم المشهورة ، وعلى قوافيهم مرتبةً على الحروف ، وعلى مواقعها من هذا الكتاب ؛ وما كان من الارقام بين قوسين فابياتها من شواهد الشرح ، وفي الخط تحت الأرقام اشارة لترجمة الشاعر في الكتاب

« أ »

ابراهيم ابن هرمة أعجمُ ٢٥٩ الاجل ٢٦٠
احمد بن سليمان (المعري) المتطاول ١٤ والسرفُ ٢٩٢
أحمد بن محمد الصنوبري تصعّدْ ١٩ تمطْ ٣٩
ابن الاحنف = العباس
أحَيحة بن الجُلاح ، أبو قيس بن الاسلت نوّرا ٣٦ و ٩٤
الأخطل الصغير تاجيكِ ٤٣
الاخيطل الاهوازيّ مرتجلِ ٤٣
أبو اسحاق الصابي سلافه (٣٩) تسكبُ ٦٧
إسماعيل صبري الهناءُ ١٤٥
الأعشى (ابو بصير) كرَعُ ٤١ من بخلا ١٦٢
الأعور الشنيّ مقاديرُها ٢٢٢

امرؤ القيس أغوال ٢١ من عل ٤٢ البالي ٧٣ و٧٦ القُطر ٧٧
بدخان ٩٣ تتفل ١٠٧ اسحل ١١٠
بكلكل ١٨٣ ليبتلي ١٩٩ بأمثل ٢٨٧
ومرسل ٢٩٠

« ب »

ابن بابك = عبد الصمد
البارودي (محمود سامي) ونادي ١١٨
البحتريّ وضريب ٩ ومشرق (١٦) خُيب ٢٤
بمداد ٦٠ الجهام ٧٢ أوأقاحٌ ٧٧ مزيدا ٨٣
وارتفاعُ ٨٥ ثنّيها ١٠٧ في الماء ١١٠
الضاحي ١١٦ كسوفه ١٥٨ مظلمُ ١٥٩
تتلهبُ ١٧٠ سحائب ١٧١ الغيهب ١٧٦
المطر ٢١٣ شعوب ٢٤٦ نوّما ٢٤٨
والحقد ٢٥٤ محبب ٢٩١
بديع الزمان الهمذاني الذهبا ١٠٦
بشار كواكبهْ (٣٤) و٣٧ الفلكا ٢٠٨ خدي (٢٤٧)
ابو بكر الخالدي (محمد) ومنالا ٨٨
البوصيريّ من سقم ٢٥١

« ث »

أبو تمام (حبيب) حسود ١٠ شمائلا ١٣ منازلهْ (١٦)
شجاها ٥٣ تصورُ ٧٥ يخب ٨٧ تطلع ١٠٥
ذوابلُ ١٠٦ الوعرُ ١١٥ والمفاصلُ ١٤٥

نهبُ ١٩٨ يُنتضى ٢١٢ تهطلُ ٢٤٧
الموائلُ ٢٤٩ حامدِ ٢٦١ قبابِ ٢٦٣
أبا سعيد ٢٧٠ يتحول ٢٧١ الموائلُ ٢٩١
لتميمي وقعُ ٢٩٠
التنوخي (القاضي) = علي بن داود التنوخي

« ث »

الثعالبي (ابو منصور) لم تجمعِ ١١٨

« ج »

جران العَود (عامر النميري) والاّ العيسُ ١٦٨
جرير (باطله) ١١ انصبابا ٢٨٥ شهودُ ٢٩٤
جعفر بن عُلبة موثق (٢٢٤)
الجُميح الاشلُ ٣٨

« ح »

حاتم الطائي شكلي ٢٤٨
الحارثية أو علقمة ذوخصل ١٧٥
حافظ ابراهيم تألّقا ٢٠١
حبيب بن اوس = أبو تمام
الحريريّ الشموسا ١٩٤
الحزين الكناني تزدحمُ ٢٩١
أبو الحسن العقيليّ أغيدِ ٥٥
الحسين بن مطير مربعا ١٤٧

حسان بن ثابت الاول ٢٩٣
الحطيئة مشافره ١٤١
الحماسي الفصيل ٢٥٨ ظهورا ٢٥٦
ابن حمديس الصقلي حافره ١٠٩

« خ »

ابن خفاجه الاندلسي لجين الماء ١٠٨ الحسناء ١١٥
الخنساء ماشتا (٢٨٧)

« ر »

أبو دُلامة باليدين ١٥١
ابن الدُمينة شمالك ٢٢٠

« ز »

ذو الاصبع العدواني بمنون ٢٨٨
ذو الرّمة (غيلان) العوارا (٢٤) وكرا ٣٦ ذهبُ ٩٩
أبو ذؤيب الهذلي لاتنفعُ ٢٣١

« ر »

الراعي (عبيد بن حصين) إصبعا ٢٦٢
الرشيد الوطواط أفولُ ١٠٦
ابن رشيق القيرواني الذّبُل ١١٨ المراحُ ٢٥٠
الرصافي (معروف) الخصور (١١٩)
الرضيّ (الشريف) أستصبحُ ٢٤٩ تضعُ ١٠٩

ابن الرومي بالبصر ٥٣ الذُّلل ٥٤ سَيل ٦٠ عدنان ٨٢
الشعر ٨٣ المنال ٨٨ وريحانا ٢١٢

« ز »

زهير بن أبي سلمى تُقلّم ١٥١ و ٢٠٥ ولاعزل ٢١٣ ورواحله ٢٣٣
زياد الاعجم يغرق ٨٧ الحشرج ٢٦٣
زياد بن حَمل بهم بهُم ١٠٨

« س »

سالم بن وابصة الاسدي وقرا ٢٨٨
السريّ الرفّاء ضاقا ٨٢ أحم ٢١٥ سطورُها ٢٤٩
ومعتصمي ٢٩٢
سعد بن ناشب جانبا ١٢
سعيد بن حُميد سُحره ٢٠٩
ابن سكّره أحد ٨١
السموأل وسلُول ١٤٤ جميلُ ١٩٩
سوّار بن المضرّب وان ١٧٩
ابن سينا زيتُ ٥٣

« ش »

ابن شرف القيرواني المتندم ٢٩ بتأوّد ٥٥
الشمّاخ باليمين ٢٢٢
الشنفرى الأزدي حلّت ٢٦٧
شوقي وثابه ١١٩ ويعيدُ ١٤٦ الأقران ١٩٨

« ص »

الصاحب بن عبّاد الأمرُ ٦٧
صالح بن عبد القدوس في غرسه ٧٨
صخر (اخو الخنساء) ٢٨٧
الصنوبري = أحمد بن محمد

« ط »

أبو طالب الرقي لم يعشق ٢٥ أزرق ٣٧ و ٧٤ و ٩٩
ابن طباطبا على القمر ١٦٥ و (٢٠٨)
طُرفة بن العبد المتوقّد ٢٥٧
الطرماح بن حكيم ضلت ٢٨٥
طفيل الغنوي الرحلُ ١٧٨
أبو الطيب المتنبي ثاقبا ١٦ الكواكب (٣٧) و ١٠٠ المصطلي ٤٣
لا الحلمُ ٥٥ الغزال ٥٨ غزالا ٧٦ جداول ٨١
تلطم ٨٥ الجمال ١٦٧ الدراهم ١٧٧ الاسد ٢٠٠
المشرق ٢٠٧ كمائمه ٢١٦ قاسمه ٢١٧
لا الجمالا ٢٤٥ العضالا ٢٥٠ النحولَ ٢٦١
ملامُ ٢٦١ للنوادب ٢٩٠ تراب ٢٩٣

« ع »

العباس بن الاحنف كلّ بلد (١٦) فرقا ١٩٩ جميلا ٢٠٨
عبد الصمد بن بابك يكمل ١٥ فابصرا ٢٦ منتحلُ ١٠٧
عبد الغني النابلسي وغصونِ ٨٤
عبد الله بن المعتز = ابن المعتز

ابو العتاهية أذيالها ٢٤٩
العجاج مسرّجا ١٤٠
عدي بن الرقاع مدادها ٦٢ نسجاها ٢١٠
العرندس الكلابي أيسار ٥٢
العز التنوخي بهيجٌ ٨٤ الرّدي ٢٩٢
العلاء بن قرظة بآخرينا ٢٤٤
ابو العلاء المعري المتطاول ١٤ أن يكوا ١١٨ من جمانِ ٥٤
علي بن داود التنوخي (ابوالقاسم) ابتداعُ ٢٢ اتفقا ٢٦ خللْ ٥٤ الرفعهْ ٧٤
عمران بن حطان الصافرِ ٨
عمرو بن كلثوم المباتير (٣٧) و ١٠٠
عمرو بن معد يكرب وجيعُ ١٦٨
ابن العميد من نفسي ١٦٥
عنترة العبسي الملتهب ٩٩ المنزلِ ١١٤ مستسلمِ ١٤٣ ناجي ١٤٧
عون بن محمد الموصلي الذبابِ ١٢

«غ»

ابو الغنائم الحمصي المزرّدْ ٥٥

«ف»

الفرزدق يقاربهْ (١٠٣) عذارُ ١١٧ المشافر ١٤١
يمطر ٢١٠

«ق»

القاضي الأرّجاني نُوّمُ ٥٤

قريط بن أنيف شيبانا ٢١١ وحدانا ١٩٧
القطامي الصادي١٠٣ زَرّادِ ١٩٤ الوادي ١٧٧
قيس بن الملوّح أوراحُ ١١٧

«ك»

كثيرّ عزةّ الأباطحُ ١٨١ المالِ ٢٠٢ وتخلت ٢٤٥
الطوائحُ ٢٤٩
كشاجم الصديقِ ٥٦ أسرارها ٢٤٩
كعب بن زهير ذووها ١٩٣

«ل»

لبيد الودائعُ ١٠ زمامها ٢٢٩
ابن لنكك الصورِ ٩ ثمرُ ١٠ بالشقيقِ ٨٤

«م»

المتنبي = أبو الطيب
المجير بن تميم يغطيها ٨٢
مسكين الدرامي القدرُ ٢٨٣
لمجهول أو غير معزوّ بعد وقوعِ ٢٨
» معتدل ٤١
» الجلالِ ٧٣
» بدخانِ ٩٣
» إكافا ١٣١
» من ربابهْ ١٣٤

مجهول أو غير معزوّ لم تشقق ١٤٢
« يقاعدُ ٢٥١
« الفصيلِ ٢٥٨
محمد الخالدي = ابو بكر الخالدي
محمد عبد المطلب الجهني يتسمعا ٢١٥
محمد بن وهيب يمتدحُ ٦٣
المرقش الاكبر عنمُ ٧٦
مسلم بن الوليد واقع ١٩٩
ابو المطاع الحمداني فيليها ١٦٦
ابن المعتز وانفتاحا ٤٠ بالعيد ٥٢ اليواقيتِ ٦١ قاتله ٧٨
الصباح ٨١ جون ٩٥ غاليه ١٠١ مسك ١٠٢
الخندسا ١١٧ الضار ١٧٩ كالدنانير ١٨٢ .
المعري = ابو العلاء
معروف الرصافي = الرصافي
معن بن اوس لهحلمُ ١٤٧
معوّد الحكماء دبابا ١٤٤
مهلهل المجلس ١٤٧ الاقدام ٢٤٤
ابن ميادة ٢٥٩

« ن »

ابو النجم العجلي الاشلُ ٣٨
النابغة الجعدي لباسا ٦٩
النابغة الذبياني كوكب ٨٧ بالأثمدِ ١١٧ شامل ١٩٧
الاظفار (٢٠٥)

نصيب ظاهره ٢٥٨
أبو نواس واللهبِ ٨٠ أعسرا ٩٦ بما فيها ١٠٦ بأفنانها ٢١٢
قالا ٢٤٧ ويصيح (٢٤٧) يصير ٢٦٥

« ه »

ابن هرمة = ابراهيم
أبو هلال العسكري مفلج ١١٨ حرّ ١١٩

« و »

الوأواء الدمشقي مسفرِ ٨٣

« ي »

يزيد بن الحكم والحسبِ ٢٦٣

***

فهرس الاعلام*

(٤)

« أ »

ابن الاثير (الضياء) (٢٤١ ٢٤٧)
احمد بن ابراهيم الضبي (١٤)
احمد بن فارس = ابن فارس
اسحاق بن ابراهيم (١٧٠)
اسماعيل بن بلبل ٨٢
أم زرع ٢٨٦
الاصمعي (عبد الملك بن قريب)
(٢١٩ ٢٥٩)
الآمدي (الحسن بن بشر) (١٣٠ ١٥٦)

« ب »

البخاري (٥٢)
البوصيري ٢٥١

« ت »

التبريزي الخطيب (١٣٥)
الترمذي (٢٢٠) ٢٤٧ (٢٥٦)
ابو تمام (حبيب) (٥٢)

« ث »

الثعالبي (ابو منصور) (١٩ ٢٦٩)

« ج »

الجوهري (٣٧)

« ح »

الحجاج ٢١٣
الحسن بن سهل (٨٧) ٢٨٤
الحسن بن وهب (٥٩)

* من غير الشعراء الذين ذكروا في هذا الجزء ؛ ثم ما كان من الارقام بين قوسين فهو في الشرح لا المتن .

« خ »

خالد الشيباني (٢٠٦)
ابن خاقان (١٥٨ ١٥٩)
الخطيب الدمشقي (القزويني)
٢٤٥ ٢٦٢ ٢٨٣
ابن خفاجة الاندلسي (١٠٨ ١١٥)
الخفاجي (الامير) (١٣٠ ١٥٦)
الخوارزمي (ابو بكر)
١٥ (٢٥) ٢١٤ ٢٥٠)

« ر »

دختنوس (٢٢٤)
ابن دريد (٣٠ ٢٢١)
الدسوقي (صاحب الحاشية)
(٣٤ ٣٨)
أبو دلف العجلي ٢٤٥

« ر »

الراعي الشاعر = عبيد بن حصين النميري
ابن رشيق القيرواني (١٢٩ ٢٤٧ ٢٨٥)

« ز »

الزمخشري (٨٦ ١٦٤) ٢٣٠ ٢٦٦
٢٧٦ ٢٧٧
ابو زيد (اللغوي) ٢٢٣
الزنجاني (١٨)

« س »

السبكي (البهاء): (١٨ ٢٨ ٣٩ ٧٨
٩٤ ١١١ ١٢٧ ١٣٢ ١٦٣ ١٨٥
١٨٩
السعد التفتازاني (٣٥)
سعد بن عبادة ٢٨٩
السكاكي (٧) ٦٥ ١٥٣ ١٦٦ (١٨٧
١٩٠ ١٩١ ١٩٥ ٢٢٨ ٢٣٢ ٢٤١
٢٤٢) ٢٥٥ ٢٥٧ (٢٥٩) ٢٦٤
٢٦٥ ٢٦٧ ٢٦٩ (٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٥)
٢٧٦
سيبويه (١٤١)
ابن سيده (١٣٠ ١٣٣)
سيف الدولة (٥٨) ٢٦١ ٢٩٣)
ابن سينا ٥٣

« ش »

شجاع الطائي (١٥٨)
شريك النميري ٢٨٥
شوقي ٨٤
شلي الانكليزي ٢٥٠

«ط»

الطيبي (٦٦ ١٦١ ٢٠٣ ٢٠٥)

«ع»

عبد العزيز بن مروان ٢٥٩ ٢٩١
عبد العزيز الميمني (صاحب السمط) ٢٩
عبد القاهر الجرجاني ٤١ ٤٤ ٦٤
٧١ (٨٦) ٩٢ ٩٣ ٢٢٥ ٢٢٦
٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣٩ ٢٤١ ٢٦٧
٢٧٢ ٢٨٣
عبد الله بن طاهر ١٣
عبد الملك بن صالح ٢٨٤
عتبة بن ابي سفيان ٢٨٩
علقمة ١٧٥
علي بن داود التنوخي (القاضي) ١٥
٢٤ ٢٦
علي بن ابي طالب ٢٥ ١١٧ ٢١٣
٢٤٣ ٢٤٨
علي بن عبد العزيز الجرجاني ٢٧
ابو علي القالي (٢٢١)
علي بن منصور الحاجب ١٦
عمر بن الخطاب ٥١ ١٠٦
عمران بن حطان ٨
عمر السجزي (٦٦)
عمرو بن عدس (٢٢٤)

«غ»

الغانمي (محمد بن غانم) (١٥٦)
ابو الغنائم الحمصي ٥٩
الغزالي ١٣٣
غيلان العدوي (ذو الرمة) (٣٦)

«ف»

ابن فارس (احمد) ٩٦

«ق»

القطب الشيرازي (١٩٤ ٢٥٥)

«م»

المأمون ٢٨٤
محمد بن طاهر (٧١)
محمد بن يوسف الثغري ٢٧٠
محي الدين عبد الحميد المنذري (١٤ ٢٥
٧٢ ٢٥٦)
المرتضى (السيد) (٢٨٤)
المرزوقي (١٠٨)
مرة الهلالي (٢٢١)
مسلم (٥٢ ١٧٥)
ابن المسيّب (٥١)

ابن المعتز (٣٨)
معن بن زائدة ٢٤٧
المغربي (لمحقق) (٣١ ٣٤ ٦١
المهلبي ١١٨ ١٢٣ ١٥٤
موسى النبي وفتاه يوشع (٣٩)

« ن »

ابو النصر النمري (٢٧)

« ه »

هارون الرشيد ٢٨٤
ابو هلال العسكري (١١ ١١٨ ١١٩
١٣٠ ١٥٦ ٢٢٤)
الهيثم بن معمر (٢٤٦)

❀❀❀

فهرس التصويب

(٥)

الصفحة	السطر	الصواب
٧	(١١)	لقيت بزيد أسداً
١٥	٣	(لِلاما) بكسر اللام ، قال ابن بري : اللمام اللقاء اليسير ، واحداها لمَة عن ابي عمرو .
١٥	(٣)	مسافته الشهرية
٣٢	٧	والتيقظ
٣٦	(١)	او مركبين
٩٤	١٢	فصل بعضها
١٠٦	(٣)	في البغية : أي (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)
١٠٧	(٣)	ابو القاسم عبد الصمد
١٥٢	٥	وساطة حس
١٥٥	٧	لم يجتلب
١٥٩	(٩)	ويمنعه
١٦٠	٧	وتحسب
١٦٥	(١٦)	بلي الثوب يبلى كرضي يرضى
١٩٥	١	تقري
١٩٨	٥	ومسرحه الحصب
٢٠٥	(٩)	آتوك
٢١٠	٤	انه متناول له

الصفحة	السطر	الصواب
٢١٨	٧	كتابي هذا
٢٢١	٧	كان يغريه
٢٢٢	١٠	ولهذا لا تصلح (اي اليمين)
٢٢٩	١	يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به
٢٣٨	(٤)	تشبيهاً بل حقيقة
٢٥٨	٨	مشهور
٢٧٤	(١٠)	بكثرة بنائه
٢٨٥	٢	يندى لها (أي للكناية)

قد تم طبع هذا الكتاب في مطبعة الجامعة السورية العامرة
التي بذلت الجهد لاخراجه بهذه الحلة القشيبة
من الطبع

وذلك بمدينة دمشق في ١٤ شوال ١٣٦٩ الموافق ٢٩ تموز ١٩٥٠

حقوق الطبع محفوظة

لاجزاء هذا الكتاب الثلاثة للشارح المهذب وحده

808
T161A
V.1-2
12 JUN 64
=1 Apr 64
15 Apr 64
14 May 64
29 May 64
JAFET LIB.
26 JUN 2002
Circulation Dept. 2
JAFET LIB.
-4 JAN 2012
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
30 NOV 2005
JAFET LIB.
15 MAY 2008
Circulation Dept. 4

808:T162A:v.1-2:c.1
التنوخي، عز الدين
تهذيب الايضاح، شرح حديث لكتاب الاي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01031597